

فَهْجُ الصَّبَا

في

شَجَرِ التَّلَايُحِ

تأليف

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد بن الحسين

دام ظلّه

المجلد الثاني

طبع على نفقة الحاج عبيد الحميد البريشم كار

من مطبوعات المطبعة

في النجف اشرف

١٣٩٠ هـ - تمس ٥٣٧٧١٦

RE

226

.10

.95

.2

Princeton University Library



32101 047142896

al-Tustari, Muhanamad Taqī

فتح الصبأ

Bahj al-Sibāghah في شرح Nahj al-balāghah

شرح نهج البلاغة تأليف

العالم المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري
دامت له

الجزء الثاني

طبع على نفقة الحاج عبد الحميد ابراهيم كار

من منشورات مكتبة
طهران شارع ناصر خسرو

١٣٩٠ هـ - تلفن ٥٣٧٦٩٦

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في خلق الملائكة ﴾

أر في ١١ ثم فتق ما بين السماوات العلى فملائهن أطوار آمن
ملائكته : منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، و صافون
لا يتزايلون ، و مسبحون لا يسأمون . لا يغشاهم نوم العين ، و
لاسهو العقول ، و لا فترة الأبدان ، و لا غفلة النسيان ، و منهم أمناء
على وحيه ، و السنة إلى رسله ، و مختلفون بقضائه ، و أمره ، و منهم
الحفظة لعباده ، و السدنة لأبواب جنانه ، و منهم الثابتة في الأرضين
السفلى أقدامهم ، و المارقة من السماء العليا اعناقهم ، و الخارجة من
الأقطار أركانهم ، و المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ، ناكسة دونه
أبصارهم ، متلفعون تحته باجنحتهم . مضروبة بينهم و بين من دونهم
حجب العزة و استار القدرة ، لا يتوهمون ربهم بالتصوير ، و لا يجرون
عليه صفات المصنوعين ، و لا يحدونه بالأماكن ، و لا يشيرون إليه
بالنظائر .

2264
1067
955
2

v.2

قول المصنّف « في خلق الملائكة » أقول : كنه الملائكة غير معلوم لنا ، و حيث إننا لا نعرف أنفسنا بالكنه . قال تعالى « و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا »^(١) فالملائكة الذين ليسوا من جنسنا ، و غير مرئيين لنا أولى بعدم العرفان .

و مرّ في الفصل الأوّل قوله ﷺ في مقام بيان عدم إمكان الإحاطة بذاته تعالى « بل إن كنت صادقاً أيّها المتكلم لو صف ربك فصف جبرئيل وميكائيل و جنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحين » و مرّ ثمة أيضاً قوله ﷺ في ذلك المقام في ملك الموت « هل تحسّ به إذا دخل منزلاً أم هل تراه إذا توفى أحداً ؟ بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمّه أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بأذن ربّها أم هو ساكن معه في أحشائها كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله ؟ » .

ثمّ اختلف في لفظ (الملك) هل هو مفرد فقط أو مشترك بينه و بين الجمع ، و في مادته هل هو فعّل أو مفعّل . أو مفعّل أو مفعّل . فقال الفيروز آبادي : إن الملك واحد الملائكة والملائك ، و قال الجوهري : الملك من الملائكة واحد و جمع . قلت : و هو الصواب يشهد طبعيته مفرداً قوله تعالى « إن هذا إلا ملك كريم »^(٢) و طبعيته جمعاً قوله - عزّ وجلّ - « وجاء ربك والملك صففاً صففاً »^(٣) لا يقال : إنّه هنا اسم جنس لأننا نقول : لا يقال « جاء الرجل صففاً صففاً » بل (الرجال) وأمّا الثاني . فذهب إلى الأوّل ابن كيسان ، و إلى الثاني أبو عبيدة ، و إلى الثالث الكسائي ، و لذا ذكره القاموس في (ألك) و (لأك) و (ملك) و استند أبو عبيدة في كونه من لأك ، و تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل (ملك) فلمّا جمع ردت فقالوا (ملائك) و (ملائكة) . إلى قول الشاعر : و هو إمّا عبد القيس جاهلي في بعض الملوك أو أبو و جزة الإسلامي في ابن الزبير

(١) الاسراء ٨٥

(٢) يوسف ٣١

(٣) الفجر ٢٢

فلمست لا نسي و لكن ملائكة * تنزل من جو السماء يصوب
قلت : أي دلالة في البيت على كون ملائكة من لأك ، ومن أين أن ملائكة ليس
بأصل على فعلل اسقطت همزته تخفيفاً كما اسقطت من (أرى) ماضياً و مستقبلاً أفعالاً
و فعلاً ، وردت في جمعه كما هو القاعدة ، و ليس الملائكة منحصرأ استعماله بذلك
البيت بل ورد في بيت آخر نقله اللسان :

أيسها القاتلون ظلماً حسينا * ابشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعوعليكم * من نبي و ملائكة و رسول

و يشهد لكون (ملك) فعل قوله تعالى « قل يتوفاكم ملك الموت الذي و كل
بكم ثم إلى ربكم ترجعون » (١) فلا ريب أنه بمعنى الملائكة ، و أما نقل اللسان عن
محكم ابن سيده أن رويشدا سمى ملك الموت مالكا . فقال :

فابلغ مالكا إننا خطبنا ☆ فإنا لم نلائم بعد أهلا

و قال :

غدا مالك يبغي نسائي كأنما ☆ نسائي لسهمي مالك غرضان

و قال :

فيارب فاترك لي جهينة أعصرا ☆ فمالك موت بالفراق دهاني

وقال : قال ابن سيده : ظن ملك الموت من ملك . فصاغ مالكا من ذلك ، و هو
غلط منه ، و مثل غلط رويشدا كثير في شعر الأعراب الجفافة . فهو كما ترى . فالأعراب
كان في اعتقادهم أوهم لا في فهمهم اللغات .

و أما من جعله من ألك فظن ترادف الملك و الرسول و الألوكة و الملائكة الرسالة ،
فاستندوا إلى أبيات وردت فيها الألك و الملائكة و الملائكة كقول زيد بن حارثة :

ألكنني إلى قومي و إن كنت نائياً ☆ فإني قطين البيت عند المشاعر

و قول عمرو بن شأس .

ألكنى إلى قومي السلام ورحمة ☆ إلا له فما كانوا ضعافاً ولا عزلاً
و يروى :

ألكنى إلى قوم السلام رسالة ☆ باية ما كانوا ضعافاً ولا عزلاً
وقول ابن أبي ربيعة :

ألكنى إليها بالسلام فإنه ☆ ينكر المامى بها ويشهر
وكقول الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألكة ☆ عن الذي قد يقال الكذب
أى من الكذب ، وكقوله :

أبلغ يزيد بنى شيان مألكة ☆ أبا ثبيت أما تنفك تأ تكل
وقول عدى بن زيد :

أبلغ النعمان عنى مألكا ☆ أنه قد طال حبسى وانتظار

مع أنه وهم. فالملائكة لا يحصى عددهم غير الله تعالى ، وإنما كان جبرئيل
رسوله تعالى إلى أنبيائه ، وقال عليه السلام هنا (ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله).
« ثم فتق » : أى شق .

« ما بين السماوات العلى » و مرّ في الفصل السابق قوله عليه السلام (وفتق بعد
الارتفاق صوامت أبوابها) وقوله عليه السلام (ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها) .
« فملاهن أطواراً » مختلفة .

« من ملائكته » في تفسير القمى قال الصادق عليه السلام : ما من شيء خلقه الله أكثر
من الملائكة ، وأنه ليهبط كل يوم و ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام
فيطوفون به . ثم يأتون النبي صلى الله عليه وآله ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ثم
يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده. فإذا كان السحر وضع لهم معراج إلى السماء ثم
لا يعودون أبداً ، و ما في السماء موضع قدم إلا وفيها ملك يسبحه و يقده .

« منهم سجود » سجود هنا جمع ساجد لا مصدر سجد .

« لا يركعون ، وركوع » ركوع أيضاً هنا جمع راع .

« لا ينتصبون » : أى لا يقومون من الركوع ، وفي تفسير القمى قال الصادق عليه السلام :
 « إن لله ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة ، وإن لله ملائكة سجداً إلى يوم القيامة .
 » و صافون « أقدامهم في القيام بين يديه تعالى .
 » لا يتزايلون « عن مواضعهم
 » ومسبحون « : أى منزهون له تعالى .

« لا يسأمون » : أى لا يملون من تسبيحه قال تعالى - كما في التفسير - حكاية
 عن جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله « وما منّا إلا له مقام معلوم وإنّا لنحن الصافون
 وإنّا لنحن المسبحون » (١) وقبله وإن كان « وجعلوا بينه وبين الجنة سبياً » (٢)
 إلا أن المراد بالجنة هنا الملائكة حيث زعموا أنهم بناته تعالى عن ذلك ، وقال تعالى
 « فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » (٣)
 وقال « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٤) .

« لا يغشاهم نوم العين » هكذا في المصرية ، والصواب (العيون) كما في (حد ،
 والخطية) ، و أمّا ما رواه الأكمال عن داود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن الصادق
عليه السلام : ما من حى إلا وهو ينام خلال الله - عز وجل - والملائكة ينامون فقلت : يقول
 تعالى « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٥) قال : أنفاسهم تسبيح . الدال على نومهم
 فمرسل ، والتعليل الذى فيه عليل . فإنه تعالى في مقام بيان إظهار عظمته بخلقه من
 لا يفتقر عن عبادته فرقاً بينه وبين البشر ، ولو احتسب النفس تسبيحاً لا يمكن ذلك في
 البشر أيضاً .

و أمّا ما في علل ابن هاشم سئل الصادق عليه السلام عن الملائكة أياكلون و يشربون
 و ينكحون ؟ فقال : لا إنهم يعيشون بنسيم العرش . فقيل له : فما العلة في نومهم ؟

(١) الصافات ١٦٦

(٢) الصافات ١٥٨

(٣) فصلت ٣٨

(٤) الانبياء ٢٠

(٥) الانبياء ٢٠

فقال : فرقاً بينهم وبين الله تعالى لأن الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله تعالى . فمرسل أيضاً ، ومخالف للآيات المتقدمة . إلا أن الراوندى كأنه جمع بين الخبرين ، وبين قوله ﷺ هنا . فقال : قوله ﷺ « لا يغشاهم » يقتضى أن لهم نوماً قليلاً لا يغفلهم . فأما البارى سبحانه تعالى . فإنه لا تأخذه سنة ولا نوم أصلاً .

« ولا سهو العقول » هكذا في النسخ ، ولا يبعد أن يكون (العقول) مصحف (الغفلات) لعدم مناسبة لإضافة السهو إلى العقول يشهد للاستظهار ما في دعاء «الصحيفة» في الملائكة « ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات » اللهم إلا أن يقال : إن عقول البشر لما كانت ناقصة ويقع منها الخطأ نفى ذلك عن الملائكة لكن الانصاف أن العقل لا يسهو ، وإذا عجز عن فهم شيء لا يحكم لأنه يحكم خطأ كيف يحكم خطأ وهو الرسول الباطن ، ولولاه لم يغن الرسول الظاهر . قال الباقر ﷺ : لما خلق الله العقل قال له : أقبل . فأقبل . ثم قال له : أدبر . فأدبر . فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك إياك أمر ، وإياك أنهى ، وإياك أئيب ، وإياك أعاقب .

و بالجمله للبشر سهو الغفلات قالوا : قال قتادة يوماً : ما نسيت شيئاً قط . ثم قال لغلامه : ناولني نعلني . فقال له : نعلك في رجلك ، و في ميزان الذهبى قال الكلبى محمد بن السائب : ما حفظت شيئاً نسيتته ، و حضر عقيب الكلام الحجام فومىء إلى لحيته فقبض قبضة فأراد أن يقول خذ : من هيمننا . فقال : خذ من هيمننا . فأخذها من وراء القبضة .

« ولا فترة الأبدان » : أى انكسارها .

« ولا غفلة النسيان » فإن كل ذلك مختص بالبشر . قال الصدوق في اعتقاداته : الملائكة روحانيون معصومون لا يأكلون ولا يشربون ولا يألمون ولا يستقمون ولا يشبون ولا يهرمون . طعامهم و شرايبهم التسميح ، و عيشهم من نسيم العرش ، وتلذذهم بأنواع العلوم . خلقهم الله بقدرته أنواراً و أرواحاً كما أراد . ثم إنه ﷺ جعل الساجدين والراكعين والصافين والمسبحين طوراً واحداً لأنه يجمعهم العبادة المستغرقة لأوقاتهم وأماسلبه النوم والسهو والفترة والغفلة عن هؤلاء مع أن الظاهر شمولها لجميع الأصناف

فلعلّه لكون هؤلاء مظنّة هذه الأمور بأن يقطع عبادتهم النوم أو الفترة أو السأمة أو يحصل لهم السهو والغفلة فيها و عنها .

و يمكن أن يكون حصل في الكلام تقديم و تأخير وأن قوله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ « لا يغشاهم - إلى - ولا غفلة النسيان » كان بعد قوله « أطواراً من ملائكته » .

« و منهم أمناء على وحيه » قال تعالى « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » ^(١) وقال الصدوق: اعتقادنا في كيفية نزول الوحي أن بين عيني إسرافيل لوحاً إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر فيه فيقرء ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل فيلقيه ميكائيل إلى جبرئيل فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء .

« و السنة إلى رسله » قال تعالى « و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبرى » ^(٢) وقال « قالوا يا لوط إننا أرسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرناك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » ^(٣) وقال « فنادته الملائكة و هو قائم يصلّى في المحراب أن الله يمشرك ببيحيى » ^(٤) .

« و مختلفون بقضائه و أمره » قال تعالى « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ^(٥) « فاطمست أورا » ^(٦) « فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها » ^(٧) « إن تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فوركم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ^(٨) .

(١) الشعراء ١٩٤

(٢) هود ٦٩

(٣) هود ٨١

(٤) آل عمران ٣٩

(٥) الانعام ٨

(٦) الذاريات ٤

(٧) الاحزاب ٩

(٨) آل عمران ١٢٥

« ومنهم الحفظة لعباده » قال تعالى « وهو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » (١) وفي الخبر أن مع كل أنسان ملكين يحفظانه من أن يقع من سطح أو يتردى في بئر ، فإذا جاء أجله خلياه ، وفي اعتقادات الصدوق : و كل صنف من الملائكة يحفظ نوعاً مما خلق . هذا إذا أريد بقوله ﷺ « الحفظة لعباده » الحفظة لأنفسهم ، ويمكن أن يراد به الأعم منها ، ومن الحفظة لأعمالهم فقد قال تعالى « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » (٢) وفي خبر سئل الصادق ﷺ ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم ، والله عالم السر وأخفى ؟ فقال ﷺ : استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد ملازماتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة ، وعن معصيته أشد انقباضاً ، وكم عبد يهيم بمعصية فذكر مكانهم فأرعوى ، وكف ويقول : ربى يرانى ، وحفظتى على ذلك تشهد ، وأن الله برأفته و لطفه وكلهم أيضاً بعباده يذبون عنهم مردة الشياطين وهو أم الأرض وآفات كثيرة من حيث لا يرون إلى أن يجيء أمر الله تعالى .

« والسدنة » بفتح السين والdal : أى الخزنة .

« لأبواب جنانه » والظاهر سقوط كلمة (و نيرانه) بعد (جنانه) من الرواة ليكون موافقاً لقوله تعالى « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها و فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (٣) و قوله تعالى « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة الله العذاب على الكافرين » (٤) .

(١) الانعام ٦١

(٢) الانفطار ١٢

(٣) الزمر ٧٣

(٤) الزمر ٧١

« و منهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم ، و فى نسخة من (حد) « فى الأرض السفلى أقدامهم » و هو الأصح .
 « و المارقة » أى المتجاوزة .
 « من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار » أى أقطار السماوات والأرض .

« أركانهم » : أى جوانبهم و جوارحهم . روى الصدوق فى توحيده عن زيد بن وهب قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله تعالى . فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله تعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه و كثرة أجنحته ، و منهم من لو كلفت الجنّ و الإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعث ما بين مفاصله و حسن تركيب صورته ، و كيف يوصف من ملائكته من سبعة آلاف عام ما بين منكبيه و شحمة أذنيه ، و منهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون يديه ، و منهم من السماوات إلى حيزته ، و منهم من قدمه على غير قرار ، فى جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبته ، و منهم من لو ألقيت السفن فى دموع عينيه لجزت دهر الداهرين .
 و فى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام أن لله ملكاً ما بين شحمة أذنيه إلى عينيه مسيرة خمسة آلاف عام خفقان الطير ، و قال عليه السلام فى خبر المعراج : قال النبي صلى الله عليه وآله ثم صعدنا إلى السماء السابعة - إلى أن قال - وملكاً رجلاه فى تخوم الأرض السابعة أقبل مصعداً حتى خرج فى الهواء إلى السماء السابعة ، و انتهى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش ، و هو يقول : سبحان ربى - إلى أن قال - وله جناحان فى منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب .

« و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم » حتى تحتمل حملها . فى اعتقادات الصدوق : حملة العرش ثمانية من الملائكة لكل واحد منهم ثمانى أعين كل عين طباق الدنيا : واحد منهم على صورة بنى آدم يسترزق الله تعالى لبنى آدم ، و واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها ، و واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للنباح ، و واحد منهم على صورة الديك يسترزق الله تعالى للطيور . فهم اليوم هؤلاء الأربعة .

فإن كان يوم القيامة صاروا ثمانية .
ولكن قال شيخنا المفيد : الأحاديث التي رويت في صفة الملائكة الحاملين
للعرش أحاديث آحاد ، وروايات أفراد لا يجوز القطع بها ، ولا العمل عليها ، والوجه
الوقوف عندها ، والقطع على أن العرش في الأصل المُلْك ، والعرش المحمول جزء من
المُلْك تعبد الله بحمله الملائكة .
« ناكسة » : أى خافضة .

« دونه » تعالى .

« أبصارهم » في دعاء الصحيفة في الملائكة « الخشع الأبصار . فلا يرومون النظر
إليك النواكس الأعناق الذين قد طالت رغبتهم في مالديك » وقال (حد) الضمير
في (دونه) راجع إلى العرش . قلت : قال : ذلك لعدم إمكان النظر من أحد حتى الملائكة
إليه تعالى لكن الظاهر رجوع الضمير إليه تعالى ، وكون الكلام استعارة مثل قوله
تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » (١) .

« متلفعون » : أى مشتملون . قال الشاعر : لم تملق بفضل مئزرها رعد .

« تحته بأجنحتهم » فلا يفارقون مراكزهم .

« مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة » هكذا في النسخ
ولا يبعد أن يكون وقع في الكلام تحريف وأن الأصل (مضروبة بينه وبينهم حجب
العزة وأستار القدرة) كما لا يخفى ، وعن الصادق عليه السلام الشمس جزء من سبعين جزء
من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين
جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر - الخبر - .

و روى القمي عن النبي ﷺ قال : قال جبرئيل : إن بين الله وبين خلقه
سبعين ألف حجاب ، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجاب
وفي الخبر العامي عن جبرئيل قال : لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها
لأحرقتنا سبحات وجهه .

« لا يتوهمون ربهم بالتصوير ، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدونه بالأماكن ، ولا يشيرون إليه بالنظر » لكمال معرفتهم به تعالى ، وانكشاف الحقائق عليهم لا ككثير من البشر الخاطبين .

في ملل الشهرستاني : وأما المشبهة الحشوية . فذكر الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن نصر و كهمش وأحمد الهجيمي أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المخلصين من المسلمين يعاينونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض . حكى الكعبي عن بعضهم يزوروه و يزورهم ، و حكى عن داود الخوارزمي قال : اعفوني عن الفرج واللحية وأسألوني عما وراء ذلك وقال : إن معبودهم جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين . قال : وحكى أنه قال : هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ماسوى ذلك ، وأن له وفرة سوداء ، وله شعر ققط - إلى أن قال - وزادوا في الأخبار أكاذيب نسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود فإن التشبيه فيهم طباع حتى قالوا : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وأن العرش لياط من تحته كطييط الرجل الجديد ، وأنه ليفضل من كل جانب أربعة أصابع ، وروى المشبهة أن النبي ﷺ قال : لقيني ربي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كفتي حتى وجدت برد أنامله . إلى آخر ما نقل عنهم من الترهات - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٢ ر في ١٨٢ ر منها في صفة الملائكة : ثم خلق سبحانه لاسكان

سماواته ، و عمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته ملائ بهم فروج فجاجها ، وحسابهم فتوق اجوائها ، و بين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس ، وسترات الحجب

وَسِرَادِقَاتِ الْمَجْدِ ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ
 سَبَحَاتِ نُورٍ تَرُدُّعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بَلْوَعِهَا ، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا ،
 أَنشَاهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَاقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولَى اجْنِحَةِ تَسْبِيحِ
 جَلَالِ عِزَّتِهِ . لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنَعَتِهِ ، وَلَا يَدْعُونَ
 أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ . بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
 وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . جَعَلَهُمْ فِي مَا هُنَا لِكَ أَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ ،
 وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رِيْبِ
 الشُّبُهَاتِ ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ
 وَاشْعَرُ قُلُوبَهُمْ تَوَاضَعِ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلًّا إِلَى
 تَمَاجِيدِهِ ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ . لَمْ تَنْقَلِبْهُمْ
 مُوَصِّرَاتِ الْأَثَامِ ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عَقِبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَلَمْ تَرْمِ
 الشُّكُوكَ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونَ عَلَى مَعَاقِدِ
 يَقِينِهِمْ ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةَ الْأَحْنِ فِي مَا بَيْنَهُمْ ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ
 مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ
 فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ . فَتَقْتَرِعُ بِرِيْنِهَا
 عَلَى فِكْرِهِمْ : مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلْحِ ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ

الشَّمخِ ، وَ فِي قَتْرَةِ الظَّلامِ الأَبْهَمِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقدامُهُمْ
 تُخُومَ الأَرْضِ السُّفلى . فَهِيَ كَرَايَاتِ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخارِقِ الهِواءِ
 وَ نَحَتْها رِيحٌ هَفافَةٌ تَحْبِسُها عَلى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الحُدُودِ المِتناهِيةِ .
 قَدْ اسْتَفْرغَتْهُمُ اشْغالُ عِبادَتِهِ ، وَ وَصَلَتْ حَقائِقُ الأِيمانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ
 مَعْرِفَتِهِ ، وَ قَطَعَهُمُ الأِيقانُ بِهِ اِلى الوَلِئِ اليه ، وَ لَمْ تَجاوزْ رَغباتُهُمْ
 ما عِنْدَهُ اِلى ما عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذاقُوا حِلاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَ شَرَبُوا بِالكُؤُسِ
 الرُّويَّةِ مِنَ مَحَبَّتِهِ ، وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سَويْداءِ قُلُوبِهِمْ ، وَ شِجَّةِ
 خِيفَتِهِ . فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اِعْتدالَ ظُهُورِهِمْ ، وَ لَمْ يَنْفِذْ طُولُ
 الرِّغْبَةِ اِليهِ مادَّةً تَضَرُّعِهِمْ ، وَ لا اَطْلُقَ عَنْهُمْ عَظِيمَ الزُّلْفَةِ رِيقِ
 خُشوعِهِمْ ، وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الاِعْجابُ . فَيَسْتَكْشِرُوا ما سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَ لا
 تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكانَةَ الأِجالِ نَصيباً فِي تَعْظيمِ حَسَناتِهِمْ ، وَ لَمْ تَجْرُ
 الفِتراتُ فِيهِمْ عَلى طُولِ دُؤُوبِهِمْ ، وَ لَمْ تَغْضُ رَغباتُهُمْ . فَيُخالِفُوا
 عَنِ رِجاءِ رَبِّهِمْ ، وَ لَمْ تَجِفَّ لَطُولُ المِناجاةِ اسْلالَتِ السِّنْتِهِمْ ، وَ لا مَلَكَتْهُمُ
 الاَشْغالُ . فَتَنْقَطِعَ بِهِمُسِ الجُؤارِ اِليهِ اصْواتُهُمْ ، وَ لَمْ تَخْتَلِفِ فِي
 مَقاوِمِ الطَّاعَةِ مَنابِئُهُمْ ، وَ لَمْ يَشْنُوا اِلى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي امْرِهِ
 رِقابِهِمْ ، وَ لا تَعْدُو عَلى عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلادَةِ الغَفَلاتِ ، وَ لا تَمْتَضِلُ

فِي هَمَمِهِمْ خَدَائِعَ الشَّهَوَاتِ قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فِاقَتِهِمْ
وَيَمَمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بَرِغْبَتِهِمْ . لَا يَقْطَعُونَ
أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْاسْتِهْتَارُ بِلِزُومِ طَاعَتِهِ إِلَّا إِلَى
مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مَنْقُطَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ . لَمْ تَنْقُطِ اسْبَابُ
الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ . فَيَسْتَوُوا فِي جَدِّهِمْ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشَيْكَ
السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَعْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا
ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتٍ وَجَلَّهِمْ ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ
الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَفْرَقْهُمْ سُوءُ التَّقَاتِ ، وَلَا تَوْلَاهُمْ غِلَّ التَّحَاسُدِ
وَلَا شَعَبَتَهُمْ مَصَارِفُ الرِّيْبِ ، وَلَا اقْتَسَمَتَهُمْ أَخْيَافُ الْهَمَمِ . فَهُمْ أَسْرَاءُ
إِيْمَانٍ . لَمْ يَفْكَهْمُ مِنْ رَبِّقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ ، وَلَا وَنِيٌّ وَلَا فِتْنَةٌ ، وَلَيْسَ
فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ أَهَابِ الْأَوْعَالِيَةِ مَلِكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ ،
يَزْدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ
عَظْمًا .

أقول : رواه أئمة غريب اللغة كما يظهر من نقل بعض فقراته في النهاية .

« ثم خلق الله .

« سبحانه لاسكان سماواته » كاسكان أرضه .

« و عمارة » مصدر عمرت الخراب .

« الصفيح » : أي الجانب .

« الأعلیٰ » : أى السماء ، وقال الجزرى : الصفيح اسم من أسماء السماء ، ومنه حديث عليّ عليه السلام « وعمارة الصفيح الأعلیٰ من ملكوته » .

« من ملكوته » فى الصحاح : المملكوت من المملك كارهبوت من الرهبة يقال : له مملكوت العراق ، وملكوة العراق ، وهو المملك والعز .

« خلقاً بديعاً من ملائكته ملأ بهم فروج » : أى شقوق .

« فجاجها » : أى طرقها الواسعة .

« وحشابهم » أى جعلهم فى حشو .

« فتوق » : أى شقوق .

« أجوائها » : أى متسعها . فى خبر ابن أبى العوجاء مع الصادق عليه السلام أنه عليه السلام

قال له فى مقام إقناعه : لو كان الأمر كما تقولون لم يضر بالمتدينين ، وإن كان كما تقولون . فأنتم هالكون . فقال له ابن أبى العوجاء : ما قولى وقولهم إلا واحداً . فقال عليه السلام له : كيف يكون كذلك وهم يقولون : إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدينون بأن فى السماء إلهاً وأنها عمران ، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد .

« و بين فجوات » : أى ساحات .

« تلك الفروج » : أى الشقوق المتقدمة فى قوله عليه السلام « فروج فجاجها » .

« زجل » بفتح زيم : أى صوت .

« المسبحين منهم فى حظائر القدس » والأصل فى الحظر المنع ، وسميت السماوات التى محال الملائكة حظائر القدس لأن الشياطين - وهم أهل الرجس - ممنوعون منها .

« وسترات الحجب وسرادقات المجد » يمكن أن يكون (السترات) و (السرادقات)

استعارة كما فى قول رؤبة .

يا حكم بن المنذر بن الجارود * سراق المجد عليك ممدود

و يمكن أن تكونا حقيقة . ففي خبر زيد بن وهب عنه عليه السلام : الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام - إلى أن قال - ثم سرادقات الجلال ، وهى

ستون سرادقاً في كل سرادق سبعون ألف ملك بين كل سرادق و سرادق مسيرة خمسمائة عام .

« و وراء ذلك الرجيج » الأصل في الرجيج الحركة الشديدة كقوله تعالى « إذا رججت الأرض رجاً »^(١) ولازم الحركة الشديدة تولد صوت كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذي الثدية « و أما الشيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجيبة قلبه و رجّة صدره » ثم الإشارة إلى (الرجيج) في قوله (ذلك الرجيج) مع عدم لفظه إنما هو لتقدمه بمعناه في قوله (زجل المسبحين منهم) .

« الذي تستك منه الأسماع » : أى تذهب منه السامعة . قال عبيد بن الأبرص : دعا معاشر فاستكّت مسامعهم ، والأصل في السك اصطلام الأذن وقطعها ، و في الخبر مر عَلَيْهِ السَّلَامُ بجدى أسك .

« سبحات نور » : أى تجلياته و طعاته .

« تردع » : أى تكف .

« الأَبصار عن بلوغها » والمراد استكك أسماع البشر ، وردع أبصارهم لو فرض بلوغهم إلى ذلك المحل ، و يمكن أن يقرأ (الرجيج) بالرفع مبتدأ لقوله (وراء) و يكون (سبحات) مصحّف (و سبحات) عطفاً على (الرجيج) و حينئذ . فالمراد استكك أسماع الملائكة و ردع أبصارهم ، و يشهد له ما في النهاية أن في الخبر . قال جبرئيل : لله دون العرش سبعون حجاباً لو دوننا من أحدها لاحترقنا سبحات وجه ربنا

« فتقف » : أى الأَبصار .

« خاصّة » : أى كليلة .

« على حدودها » ولا تتجاوز .

« أنشأهم على صور مختلفات ، وأقدار متفاوتات » مرّ في سابقه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « ومنهم الثابتة في الأرض السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ، والخارجة من الأقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم » و مرّت ثمة أخبار في ذلك .

« أُولَىٰ أُجْنِحَةٍ » قال تعالى « جاعل الملائكة رسلاً أُولَىٰ أُجْنِحَةٍ مثنى و ثلاث و رباع يزيد في الخلق ما يشاء إنَّ الله على كل شيء قدير » (١) .

« تسبِّح جلال عزته » قال تعالى « فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » (٢) و إسناد التسبيح إلى جلال عزته للمبالغة كقوله تعالى « اكرمي مثواه » و أمّا (تسبِّح) بلفظ الإفراد فالظاهر كونه صفة (أجنحة) فإن لم يكن (تسبِّح) مصحف (يسبحون) يدل الكلام على تسبيح أجنحة الملائكة له تعالى أيضاً ، وورد تسبيح أجنحتهم ، و باقى أعضاءهم له تعالى .

ففى خبر عن جميل عن الصادق عليه السلام أن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله تعالى ، و الماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلا وله ألف و أربعمائة جناح في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا و هو يسبح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه .

و في خبر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أن لله تعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا و هو يسبح الله تعالى و يحمده من ناحية بأصوات مختلفة .
« لا ينتحلون » : أي لا يدعون لأنفسهم .

« ما ظهر في الخلق من صنعته » هكذا في المصرية ، و الصواب (من صنعته) كما في (حد ، و ثم ، و الخطية) « و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليتنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » (٣) .

« ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً مما انفرد به » هكذا في المصرية ، و الصواب (شيئاً معه مما انفرد به) كما في الثلاثة . قال تعالى حكاية عنهم « وما ننزل إلا بأمر ربك

(١) فاطر ١

(٢) فصلت ٣٨

(٣) سبأ ٤١

له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيّاً» (١) .
 « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » اقتباس من الآية في
 سورة الأنبياء وقبلها « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه » (٢) وبعدها « يعلم ما بين
 أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » .
 « جعلهم في ما هنالك أهل الأمانة على وحيه » فلا يمكن خيانتهم فيه « نزل به
 الروح الأمين » (٣) .

« و حملهم » بلفظ المصدر عطفاً على (وحيه) .
 « إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه » لا كما يقول الغلاة من أن الله تعالى أرسل
 جبرئيل إلى عليّ عليه السلام فذهب إلى محمد صلى الله عليه وآله .

« و عصمهم » : أي حفظهم .

« من ريب » : أي شك .

« الشبهات » : أي ريب يعرض من الشبهات . قال شيخنا المفيد : الملائكة
 معصومون مما يوجب لهم العقاب بالنار ، و على هذا القول جمهور الإمامية ، و سائر
 المعتزلة ، و أكثر المرجئة ، و جماعة من أصحاب الحديث ، و قد أنكر قوم من الإمامية
 أن تكون الملائكة مكلفين و زعموا أنهم إلى الأعمال مضطرون ، و وافقهم على ذلك
 جماعة من أصحاب الحديث .

قلت : فيكون حال الملائكة عند أولئك حال الشمس والقمر والنجوم في طلوعها
 وغروبها حيث سخرت على ذلك ، و يردّهم قوله تعالى « لا يعصون الله ما أمرهم و
 يفعلون ما يؤمرون » (٤) و قوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما
 يؤمرون » (٥) و قوله تعالى « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره

(١) مريم ٦٤

(٢) الانبياء ٢٦

(٣) النمل ١٩٣

(٤) النحل ٢٩٣

(٥) النحر ٦

يعملون^(١) « الآية المذكورة في كلامه عليه السلام ، و يردُّهم قوله عليه السلام في العنوان « لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه - إلى قوله - فتتقرع برينها على فكرهم » و قوله ﷺ « قد استفرغتهم - إلى آخر العنوان - و أي شيء يقولون في قوله تعالى « و إن قال ربك للملائكة إنني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها - إلى - فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنني أعلم غيب السماوات والأرض و أعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون »^(٢) و أي شيء يقولون في قوله تعالى « و إن قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلى ابليس - الآية »^(٣) .

« فما منهم زائف » : أي مائل .

« عن سبيل مرضاته » تعالى .

« وأمدُّهم بفوائد المعونة » هكذا في النسخ ، والصواب (بعوائد المعونة) : أي أمدُّهم بالاعانة بدء و عودا ، و أمّا (فوائد) بالفاء فلا معنى له هنا . قال (خو) : قال الفيومي : معونة مفعلة ، وجعله بعضهم فعولة من الماعون . قلت : إن ما قاله خلط فلاخلاف أن (المعونة) من (العون) و إنما الخلاف في (الماعون) هل هو من (المعن) أو (العون) .

« و أشعر قلوبهم » : أي جعل كالشعار لها .

« تواضع إخبارات » مصدر أخبت : أي خضع .

« السكينة » : أي السكون والطمأنينة والوقار . قال تعالى « يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »^(٤) وفي حديث الطبراني أن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه كلمة قط ، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفاً لله و خشوعاً .

(١) الانبياء ٢٦

(٢) البقرة ٣٣

(٣) البقرة ٣٤

(٤) الرعد ١٣

« وفتح لهم أبواباً ذللاً » : أي بلا صعوبة .
 « إلى تماجيده » : أي تسابيحهم جمع التمجيد . قال تعالى « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (١) .
 « و نصب لهم مناراً واضحة » مرّ في خطبة الكتاب كون (منار) جمعاً ، ولذا وصف بالواضحة .
 « على أعلام » متعلق بقوله : و نصب ، والأعلام الجبال ، وهو أحسن استعارة كما في قول الخنساء في أخيها صخر :
 وإن صخرأ لتاتم الهداة به ☆ كأنه علم في رأسه نار
 « توحيده » فلا يمكن أن يتطرق إليهم شك .
 « لم تثقلهم » بالتشديد : أي لم تجعلهم ثقلاء الحمل .
 « موصرات » : أي مضيقات .
 « الآثام » ككثير من الناس . قال تعالى « وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » (٢) .
 « ولم ترتحلهم » هكذا في النسخ ، والظاهر كونه تصحيف « ولم ترتحلهم » .
 « عقب » : أي تعاقب .
 « الليالي والأيام » الحاصلتين من طلوع الشمس وغروبها : أي لم يحملهم تعاقب الليالي والأيام على الرحلة كالناس . قال الشاعر :
 أفناه قيل الله للشمس ارجعي ☆ حتى إذا وارك أفق فارجمي
 وليس المعنى أن تعاقبهما لم يجعلهما راحلة له كما في خبر : أن ابني ارتحلني فلا معنى له هنا .
 « ولم ترم » من الرمي .
 « الشكوك بنوازعها » من (نزع في القوس) : أي مدّها ، ونسخة (بنوازعها)

(١) الانبياء ٢٠

(٢) المنكبوت ١٣

من (نزع الشيطان) كما حكاها (خو) بلا مناسبة مع (لم ترم) من الرمى نعم إن قرىء (ولم ترم) بكسر الراء من (رام) : أى قصد يكون له ربط لكنّه خلاف الظاهر حيث إن بعده (ولم تعترك) .

« عزيمة أيما نهم » : أى أيما نهم الثابت الذى لا يتزائل بمعنى أن الشكوك وإن كانت ذات روام نوازع لم تستطع أن تجعل أيما نهم هدفاً لها .
« و لم تعترك » : أى ولم تقا تل ، والأصل فى العرك الدلك ، و فى القتال يدللك كل من القرنين الآخر .

« الظنون على معاهد يقينهم » فتسلط على حلّه من قلوبهم ، والمراد أن الملائكة لم يحصل لهم ظنون مخالفة ليقيناتهم فى المعارف الإلهية كما قد يتفق للبشر ، وذكر الظنون بعد الشكوك كالا عتراك بعد الرمى فى غاية الحسن .
« ولا قدحت قاذحة » والقاذحة : الدودة التى تقع فى الأشجار والأسنان قال جميل :

رمى الله فى عينى بشينة بالقذى * وفى العرّ من أنيابها بالقوادح
« الإحن » جمع الإحنة : أى الحقد والضغن . قال الشاعر :

إذا كان فى صدر ابن عمك إحنة ☆ فلا تسترّها سوف يبدو دفينها
« فى ما بينهم » ككثير من الناس .

« ولا سلبتهم الحيرة » : أى التحير و عدم الاهتداء .

« ملاق » : أى لصق . يقال : مالاقت المرثة بقلب زوجها : أى ما لصقت .
« من معرفته » : أى المعرفة له تعالى .

« بضائرهم » متعلق بقوله : لاق .

« وما سكن » هكذا فى المصرية ، والصواب (وسكن) كما فى (حد ، و ثم ،

والخطية) عطفاً على لاق .

« من عظمته وهيبته جلالته فى أثناء » جمع ثنى .

« صدورهم » لا كبعض الناس الذين يسلب عنهم أيما نهم كما حكى تعالى عن بعضهم

«واتل عليهم نبأ الذين آتينا آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» (١).
 «و لم تطمع فيهم الوسوس فتتقرع» قال (حد) تتقرع من الاقتراع بالسهم بأن يتناوب كل من الوسوس عليها، و يروى (فتتقرع) بالفاء: أى تعلقو. قلت: معنى الاقتعال من (قرع) بالقاف الاختيار، و ايقاد النار و ضرب القرعة، و من (فرع) بالفاء الاقتضاض من (افترع البكر) ولم يتعد أحدهما بعلى، و الظاهر كون الكلمة تحريف (فتفرغ) من قوله تعالى «ربنا أفرغ علينا صبراً» (٢).
 «بريبها» من (الريبة) و قرىء (برينها) من (ران على قلوبهم) والأول أقرب إلى الوسوس.

«على فكرهم» فيكون المعنى لو كانت الوسوس تطمع فيهم يمكن أن تفرغ ارتيا باتها على فكرهم كالبشر لكنهم ليسوا كذلك.

«منهم» الظاهر وقوع تقديم و تأخير، وأن قوله هذا إلى (من الحدود المتناهية) كان بعد قوله المتقدم (و أقدار متفاوتات) و قوله (قد استفرغتهم) بعد (المتناهية) إلى آخر العنوان كان بعد قوله (على فكرهم) ليكون كلامه عَلَيْهِمُ في وصف خلقتهم في موضع، و في وصف عبادتهم و طاعتهم في موضع، و لا يكون الكلام مختلاً مختلطاً.
 «من هو في خلق الغمام»: أى السحاب: أى خلقه كخلق الغمام.

«الدَّاح» جمع الدالح أى الماشى بحمل ثقيل يقال: دلح الرجل. دلح البعير إذا مشيا بحملهما غير منبسطا لخطو لثقله عليهما. ثم وصف (الغمام) وهو مفرد (بالدَّاح) وهو جمع من باب قولهم (بلد أخصاب) و (بلد سباب) و (رمح أقصاد) و (برمة أعشار) و (ثوب أسمال) و (ثوب أخلاق) من وصف المفرد بالجمع لإرادة الأجزاء منه.

هذا، و قلنا إن قوله عَلَيْهِمُ «في خلق الغمام الدَّاح» معناه أن خلقته كخلقته لقوله بعد «و منهم من خرقت أقدامهم» ولأن النهاية نقله «و منهم كالسحاب الدَّاح» و يمكن أن يراد به أن منهم من عمله صنع السحاب الدَّاح، و كذلك القول في قوله

(١) الاعراف ١٧٥

(٢) الاعراف ١٢٦

عَلَيْهِمُ بَعْدُ : « و فى عظم الجبال الشمخ ، و فى فترة الظلام الأيهم » على ما يأتي .
 و يشهد للحمل هنا ما فى دعاء الصحيفة - فى الصلاة على حملة العرش و كل ملك مقرب - « و خزّان المطر و زواجر السحاب و الذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود ، و إذا سبحت به حفيضة السحاب التمتعت صواعق البروق ، و مشيعة الثلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل » و عليه . فالكلام فى موضعه بدون تقديم و تأخير . إلى « و منهم من خرقت أقدامهم - إلى - من الحدود المتناهية » و إن أمكن أيضاً ربطه بتكلف أكثر .

« و فى عظم الجبال الشمخ » : أي الرفيعة ظاهرة أن يكون خلقه فى عظم الجبال ، و يمكن أن يراد به أنهم مقيمون فى تلك الجبال موكلون بها ، و فى دعاء الصحيفة المتقدم « و القوام على خزائن الرياح و الموكلين بالجبال فلا تزول »
 « و فى فترة » : أي غبرة .

« الظلام الأيهم » و الأصل فى (يهم) ما لا علاج له ، ولذا قيل للفلاة التي لا يهتدى فيها : يهماء ، و للبر الذي لا يهتدى فيه : أيهم ، و المراد ظلام لا يهتدى فيه من شدته و (الأبهم) فى المصرية غلط ففى (حد، و ثم ، و الخطية) بالمشناة ، و الكلام فيه كسابقه ، و فى الخبر أن ذا القرنين لما انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل فى الظلمات فإذ هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع - إلى أن قال - فقال له ذو القرنين : من أنت ؟ قال : أنا ملك موكل بهذا الجبل . فليس من جبل خلقه الله تعالى إلا وله عرق إلى هذا الجبل .

« و منهم من خرقت أقدامهم » قال فى سابقه (منهم من هو) حملاً على لفظ (من) و هنا قال (أقدامهم) حملاً على معناها .

« تخوم » : أي منتهى .

« الأرض السفلى » من الأرضين السبع .

« فهى » : أي فأقدامهم .

« كرايات بيض قد نفذت » : أي جاوزت .

« فى مخارق الهواء » التي لا تمنع الأشياء من النفوذ فيها .

« و تحتها » : أى تحت تلك الأقدام .
 « ريح هفافة » : أى سريعة المرور في هبوبها كما ذكره الجزرى في معنى السكينة .
 « تحبسها » : أى تحبس الريح أقدامهم .
 « على حيث انتهت » تلك الأقدام .
 « من الحدود المتناهية » في الأرض والهواء ، و يمكن ربطه من قوله (ومنهم)
 إلى هنا بأن عملهم حفظ الأرض من التلاشي لكن لا يناسب قوله بعد .
 « قد استفرغتهم أشغال » بالفتح جمع شغل .
 « عبادته » و لو كان (الأشغال) بالكسر لكان تأنيث الفعل لكسب التأنيث من
 (عبادته) .

« و وصلت » هكذا في المصرية و (حد) ولكن في (ثم ، و الخطية) (و وصلت) .
 « حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته » قال شيخنا المفيد في مقالاته : إن الملائكة
 مكلفون و موعودون و متوعدون . قال تعالى « و من يقل منهم إنى إله من دونه فذلك
 نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » (١) .
 « و قطعهم الايقان به » عن كل شيء .

« إلى الوله إليه » تعالى ، و في مناجاة شعبان عنهم **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ** « الهى و ألهمنى ولهاً
 بذكرك إلى ذكرك وهممتى في روح نجاح أسمائك و محل قدسك » .
 « ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عنده غيره » و في ذاك الدعاء (الهى و الحقنى
 بنور عزك الأبهج فأكون لك عارفاً ، و عن سواك منحرفاً ، و منك خائفاً مراقباً) .
 « قد ذاقوا حلاوة معرفته و شربوا بالكأس » قال ابن الأعرابى : لتسمى الكأس
 كأساً إلا و فيها الشراب .

« الروبة » : أى الرافعة للعطش و تأنيث (الروبة) لكون (الكأس) مؤنثاً .
 « من محبته » ، و في المناجاة الخمسة عشر (ما أطيب طعم حبك ، و ما أعذب

شرب قربك) .

« و تمكّنت من سويداء » : أي حبة .

« قلوبهم و شيجة » : أي اشتباك عروق .

« خيفته فحنوا » : أي عوجوا .

« بطول » والباء فيه للسببية .

« الطاعة » : أي العبادة .

« اعتدال ظهورهم » والمراد ركوعهم .

« ولم ينفذ » : أي لم يفن .

« طول الرغبة إليه مادة تضرّ عنهم » فهم متضرّعون إليه دائماً .

« ولا أطلق عنهم العظيم الزلفة » : أي التقرب لديه تعالى .

« ربق » بالكسر فالفتح : جمع ربة حبل فيه عدة عرى يشدّ به البهائم .

« خشوعهم » فهم أبدأ في حبالته .

« ولم يتولّهم إلاّ عجاب » بأعمالهم .

« فيستكثروا ما سلف منهم » وأما ما روى عقاب الأعمال عن الباقر عليه السلام إن الله

- عزّ وجلّ - فوّض الأمر إلى ملك من الملائكة . فخلق سبع سماوات وسبع أرضين

وأشياء سبع سماوات وسبع أرضين . فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال : من مثلي

فأرسل الله إليه نويرة : أي نار مثل أنملة : فاستقبلها بجميع ما خلق حتّى وصلت إليه

لمادخله العجب . فهو خير واحد .

« ولا تركت لهم استكانة » : أي مسكنة وفعالها استكان . ففي القاموس في (سكن) :

واستكان خضع وذلّ افتعل من المسكنة أشبعت حركة عينه . لكنه قال في (كان) أيضاً

والاستكانة والخضوع . قلت : الظاهر كون قوله الثاني و هما فإذا كان (الاستكانة) من

(الكون) يكون بمعنى طلب الكون : أي الوجود والرفعة ، وهو ضدّ المراد ، وإنّما

الصواب قوله الأوّل ، ولما أشبع (استكن) وصار استكان صار المصدر - وهو استكان

كاجتماع - استكانة ، والأصل في قوله الثاني الصحاح ، فإنه اقتصر على ذكره في الكون ، وجعله أبو علي الفارسي - كما في اللسان - استفعالاً من الكين الذي هو لحم باطن الفرج . قال : لأن الخاضع الذليل خفي فشبّه بذلك لأنه أخفى ما يكون من الإنسان .

قلت : لا يبعد أن يكون استفعالاً من الكين لكن ما قاله الفارسي في تشبيهه بلحم باطن الفرج في الخفاء خفي ، والأظهر أن يقال : إنه من قولهم (بات فلان بكينة سوء) بالكسر : أي بحالة سوء . قال أبو سعيد : يقال (أكانه الله يكيه إكانه) : أي أخضعه حتى استكان وأدخل عليه من الذل ما أكانه ، وأنشد :

لعمرك ما يشفى جراح تكيهه ☆ ولكن شفائي أن تميم حلائله

وبالجملة كونه استفعالاً من الكون كما قاله الصحاح وتبعه القاموس في (الكون)

غير صحيح ، و من الكين والمسكنة صحيح ، والأول أظهر لفظاً ، والثاني معنى .

« الاجلال » لله تعالى .

« نصيباً » لهم .

« في تعظيم حسناتهم » فيعدّونها حقيرة .

« ولم تجر الفترات » الفترة : الانكسار والضعف .

« فيهم على طول دؤوبهم » : أي سعيهم وجدّهم في عبادته .

« ولم تغض » من (غاض الماء) : أي قلّ ونضب .

« رغباتهم » إليه تعالى .

« فيخالفوا عن رجاء ربهم » إلى رجاء غيره .

« ولم تجف » : أي لم يتبس .

« لطول المناجاة » مع خالقهم .

« أسلات ألسنتهم » . أي مستدقاتها .

« ولا ملكتهم الأشغال » الشخصية .

« فتنقطع بهمس » : أي الصوت الخفي .

« الجوار » بالهمز : أي التضرع .

« إليه » تعالى .

« أصواتهم » فاعل (تنقطع) .

« و لم تختلف في مقاوم » جمع مقام .

« الطاعة » : أي العبادة .

« مناكبهم » بأن يبدلوا منكباً بمنكب للاستراحة ، ويحتمل أن يكون

(تختلف) مصحّفاً (تتخلف) فيكون الكلام استعارة عن عدم إعراضهم عن طاعته .

« و لم يشنوا » : أي لم يرفعوا من قوله تعالى « ثاني عطفه »^(١) : أي رافع جنبه .

« إلى راحة التقصير في أمره رقابهم » مفعول لم يشنوا .

« ولا تعدو » هكذا في المصرية و (حد) ولكن في (ثم ، و الخطية) لا تعدو بدون

عاطف : أي لا تتجاوز ولا تعدى .

« على عزيمة جدّهم » في عبادته .

« بلاد الغفلات » فيقصرّون في طاعته .

« ولا تنتضل » قال (حد) : استعارة من النضال وهو المطرارة بالسهم . قلت .

تناضل من النضال لا (تنتضل) وإنما (تنتضل) كينضل بمعنى الرمي مع أنه لا تصحّ

المطراة هي هنا كما لا يخفى .

هذا ، وفي الخبر عن الصادق عليه السلام أن طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في

الذنات والشهوات - أعنى ذلك الحلال وليس الحرام - فانف الله المؤمنين من ولد آدم

من تعبيرهم فالقى الله في همم أولئك الملائكة الذنات والشهوات كيلا يعييون المؤمنين .

فلما أحسوا ذلك من هممهم عجزوا إلى الله من ذلك . فقالوا : ربنا عفوك عفوك ردنا إلى

ما خلقنا له واخترنا عليه . فإنا نخاف أن نصير في أمر مريب . فنزع الله ذلك من هممهم

وليس هذا الخبر مخالفاً لعصمتهم ، فمضمونه نظير كلامهم في خلقه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 « قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم » قال (خو) : يعني بيوم فاقتهم يوم
 قبض ارواحهم . قلت : بل يعني : به جميع أيامهم . فإنهم كغيرهم في جميعها محتاجون
 إليه تعالى .

« و يمسوه » : أى قصوه تعالى .

« عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم » متعلق بقوله (و يمسوه) .

« لا يقطعون أمد » : أى مسافة .

« غاية » : أى نهاية .

« عبادته » لأنه تعالى أهل لأن يعبد فوق تلك المرتبة .

« ولا يرجع بهم الاستهتار » : أى الحرص والولع .

« بلزوم طاعته » : أى اللصوق بها .

« إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته » (غير) صفة لمواد

(من) لبيانها .

« لم تنقطع أسباب الشفقة » : أى الخوف .

« منهم فينوا » : أي يضاعفوا من (ونى ينى) قالوا : والائنة أيضاً منه بقلب

الواو همزة .

« في جدتهم » في العبادة .

« ولم تأسرهم الأطماع » في المطالبات .

« فيؤثروا » : أي يختاروا .

« و شيك السعى » : أى سرعته إلى ما طمعوا فيه .

« على اجتهدهم » في طاعته تعالى .

« ولم يستعظمو ما مضى بين أعمالهم » في الأزمنة المتطاولة .

« و لو استعظمو ذلك » : أي ما مضى من أعمالهم .

« لنسخ » : أى أزال .

« الرجاء منهم » في عظم أعمالهم .

« شفقات » جمع شفقة ، وفي الأساس : لى عليه شفقة و شفق : أى رحمة ورقة

و خوف من حلول المكروه به مع نصح .

« وجلهم » : أى خوفهم .

قال الشاعر :

لعمرك ما أدري وإني لأوجل * على أيننا نعدو المنية أول

« ولم يختلفوا في ربهم » كالبشر . فلم يصفه أحد منهم بما لا يليق بجنابه .

« باستحواذ » : أى غلبة .

« الشيطان عليهم » ككثير من البشر .

« ولم يفرقهم سوء التقاطع » كتقاطع عن عداوة ، وإنما تقاطعهم تقاطع حسن بأن

يذهب كل إلى ما وظف له .

« ولا تولاهم » : أى لا صار وليهم .

« غل » بالكسر : الغش والحقد .

« التحاسد » حسد هذا ذاك و ذاك هذا .

« ولا شعبتهم » : أى فرقتهم .

« مصارف » : أى مغيرات .

« الريب » : أى الحوادث .

« ولا اقتسمتهم » : أى لم يجعلهم قسماً قسماً .

« أخياف » جمع خيف ، والأصل فيه الاختلاف ، قالوا : سمى مسجد الخيف خيفاً

لاختلافه بانحداره عن غلظ الجبل ، وارتفاعه عن مسيل الماء .

« الهمم » كالبشر هم بعضهم في الطعام والشراب ، وهم بعضهم في الألبسة ، وهم

بعضهم في الأبنية ، وهم بعضهم في النساء .

« فهم أسراء الايمان » به تعالى .

« لم يفكهم من ربقتهم » : أى ربقة الأسر المفهوم من (أَسْرَاء) .
 « زبغ » : أى ميل عن الحق .
 « ولا عدول » عنه .
 « ولا ونى » : أى ضعف .
 « ولا فتور » : أى انكسار .
 « و ليس في أطباق » : أى طبقات .
 « السماء » هكذا في المصرية ، والصواب السماوات كما في (حد ، وثم ، والنخية) .
 « موضع إهاب » : أى جلد غير مدبوغ .
 « إلا و عليه ملك ساجد أو ساع » : أى عامل .
 « حافد » : أى سريع . روى القمى أن الصادق عليه السلام سئل عن الملائكة أهم أكثر أم بنو آدم ؟ فقال : والذي نفسي بيده لملائكة الله في الأرض أكثر من عدد التراب في الأرض ، و ما في السماء موضع قدم إلا و فيها ملك يسبحه و يقده .
 « يزدادون على طول الطاعة بربهم علما » با لهمهم .
 « و تزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما » حيث تزداد معرفتهم .
 ٣ ر فى ١٠٥ ر ١ منها : من ملائكة أسكنتهم سماواتك ، و رفعتهم عن أرضك . هم أعلم خلقك بك ، و أخوفهم لك ، و أقربهم منك . لم يسكنوا الاضلاب ، و لم يضمنوا الارحام ، و لم يخلقوا من ماء مهين ، و لم يشعبهم ريب المنون ، و انهم على مكانهم منك ، و منزلتهم عندك ، و استجماع اهواءهم فيك ، و كثرة طاعتهم لك ، و قلة غفلتهم عن امرك . لو عابنوا كنه ما خفى عليهم

مِنْكَ لِحَقْرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَ لَزَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ
يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ .

أقول : و رواه القمى هكذا : و ملائكة خلقتهم ، و أسكنتهم سماواتك . فليس
فيهم فترة ، و لا عندهم غفلة ، و لا فيهم معصية . هم أعلم خلقك بك ، و أخوف خلقك منك ،
و أقرب خلقك منك ، و أعمالهم بطاعتك . لا يغشاهم نوم العيون ، و لا سهو العقول ، و لا فترة
الأبدان . لم يسكنوا الأَصْلَابَ ، و لم تضمهم الأرحام ، و لم تخلقهم من ماء مهين . أنشأتهم
إنشاء . فأسكنتهم سماواتك ، و أكرمتهم بجدوك ، و ائتمنتهم على وحيك ، و جنببتهم
الآفات ، و وقيتهم البليات ، و طهرتهم من الذنوب ، و لولا تقويتك لم يقووا ، و لولا تشببتك لم
يثبتوا ، و لولا رحمتك لم يطيعوا ، و لولا أنت لم يكونوا . أما إنهم على مكاتبتهم منك ،
و طواعيتهم إيتاك ، و منزلتهم عندك ، و قلة غفلتهم عن أمرك . لو عاينوا ما خفى عنهم
منك لاحتقروا أعمالهم و لأزروا على أنفسهم .

« من ملائكة أسكنتهم سماواتك ، و رفعتهم عن أرضك » كلامه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هذا دال
على أن الأصل في مسكن الملائكة السماوات ، و أنهم إنما ينزلون إلى الأرض ، و
يمكن أن يراد قسم خاص منهم حيث قال : من ملائكة ، و لعله ذكر قبله قسم خاص
لم ينقله المصنف .

« هم أعلم خلقك بك ، و أخوفهم لك » حيث يشاهدون ملكوت السماوات ، و
أنه ليس حاكم فيهم غيره تعالى . فيكونون أعلم به تعالى من البشر ، و لما كانوا أعلم
كانوا أخوف « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (١) .

« و أقربهم منك » حيث لا يعصونه أبداً .

« لم يسكنوا الأَصْلَابَ » أصلاب آباء .

« ولم يضمّنوا الأرحام » أرحام أمّهات .

« ولم يخلقوا من ماء مهين » وهو المنى كبنى آدم . قال تعالى « و بدء خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين » (١) و مهين فاعيل من مهين : أي ضعف .

« ولم يشعبهم » هكذا في المصرية ، والصواب : لم يشعبهم كما في (حد ، وثم ، والنخية) : أي لم يفرقهم .
« ريب » : أي صرف .

« المنون » قال الفراء : تكون المنون واحدة وجمعها ، والأصل في المنون الضعف و يقال لكل من الدهر والمنية : المنون لأنهما يضعفان ويقطعان المدد و ينقصان العدد قال الأعشى :

أأن رأيت رجلاً أعشى أضرب به ☆ ريب المنون و دهر متبل خبل
و قال آخر :

كأن المرء لم يغن يوماً في رخاء ☆ إذا ما المرء منته المنون
فريب المنون في الأول بمعنى حوادث الدهر ، ومنته المنون في الثاني بمعنى قطعه المنية ، ومراده ^{المرء} أنهم ليسوا كالبشر الذين يشعبهم حوادث الدهر ، واخترام المنيا و ممن تشعبهم ريب المنون حتى ضرب بهم المثل ولد سبا . فقالوا تشبيهاً بهم : (تفرقوا أيادى سبا) و قالوا : نزل حسبان بن عمرو الحميري جبلاً باليمن يقال له : شعب . ثم تشعب ولده . فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم : شعبيون - ومنهم الشعبي المعروف - ومن صار منهم إلى الشام يقال لهم : الشعبانيون ، ومن صار منهم إلى اليمن يقال لهم : آل ذى شعبين ، و من صار منهم بالمغرب و مصر يقال لهم : الأشعوب .

« و إنهم على مكانهم منك » بالقرب المعنوي .
« و منزلتهم عندك » بالدرجة الرفيعة .

« و استجماع أهوائهم فيك » و في عبادتك و طاعتك ، و ليسوا كالبشر الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين و القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحرث .

« وكثرة طاعتهم لك » حتى لم يكن لهم شغل غير عبادته .

« وقلة غفلتهم عن أمرك » لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (١) .

« لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك » وكيف لا يخفى عليهم وهو الذي لو كان

البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته و لو جىء بمثله مدداً .

« لحقروا أعمالهم » في جنب عظمتهم .

« ولزروا » : أى عتبوا و عابوا . قال :

نبئت نعماً على الهجران زارية * سقياً ورعياً لذاك العاتب الزارى

أيضاً :

وأنتى على ليلى لزار وإننى * على ذاك فى ما بيننا مستديمها

« على أنفسهم » في تقصيرهم في حقتك .

« و لعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، ولم يطيعوك حق طاعتك » كما لم

يعرفوه حق معرفته ، و كذلك الأنبياء والأوصياء كانوا معترفين بذلك .



* الفصل الرابع *

في خلق آدم ﷺ

١ ر في ١ ر ١ صفة خلق آدم ﷺ . ثم جمع سبحانه من حزن
الأرض وسهلها ، وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ،
ولأطها بالبلة حتى لزبت . فجبل منها صورة ذات احناء ووصول ،
واعضاء وفصول . أجملها حتى استمسكت ، واصلدها حتى صلصت
لوقت معدود ، وامتد معلوم . ثم نفخ فيها من روحه . فمثلت انثياً
ذا اذنان يجيلها ، وفكر يتصرف بها ، وجوارح يخدمها ، وادوات
يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والأذواق والمشام
والألوان والأجناس . معجونا بطينة الألوان المختلفة ، والأشباه
المؤتلفة ، والأضداد المتعادية ، والأخلاق المتباينة . من الحر والبرد
والبلة والجمود ، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم ، و
عهد وصيته اليهم في الأذعان بالجود له ، والخنوع لتكريمته . فقال
سبحانه : اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس اعترته الحمية ، وغلبت
عليه الشقوة ، وتعزز بخلقة النار ، واستهون خلق الصلصال . فاعطاه
الله النظرة استحقاقاً للسخطة ، واستتماماً للبلية ، وانجازاً للعدة .
فقال : انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . ثم اسكن سبحانه

آدم داراً أرغد فيها عيشته ، و آمن فيها محلته ، و حذرهُ إبليس و
 عداوته . فأغترهُ عدوه نفاسةً عليه بدار المقام ، و مرافقة الأبرار
 فباع اليقين بشكهِ ، و العزيمة بوهنهِ ، و استبدل بالجدل و جلا و
 بالأغترار ندماً . ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، و لقاء كلمة
 رحمته ، و وعده المرد إلى جنته ، و اهبطهُ إلى دار البلية ،
 و تناسل الذرية .

قول المصنّف « صفة خلق آدم » هكذا في المصرية ، ولكن في (ثم) منها في خلق
 آدم ، و في (حد) منها في صفة آدم ، و كيف كان ففي إثبات المسعودي روى أن آدم
 سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، و آدم يأتي اسماً و وصفاً ؛ و الإسمى جمعه
 أوادم ، و الوصفى يأتي وصفاً للإنسان والبعير ، و كل منهما بمعنى ، و له جمع يقال:
 رجل آدم : أي أسمر ، و جمعه أدمان ، و يقال : بعير آدم : أي شديد البياض ، و يقال:
 هو البعير الأبيض الأسود المقلتين ، و جمعه أدم بضمين .

قال الشاعر :

فإن أهجه يضجر كماضجر بازل ☆ من الأدم دبرت صفحته و غاربه
 و أصل آدم آدم بهمزتين .

و قوله ﷺ « ثم جمع سبحانه من حزن الأرض » : أي خشنها .

« و سهلها » : أي ما ليس فيه خشونة .

« و عذبها » : أي ما ليس فيه ملوحة .

« و سبخها » : أي الأرض التي تعلوها الملوحة ، و لا تنبت الزرع .

« تربة » الواحدة من تربة لغة في (تراب) .

« سنّها » : أى أنتنّها من قوله تعالى « من حمأ مسنون » (١) قال المسعودى في إنباته : خلق الله آدم من عذب الأرض و مالحها ، و مرّها و مننتها ، و قال (حد) سنّها : أى ملّسها من قولهم : مرمر مسنون ، و قال (خو) - تبعاً للمجلسي - سنّها من (سننت الماء على الأرض) : أى صببتها . قلت : وهما كما ترى . فلا معنى لتمليس التربة بالماء كما لا معنى لصب التربة بالماء .

« بالماء حتى خلصت » في سننّها .

« ولاطها » من (لطت الحوض بالطين) : أى ملطته به ، و طينته ، و قال (خو) من (لاط الشيء بالشيء) : أى لصق . قلت : ذلك لازم ، و هذا متعد .

« بالبلّة » : أى الرطوبة .

« حتى لزبت » : أى لزقت ، و لصقت . قال تعالى « إنّنا خلقناهم من طين لازب » (٢) .

« فجبل منها صورة » قال (حد) قال الراوندى : أى خلق خلقاً عظيماً ، و اعترض عليه بأنّ جبل بمعنى خلق سواء كان عظيماً أو غير عظيم . قلت : إنّ (جبل) و (ذرء) و (أنشأ) كلّها بمعنى خلق إلا أنّ لكلّ منها خصوصية لا يصحّ لها استعمال أحدها في موضع الآخر . فإنّ (ذرء) معناه خلق مكثر منتشر . قال تعالى « يذروكم فيه » و (أنشأ) معناه خلق حادث جديد . قال تعالى « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض » (٢) و (جبل) معناه خلق غليظ . قال الجوهري : يقال للرجل إذا كان غليظاً : إنّّه لذو جبلة ، و امرئة مجبال : أى غليظة الخلق ، و شيء جبل : أى غليظ جاف ، و يقال : أجبل الشاعر : إذا صعب عليه القول . فكأنّه بلغ المكان الغليظ ، و أجبل الحافر : إذا بلغ المكان الصلب ، و قال الزمخشري : رجل جبل الوجه ، و جبل الرأس : غليظهما ، و ناقة جبلة السنام : تامكته ، و سيف جبل : أى لم يرقق . قال :

صافي الحديد لا ناب ولا جبل

(١) الحجر ٢٦

(٢) النجم ٣٢

و سألناهم فاجبلوا : إذا لم ينولوا . قال الكميت :

فبان وأبقى لنا من بنيه * لها ميم سادوا ولم يجبلوا

« ذات أحناء » جمع حنو بالكسر : أى الجوانب والنواحي . قال لبيد :

فقلت ازدرج أحناء طيرك واعلمن * بأنك إن قدمت رجلك عائر

وقال الكميت :

و آلوا الأمور وأحنائها * فلم يبهلوا و لم يهملوا

« و وصول » قال (حد) : قال الراوندى : وصول : جمع وصل ، وهو العضو ،

و كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة . ثم اعترض عليه بأنه ما وجد في لغة أن

الوصل العضو وقال : وقوله : و كل شيء - إلخ - لا معنى له بعد ذلك التفسير قلت :

قال الجزرى في نهايته - و كلامه مأخوذ من أئمة اللغة كأبى عبيد و أبى عبيدة و

نحوهما - في صفة النبى ﷺ كان فعم الأوصال : أى ممتلىء الأعضاء الواحد . وصل .

فتراه صريح بأن الوصل العضو : أى المراد منه العضو ، و قوله : لا معنى لقوله و كل

شيء - إلخ - بلا معنى . فكلامه الأوّل معنى الوصل . والأخير معنى الوصلة ، و ما

قاله لفظ الصحاح . فقال : و كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة ، والجمع : و وصل .

« و أعضاء » كاليدين والرجلين .

« و فصول » كالمنكب ، والعضد ، والمرفق ، والذراع ، والكف ، والأصابع ،

والأنامل في اليدين ، والفخذ ، والركبة ، والساق ، والقدم ، والأصابع ، والأنامل في

الرجلين .

« أجمدها » : أى أبقاها حتى صارت جامدة .

« حتى استمسكت » من التلاشى .

« و أصلدها » من قولهم : حاجر صلد : أى صلب أملس .

« حتى صلصت » من قولهم : تصلص الحلى : إذا صوت ، والأصل في كلامه

ﷺ قوله تعالى « من صلصال من حمأ مسنون » ^(١) قال أبو عبيدة : الصلصال الطين الحر

قد خلط بالرمل . فصار يتصلصل إذا جف . فأذا طبخ في النار فهو الفخار ، و في خبر
ثم جعلت صلصالاً كالفخار أربعين سنة .
« لوقت معدود » عيِّنه تفسير القمي أربعين سنة ، و مروج المسعودي مائة و
عشرين سنة .

« و أمد معلوم » هكذا في المصرية ، والصواب (و أجل معلوم) كما في (حد ،
والخطية) -

« ثم نفخ فيها من روحه » نسب تعالى الروح إلى نفسه دلالة على شرف الإنسان
قال تعالى للملائكة « فأذا سُوِّيتَه و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (١) وقال
تعالى « و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » (٢) .
« فمثلت » تلك التربة .

« إنساناً ذا أذهان يجليها » في خبر أبي بصير قلت لأبي عبد الله ﷺ : لأى
علة خلق الله تعالى آدم من غير أب ولا أم ، و خلق عيسى من غير أب ، و خلق سائر
الناس من الآباء والأمهات . فقال : ليعلم الناس تمام قدرته و كمالها .
« و فكر يتصرف بها » في الأشياء . فلا يعمل عملاً إلا بعد فكر .
« و جوارح يخدمها » : أي يجعلها خادمة له في حوائجه .
« و أدوات » : أى آلات للسمع والبصر .
« يقلبها » كيف شاء .

« و معرفة يفرق بها بين الحق و الباطل » و هي العقل . روى العيون أن ابن
السكيت قال للرضاء ﷺ - بعد سؤاله عن وجه اختلاف معجزات موسى و عيسى و نبينا
ﷺ - : فما الحجّة على الخلق اليوم ؟ فقال ﷺ : العقل يعرف به الصادق على الله .
فيصدقّه ، و الكاذب على الله . فيكذب به . فقال ابن السكيت : هذا والله الجواب .
« و الأذواق » فيعرف بها الحلو ، والمر ، و الحامض ، وغيرها .

(١) الحجر ٢٩

(٢) الاسرى ٨٥

« والمشام » فيعرف بها الريح الطيبة من الخبيثة .
 « والألوان » فيعرف بها الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر .
 « والأجناس » بالخشونة واللينه ، و كأنه سقط من الكلام (والأصوات) فيبعد
 أن يذكر ﷺ الذائقة والشامة والباصرة واللامسة ، ولا يذكر السامعة مع كونها أهم
 من الشامة .

« معجوناً » الظاهر كونه حالاً من (إنساناً) و يحتمل كونه صفة بعد صفة .
 « بطينة الألوان المختلفة » روى أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ هل
 خلق آدم من الطين كله أو من طين واحد ؟ فقال : بل من الطين كله ، و لو خلق من
 طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً ، وكانوا على صورة واحدة . فقال : فلهم في الدنيا
 مَثَل . قال : التراب فيه أبيض ، وفيه أخضر ، وفيه أشقر ، وفيه أغبر ، وفيه أحمر ،
 وفيه أزرق ، وفيه عذب ، وفيه ملح ، وفيه خشن ، وفيه لين ، وفيه أصهب . فلذلك
 صار الناس فيهم لين ، وفيهم خشن ، وفيهم أبيض ، وفيهم أصفر ، وفيهم أحمر ، وأسود
 على ألوان التراب ، ويقال للروم : بنو الأصفر ، وللعرب : أسود ، وللعجم : أحمر
 فعن ابن الأعرابي معنى قولهم : آتاني كل أسود منهم وأحمر : آتاني جميع الناس عربهم
 و عجمهم .

« والأشباه المطوّلفة ، والأضداد المتعادية » عن الرضا ﷺ الطبائع أربع :
 فمنهنّ البلغم وهو خصم جدل ، ومنهنّ الدم وهو عبد ، وربما قتل العبد سيّده ، و
 منهنّ الريح وهو ملك يدارى ، ومنهنّ المرّة ، وهي هيات هيات هي الأرض ارتجت
 بما عليها .

« والأخلاق المتباينة من الحرّ والبرد والبلّة » : أى الرطوبة .
 « والجمود » و زاد (حد ، والخطية) (والمسائة والسرور) . قال النظام : الدليل
 على الصانع إنّنا رأينا أشياء متضادة من شأنها التنافي والتباين والتفاسد مجموعة ؛ وهي
 الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة المتجمعة في كل حيوان ، وفي أكثر سائر الأجسام
 فعلمنا أنّ جامعها قسرها على الاجتماع ، ولولا ذلك لتباينت وتفاسدت ، ولو جازان

تجتمع المتضادات المتنافرات و تتقاوم من غير جامع جمعها لجاز أن يجتمع الماء والنار و يتقاوما من ذاتهما بغير جامع مدبر مقيم يقيهما ، و هذا محال .
 هذا ، و قال المبرد : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه . فقلت له : كيف أنت؟
 فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو خرّ بالمنشير ما شعر به ، و نصفه الآخر منقرس لوطارا الذباب بقر به لآمه ، و قال الجاحظ : ملتطب يشكو إليه علة : اصطلحت الأضداد على جسدي إن أكلت بارداً أخذ برجلي ، و إن أكلت حاراً أخذ برأسي .
 « و استأدى الله سبحانه الملائكة و ديعته لديهم و عهد » بالنصب عطف على (و ديعته) .

« وصيته إليهم » أشار عليه السلام في قوله : و استأدى الله - إلخ - إلى قوله تعالى « و إن قال ربك للملائكة إنني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » (١) .

« في الإزعان » : أي الانقياد .

« بالسجود له » : أي لذك الإنسان .

« والخنوع » أي : التذلل .

« لتكرمه » : أي إكرامه .

« فقال سبحانه » هكذا في المصرية ، والصواب (فقال تعالى) كما في (حد ، و

الخطية) .

« اسجدوا لآدم » و ردت هذه الجملة في البقرة ، و الأعراف ، و بني إسرائيل ،

و الكهف ، و طه .

« فسجدوا إلا إبليس » و ردت هذه الجملة في غير الأولى .

« اعترته الحمية ، و غلبت عليه الشقوة ، و تعزز بخلقه النار و استهون خلق

الصلصال » هكذا في المصرية بدون زيادة ، و أفراد الضمير في (اعترته) و ما عطف عليه

و الصواب : و قبيله اعترتهم الحمية ، و غلبت عليهم الشقوة ، و تعززوا بخلقه النار ، و

استهونوا خلق الصلصال . كما في (حد ، و ثم ، والخطية ، والراوندي) .

و اختلف في إبليس هل كان من الجن أو من الملائكة ؟ فأكثر متكلمي العامة على الأول ، و اختاره المفيد قائلًا أن الأخبار به متواترة عنهم عليهم السلام ، وأنه مذهب الإمامية ، و ذهب أكثر فقهاء العامة إلى الثاني ، و اختاره الشيخ في تبياناه قائلًا : وهو المروى عن الصادق عليه السلام .

قلت : و الصواب أن يقال : إنه كان من الجن لقوله تعالى « كان من الجن ففسق عن أمر ربّه » ^(١) إلا أنه كان في عداد الملائكة كما يكون في البشر رجل من قبيلة معدوداً من قبيلة أخرى . فقالوا : كان الزبير - و هو من أسد قريش - قبل نشأ ابنه عبد الله في عداد بني هاشم ، ويدل على كونه في عداد الملائكة قوله تعالى « فسجدوا إلا إبليس » ^(٢) في السور المتقدمة ، و قوله تعالى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس » ^(٣) في سورة الحجر ، و سورة ص ، و قوله عليه السلام هنا ، و قوله في القاصعة « ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بأمر اخرج به منها ملكاً » قال (حد) قال الراوندى - في سجود الملائكة لآدم - : لما علمنا أن تقديم المفضول على الفاضل قبيح علمنا أن آدم كان أفضل من الملائكة في ذلك الوقت و ما بعده ، و اعترض عليه بأن لقائل أن يقول : أليس قد سجد يعقوب ليوسف أفيدل ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب ؟ قلت : قال هذا الكلام قبله شيخه الجبائى ، ولكن لولم يكن دالاً على أفضلية آدم على الملائكة لما قال إبليس في جواب قوله تعالى « مامنعك ألا تسجد إن أمرتك » : « أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقته من طين » ^(٤) وكذا في جواب قوله تعالى « مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي » أستكبرت أم كنت من العالين » ^(٥) : « لم أكن لأسجد لبشر خلقت من صلصال » ^(٦)

(١) الكهف ٥٠

(٢) » ٥٠

(٣) الحجر ٣٠

(٤) الاعراف ١٢

(٥) ص ٧٥

(٦) الحجر ٣٣

وَأُومَا سَمِعَ هُوَ وَشَيْخَهُ الْجَبَائِي قَوْلَهُ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنِ إبْلِيسَ « أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتُمْ عَلَيَّ » (١) وَالسَّجُودَ لِيُوسُفَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ بِوَضْعِ الْجَبِيَّةِ . فَلَعَلَّهُ مِنْ قِسْمِ تَعْظِيمِ الْمُلُوكِ مَعَ أَنَّهُ أَيُّ مَانِعٍ مِنْ كَوْنِ يُوسُفَ أَفْضَلَ مِنْ يَعْقُوبَ . فَامْتَحَنَ بِمَحْنٍ فَوْقَ مَحْنِ أَبِيهِ ، وَكَانَ سَلِيمَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِيهِ . قَالَ تَعَالَى « فَهَرَّمْنَا هَا سَلِيمَانَ وَكَوَلًا آتَيْنَا حِكْمًا وَعِلْمًا » (٢) قَالَ (حَد) أَيْضًا قَالَ الرَّاوَنْدِيُّ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَّا إبْلِيسَ وَقَبِيلَهُ : قَبِيلَهُ نَسَلَهُ . قَالَ تَعَالَى « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلَهُ » (٣) وَكُلَّ جَيْلٍ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَبِيلٍ ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ نَسَلَهُ ، وَقَوْلُهُ : وَكُلَّ جَيْلٍ - إِنْخَ - يَنْقُضُ دَعْوَاهُ أَنْ قَبِيلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَسَلَهُ .

قُلْتُ : إِنْ (حَد) لَا يَفْرُقُ بَيْنَ بَيَانِ الْمُرَادِ مِنَ الْكَلِمَةِ ، وَبَيْنَ بَيَانِ مَفْهُومِهَا اللَّغَوِي . فَقَوْلُ الرَّاوَنْدِيِّ (قَبِيلَهُ نَسَلَهُ) بَيَانُ الْمُرَادِ ، وَأَخْذُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ . فَرَوَى فِي خَبَرٍ أَنَّ الْآبَاءَ ثَلَاثَةَ : آدَمَ وَوَلَدَهُ مُؤْمِنًا ، وَالْجَانَ وَوَلَدَهُ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا ، وَإِبْلِيسَ وَوَلَدَهُ كَافِرًا وَلَيْسَ فِيهِمْ نِتَاجٌ إِلَّا بَيْضٌ وَيَفْرُخُ وَوَلَدَهُ ذَكَورٌ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ إِنْثٌ ، وَأَمَّا ذِكْرُهُ الْآيَةَ فَإِنَّمَا لِيَبَيِّنَ أَنَّ (قَبِيلَهُ) كَمَا ذَكَرْتُ فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرْتُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ أَنَّ آيَةَ «أَفْتَنَّا خَدُونَهُ وَذَرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» (٤) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَبِيلَهُ مِنْ نَسَلِهِ وَإِنْ لَمْ يَذَكَرْ ذَلِكَ الرَّاوَنْدِيُّ ، وَقَوْلُهُ : وَكُلَّ جَيْلٍ - إِنْخَ - بَيَانٌ لِمَعْنَى مَطْلُوقِ الْقَبِيلِ . فَأَيُّ تَنَافُؤٍ لَهُ مَعَ كَوْنِ قَبِيلِ إبْلِيسَ نَسَلَهُ حَتَّى يَنْقُضَ دَعْوَاهُ .

وَيَأْتِي الْقَبِيلُ بِمَعْنَى الْكَفِيلِ أَيْضًا ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْقَابِلَةِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَصْرَخَةِ حَبَلِي اسْلَمْتَهَا قَبِيلَهَا . فَهَلْ ذَكَرْتُ مَعْنَى يَنْقُضُ مَعْنَى آخَرَ ؟

قَالَ (حَد) : قَالَ الرَّاوَنْدِيُّ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَتَعَزَّوْا بِخَلْقَةِ النَّارِ : الْقِيَاسُ الَّذِي قَاسَهُ إبْلِيسَ كَانَ بَاطِلًا لِأَنَّهُ ادَّعَى أَنَّ النَّارَ أَشْرَفُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَمْرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ

(١) الإسراء ٦٢

(٢) الأنبياء ٧٩

(٣) الاعرات ٢٧

(٤) الكهف ٥٠

كل ما يدخل النار ينقص ، و كل ما يدخل التراب يزيد ، و اعترض عليه بأن هذا عجيب . فإننا نرى أن الحيوانات المميّنة إذا دفنت في الأرض ينقص أجسامها ، وكذلك الأشجار المدفونة في الأرض على أن التحقيق أن المحترق بالنار والبالى بالتراب لم يعدم أجزائه ولا بعضها وإنما استحالت إلى صور أخرى .

قلت : بل اعترضه عليه عجيب ، و تحقيقه ركيك . فإن هذه أمور عرفية . فتدخل في الأرض نوى ليس بقدر أنملة ينبت منه شجرة كجبل ، و تلقى جبلاً من الخشب في النار . فلا يبقى منه إلا قليل رماد في حكم العدم . فالعرف يرى أن النار لا تبقى شيئاً ، و ما وقع فيها شيء إلا أكلته ، و عليه ورد (أن الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب) إلا أن (حد) يعترض على الراوندى عناداً .

هذا ، و ورد بطلان قياس إبليس في الأخبار بطرقاً أخرى أيضاً . ففي خبر أن إبليس قاس نفسه بآدم . فقال : خلقتني من نار و خلقتنه من طين . فلو قاس الجوهر الذي خلق الله آدم منه بالنار ذلك كان أكثر نوراً و ضياءً من النار .

و في خبر آخر كذب إبليس ما خلقه الله إلا من طين . قال تعالى «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون» (١) خلقه الله من نار تلك الشجرة ، و الشجرة أصلها من طين .

و من القياسات الباطلة السجود لغيره تعالى قياساً على سجود الملائكة لآدم . ففي الاحتجاج أن جمعاً من المشركين حاجوا النبي ﷺ فقالوا : إن الله لما خلق آدم و أمر الملائكة بالسجود له كننا نحن أحق بالسجود لآدم من الملائكة . ففاننا ذلك فصورنا صورته فسجدنا لها نفرّاً بآ إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله و كما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة الكعبة . ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها ، و قصدتم الكعبة لا محاريبكم ، و قصدكم للكعبة إلى الله تعالى لا إليها - إلى أن قال - فقال النبي ﷺ لهم : إن الله - عز وجل - حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره . فليس لكم أن تقيسوا ذلك

عليه لأنكم لا تدرّون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به . ثمّ قال لهم أرأيتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره أولكم أن تدخلوا داراً أخرى له مثلها بغير أمره - الخبر - .
« فأعطاه الله النظرة » : أى المهيلة .

« استحقاقاً للسخطة » : أى لغضبه تعالى عليه . قال تعالى « ولا يحسبن الذين كفروا أنّهم نملى لهم خيراً لأنفسهم إنّهم إنّما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين »^(١) .
« واستتماماً للبلية » أى تكميلاً لابتنائه و امتحانه . فإنّه وإن كان قبل خلق آدم يعبد الله بعبادات كثيرة لكن باطنه كان خبيثاً . فانكشف بخلق آدم والأمر بالسجود له .

« وانجازاً » : أى قضاءً .

« للعدّة » : أى لوعده تعالى .

« فقال : إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » و في سورة الحجر ، وسورة ص « قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » .
« ثمّ أسكن سبحانه آدم داراً » : أى الجنة .
« أرغد » : أى أوسع وطيب .

« فيها عيشته » « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما »^(٢) .

« و آمن فيها محلّته » : أى حلولة « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي »^(٣) .

« و حذّره إبليس و عداوته » « فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك و لزوجك

(١) آل عمران ١٧٨

(٢) البقرة ٣٥

(٣) طه ١١٨

- فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى « (١) .
- « فاغترته عدوه » « فدلاهما بغرور » (٢) .
- « نفاسة » : أى حسداً .
- « عليه بدار المقام » التى لا ارتحال منها « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (٣) .
- « ورافقة الأبرار » : أى الملائكة .
- « فباع اليقين » بنهيه عن أكل الشجرة .
- « بشكّه » الحادث من وسوسة إبليس . قال تعالى « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » (٤) .
- « والعزيمة بوهنه » « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى و لم نجد له عزما » (٥) .
- « واستبدل بالجدل » بفتحتين : أى بالفرح .
- « وجلا » : أى خوفاً .
- « و بالاغترار » الحاصل له من قول إبليس كما مر في كلامه ﷺ ، وفي الآيه ، وقول (خو) (و بالاعتزاز) بالعين المهملة والمعجمتين بلا ربط .
- « ندما » فعاقبة الاغترار الندم .
- « ثم بسط الله سبحانه له في توبته » « ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى » (٦) .

(١) طه ١١٧

(٢) الاعراف ٢٢

(٣) البقرة ٣٤

(٤) طه ١٢٠

(٥) طه ١١٥

(٦) طه ١٢٢

« و لَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَةً » « فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (١) .

« و وعده المرد " إلى جنسته " بعد البعث .

« و أهبطه » هكذا في المصرية ، والصواب (فأهبطه) كما في (حد ، والخطية) .
 « إلى دار البلية » : أي الدنيا ، و قد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصفها (دار بالبلاء محفوفة و بالعدو معروفة) قال تعالى في إهباطه « و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين » (٢) ثم ظاهر كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا ، و في الآتي أن إهباطه كان بعد توبته ، و هو ظاهر قوله تعالى في سورة طه « ثم اجتباه ربّه فتاب عليه و هدى قال « اهبطا منها جميعا » (٣) و لكن في سورة البقرة « و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم في الأرض مستقر و متاع إلى حين فنلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه » و يمكن الجمع بأن توبته كانت فوراً بعد عتاب الله تعالى له . قال سبحانه « و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكم أن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٤) و إنما قبول توبته كان بعد الإهباط .

و في إثبات الوصية . ثم أمر الله تعالى الملائكة بأخراجه فأخذوا بيده ليخرجوه . فقال : اللهم بحق محمد و عليّ و الحسن و الحسين تب عليّ . فأوحى الله إليه اهبط إلى الأرض حتى أتوب عليك .

و فيه : و هبط آدم على الصفا و حوا على الطروة . فاشتق للجبلين هذان الإسمان و كان مكثه في الجنة على ما روى سبع ساعات من ساعات الدنيا دخلها قبل زوال الشمس و خرج قبل أن تغيب .

و « تناسل الذرية » « خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما

(١) البقرة ٣٧

(٢) البقرة ٣٤

(٣) طه ١٢٣

(٤) الاعراف ٢٣

رجالاً كثيراً ونساء» (١) «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (٢) وروى العليل عن الصادق عليه السلام أن آدم ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل . فجزع آدم عليه السلام عليه جزعاً قطعته عن إتيان النساء - إلى أن قال - ثم تخلى ما به من الجزع عليه . فغشى حواء . فوهب الله له شيئاً وحده ليس معه ثاني ، وهو أول وصي أو وصي إليه من الآدميين في الأرض . ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثاني . فلما أدركا وأراد تعالى أن يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم الله تعالى من الأخوات على الأخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها بركة . فأمر تعالى آدم أن يزوجه من شيث . فزوجه منها . ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة . فأمر تعالى أن يزوجه من يافث فزوجه منها . فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية . فأمر تعالى آدم حين أدركا أن يزوجه بنت يافث من ابن شيث . ففعل ذلك . فولد الصفة من النبيين والمرسلين ونسلهما ، ومعاذ الله أن ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات .

والخبز خبر ابن مقاتل عمن سمع زارة ، ورواه الفقيه مختصراً ، وتوهم (خو) أنه خبر مسمع . فحرف (عمن سمع) بقوله (عن مسمع) كما توهم أن ما في الفقيه غير ما في العليل .

٢ ر في ٨٧ ر ١ فلما مهد أرضه ، وانفذ أمره . اختار آدم ﷺ

خيرة من خلقه ، وجعله أول جبلته ، وأسكنه جنته ، وازغد فيها
أكله ، وأوعز إليه في ما نهاه عنه . وأعلمه أن في الأقدام عليه
التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة

(١) النساء ١

(٢) الحجرات ١٣

سَابِقُ عِلْمِهِ . فَاهْبِطْهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمَرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَ لِيَقِيمَ الْحُجَّةَ
بِهِ عَلَى عِبَادِهِ .

« فلما مهتد أرضه » « والأرض فرشناها فنعم الماهدون » (١) .

« وأنفذ أمره » فيها بما أراد من الجبال والبحار وغيرهما .

« اختار آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خيرة من خلقه » « وإن قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة - إلى - فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات
والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » (٢) .

« وجعله أول جبلته » : أى خليفته من البشر « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة » (٣) .

« وأسكنه جنته وأرغد » : أى أوسع .

« فيها أكله » « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث
شئتما » (٤) .

« وأوعز » : أى تقدم .

« إليه في ما نهاه عنه » في قوله تعالى لهما « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين » (٥) .

« وأعلمه أن في الإقدام عليه » : أى على ما نهاه عنه .

« التعرض لمعصيته » « وعصى آدم ربه فغوى » (٦) .

« والمخاطرة بمنزلته » « إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة

(١) الذاريات ٤٨

(٢) البقرة ٣٠-٣٣

(٣) النساء ١

(٤) البقرة ٣٥

(٥) ٣٥

(٦) طه ١٢١

فتشقى» (١) .

« فأقدم على ما نهاه عنه » « فأكلا منها فبدت لهما سؤاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (٢) .

« موافاة » يمكن أن يكون مفعولاً مطلقاً لقوله (فأقدم) والأصل (أقداماً موافاة) وأن يكون مفعولاً له ، له من باب « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » فأهبطه بعد التوبة « مرتين في سابقه أن نفس توبة آدم كانت قبل الهبوط ، وإنما وعد القبول كان بعده » ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (٣) .

« ليعمر أرضه بنسله » و في خبر عن الصادق ﷺ ما معناه أن ملكاً زار آدم بعد هبوطه ، فلم يرأى قلبه سلاهُ ثلاثاً بأن قال له : إن الله تعالى قال لنا فيك : إننى جاعل في الأرض خليفة . فهو خلقك لأن تكون في الأرض أيستقيم أن تكون في السماء .
« و ليقيم الحجّة به على عباده » و في الخبر أن الحجّة مع الخلق و قبل الخلق و بعد الخلق ، و لو لم يبق في الأرض إلاّ رجلان لوجب أن يكون أحدهما الحجّة .

هذا ، و اشتهر إجماع الإمامية على عدم جواز صدور معصية ولو صغيرة من الأنبياء ولو قبل نبوتهم لكن قال شيخنا المفيد في مقالاته : إن الصغيرة لا يجوز منهم مع الاستخفاف مطلقاً ، و أمّا بدونه فجاز وقوعه منهم قبل النبوة وعلى غير التعمّد ، وما قاله الصواب و عليه يحمل أكل آدم من الشجرة . فإنّه لم يكن عن تعمّد لقوله تعالى « فنسى ولم نجد له عزماً » (٤) و في خبر الهروى عن الرضا ﷺ أمّا قوله تعالى « و عصى آدم ربه فعوى » (٥) فإن الله - عزّ وجلّ - خلق آدم حجّة في أرضه و خليفة في بلاده لم

(١) طه ١١٧

(٢) طه ١٢١

(٣) طه ١٢٢

(٤) طه ١١٥

(٥) طه ١٢١

يخلقه للجنة ، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير الله - عز وجل - فلما اهبط إلى الأرض وجعل حجة و خليفة عصم بقوله - عز وجل - "إن الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين" (١) و مثله خبر ابن الجهم عنه عليه السلام مع زيادة: "إن إبليس ألبس عليهما بأن المراد بهذه الشجرة في خطابه تعالى الشخص لا الجنس و حلف لهما و ما ظن آدم أن أحداً يحلف بالله كاذباً .

٣ ر ١٨٧ و من خطبة له عليه السلام تسمى القاصعة ، و هي تتضمن ذم ابليس على استكباره ، و تركه السجود لادم ، و أنه أول من أظهر العصبية ، و تبع الحمية و تحذير الناس من سلوك طريقته

الحمد لله الذي لمس العز والكبرياء ، و اختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى و حرماً على غيره ، و اصطفاهما لجلاله ، و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده . ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين ، فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب ، و محجوبات الغيوب : اني خالق بشرآ من طين فاذا سويتها و نفخت فيه من روحي فقعدوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس . اعترضته الحمية . فافتخر على آدم بخلقه ، و تعصب عليه لاصله . فعدو الله امام المتعصبين و سلف المستكبرين . الذي وضع اساس العصبية ، و نازع الله رداء الجبرية

وَادْرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدْوِيلِ . أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ
 اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ ، وَوَضَعَهُ اللَّهُ بِتَرْقِيهِ . فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُورًا ، وَ
 أَعَدَّهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْفُفُ
 الْأَبْصَارَ ضِيَاءَهُ ، وَ يَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاؤُهُ ، وَ طَيِّبَ بِأَخْذِ الْإِنْفَاسِ
 عَرْفَهُ لِفَعْلٍ ، وَ لَوْ فَعَلَ لَطَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَ لَخَفَّتِ الْبُلُوبُ
 فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ابْتَلَى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ
 تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَ نَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ . وَابْعَادًا لِلْخِيَلِ عَنْهُمْ .

أقول : قد عرفت في المقدمة أن هذه الخطبة من ثمان خطب اختلفت نسخنا مع
 نسخة (حد) في موضعها .

قول المصنف « و من خطبة له ﷺ تسمى القاصعة » هكذا في المصرية ، و
 لكن في (حد ، و ثم) و من خطبة له ﷺ ، و من الناس من يسمي هذه الخطبة
 القاصعة . قال (ثم) : نقل في سبب هذه الخطبة أن أهل الكوفة كانوا في أخير خلافتهم
 ﷺ قد فسدوا ، و كانوا قبائل متعددة . فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته . فيمر
 بمنازل قبيلة أخرى . فيقع به مكروه . فيعزى إلى قبيلته ، و ينادى باسمها مثلا يا
 (للنخ) أو يا (لکندة) نداء عالياً يقصد به الفتنة وإثارة الشر . فيتألب عليه فتيان
 القبيلة التي قد مر بها ، و ينادون يا آل تميم و يا آل ربيعة . فيضربونه فيمضي هو
 إلى قبيلته ، و يستصرخ بها فتسل بينهم السيوف ، و تثور الفتنة ، و لا يكون لها أصل
 في الحقيقة ، و لا سبب يعرف ، و كثر ذلك منهم . فخرج ﷺ على ناقة . فخطبهم هذه
 الخطبة .

وقد ذكر الشارحون في تسميتها القاصعة وجوهاً : أحدها و هو أقربها أنه كان

يخطب بها على ناقته ، وهي تقصع بجرتها . فجاز أن يقال : إن هذه الحال لما نقلت عنه في أسناد هذه الخطبة نسبت الخطبة إلى الناقة القاصة . فقيل : خطبة القاصة . فكثرت استعمالها ، فجعلت وصفاً للخطبة نفسها أو لأن الخطبة عرفت بهذه الصفة ملازمة قصع الناقة لانشائها ، والعرب تسمى الشيء باسم لازمه .

قلت : قال الجزري في نهايته في الحديث « خطبهم على راحلته وأنها لتقصع بجرتها » أراد شدة المضع وضم بعض الأسنان على البعض ، وقيل : قصع الجرّة : خروجها من الجوف إلى الشدق ، ومتابعة بعضها بعضاً ، وإنما تفعل الناقة ذلك إذا كانت مطمئنة وإذا خافت شيئاً لم تخرجه ، وأصله من (تقصيع اليربوع) وهو إخراج تراب (قاصعائه) وهو جحره ، ويمكن أن يكون وجه التسمية كون القاصة من (قصع العطشان غلته بالماء) إذا سكنها أو من (قصع الغلام قصعاً) ضربه ببسط كفه على رأسه .

« وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره ، وتركه السجود لآدم عليه السلام » قال تعالى « فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (١) .
« وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية » في الأماشي عن النبي صلى الله عليه وآله من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من عصبية بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية وفي عقاب الأعمال عنه عليه السلام من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربة الإسلام من عنقه وعن الصادق عليه السلام من تعصب عمه الله بعمامة من نار ، وقال تعالى « إن جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية » (٢) .

« وتحذير الناس من سلوك طريقته » يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر » (٣) .
« قوله عليه السلام : الحمد لله الذي لبس الغز والكبرياء » « إن العزة لله جميعاً .

(١) البقرة ٣٤

(٢) الفتح ٢٦

(٣) يونس ٦٥

« و اختارهما لنفسه دون خلقه » في آخر الجائية (وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

« وجعلهما حى » : أى محظوراً على غيره لا يقربهما أحد .

« و حرما » : أى حراما .

« على غيره » : حتمى ملائكته و أنبيائه .

« و اصطفاهما » : أى اختارهما .

« لجلاله » : أى عظمته .

« وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده » روى الصدوق عن الباقر عليه السلام

قال : العز رداء الله ، والكبرياء إزاره . فمن تناول شيئاً منه أكبه الله في جهنم .

« ثم اختبر » : أى امتحن .

« بذلك ملائكته المقربين » في منزلتهم عنده .

« ليميز » بالتخفيف والتشديد .

« المتواضعين منهم من المستكبرين » « و لقد فتننا الذين من قبلهم فليعلمن الله

الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (١) .

« فقال سبحانه » : أى الله المنزه عن النقائص .

« و هو العالم بمضمرات القلوب و محجوبات الغيوب » جملة معترضة بين (فقال)

و مقوله « إننى خالق بشراً من طين » (٢) لدفع توهم أن اختباراه ليس لعدم عرفانه مثلنا

في اختباراتنا لغيرنا بل ليظهر حاله على الآخرين من نوعه « يعلم خائنة الأعين و ما

تخفى الصدور » (٣) « ألم أقل لكم إننى أعلم غيب السماوات والأرض و أعلم ما تبون

و ما كنتم تكتمون » (٤) .

(١) العنكبوت ٣

(٢) ص ٧١

(٣) غافر ١٩

(٤) البقرة ٣٣

«إني خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس» الآية باللفظ الذي ذكره عليه السلام في سورة ص و أما في سورة الحجر . فهكذا «إني خالق بشراً من صلال من حما مسنون فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس» (١) . و في تفسير القمي مسنداً سئل أبو عبد الله عليه السلام عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال؟ قال: نعم والكافرون دخلوا فيه لأن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم. فدخل في أمره الملائكة وإبليس . فإن إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله ، و كانت الملائكة تظن أنه منهم ، ولم يكن منهم . فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم اخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد . فعلم الملائكة عند ذلك أن إبليس لم يكن منهم . فقيل له : فكيف وقع الأمر على إبليس . فإِنما أمر الله الملائكة بالسجود . فقال : كان إبليس منهم بالولاء ، و لم يكن من جنس الملائكة ، وذلك أن الله تعالى خلق خلقاً قبل آدم ، و كان إبليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا و أفسدوا ، و سفكوا الدماء . فبعث الله الملائكة ، فقتلوهم و أسروا إبليس ، و رفعوه إلى السماء . فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق آدم عليه السلام .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده ، و ذلك بعد ما مضى من الجن و النسناس في الأرض سبعة ألف سنة ، و كان من شأنه خلق آدم كشط عن أطباق السماوات ، و قال للملائكة انظروا إلى الأرض من خلقى من الجن و النسناس فلما رأوا ما يعملون من المعاصي و سفك الدماء و الفساد في الأرض عظم ذلك عليهم و غضبوا و قالوا : ربنا إنك أنت العزيز القادر الجبار و هذا خلقك الضعيف يتقلبون في قبضتك ، و يعيشون برزقك ، و يستمتعون بعافيتك ، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تأسف عليهم ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم و ترى و قد عظم ذلك علينا و أكبرناه فيك . فلما سمع ذلك من الملائكة قال : إني جاعل في الأرض خليفة تكون

حجة لى فى الأرض على خلقى . فقالت الملائكة : سبحانك أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد بنوالبان ، و يسفكون الدماء كما سفكت بنوالبان ، و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنا لا نتحاسد ، ولا نتباغض ، ولا نسفك الدماء ، و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك . قال تعالى : إننى أعلم ما لا تعلمون إننى أريد أن أخلق خلقاً يمدى ، و أجعل من ذريّته أنبياء و مرسلين ، و عباداً صالحين ، و أئمة مهتدين ، و أجعلهم خلفاء على خلقى فى أرضى ينهونهم عن معصيتى ، و يندرونهم من عذابى ، و يهدونهم إلى طاعتى ، و يسلكون بهم سبيلى ، و أجعلهم عليهم حجة عذراً و نذراً و أوييد النسناس من أرضى ، و اطهرها منهم ، و أنقل مردة البجن العصاة ، و أسكنهم فى الهواء و أقطار الأرض . فلا يجاورون نسل خلقى ، و أجعل بين البجن و بين خلقى حجاباً . فلا يرى نسل خلقى البجن ، ولا يجالسوهم ، ولا يخالطوهم . فمن عصانى من نسل خلقى الذين اصطفيتهم أسكنهم مساكن العصاة ، و لا أبالى فقالت الملائكة . ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا .

إلى أن قال : فقال تعالى للملائكة « إننى خالق بشرأ من صلصال من حمأ مسنون فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (١) وكان ذلك من الله تقدمة فى آدم قبل أن يخلقه ، و احتجاجاً منه عليهم . إلى أن قال : فخلق آدم ﷺ فبقى مصوراً أربعين سنة فكان يمرّ به اللعين . فيقول لأمر ما خلقت لئن أمرنى بالسجود لهذا الأعصينه قال : ثم نفخ فيه فلما بلغت الروح إلى دماغه عطس . فقال : الحمد لله . فقال تعالى : يرحمك الله . قال الصادق ﷺ : فسبقت له من الله الرحمة . ثم قال تعالى : للملائكة اسجدوا لآدم . فسجدوا له فأخرج إبليس ما كان فى قلبه من الحسد فأبى أن يسجد . « اعترضته الحميّة » : أى الأنفة .

« فافتخر على آدم بخلقه و تعصّب عليه لأصله » فى الكافي عن الصادق ﷺ كانت الملائكة يحسبون أن إبليس منهم ؛ و كان فى علم الله أنه ليس منهم فاستخرج ما فى

نفسه بالحمية والغضب . فقال « خلقتني من نار و خلقتني من طين » (١) .
« فعدّ و الله إمام المتعصبين و سلف المستكبرين » و في تفسير القمي أول من قاس
إبليس و استكبر ، و الاستكبار أول معصية عصى الله بها .
« الذي وضع أساس العصبية » عن الصادق عليه السلام من تعصّب عصبه الله بعمامة من
النار .

« و نازع الله رداء الجبرية » الذي مختص به تعالى ؛ و الجبرية الكبر و العظمة .
في الكافي عن الصادق عليه السلام قد يكون الكبر في شرار الناس من كل جنس ، و الكبر رداء
الله فمن نازع الله تعالى رداءه لم يزد الله تعالى إلا سفالاً إن النبي صلّى الله عليه و آله مرّ في بعض
طرق المدينة ، و سوداء تلقط السرّيقين . فقيل لها : تنحى عن طريق النبي صلّى الله عليه و آله
فقاتت : إن الطريق لمعرض فهم بعض القوم أن يتناولوها . فقال النبي صلّى الله عليه و آله : دعوها
فإنّها جبارة .

و عنه عليه السلام إذا خلق الله العبد في أصل الخلق كافراً لم يمت حتّى يجسّب إليه
الشرّ فيقرب منه . فابتلاه بالكبر و الجبروت . فقسا قلبه و ساء خلقه ، و غلظ وجهه ،
فظهر فحشه ، و قلّ حماه ، و كشف الله سرّه ، و ركب المحارم ، و لم ينزع عنها . ثم ركب
معاصي الله و أبغض طاعته ، و وثب على الناس لا يشبع من الخصومات . فاسألوا الله
العافية و اطلبوها منه ، و عنه عليه السلام : أدنى الإلحاد الكبر .
« و ادّرع » : أي جعل درعاً له .

« لباس التعرّز » فحسب نفسه عزيزاً .
« و خلق قناع التذلل » لله تعالى عن رأسه ، و نسي أنّه عبد لله ، و في الصحاح
القناع أوسع من المقلعة . قال الشاعر :

إن تغد في دوني القناع فإني ب ط بأخذ الفارس المستلم
« ألا ترون كيف صغره الله بتكبره » « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر »

فيها فاخرج إنك من الصاغرين» (١) .

« و وضعه الله » هكذا فى المصرية ، والصواب : و وضعه كما فى (حد ، و ثم ،
والخطية) و لأنه لا وجه لتكرار لفظ الجلالة .

« بترفعه » : أى ادعائه الرفعة .

« فجعله فى الدنيا مدحوراً » : أى مطروداً مبعداً . قال تعالى « اخرج منها مذموراً
مدحوراً » (٢) و فى الكافى عن الصادق ﷺ ما من عبد إلا و فى رأسه حكمة و ملك
بمسكها . فإذا تكبر قال له اتضع وضعك الله . فلا يزال أعظم الناس فى نفسه و هو
أصغر الناس فى أعينهم .

« و أعد له فى الآخرة سعيراً » فى الكافى عن الصادق ﷺ أن فى جهنم لوادياً
للمتكبرين يقال له سقر . فشكا إلى الله شدة حره ، و سأله أن يأذن له أن يتنفس .
فتنفس فأحرق جهنم ، و عنه ﷺ إن المتكبرين يجعلون فى صور الذر يتوطأهم
الناس حتى يفرغ من الحساب .

« ولو أراد الله » هكذا فى المصرية ، و فى (ثم) و لو أراد سبحانه ، و فى (حد ،
والخطية) و لو أراد الله سبحانه .

« أن يخلق آدم من نور يخطف » : أى يستلب .

« الأَبصار ضيائه ، و يبهر » : أى يغلب .

« العقول » بالنصب .

« رواؤه » بالضم : أى منظره .

« و طيب يأخذ الأَنفاس عرفه » بالفتح : أى ريعه .

« لفعل » جواب (و لو أراد) .

« و لو فعل لظلت له الأَ عناق خاضعة » الجملة مأخوذة من قوله تعالى « إن نشأ نزل

(١) الاعراف ١٣

(٢) الاعراف ١٨

عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (١) .

« ولخفت البلوى » : أى الابتلاء والامتحان .

« فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه ابتلى خلقه » حتى الملائكة والأنبياء .

« ببعض ما يجهلون أصله » كما امتحن الملائكة بخلق آدم ، و امتحن موسى

عليه السلام بأعمال الخضر .

« تمييزاً » لمؤمنهم عن كافرهم .

« بالاختبار لهم » كما تمييز إبليس من الملائكة .

« و نفيّاً للاستكبار عنهم » في تفسير القمى قال إبليس : يارب اعفنى من السجود

لآدم، وأنا أعبد عبادة لم يعبدكها ملك . قال تعالى : لاحاجة لى إلى عبادتك إنما أريد أن

أعبد من حيث أريد . فأبى . فقال تعالى « فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى

إلى يوم الدين » (٢) .

« و إبعاداً للخيلاء » بالضم والكسر : أى الكبر « عنهم » .

٤ ر فى سابقه ايضاً ، وَ لَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ امَةٍ مِنْ غَيْرِ

مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سَوَى مَا لَحَقَّتْ الْعِظْمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَادَاةِ الْحَسَدِ

وَ قَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ

مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِى اعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِنَّ الدَّمَامَةُ ، وَ الزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أقول : نقلناه هنا وإن كان بفصل ذمائم الصفات ألصق لأنه تضمن حكم ابنى

آدم فجعلناه كالتميم للفصل .

(١) الشعراء ٤

(٢) ص ٧٨

« ولا تكونوا كالمتكبر » والأصل (كالأخ المتكبر) والمراد قاييل .
 « على ابن أمّه » والمراد هابيل . قال معقل بن عيسى لأخيه أبي دلف في عتب
 عتبه عليه :

أخى مالك محبوباً على تربي * كأن أجسادنا لم تغد من جسد
 قال (حد) : نهاهم أن يكونوا كقاييل الذي حسد أخاه . فقتله ، وهما لأب و
 أم ، وإنما قال عليه السلام (ابن أم) فذكر الأم دون الأب لأن الأخوين من الأم
 أشد حنواً ومحبة من الأخوين من الأب ، وتبعه (خو) ، وقال (ثم) : قال الثعلبي :
 إنما أضافه إلى الأم دون الأب لأن الولد في الحقيقة من الأم : أي الولد بالفعل .
 فإن النطفة في الحقيقة ليست بولد بل جزء مادي .

قلت : الصواب هنا أن يقال : نكتة تعبيره عليه السلام ب« ابن الأم » أن الأخوين من
 الأب قد يتكبر أحدهما على الآخر بأمّه إذا كانت أمّه حرّة وأم أخيه أمة ، أو أمّه
 شريفة وأم أخيه ضيعة ، وأما إذا كانا من أم واحدة ، والفرض وحدة أبيهما . فتكبره
 عليه كالتكبر على نفسه . فيكون حاله حال من قال :

أتمه على إنس البلاد وجنسها * ولولم أجد خلقاً لتهت على نفسي
 أتمه فلا أدري من التيه من أنا * سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فإن صدقوا أنى من الإنس مثلهم * فما في عيب غير أنى من الإنس

وإنما قالوا في قوله تعالى حكاية عن هارون لموسى « يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي
 ولا برأسي »^(١) نكتة التعبير ب« ابن أم » لكونه أشد حنواً كما أن النكتة في شكايته عليه السلام
 من قريش في قوله عليه السلام « و سلبوني سلطان ابن أمي » أحقيته عليه السلام بمقامه صلى الله
 عليه وآله من كل أحد حتى عمه العباس لأن الميراث يكون للأخ للأب والأم
 دون الأخ للأب فقط ، وكان أبوه عليه السلام وأبو النبي صلى الله عليه وآله من أم واحدة دون
 العباس .

و أمّا ما قاله (ثم) ففي غاية السقوط ، فإنّ من الواضحات شرعاً و عرفاً كون الولد في الإنسان مال الأب ، و كون الأمّ وعاءاً حتّى أنّ تعالى قال « وعلى المولود له رزقهنّ » (١) و إنّما في الحيوان الولد تابع للأمّ لأنّه في الحقيقة منها ، والنطفة جزء مادّي ، و أيضاً لو كان ما ذكره صحيحاً للزم أن يكون إذا ولد رجلان من امرأة واحدة و أبو أحدهما ملك الملوك ، و أبو الآخر عبد العبيد عدم صحّة تفاخر الأوتل على الثاني بأبيه ، و أمّا ما قاله (حد) فتخليط .

« من غير ما فضل : أي من غير فضل و (ما) لتأكيد الكلام مثل (ما) في « فيما رحمة من الله » (٢) .

وفي قول الشاعر :

أعلاقة أمّ الوليد بعد ما * أفنان رأسك كالثغام المخلص

وفي قوله :

وننصر مولانا ونعلم أنّه * كما الناس مجروم عليه و جارم

« جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد » بمعنى أنّ المتكبر على ابن أمّه إذا كان لفضل فيه دون ابن أمّه يقبل ويعقل ، و أمّا بدونه سوى مجرد الحسد فسفه ، ولا سيّما إذا كان أخوه أفضل كما في ابني آدم ، و في الكافي عن الصادق عليه السلام : أصول الكفر ثلاثة : الحرص والاستكبار والحسد : فأما الحرص فإنّ آدم حين نهى عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها ، و أمّا الاستكبار . فإنّ إبليس حيث أمر بالسجود لآدم فأبى ، و أمّا الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه .

« و قدحت » من (قدحت النار) إذا أوقدتها .

« الحميّة في قلبه من نار الغضب » في الخصال عن الصادق عليه السلام الغضب مفتاح كل شرّ ، و عنه قال الحواريون لعيسى : يا معلّم الخير أعلمنا أيّ الأشياء أشدّ؟ قال : غضب الله

(١) البقرة ٢٣٣

(٢) آل عمران ١٥٩

تعالى. قالوا به نفيه؟ قال: بأن لا تغضبوا. قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر، والتجبر
و محقرة الناس .

« و نفخ الشيطان في أنفه » الكلام استعارة ، ويمكن أن يكون حقيقة ، ونظيره
ما عن الصادق ﷺ أن العبد يوقظ ثلاث مرّات من الليل . فإن لم يقم أتاه الشيطان .
فبال في أذنه ، وكيف كان قال ﷺ هذه الكلمة هنا عموماً ، وقالها في طلحة خصوصاً
فرووا أنه ﷺ وقف على طلحة يوم الجمل ، وهو صريع ، وقال له - في كلام -
لكن الشيطان نفخ في أنفه .

« الذى » وصف للمتكبر على ابن أمه : أى قابيل .

« أعقبه الله به الندامة و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة » إشارة إلى قوله
تعالى في قابيل و هاويل « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق » إن قرّباً با قرباناً فتقبّل من
أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبّل الله من المتّقين لئن بسطت
إلى يدك لتقتلنى ما أنا بياسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى
أريد أن تبوء بائى و إثمك فتكون من أصحاب النار و ذلك جزاء الظالمين فطوّعت
له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين « (١) .

و قلنا: إن المراد بابنى آدم في الآية هاويل وقابيل ، و لكن روى الطبرى عن
الحسن البصرى قال كان الرجلان اللذان قال تعالى فيهما « واتل عليهم نبأ ابنى آدم
بالحق » من بنى إسرائيل و لم يكونا ابنى آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بنى -
إسرائيل و كان آدم أوّل من مات . ثم رده الطبرى بما روى عن النبي ﷺ قال :
ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كفل منها ، و ذلك لأنّه أوّل من
سنّ القتل .

قلت : و أوضح منه في رده قوله تعالى بعد ما مرّ « فبعث الله غراباً يبحث في
الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب

فأورى سواة أخى فأصبح من النادمين « (١) فلو كانا من بنى إسرائيل لم يحتج القاتل إلى أن يرى غرباً لأنّ الدفن في الأرض كان أمراً شائعاً من أوّل الدنيا ، وأمّا الخبر فحيث لم يكن قطعى السند يمكن الخصم ردّه .

و لعل الحسن توهمه من قوله تعالى بعد « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفس - إلى - و كأنّما قتل الناس جميعاً » (٢) إلاّ أنّه كما ترى ، و نقل الطبرى في سبب قتل قابيل لهاييل أقوالاً : منها أنّه لم تكن التوأمة محرّمة . فقرب قابيل و هاييل قربانا أيّهما أحقّ بتوأمة قابيل التي كانت أحسن من توأمة هاييل ، و روى في ذلك خبراً عن السدى عن جمع ، و منها أنّ السبب كان مجرد قبول فدية هاييل دونه ، و روى عن عبد الله بن عمر قال : إنّ ابنى آدم اللذين قربا قرباناً . فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث ، و الآخر صاحب غنم و أنّهما أمرا أن يقربا قرباناً ، و أنّ صاحب الغنم قرب أكرم غنمه و أسمنها طيبة بها نفسه ، و أنّ صاحب الحرث قرب شرّ حرثه الكوزر و الزوان غير طيبة بها نفسه ، و أنّ الله تعالى تقبّل قربان صاحب الغنم ، و لم يتقبّل قربان صاحب الحرث ، و روى عن ابن عباس قال كان من شأنهما أنّه لم يكن مسكين يتصدّق عليه ، و إنّما كان القربان يقرب به الرجل فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا لو قربنا قربانا ، و كان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه تعالى أرسل إليه ناراً فأكلته ، و إن لم يكن رضيه خبت النار . فقربا قرباناً ، و كان أحدهما راعياً و الآخر حرّاً . إلى أن قال : فنزلت النار فأكلت الشاة و تركت الزرع . فقال لأخيه أتمشى في الناس و قد علموا أنّك قربت قربانا فتقبل منك ، و ردّ على قربانى فلا والله لا ينظر الناس إليك و إليّ و أنت خير منى لأقتلنك . فقال له أخوه فما ذنبى إنّما يتقبّل الله من المتّقين .

(١) المائدة ٣١

(٢) المائدة ٣٢

قلت : الصواب القول الأخير ، وفي عرائس الثعلبي - بعد ذكر تزويج قابيل و هابيل من رواياتهم - وقال معاوية بن عمار : سألت جعفرأ الصادق أكان آدم زوج ابنه من ابنته ؟ فقال : معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه النبي ﷺ ما كان دين آدم إلا دين نبيينا ، إلى أن قال : فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنسية من الجن يقال لها : عمالة في صورة انسية ، و خلق لها رجماً و أوحى إلي آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه . فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة إنسية ، و خلق لها رجماً ، و كان اسمها بركة . فلما نظر إليها هابيل و رمقها أوحى الله إلي آدم أن زوجها من هابيل ففعل . فقال قابيل : يا أبه أأست أكبر من أخي و أحق بما فعلت به منه ؟ فقال : يا بني إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء فقال : لا ولكنك آثرته علي بهواك . فقال له : إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقرّب باقر باناً فأبكمما تقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه - الخبر - .

وروى توحيد الصدوق عن الإصبخ . عن أمير المؤمنين ﷺ لما قال علي المنبر في أوّل خلافته: سلوني قبل أن تفقدوني . قام إليه الأشعث . فقال : كيف يؤخذ الجزية من المجوس و لم ينزل عليهم كتاب ، و لم يبعث إليهم نبي قال : بلى قد أنزل عليهم كتاب ، و بعث إليهم رسول حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة قدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها . فلما أصبح تسمع به الناس . فاجتمعوا إلى بابه . فقالوا : أيها الملك دنست علينا ديننا . فاخرج نظهرك و نقيم عليك الحد ، فقال : هل علمتم أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم و أمنا حواء . قالوا : صدقت . قال : أفليس زوج بنيه من بناته ، و بناته من بنيه . قالوا : صدقت هذا هو الدين فتعاقدوا على ذلك . فمحا الله ما في صدورهم من العلم ، و رفع عنهم الكتاب فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب ، و المنافقون أشدّ حالاً منهم . فقال : الأشعث لا سمعت بمثل هذا الجواب لاعدت إلي مثلها .

و روى تفسير العياشي عن سليمان بن خالد قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : إن الناس يزعمون أن آدم زوج ابنته من ابنه فقال : أما عملت أن النبي ﷺ . قال :

لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه لزوجت زينت من قاسم ، و لم أكن لأرغب عن دين آدم . فقلت : إنهم يزعمون أن قابيل إنما قتل هايل لأنهما تغائرا على أختهما فقال : أما تستحيى أن تروى هذا على نبي الله آدم . فقلت : ففيم قتل قابيل هايل؟ قال : في الوصية أن الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هايل ، و كان قابيل أكبر منه . فغضب قابيل وقال : أنا أولى بالوصية . فأمرهما أن يقربا . ففعلا . فقبل الله قربان هايل فحسده قابيل فقتله .

فقلت : فممن تناسل ولد آدم هل كانت أنثى غير حواء ، و هل كان ذكر غير آدم عليه السلام .

قال : لمّا أدرك قابيل أظهر الله له جنيسة و أوحى إلى آدم أن يزوجه قابيل . ففعل ذلك آدم و رضى بها قابيل ، و لمّا أدرك هايل أظهر الله له حوراء فزوجه آدم منه . فقتل هايل و الحوراء حامل ، فولدت غلاماً سماه آدم هبة الله . فأوحى إلى آدم أن ادفع الوصية ، واسم الله الأعظم إليه ، وولدت حواء غلاماً فسماه آدم شيثاً فلما أدرك أهبط تعالى حوراء فزوجه آدم منه . فولدت جارية فسماها آدم حورة . فلما أدركت زوج آدم بنت شيث من هبة الله بن آدم ، فنسل آدم منهما . فمات هبة الله . فأوحى إلى آدم أن ادفع الوصية و اسم الله الأعظم إلى شيث .

و في الفقيه روى زرارة عن الصادق عليه السلام أن آدم ولد له شيث و اسمه هبة الله و هو أول وصى أوصى إليه من الآدميين في الأرض . ثم ولد له بعد شيث يافث . فلما أدركا أراد الله تعالى أن يبلغ بالنسل ما ترون ، و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر حوراء من الجنة و اسمها نزلة . فزوجه آدم من شيث . ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء و اسمها منزلة . فزوجه آدم من يافث فولد لشيث غلام و ليافث جارية . فأمر تعالى آدم حين أدركا أن يزوجه ابنة يافث من ابن شيث . ففعل فولد الصفوة من النبيين و المرسلين من نسلهما ، و معاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة و الأخوات .

و روى القسم بن عروة عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تعالى

أنزل على آدم حوراء من الجنة فوزَّجها أحد ابنيه ، و تزوج الآخر ابنة الجان .
فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء ، و ما كان فيهم من سوء
خلق فهو من ابنة الجان .

هذا ، وروى المسعودي في إثباته خطبة عن أمير المؤمنين ﷺ في محال نور النبي
ﷺ وفي تلك الخطبة (فأى بشر كان مثل آدم في ما سابت به الأخبار ، و عرفنا كتبك
في عطايك ، اسجدت له ملائكتك ، و عرفته ما حجبتهم عنك من علمك إذ تناهت به
قدرتك ، و تمت فيه مشيئتك ، دعاك بما أكننت فيه . فأجبت إجابة القبول - إلخ - .



﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ في النبوة العامة ﴾

١ ر في ١١ و اصطفى سبحانه من ولده انبياء ، اخذ على الوحي
ميثاقهم ، و على تبليغ الرسالة امانتهم . لما بدل اكثر خلقه عهد
الله اليهم . فجهلوا حقه ، و اتخذوا الانداد معه ، واجتالتهم الشياطين
عن معرفته ، و اقتطعتهم عن عبادته . فبعث فيهم رسله ، و واتر
اليهم انبيائه . ليستأدوهم ميثاق فطرته ، و يذكروهم منسى نعمته
و يحتجوا عليهم بالتبليغ ، و يثيروا لهم دفاين العقول ، و يروهم
الايات المقدره : من سقف فوقهم مرفوع ، و مهاد تحتهم موضوع ،
و معايش تحييمهم ، و آجال تفتنيهم ، و اوصاب تهرمهم ، و احداث
تتابع عليهم ، و لم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل ، او كتاب
منزل ، او حجة لازمة ، او حجة قائمة : رسل لا تقصر بهم قلة
عددهم ، و لا كثرة المكذبين لهم : من سابق سمي له من بعده ، او غابر
عرفه من قبله .

« و اصطفى » : أى اختار .

« سبحانه » : أى المنزلة من كل نقص .

« من ولده » : أى من ولد آدم .

« انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم » في إثبات المسعودي أوحى الله تعالى إلى آدم

بعد قتل قابيل لهاييل إنِّي أهب لك مكانه غلاماً أجعله خليفتك ، و وارث علمك . فولد له شيث و هو هبة الله . فلمّا شبّ أوحى تعالى إلى آدم أني متوفيك و رافعك إلي يوم كذا و كذا . فأوص إلى خير ولدك هبة الله و سلّم إليه الاسم الأعظم ، و اجعل العلم في تابوت ، و سلّمه إليه ، فإنني آليت إلا أخلى أرضي من عالم أجعله حجّة له على خلقي فجمع آدم ولده الرجال والنساء . ثمّ قال : يا ولدي إن الله تعالى أوحى إليّ أنّه رافعي إليه ، و أمرني أن أوصي إلى خير ولدي هبة الله فإنّ الله قد اختاره لي ولكم من بعدى . فاسمعوا له و أطيعوا أمره . فإنّه وصي و خليفتي . فقالوا : سمعنا و أطعنا فأمر بتابوت فعمل ، و جعل فيه العلم والأسماء والوصية . ثمّ دفعه إلى هبة الله ، وقال له : إذا حضرت وفاتك . فأوص إلى خير ولدك . فإنّ الله لا يدع الخلق بغير حجّة ، و سلّم إليه التابوت كما سلّمته إليك ، و اعلم أنّه سيكون نبيّ واسمه نوح . إلى أن قال : ومضى هبة الله واستخلف ريسان - و عدّ بعده قينان ثمّ الحيلث ثمّ غنيمشا . ثمّ إدريس - و قال : هو هرمس و هو أخنوخ . فأمر بأمر الله تعالى ، و جمع الله له علم الماضين ، و زاده ثلاثين صحيفة .

ثمّ عدّ بعده : بردا ، ثمّ اخنوخ ، ثمّ متوشلخ ، ثمّ ملك ، ثمّ نوح ، ثمّ سام ، ثمّ ارفخشذ ، ثمّ شالح ، ثمّ هود ، ثمّ فالخ ، ثمّ ايروغ ، ثمّ نوشا ، ثمّ صاروغ ، ثمّ ناحور ، ثمّ تارخ ، ثمّ إبراهيم ، ثمّ إسماعيل ، ثمّ إسحاق ، ثمّ يعقوب ، ثمّ يوسف ثمّ يبرزبن لاوى ، ثمّ أحزب ، ثمّ ميثاح ، ثمّ عاق ، ثمّ خيام ، ثمّ مادوم ، ثمّ شعيب ثمّ موسى ، ثمّ يوشع بن نون ، ثمّ فنحاس ، ثمّ بشير ، ثمّ جبريل ، ثمّ أبلث ، ثمّ أحر ، ثمّ محتان ، ثمّ عوق ، ثمّ طالوت ، ثمّ داود ، ثمّ سليمان ، ثمّ آصف بن برخيا ثمّ صفورا ، ثمّ منبة ، ثمّ هندوا ، ثمّ أسفر ، ثمّ رامن ، ثمّ إسحاق ، ثمّ ايم ، ثمّ زكريا ، ثمّ إيسابح ، ثمّ روبيل ، ثمّ عيسى ، ثمّ شمعون ، ثمّ يحيى ، ثمّ منذر بن شمعون ، ثمّ دانيال ، ثمّ مكيشا بن دانيال ، ثمّ انشوا ، ثمّ رشيخا ، ثمّ نسطورس ، ثمّ وانام ، ثمّ نبينا خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وآله و عليهم أجمعين - .

« و على تبليغ الرسالة أمانتهم » قال تعالى « ليعلم أن قد أبلغوا رسالات

ربهم» (١) .

« لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله » إظهاراً لجلاله مع كون المقام مقام الإضمار كقول السلطان : (السلطان يأمر بكذا) .

« إليهم » قال (خو) يعنى عهده المأخوذ عليهم في الذر كما في آية « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم » (٢) والأخبار المتواترة .

قلت : بل الظاهر أن المراد عهده المأخوذ عليهم بتوسط رسله في الظاهر كما في آية « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان » (٣) قال تعالى « ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين » (٤) « وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » (٥) .

« فجهلوا حكمه » و « ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » (٦) .

« واتخذوا الأنداد » : أى الأمثال .

« معه » « قل إنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين و تجعلون له أنداداً » (٧) .

« واجتالهم الشياطين عن معرفته » قال الجزري : أى استخفهم فجالوا معهم في الضلال يقال : جال واجتال : إذا ذهب وجاء ، ومنه الجولان في الحرب ، واجتال الشيء : إذا ذهب به واستاقه ، و روى بالحاء المهملة : أى نقلتهم من حال إلى حال ، وقال (حد) اجتال

(١) الجن ٢٨

(٢) الاعراف ١٧٢

(٣) يس ٦٠

(٤) الصافات ٧٢

(٥) غافر ٥

(٦) الزمر ٦٧

(٧) فصلت ٩

فلان فلاناً ، واجتماله عن كذا وعلى كذا : أى أداره عليه ، وقال الراوندى : اجتمالتهم : أى عدلت بهم ، وليس بشيء .

قلت : بل قوله ليس بشيء لعدم ذكره في لغة ، وقول الراوندى صحيح ففي القاموس اجتالهم : أى حو لهم عن قصدهم .

« واقتطعتهم » : أى قطعتم ، والتعبير بالاقطاع للدلالة على أن قطعهم لهم كان موافق هواهم .

« عن عبادته » و طاعته .

« فبعث فيهم رسله » قال (حد) قال الراوندى : بعث الله يونس قبل نوح قال :

وهذا خلاف إجماع المفسرين .

« وواتر إليهم أنبيائه » قال (حد) : أى بعثهم ، و بين كل نبيين فترة . قال

(حد) : وهذا مما تغلط فيه العامة ، فتظنّه كما ظنّ الراوندى أن المراد به المرادفة والمتابعة . قلت : أى شيء أنكر من قول الراوندى من أن المراد من الجملة المرادفة والمتابعة ،

وقد قال تعالى « ثم أرسلنا رسلكم تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم

بعضاً » (١) وقد كان أنبيائه تعالى لم يكن لهم انقطاع كلما مضى سلف منهم قام بأمر الله تعالى خلف كما تواتر به الخبر ، وقد قال عليه السلام : كما يأتي بعد « ولم يخل سبحانه

خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل » وإن (حد) صحاح الجوهري قبلته يتبعه في

كل غث وسمين ، وقد قال : (والمواترة : المتابعة) وإنما قال بعد « ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة وإلا فهي مداركة ومواصلة » مع أن ما ذكره أخيراً

لم يعلم صحته . فيكفى في صدق المواترة عدم كون بعثهم معا ، وإن كان الاخر متصلّاً بالأوّل لعدم جواز إبقائه الأرض بغير حجة . قال الجزرى (في الحديث ألف جمعهم

وواتر بين ميرهم) : أى لا تقطع المطيرة عنهم واجعلها تصل إليهم مرة بعد مرة ، وإنما حصلت بين عيسى عليه السلام و نبينا ﷺ فترة من الرسل لأنه كان له أوصياء كما لم

تنقطع الحجة بعد نبينا بأوصيائه - صلوات الله عليهم - .

هذا . و كما أن إثبات الصانع في مقابل الدهريين المنكرين لصانع للعالم ، و إثبات التوحيد في مقابل الثنويين والمشركين المقربين بأصل الصانع دون توحيده كذلك أصل النبوة العامة هنا في مقابل البراهمة القائلين بعدم جواز بعثة الله تعالى للرسول و إثبات وجوبها في مقابل فرق من السنة .

أما الأولون وهم البراهمة . فقالوا : لا يخلو أمر الرسول من حالين : إما أن يأتي بما يدل عليه العقل أو بخلافه . فإن أتى بما في العقل كان من كمال عقله غنياً عنه لأن الذي يأتيه به مستقر عنده موجود في عقله ، وإن أتى بخلاف ما في العقل فالواجب رد ما يأتي به لأن الله تعالى إنما خلق العقول للعباد ليستحسنوا بها ما استحسنت ، و يقرّوا بما أقرت ، و ينكروا ما أنكرت .

وأجاب أهل الحق عن شبهتهم بأن الرسول لا يأتي أبداً بما يخالف العقول غير أن الأمور في العقل على ثلاثة أقسام : واجب ، وممتنع ، و جازي . فالواجب في العقل يأتي السمع بايجابه تأكيداً له عند من علمه ، و تنبيهاً عليه عند من لم يعلمه ، و الجازي يمكن في العقل حسنة تارة و قبحه أخرى ، و من الأمور التي لا يصل العقل فيها إلى القطع العلم بأدوية الاعلال و مواضعها و طبائعها و خواصها ، و مقادير ما يحتاج إليها و أوزانها فهذا مما لا سبيل للعقل فيه إلى حقيقة العلم ، و ليس يمكن إمتحان كل ما في البر والبحر ، و لا تحسن التجربة و السبرطما فيهما من الخطر المستقبح في العقل الاقدام عليه . فعلم أن هذا مما لا غناء فيه عن طارق السمع .

قالوا : و بعد فإن شكر المنعم عندنا ، و عند البراهمة مما هو واجب في العقل ، و ليس في وجوبه و وجوب تعظيم مبدء النعمة بيننا خلاف ، و شكر الله و تعظيمه أوجب ما يلزمنا للعظيم أياديه لدينا ، و إحسانه إلينا ، و لسنا نعلم بمبلغ عقولنا أي نوع يريد من تعظيمه لنا و شكره . فلا بد أن يرسل إلينا رسلاً يعرفنا ما يريد منا .

و أما الآخرون . فقال المفيد : اتفقت الإمامية على أن العقل يحتاج في علمه و نتائجه إلى السمع ، و أنه غير منفك عن سمع ينبه العقل على كيفية الاستدلال ، و أنه لا بد في أول التكليف ، و ابتدائه في العالم من رسول ، و وافقهم في ذلك أصحاب

الحديث ، و أجمعت المعتزلة و الخوارج و الزيدية على خلاف ذلك ، و زعموا أن العقول بمجرد ما غنية عن السمع و التوقيف إلا أن البغداديين من المعتزلة خاصة يوجبون الرسالة في أول التكليف ، و يخالفون الإمامية في علمتهم لذلك ، و يثبتون عللاً تصححها الإمامية ، و يضيفونها إلى علمتهم في ما وصفناه .

ولكن في شرح تجريد العلامة : قالت الأشاعرة بعدم وجوب النبوة ، و كيف كان فقد نبه عليه على خمسة من أدلة وجوب الرسالة :

الأول : « ليستأدوهم ميثاق » : أي عهد .

« فطرته » التي فطرهم عليها . قال تعالى « فطرت الله التي فطر الناس عليها » (١) و قال - عز وجل - « و إن أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (٢) .

و قد اختلف في معنى أخذ الميثاق من الناس . فقال المرضى : لما خلقهم و ربهم تركيباً يدل على معرفته ، و يشهد بقدرته ، و وجوب عبادته . و أراهم الآيات و العبر و الدلائل في غيرهم ، و في أنفسهم كان بمنزلة المستشهد لهم على أنفسهم ، و كانوا في مشاهدة ذلك ، و معرفته ، و ظهوره على الوجه الذي أراد الله تعالى ، و تعذر امتناعهم منه ، و انفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر الماعترف ، و إن لم تكن هناك شهادة و اعتراف على الحقيقة .

و قال المفيد في مسائله السروية : و أما الحديث في إخراج الذرية من صلب آدم عليه السلام على صورة الذر . فقد جاء بذلك على اختلاف ألفاظه و معانيه ، و الصحيح أنه أخرج الذرية من ظهره كالذر . فملا بهم الأفق ، و جعل على بعضهم نوراً لا يشوبه ظلمة ، و على بعضهم ظلمة لا يشوبها نار ، و على بعضهم ظلمة و نور . فقال تعالى لآدم : أما الذي عليهم النور بلا ظلمة فهم أصفياء من ولدك الذين يطيعونني ، و لا يعصونني في شيء من أمري . فأولئك سكان الجنة ، و أما الذين عليهم ظلمة لا يشوبها نور . فهم الكفار

من ولدك الذين يعصوننى ، ولا يطيعوننى في شىء من أمرى . فهؤلاء حطب جهنم ، وأما الذين عليهم نور و ظلمة . فأولئك الذين يطيعوننى من ولدك ، و يعصوننى يخالطون أعمالهم السيئة بأعمالهم الحسنة فهؤلاء أمرهم إلى إن شئت عند بتهم بعدلى ، وإن شئت عفوت عنهم بتفضلى . قال : فأبأه الله تعالى بما يكون من ولده ، و شبههم بالذر الذى أخرجه عن ظهره ، وجعلهم علامة على كثرة ولده . قال : و يحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره أصول أجسام ذريته دون أرواحهم ، و إنما فعل الله تعالى ذلك ليدل آدم على العاقبة منه ، و يظهر له من قدرته وسلطانه من عجائب صنعه ، و علمه بالكائن قبل كونه ليزداد آدم يقيناً بربه .

قال : و أما الأخبار التي جاءت (بأن ذريته آدم استنطقوا في الذر . فنطقوا فأخذ عليهم العهد . فأقروا) فهي من أخبار التناسخية ، و قد خلطوا فيها ، و مزجوا الحق بالباطل ،

قال : و المعتمد من إخراج الذرية ما ذكرناه دون ما عدها لينطبق القول به على الأدلة العقلية ، و الحجج السمعية ، و إنما هو تخليط لا يثبت به أثر على ما وصفناه .

قال : فإن تعلق متعلق بقوله تعالى « و إن أخذ ربك الآية ، و ظن بظاهر هذا القول تحقق مارواه أهل التناسخ و الحشوية و العامة في إنطاق الذرية و خطابهم ، و إنهم كانوا أحياء ناطقين .

فالجواب عنه : أن هذه الآية من المجاز في اللغة كمنظأرها مما هو مجاز و استعارة و المعنى فيها : أن الله تعالى أخذ من كل مكلف يخرج من صلب آدم و ظهور ذريته العهد عليه بر بوبيته من حيث أكمل عقله ، و دله بآثار الصنعة فيه على حدثه ، و أن له محدثاً أحدثه لا يشبهه أحد يستحق العبادة منه بنعمته عليهم . فذلك هو أخذ العهد منهم ، و الإشهاد لهم على أنفسهم بأنه تعالى ربهم ، و قوله تعالى « قالوا بلى » يريد أنهم لم يمتنعوا من لزوم آثار الصنعة فيهم ، و دلائل حدوثهم اللزوم لهم ، و حجة العقل عليهم في إثبات صانعهم . فكأنه سبحانه لما ألزمهم الحججة بعقولهم على حدوثهم

و وجود محدثهم قال لهم: «ألست بربكم» و لما لم يقدرُوا على الامتناع من لزوم دلائل الحدوث لهم كأنهم قالوا «بلى شهدنا» و قوله تعالى «أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباءنا و كنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون» (١) يشهد لذلك أفلا ترى أنه تعالى احتج عليهم بما لا يقدرُونَ يوم القيامة أن يتأولوا في إنكاره ، ولا يستطيعون رده ، و قد قال سبحانه «والشمس والقمر والنجوم والجال والشجر والدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب» (٢) و لم يرد أن المذكور يسجد كسجود البشر ، و إنما أراد أنه غير ممتنع من فعل الله فهو كالمطيع له ، و هو معنى يعبر عنه بالساجد .

قال الشاعر :

بجمع تظلّ البلق في حجراته * ترى الأكم فيه سجداً للحوافر
يريد أن الأكم تذللّ للحوافر بوطأها عليها . وقال آخر :

سجوداً له نوقان يرجون فضله * و ترك ورهط الأعممين الأماثل

يريد أنهم مطيعون له ، و عبر عن طاعتهم بالسجود ، و قال تعالى «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» (٣) و هو سبحانه لم يخاطب السماء بكلام ، ولا السماء قالت قولاً مسموعاً ، و إنما أراد أنه عمد إلى السماء فخلقها فلم يتعدّ رعليه صنعها قال : و لذلك أمثال كثيرة في منظوم كلام العرب و منشوره و هو من الشواهد على ما ذكرنا في تأويل الآية .

والثاني : «و يذگروهم منسى نعمته» قال تعالى حكاية عن هود في تذكير قومه بالآلة تعالى «واذكروا إن جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح و زادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون» (٤) و عن صالح لقومه في ذلك «واذكروا إن جعلكم خلفاء من

(١) الاعراف ١٧٣

(٢) الحج ١٨

(٣) فصلت ١١

(٤) الاعراف ٦٩

بعد عاد و بوآكم في الأرض تتسخذون من سهولها قصوراً و تنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين» (١) وعن موسى لقومه في ذلك « اذكروا نعمة الله عليكم إن جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين» (٢) وقال - عز وجل - على لسان نبينا ﷺ في ذلك « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإيأى فارهبون و آمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإيأى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و أنتم تعلمون» (٣) .

والثالث : « ويحتجوا عليهم بالتبليغ » لثلاثاً يعتذروا في ترك طاعته . قال تعالى « و إن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم و ما على الرسول إلا البلاغ المبين» (٤) وفي الخبر : أن الأحلام لم تكن في ما مضى في أول الخلق وإنما حدثت . قيل : وما العلة في ذلك . فقال : إن الله تعالى بعث رسولا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى طاعة الله . فقالوا : إن فعلنا ذلك فما لنا بما أنت بأكثرنا مالاً ، ولا بأعزنا عشيرة . فقال : إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة ، و إن عصيتم أدخلكم النار . فقالوا : و ما الجنة والنار ؟ فوصف لهم ذلك . فقالوا : متى نصير إلى ذلك . فقال : إذا متمم . فقالوا : رأينا أمواتنا صارت عظاماً و رفاتاً . فازدادوا له تكديباً ، و به استخفافاً . فأحدث تعالى فيهم الأحلام فاتوه فأخبروه بما رأوا . فازدادوا له تكديباً و به استخفافاً . فأحدث تعالى فيهم الأحلام فاتوه فأخبروه بما رأوا و ما أنكروا من ذلك . فقال : إن الله تعالى أراد أن يحتج عليكم بهذا هكذا تكون أرواحكم إذا متمم ، و إذا بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى يبعث الأبدان .

والرابع : « و يثيروا » من (آثار الأرض) .

(١) الاعراف ٧٤

(٢) المائدة ٢٠ ،

(٣) البقرة ٤٠-٤٢

(٤) العنكبوت ١٨

« لهم دفائن العقول » حتى تكون .

« في مرآهم » « قات رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » (١) .

والخامس: « ويروهم » بالضم من الإراءة .

« الآيات » هكذا في المصرية ، والصواب : آيات كما في (حد ، و ثم ، والخطية)

ولأنه مضاف .

« المقدرة » وفي نسخة (ثم) القدرة .

« من سقف فوقهم مرفوع ، و مهاده تحتهن موضوع ، و معايش تحميمهم ، و آجال

تفنيهم » قال تعالى حكاية عن نوح في دعوته قومه « ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم

أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً و جعل القمر فيهن نوراً و جعل

الشمس سراجاً و الله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها و يخرجكم إخراجاً و الله

جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً » (٢) .

« و أوصاب » : أى أوجاع وأمراض .

« تهرمهم » أى تجعلهم هرمين . قال عمرو بن معديكرب :

أشاب الرأس أيام طوال * وهم ما تضمنه الضلوع

و قال الجاحظ : قال أبو عبيدة : قيل لشيخ مرة : ما بقى منك ؟ قال : يسبقنى

من بين يدى ، و يلحقنى من خلفى ، و انسى الحديث ، و أذكر القديم ، و أسن في الملام

و أسهر في الخلاء . إذا قمت قربت الأرض منسى ، و إذا قعدت تباعدت عنسى .

« و أحداث » من الدهر .

« تتابع عليهم » دفعة بعد دفعة . قال أبو الطفيل :

و ما شاب رأسى من سنين تتابعت * على و لكن شيببتنى الوقائع

و قال ابن المعتز :

(١) ابراهيم ١٠

(٢) نوح ١٣-٢٠

قالت كبرت و شبت قلت لها * هذا غبار وقايع الدهر
و قال المحترى :

مازال صرف الدهر يونس صفقتى * حتى رهننت على المشيب شبابى
أيضاً :

فهل الحادثات يابن عويف * تاركاني ولبس هذا البياض
« ولم يخل » من (خلى) .

« سبحانه » هكذا في المصرية ، والصواب : الله سبحانه كما في (حد ، و ثم ،
والخطية) .

« خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة » لا يمكنهم دفعها .
« أو محجة » وهى جادة الطريق .

« قائمة » قال تعالى « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (١) و قال
الصادق عليه السلام : الحجة قبل الخلق ، و مع الخلق ، و بعد الخلق ، و قال ابن بابويه في
قوله تعالى « و إن قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » (٢) بدء - عز -
وجل - بالخليفة قبل الخليفة . فدل ذلك على أن الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة
في الخليفة . فذلك ابتداء به سبحانه لأنه حكيم ، والحكيم من يبدء بالأهم
دون الأعم .

« رسل لا تقصرون بهم قلة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم » قال تعالى « و اتل
عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي و تذكيري بآيات الله فعلى
الله توكلت فأجمعوا أمركم و شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ و
لا تنظرون فإن توليتم فمأسألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله و أمرت أن أكون من
المسلمين فكذبوه فنجيناه و من معه » (٣) « و إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله - إلى -

(١) النساء ١٦٥

(٢) البقرة ٣٠

(٣) يونس ٧١-٧٣

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقه ، ^(١) وقال - عز وجل - حكاية عنه « و تالله لأكيدن أصدنامكم بعد أن تولوا مدبرين فاجعلهم جذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون » ^(٢) قال (حد) قال الراوندي : وكل واحد من الرسل والأئمة عليهم السلام كان يقوم بالأمر ولا يردعه عن ذلك قلة عدد أوليائه ولا كثرة أعدائه . فيقال له : هذا خلاف قولك في الأئمة المعصومين فانك تجيز عليهم التقية و ترك القيام بالأمر إذا كثرت أعدائهم .

قلت : الأئمة عليهم السلام كالأنبياء - صلوات الله عليهم - كانوا يقومون بدعوة غير الجبابرة ، و أما الجبابرة فكانوا قديقومون بدعوتهم ، وقد يتركونهم على حسب المصلحة والقيام الذي قال الراوندي أعم من الخروج بالسيف ، و إلا لخرج أكثر الأنبياء عن ذلك ، و إلا فليس في الأنبياء من يكون مصداقاً لقوله عليه السلام : لا تقصروا بهم قلة عددهم ، ولا كثرة الملكنة بين لهم . مثل إمامنا الثالث أبي عبد الله الحسين عليه السلام فإنه قام بالأمر و قال : لو لم يبق لي في الدنيا ملجأ ما بايعت يزيد ، ولقد جاهد عليه السلام مع اثنين وسبعين نفراً ثلاثين ألفاً و قال بعد إتمام الحجّة عليهم : ألا إنني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد ، و خذلة الأصحاب .

« من سابق سمى له من » (من) للموصول .

« بعده » حتى يأخذ ذلك النبي السابق من أمته العهد للنبي اللاحق . قال تعالى « و إن أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم و أخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقرنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين » ^(٣) « و إن قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إنني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ^(٤) .

(١) العنكبوت ١٦-٢٤

(٢) الانبياء ٥٨

(٣) آل عمران ٨١

(٤) الصف ٦

ج ٢ في أنه يجب على أمة النبي الباقي أن يؤمنوا بنبوة النبي الماضي -٧٩-

« الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » (١).

« أوغابر » : أى باق .

« عرفه » : أى عرفه الله .

« من قبله » : أى النبي الذي كان قبله . فيجب على أمة النبي الباقي أن يؤمنوا بنبوة النبي الماضي . فإنه لا فرق بين أن ينكروا نبوة نبي عصرهم أو نبوة من كان قبله . فالكل من عند واحد « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبليون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٢) « مصداً لما بين يدي » (٣).

قال (حد) قال الراوندى في تفسير قوله ﷺ « من سابق سمى له من بعده أو غابر عرفه من قبله » : كان من أطراف الأنبياء المتقدمين وأوصياءهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصياءهم . فعرفهم الله تعالى ذلك ، وكان لطف المتأخرين وأوصياءهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء . فعرفهم الله تعالى ذلك فتم اللطيف لجميعهم . قال (حد) : ولقائل أن يقول : لو كان ﷺ قال : « أوغابر عرف من قبله » لكان هذا التفسير مطابقاً ، ولكنّه ﷺ لم يقل ذلك ، والصحيح أن المراد به (من) نبي سابق عرف من يأتى بعده من الأنبياء : أى عرفه الله تعالى ذلك أو نبي غابر نص عليه من قبله وبشره كبشارة الأنبياء بمحمد ﷺ .

قلت : إن (حد) توهم أن الفاعل في قوله ﷺ « عرفه من قبله » (من) مع أن الفاعل فيه ضمير (الله) كما في قوله ﷺ (سمى) وأما المعنى الذي ذكره فيلماحصل . فأى معنى لما قاله من أن السابق إما عرف من بعده ، وإما نص على من بعده . ومن الغريب أن من بعده تبعه على وهمه ، وأنه لم يتعرض أحد لدفع تعصباته

(١) الاعراف ١٥٧

(٢) آل عمران ٨٤

(٣) الصف ٦

على الراوندى ، وقد عرفت مما شرحنا أن الفقرتين إشارة إلى الآيات التي قلنا ، وأن المراد بالسابق والغابر أهمهما ، والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم .

٢ ر في ٨٧ ر ١ و لم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم

حجة ربوبيته ، و يصل بينهم و بين معرفته ، بل تعاهدهم بالحجج

على السن الخيرة من انبيائه ، و متحملي و دائع رسالاته قرناً
فقرناً .

« ولم يخلهم » بالتشديد .

« بعد أن قبضه » : أى آدم .

« مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته » فأرسل إليهم رسولاً بعد رسول .

« و يصل بينهم و بين معرفته » فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع

آياتك و نكون من المؤمنين » (١) .

« بل تعاهدهم بالحجج » فلكه الحجة البالغة » (٢) .

« على ألسن الخيرة من أنبيائه » « ثم أرسلنا رسلاً تترى » (٣) .

« و متحملي و دائع رسالاته قرناً قرناً » في إثبات المسعودى - بعد سرد الأنبياء

إلى ملك - : فلما مضى ملك قام نوح بأمر الله تعالى ، وهو أول ذوى العزم من الرسل

وأظهر نبوته ، وأمره الله تعالى بإظهار الدعوة . فأقبل نوح عليه السلام يدعو قومه ، والملك

في بنى راسب و أهل مملكته و عوج بن عناق ، وكان دعائه إياهم في أول أمره سرّ أفلم

يجيبوه . فلم يزل يدعوهم تسعمائة و خمسين سنة كلّما مضى منهم قرن تبعهم قرن على ملة

آبائهم ، و كان الذي آمن به العقب من ولد هبة الله ، والذين كذبوه العقب من ولد

قابيل و عوج بن عناق بنى عمّهم مع كثيرتهم و عظم أمرهم و سلطانهم في الأرض وكانوا

(١) القصص ٤٧

(٢) الانعام ١٤٩

(٣) المؤمنون ٢٢

إذا دعاهم يقولون له : أنؤمن لك واتبعك الأرزلون : يعنون العقب من ولد شيث يعيرونهم بالفقر والفاقة ، وأنه لا مال لهم ، ولا عز ولا سلطان في الأرض ، وكانت شريعة نوح التوحيد وخلع الأنداد ، والفطرة ، والصيام ، والصلوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - إلى أن قال في قيام سام بعده - فأمن به شيعة نوح ، وأقام ولد قابيل ، و عوج بن عناق على كفرهم وطغيانهم ، و خالف حام ويافت على أخيهما سام ولم يؤمنا به ، و قام بعده أرفخشذ بن سام ، وفي زمانه ملك آفريدون ، وهو ذوالقرنين ، و كان من قصته أن الله تعالى بعثه إلى قومه . فدعاهم إلى الله . فكذبوه و جحدوا نبوته . ثم أخذوه ف ضربوه على قرنه الأيمن فأماته الله مائة عام . ثم أحياه فبعثه ف جحدوا نبوته ، و ضربوا على قرنه الأيسر - إلى أن قال - و روى أن الخضر بن أرفخشذ بن سام بن نوح كان على مقدمته - إلخ -

٣ ر في ٩٠ ر ١ منها في وصف الانبياء . فاستودعهم في

أفضل مستودع ، و أفرهم في خير مستقر . تناسختهم كرائم الأصلاب
إلى مطهرات الأرحام ، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله
خلف .

قول المصنف : « منها في وصف الأنبياء » هكذا في المصرية ، وليس في (حد ، وثم ، وخو ، والخطية) إلا كلمة (منها) فلا بد أن جملة (في وصف الأنبياء) كانت حاشية خلطت بالمتن في أصل المصرية .

قوله ﷺ « فاستودعهم » الضمير راجع إلى الرسل .

« في أفضل مستودع » : أى من الأصلاب .

« و أفرهم في خير مستقر » : أى من الأرحام . قال تعالى « وهو الذى أنشأكم

من نفس واحدة فمستقرٌ ومستودعٌ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون» (١).

« تناسختهم » : أى بدلتهم .

« كرائم الأصاب » من صلب إلى صلب .

إلى مطهرات الأرحام » من رحم إلى رحم . روى أن النبي ﷺ قرء قوله

تعالى « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال » (٢) فقيل له : أى بيوت هذه . فقال : بيوت الأنبياء . قال الصدوق في اعتقاداته : اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من لدن آدم إلى أبيه ، وقال النبي ﷺ : أخرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم .

وأما (آزر) ففي الإثبات روى عن العالم ﷺ أنه كان جد إبراهيم ﷺ لأمه

وكان أبو إبراهيم توفى وهو طفل ، وبقيت أمه . فبينما قومه يعملون الأصنام إذ أخذ إبراهيم خشبة وأخذ الفاس ، ونجر منها صنماً لم يروا مثله قط ، فقال آزر لأم إبراهيم إني لأرجو أن أصيب خيراً كثيراً بركة ابنك هذا . فأخذ إبراهيم الفاس فكسر الصنم فأنكر ذلك آزر عليه . فقال له إبراهيم ﷺ : وما تصنعون به . قال : نعبده . قال إبراهيم ﷺ : أتعبدون ما تنحتون بأيديكم .

« كلما مضى » : أى مات .

« منهم » هكذا في المصرية ، والكلمة زائدة لعدم وجودها في (حد ، و ثم ،

والخطبة) .

« سلف قام منهم بدين الله خلف » يدعو الناس إلى ربهم وعبادته ، و في الإثبات

لمّا حضرت وفاة إبراهيم ﷺ أمره الله أن يستودع نور الله وحكمته ، ومواريث الأنبياء ﷺ إسماعيل ابنه . فدعاه وأوصى إليه وسلّم إليه جميع ما كان في يده . فقام إسماعيل بالنبوة والأمر مقامه . ولم يزل يدبّر الله تعالى ، وهو أبو العرب فلمّا حضرت وفاته أو حى إليه أن يستودع ما استودع أخاه إسحاق .

و روى أنه كان شريكه في الوصية ، و تقدمه إسماعيل بالسن . إلى أن قال :
 إن يوسف قال لبنى إسرائيل : إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ، و يفرج الله عنكم
 برجل من ولد لاوى اسمه موسى بن عمران ، ولن يظهر حتى يخرج قبله سبعون كذاً أباً
 فروى أنه كان إذا ولد في بنى إسرائيل ولد يسمى عمران . ثم يأتي لعمران ولد يسمى
 موسى - يتعرون بذلك لقيام قائمهم موسى ﷺ - .

قلت : هو نظير أنه لما أخبر النبي ﷺ و أمير المؤمنين ﷺ بقيام قائم آل
 محمد ﷺ الملقب بالمهدي تصدى جمع من الطالبين لذلك ، و تسموا بالمهدي كالمقرب
 بالنفس الزكية ، و غيره .

وقال بعد ذكر شعيب : كان شعيب من ولد نابت بن إبراهيم ، وكان من قصته أن
 الله تعالى بعثه إلى قومه نبياً حين كبرت سنه ، فدعاهم إلى التوحيد و الإقرار بالطاعة .
 فلم يجيبوه . فغاب عنهم ما شاء الله . ثم عاد إليهم شاباً . فدعاهم . فقالوا : ما صدقتك
 شيخاً فكيف نصدقك شاباً ؟ فروى أن أمير المؤمنين ﷺ كان يعيد ذكر هذا الحديث
 و يكرره ، و يتمثل به كثيراً - إلى أن قال بعد ذكر موسى ﷺ ثم يوشع - و خرج
 يوشع و جمع أولاد بنى إسرائيل الذين ولدوا في التيه معه ، وهم لا يعرفون الجبارين ،
 ولا العمالقة ، ولا يمتنعون من قتالهم ، و فتح بيت المقدس ، و جميع مدائن الشام حتى
 انتهى إلى البلقاء ، فجعلوا يخرجون و يقاتلون ، ولا يقتل منهم أحد . فسأل يوشع من
 ذلك . ف قيل له : إن في مدينته امرأة كاهنة تدعى أنها منجمة تستقبل الشمس بفرجها
 ثم تحسب و تعرض عليها الخيل و الرجال ، ولا يخرج يومئذ إلى الحرب رجل قد حضر
 أجله فصلى يوشع ﷺ ركعتين ، و دعا ربه أن يحبس الشمس عنهم ساعة فأجابه ،
 و أخبرت الشمس ، فخرجت فاختلط عليها حسابها . فقالت لباقي ملكهم : انظر ما يعرض
 عليك يوشع . فاعطه . فإن حسابي قد اختلط على .

١٤٠ ر ١٤٠ و من كلام له ﷺ : بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه

و جعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحججة لهم بترك الأعدار إليهم .

فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ اللهُ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً
لَا أَتَاهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَّصُونِ أَسْرَارِهِمْ ، وَ مَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ، وَ
لَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . فَيَكُونُ الْغَوَابُ جَزَاءً ، وَ الْعِقَابُ
بِوَاءً .

قول المصنف « و من كلام له عليه السلام » هكذا في المصرية ، والصواب : و من خطبة
له عليه السلام كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

قوله عليه السلام : « بعث الله رسله » هكذا في المصرية ، والصواب (بعث رسله) كما
في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« بما خصهم به من وحيه » من آدم إلى الخاتم قال تعالى « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
ويعقوب والأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آدِينَ دَاوُدَ
زبوراً » (١) .

« وجعلهم حجة له على خلقه » ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم
بالبينات » (٢) .

« لئلا تجب الحجّة لهم بترك الأعداء إليهم » قال تعالى « وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا
خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (٣) « ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم
الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسال » (٤) .

(١) النساء ١٦٣

(٢) الروم ٤٧

(٣) فاطر ٢٤

(٤) النساء ١٦٤

« فدعاهم » : أى الله .

« بلسان الصدق إلى سبيل الحق » « و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه »^(١) « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »^(٢) .

« ألا إن الله كشف الخلق كشفة » يبعث الرسل فيهم حتى يظهر أمرهم للعالم .
« لا أنه » تعالى .

« جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ، و مكنون ضمائرهم » فعلمه يبعث رسله
« هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنته في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم
هو أعلم بمن اتقى »^(٣) .

« ولكن » بعث رسله .

« ليلوهم » : أى يمتحنهم .

« أيهم أحسن عملاً فيكون الثواب » : أى الجزاء الحسن لمن آمن وأطاع .
« جزاء » لعمله « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان »^(٤) .

« والعقاب » و هو ما يعقبه العمل السوء .

« بواء » : أى مطابقاً مساوياً لعمله ، قالت ليلي الأخيلية في مقتل توبة :

فإن تكن القتلى بواء فإنيكم * فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
قال تعالى « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى »^(٥) .

٥ ر ١٧٨ و من خطبة له عليه السلام : الحمد لله المعروف من

(١) البقرة ٢١٣

(٢) الحديد ٢٥

(٣) النجم ٣٢

(٤) الرحمن ٦٠

(٥) النجم ٣١

غَيْرِ رُؤْيَةٍ . الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصِبَةٍ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ
 الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَ سَادَ الْعِظَمَاءَ بِجُودِهِ ، وَ هُوَ الَّذِي اسْكَنَ الدُّنْيَا
 خَلْقَهُ ، وَ بَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَاءِهَا ،
 وَ لِيَحْذَرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا ، وَ لِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَ لِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ
 بِمَعْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِحِهَا وَ أَسْقَامِهَا ، وَ لِيَبْصُرُوهُمْ عِيُوبَهَا وَ
 حَلَالِهَا وَ حَرَامِهَا ، وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ
 مِنْ جَنَّةٍ وَ نَارٍ ، وَ كَرَامَةٍ وَ هَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ
 إِلَى خَلْقِهِ ، وَ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجْلًا ، وَ لِكُلِّ
 أَجَلٍ كِتَابًا .

« الحمد لله المعروف من غير رؤية » « قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي
 أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١) .

« الخالق من غير منصبه » : أى مشقة و تعب . قال تعالى « ولقد خلقنا السماوات
 والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » (٢) .

هذا . وفى ١٨٤٦ : الحمد لله المعروف من غير رؤية ، و الخالق من غير رؤية ، و
 كل منها صحيح . فيخلق - عز وجل - بدون تفكر كما يخلق بدون تعب بخلاف
 البشر . فلا يعمل شيئاً إلا بتفكر وروية ويحصل له التعب والمنصبه .

« خلق الخلائق بقدرته » « إننا كل شيء خلقناه بقدر » (١) .
 « واستعبد الأرباب بعزته » « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى
 الرحمن عبداً » (٢) .

« وساد العظماء بجوده » « ويؤت كل ذى فضل فضله » (٣) .
 « وهو الذى أسكن الدنيا خلقه » بعد هبوط آدم من الجنة « ولكم في الأرض
 مستقر ومتاع إلى حين » (٤) .

« وبعث إلى الجن والإنس رسله » « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل
 منكم يقصّون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا » (٥) .
 « ليكشفوا لهم عن غطاءها » : أى حجابها .

« وليحذروهم من ضرائبها » كما حكى - عز وجل - عن نوح عليه السلام في قوله لقومه
 « والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً » (٦) وعن صالح عليه السلام
 في قوله لقومه « أتتركون في ما هيئنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم
 وتنتحون من الجبال بيوتاً فارهين » (٧) .

« وليضربوا لهم أمثالها » كقوله تعالى على لسان نبينا صلى الله عليه وآله « يا أيها الناس إننا
 بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلینا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » (٨)
 « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هميماً
 تذروه الرياح » (٩) « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت

(١) القمر ٤٩

(٢) مريم ٩٣

(٣) هود ٣

(٤) البقرة ٤٢

(٥) الانعام ١٣٠

(٦) نوح ١٧

(٧) الشعراء ١٤٦ - ١٤٩

(٨) يونس ٢٣

(٩) الكهف ٤٥ .

بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون،^(١) «مثلهم كممثل الذي استوقد ناراً فلما أضائت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير»^(٢) «ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين»^(٣).

«وليهمجوا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحبها وأسقامها، وليبصروهم عيوبها وحلالها وحرامها» هكذا في المصرية، وقد وقع فيها تقديم وتأخير فني (حد، وثم، وخو، والخطية) وليبصروهم عيوبها، وليهمجوا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحبها وأسقامها، وحلالها وحرامها. فيعلم أن النهج كان كذلك لكن لا يبعد وقوع تصحيف فيه. فإن عطف (وحلالها وحرامها) على (مصاحبها وأسقامها) كما فهمه (حد، وثم، وخو) خلاف البلاغة، ومشمئ على التكلف.

والظاهر كون (وحلالها وحرامها) محرف (وحياتها وحماتها) لقربهما لفظاً وخطاً، وعليه فالعنى في كمال المناسبة ويكون المراد أن أسباب العبر وإن كانت في الدنيا كثيرة إلا أن أهل الدنيا لحرصهم عليها، وحببهم لها غافلون عنها كما قال عليه السلام في موضع آخر «ما أكثر العبر وأقل الاعتبار» فبعث الله رسله ليبصروهم عيوب الدنيا، وينبئهم على كثرة العبر في وقائعها حتى كأن العبر هاجمة عليهم.

«وما أعد الله» هكذا في المصرية والصواب: وما أعد الله سبحانه كما في (حد، وثم، وخو، والخطية) ثم إن (حد) احتمال كونه عطفاً على (عيوبها) وهو باطل فكيف أمكن

(١) العنكبوت ٤١ .

(٢) البقرة ١٧-٢٠ .

(٣) التحريم ١١ .

ذلك مع فصل (وليهجموا) بينهما ولعلمه جعله من قبيل قول أهل نحلته في قوله تعالى « وأرجلكم » بعطفه على « وجوهكم » مع فصل « و امسحوا » بينهما تصحيحاً لذهابهم السخيف مع أنه خلاف تكلم العقلاء ، ومن الغريب أن (خو) تبعه في احتمال له .

» للمطيعين منهم والعصاة منهم .

» من جنّة للمطيعين .

» ونار » للعاصين .

» وكرامة » للأولين .

« وهوان » للآخرين . قال تعالى «ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً»^(١)

» ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً »^(٢) .

هذا ، وفي تجريد المحقق الطوسي - رحمه الله - في فوائد بعثة الأنبياء : كمعاودة العقل في ما يدلّ عليه ، واستفادة الحكم في ما لا يدلّ عليه ، وإزالة الخوف ، واستفادة الحسن والقبح ، والمنافع والمضار ، وحفظ النوع الإنساني ، وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة ، وتعليمهم الصنائع الخفية ، والأخلاق والسياسات ، والأخبار بالثواب والعقاب .

« أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه » رجع ﷺ إلى أوّل كلامه في حمده

تعالى ، وإنّما ذكر ﷺ فوائد بعثة الرسل لأنّها أيضاً من موجبات حمده .

« وجعل لكلّ شيء قدراً » : أي مقداراً معيناً . قال تعالى « إنّا كلّ شيء خلقناه

بقدر »^(٣) « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنّا على ذهاب به

لقادرون »^(٤) « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء

إنّه بعباده خبير بصير »^(٥) « وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم »^(٦)

(١) الاحزاب ٧١

(٢) الاحزاب ٣٦

(٣) القمر ٤٩ .

(٤) المؤمنون ١٨ .

(٥) الشورى ٢٧ .

(٦) الحجر ٢١ .

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد و كل شيء عنده بمقدار » (١) .

« ولكل قدر أجلا » ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده » (٢) .

« ولكل أجل كتاباً » و « كل شيء أحصيناه كتاباً » (٣) و « ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » (٤) .

٦ ر في ١٨٧ فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه ، و أوليائه ، و لكنه كره إليهم التكابر ، و رضى لهم التواضع . فالصقوا بالأرض خدودهم ، و عفروا في التراب و جوههم ، و خفضوا اجنحتهم للمؤمنين ، و كانوا أقواماً مستضعفين ، و قد اختبرهم الله بالمخمصة ، و ابتلاهم بالمجهد ، و امتحنهم بالمخاوف ، و محصهم بالمكاره . فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد . جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى و الاقتدار ، و قد قال سبحانه : **ايحسبون انما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** فان الله سبحانه

(١) الرعد ٨ .

(٢) الانعام ٢ .

(٣) النبأ ٢٩ .

(٤) آل عمران ١٤٥ .

يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ
وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعَصَى، فَشَرَطَا
لَهُ أَنْ أَسْلِمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ. فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَٰذَيْنِ
بِشَرَطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ
الْفَقْرِ وَالذُّلِّ. فَهَلَّا أَلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ. اعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَ
جَمْعَهُ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَنُبْسَهُ، وَتَوَارَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ
حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كَنْوَزَ الذَّهَبِ، وَمَعَادِنَ الْعَقِيَانِ، وَ
مَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ، وَوَحُوشَ الْأَرْضِ
لِفِعْلِهِ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبِلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ
وَلَمَّا وَجِبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ
الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ
رِسْلَهُ أَوْلَى قُوَّةٍ فِي عِزَائِهِمْ، وَضَعْفَةً فِي مَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ
مَعَ قِنَاعَةِ تَمَلُّ الْقُلُوبِ وَالْعَيُونَ غِنَى، وَ خِصَاصَةَ تَمَلُّ الْأَبْصَارِ
وَالْأَسْمَاعِ أَدَى، وَ لَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَ عِزَّةٍ لَا
تُضَامُ، وَ مُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَ تَشُدُّ إِلَيْهِ عَقَدُ الرِّجَالِ

لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْأَعْتِبَارِ ، وَ أَبَعَدَ لَهُمْ فِي الْأَسْتِكْبَارِ
وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةِ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ
مُشْتَرَكَةً ، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ
لِرُسُلِهِ ، وَالتَّصَدِيقُ لِكُتُبِهِ ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ،
وَالْإِسْتِسْلَامُ لِعَطَايَاهُ مُؤَرًّا لَهُ خَاصَّةً لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ .

«فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه»
لأن الكبر يكون عن كونه ذاكامل ، ولاكمال أكمل من كمالهم ، وأما أهل الدنيا
فناقصون من جهات ، وإن كان فيهم بعض الكمالات .

«ولكن الله سبحانه كرم إليهم التكابر» مع مقامهم ذاك وقربهم من مالك
السموات والأرض ، وفي الخبر مرت امرئة بالنبي ﷺ فقالت له : إنك تجلس
جلسة العبيد . فقال : أي عبد أعبد مني .

«ورضى لهم التواضع» في الخبر هبط على النبي ﷺ مع جبرئيل ملك لم يطأ
الأرض قط ، ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول :
إن هذه مفاتيح خزائن الأرض . فإن شئت فكن نبياً عبداً وإن شئت فكن نبياً ملكاً
فأشار إليه جبرئيل بالتواضع . فقال : بل أكون نبياً عبداً ، وفي الكافي عن عيسى عليه السلام
قال للحواريين : لى إليكم حاجة اقضوها لي قالوا : مقضية ياروح الله . فقبل عيسى عليه السلام
أقدامهم . فقالوا : نحن أحق بهذا ياروح الله . فقال : إن أحق الناس بالخدمة العالم
إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدى في الناس كتواضعي لكم . ثم قال عليه السلام :
بالتواضع تعمر الحكمة لابتكبر ، وكذلك في السهل ينبت الزرع لافي الجبل .

«فالصقوا بالأرض خدودهم» في السجود له تعالى ، وعن الصادق عليه السلام أوحى الله
تعالى إلى موسى عليه السلام أتدرى لم اصطفيتك بوحيي وبكلامي دون خلقى . قال : لا .

فقال : إنني اطلمعت إلى خلقى اطلاعاً فلم أجد في خلقى أشدّ تواضعاً لى منك ، و كان موسى عليه السلام إذا صلى لم ينقل حتى يلقى خده الأيمن والأيسر بالأرض .
« وعفروا » : أي مرغوا .

« في التراب وجوههم » وهى أشرف أعضاء جسدهم .

« وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين » والأصل فيه قوله تعالى « و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »^(١) و يعبر في الفارسية عن خفض الجناح بقولهم (شكسته بالى) .
« و كانوا أقواماً مستضعفين » الجملة حال عن المؤمنين : أي مع كون المؤمنين قوماً مستضعفين خفضوا الجناح لهم ، و كان شرفاء الكفار يسمون أولئك المؤمنين بالأنبياء أراذلهم ، و كانوا متأذين من تقرب الأنبياء لهم ، و يطلبون منهم طردهم حتى قال لهم نوح كما حكى الله تعالى عنه «وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكننى أراكم قوماً تجهلون وياقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إننى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إننى إنى لمن الظالمين »^(٢)
وقال تعالى لنبينا عليه السلام «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين و كذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين »^(٣) .

وفي أسباب نزول الواحدى عن خباب بن الأرت قال : فينا نزلت آية (ولا تطرد) كننا ضعفاء عند النبي صلى الله عليه وآله بالغداة والعشى يعلمنا القرآن والخير ، و كان يخوفنا بالجنة والنار ، وما ينفعنا والموت والبعث . فجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فقالا : إننا من أشرف قومنا، وإننا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك

(١) الشعراء ٢١٥ .

(٢) هود ٣١ .

(٣) الانعام ٥٢ .

قال : نعم . قالوا : لانرضى حتى تكتب بيننا كتاباً . فأتى بأديم ودواة . فنزلت الآيات ، عن عكرمة جاء عتبة ، وشيبة ، ومطعم بن عدى ، والحريث بن نوفل في أشرف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب : فقالوا : لو أن ابن أخيك يطرد عنه مواليها وعبيدنا وعسقاء ناكح أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له . فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه . فقال عمر للنبي ﷺ : لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون ، وإلى م يصيرون من قولهم . فانزل تعالى هذه الآية فلما نزلت أقبل عمر يعتذر من مقالته .

وفيه أيضاً في قوله تعالى « وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » (١) . قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله - عز وجل - نبيه ﷺ عن طردهم . فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدعهم بالسلام ، وقال : الحمد لله الذين جعل في أمتى من أمرى أن أبدءهم بالسلام .

« وقد » هكذا في المصرية ، والصواب (قد) بدون عاطف كما في (حد ، وثم

والخطية)

« اختبرهم الله : أي امتحنهم

« بالخمصة » : أي المجاعة ، وفي الكافي عن الصادق ﷺ دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبياً أماتهم الله جوعاً وضراً .

« وابتلاهم بالمجهد » : أي المشقة .

« وامتحنهم بالمخاوف » جمع المخوف « وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من

أرضنا أولتعودن في ملتنا » (٢) « وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن » (٣) .

« ومحصهم » : أي ابتلاهم .

« بالملكاه » جمع المكروه . قال تعالى « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا

(١) الانعام ٥٤

(٢) ابراهيم ١٣

(٣) الحجر ١١

بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب» (١) .
 «فلا تعتبروا الرضا والسخط» : أى لا تجعلوا معيار رضى الله و غضبه .
 « بالمال والولد » فتحكموا بأن من كان زامال و ولد فإله راض عنه ، ومن لم
 يكن فإله ساخط عليه .

« جهلا » مفعول له لقوله (فلا تعتبروا) .

« بمواقع » : أى مواضع .

« الفتنة والاختبار » أى الامتحان . قال تعالى « إنما أموالكم و أولادكم
 فتنة » (٢) .

« في مواضع الغنى والافتقار » هكذا في المصرية ، و الصواب (و الاقتار) :
 أى الفقر .

« وقد » هكذا في المصرية ، و الصواب (فقد) كما في (حد ، وثم ، و الخطية) .

« قال سبحانه : أيعسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات
 بل لا يشعرون » والآية في سورة المؤمنین كما أن طول العمر ، و حصول الحوائج أيضاً
 ليسا بدليلين على حسن صاحبهما . قال تعالى « و لا يحسبن الذين كفروا أنما نملى
 لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين » (٣) و قال - عز
 وجل - « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما
 أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (٤) .

« فإن الله سبحانه يختبر » : أى يمتحن .

« عباده المستكبرين في أنفسهم » : أى عند أنفسهم و إن لم يكونوا كبيرين في
 ميزان الإنسانية .

(١) غافر ٥

(٢) الثعابين ١٥

(٣) آل عمران ١٧٨

(٤) الانعام ٤٤

« بأوليائه المستضعفين في أعينهم » وإن كانوا قويمين من حيث الديانة . قال تعالى « وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » (١) قال القمى في تفسيره : كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون أهل الصفة لأن النبي ﷺ أمرهم أن يكونوا في صفة يأوون إليها ، وكان النبي ﷺ يتعاهدهم بنفسه ، وربما حمل إليهم ما يأكلون ، وكانوا يختلفون إليه ﷺ فيقر بهم ويقعد معهم ويونسهم ، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ويقولون له : اطردهم عنك . فجاء يوماً رجل من الأنصار إليه ، وعنده رجل من أصحاب الصفة وقد لصق بالنبي ﷺ والنبي ﷺ يحدته فقعداً نصارى بالبعد منهما . فقال له النبي ﷺ تقدم فلم يفعل . فقال ﷺ له : لعلك خفت أن يلزق فقره بك - الخبر - وفيه كان ابن أم مكتوم مؤذن النبي ﷺ وكان أعمى فجاء إليه وعنده أصحابه ، و عثمان عنده . فقدّمه النبي ﷺ على عثمان . فعبس عثمان وجهه ، وتولى . فأنزل تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » (٢) الآيات .

وعن تفسير العياشي عن الأصمغ قال : بيننا على ﷺ يخطب إذ جاء الأشعث فتخطى رقاب الناس ، وقال له ﷺ : حالت هؤلاء بيني وبين وجهك . فقال على ﷺ : مالي وللضياطرة اطردهم قوماً يغدون أول النهار يطلبون رزق الله و آخر النهار يطلبون ذكر الله فأطردهم . فأكون من الظالمين .

« ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام على فرعون » في تفسير القمى عن محمد بن مسلم قلت لأبي جعفر ﷺ : أهارون كان أخا موسى لأبيه و أمه ؟ قال : نعم يقول تعالى « يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي » (٣) . قلت : فأيتهما أكبر سنناً . قال : هارون . قلت : وكان الوحي ينزل عليهما جميعاً . قال : كان الوحي

(١) الانعام ٥٣

(٢) عبس ٢

(٣) طه ٩٤

ينزل على موسى ، و موسى يوحيه إلى هارون فقلت : الأحكام والقضاء ، والأمر والنهي كان إليهما . قال : كان موسى الذي يناجى ربه ، و هارون يكتب العلم ، و يقضى بين بنى إسرائيل و يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة . قلت : فأيتهما مات قبل صاحبه . قال : هارون و ماتا جميعا في التيه . قلت : فكان لموسى عليه السلام ولد قال : لا كان الولد والذرية لهارون - الخمر -

و فيه أيضاً عن الصادق عليه السلام لما بعث الله تعالى موسى إلى فرعون فأتى بابه فاستأذن عليه . فلم يؤذن له . فضرب بعصاه الباب فاصطككت الأبواب مفتوحة . ثم دخل على فرعون . فأخبره أنه رسول الله ، و سأله أن يرسل معه بنى إسرائيل .

« و عليهما مدارع الصوف » في الكافي عن الحسين بن كثير الخزاز رأيت أبا عبد الله عليه السلام ، و عليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه ، و فوقها جبة صوف ، و فوقها قميص غليظ فمستتها . فقلت : جعلت فداك إن الناس يكرهون لباس الصوف . فقال : كلاً كان أبا عليه السلام يلبسها ، و كان علي بن الحسين عليه السلام يلبسها ، و كانوا يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا إلى الصلاة ، و نحن نفعل ذلك .

« و بأيديهما العصي » في غيبة النعماني عن الصادق عليه السلام عصى موسى عليه السلام قضيب آس من غرس الجنة أتاه بها جبرئيل لما توجه تلقاء مدين ، و هى و تابوت آدم في بحيرة طبرية ، و لن يلبيا ، و لن يتغيرا حتى يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام .

و في المناقب سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن شيء شرب وهو حى ، و أكل وهو ميت . فقال عليه السلام : ذلك عصى موسى شربت و هو في شجرتها غضة ، و أكلت لما التفت حبال السحرة و عصيتهم .

و في الخصال عنه عليه السلام سأله الشامي عن ستة لم يركضوا في رحم . فقال عليه السلام : آدم و حوا ، و كبش إبراهيم عليه السلام ، و عصى موسى عليه السلام ، و ناقة صالح ، و الخفاش الذي عمله عيسى عليه السلام ، فطار باذن الله .

« فشرط له إن أسلم بقاء ملكه و دوام عزه » « انه هب إلى فرعون إنه طغى فقولا

له قولاً لَيْسَ لَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، (١) .

« فقال : ألا تعجبون من هذين » قالوا الإشارة في مثله للتحقير .

« يشرطان لى دوام العزِّ و بقاء الملك و هما بما ترون من حال الفقر والذلّ »

« ثم أرسلنا موسى و أخاه هارون بآياتنا و سلطان مبين إلى فرعون و ملاءه فاستكبروا و كانوا قوماً عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا و قومهما لنا عابدون فكذبواهما فكانوا من المهلكين » (٢) .

« فهلاً ألقى عليهما أساور » في الصحاح : السوار : سوار الطرئة ، والجمع :

أسورة ، و جمع الجمع : أساوره ، و قرىء « فلو لا ألقى عليه أساوره من ذهب » و قد يكون جمع أساور كقوله تعالى « يحلكون فيها من أساور من ذهب » (٣) و قال ابو عمرو ابن العلاء : واحدها أسوار .

« من ذهب إعظاماً للذهب و جمعه » وورد أن أول ما ضربت السكة على الذهب

قبله الشيطان ، و قال : كم أضل بك .

« و احتقاراً للصوف و لبسه » قال (حد) في الخبر أن أول لباس لبسه آدم طياً

هبط إلى الأرض صوف كبش قبضه الله له ، وأمره أن يذبحه . فيأكل لحمه ، ويلبس صوفه

لأنه أهبط عرياناً من الجنة فذبحه ، و غزلت حواء صوفه . فلبس آدم منه ثوباً ، و

ألبس حواء ثوباً آخر . فلذلك صار شعار الأولياء ، و انتسبت إليه الصوفية .

قلت : أما ما قاله من انتساب الصوفية إليه . فقد قيل بالفارسية :

نقد صوفى نه همه صافى و بيغش باشد

أى بسا خرقة كه مستوجب آتش باشد

« ولو أراد سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان » الذهبان :

جمع الذهب ، و نقل الكلام (ولو أراد سبحانه) . إلى آخر العنوان حجج الكافي في

(١) طه ٤٤

(٢) المؤمنون ٤٥

(٣) الكهف ٣١

[باب ابتلاء الخلق بالكعبة] مع اختلاف يسير قائلًا : وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له : ولو أراد الله جل ثناؤه بأنبيائه - إلخ -

« و معادن العقيان » قيل . العقيان هو ذهب ينبت ، ولا يحصل من الحجارة .

« و مغارس الجنان » قيل : إنّه إشارة إلى ما اقترحه الكفار في نبيّنا عليه السلام بقولهم « أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها » (١) .

« و أن يحشر معهم طير السماء ، و وحوش الأرض » و في اقتراح الكفار بدله « لو لا أنزل عليه ملك » (٢) .

« لفعل » لقدرته على كل شيء لكنّه تعالى لا يفعل ما ليس بحكمة « ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السماوات و الأرض » (٣) كما أن السلاطين لا يفعلون إلا ما تقتضيه السياسة لاماتها واه السوقة ، وقد أشار عليه السلام إلى مفاصد فتح ما ذكر لهم ، و حشر ما سطر معهم بقوله :

« ولو فعل لسقط البلاء » اللام فيه للعهد الذكري : أي البلاء و الابتلاء المفهوم من قوله عليه السلام قبل « فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين » - إلخ -

« و بطل الجزاء » اللام فيه للعهد الذهني : أي الجزاء المعهود في الشرائع للمطيعين

و العاصين .

« و اضمحلت الأنباء » و في الكافي : و اضمحل الابتلاء . قال (حد) : الأنباء جمع نبأ و هو الخبر : أي لسقط الوعد و الوعيد و بطلا . قلت : و يحتمل أن يكون الإنباء بكسر الهمزة مصدر أنبأ ، والمراد إرسال الأنبياء بكون الصواب ما في الكافي بلفظ : و اضمحلت .

« و لما » بتخفيف الميم لأنّه لام الابتداء و ما النافية .

« و جب للقابلين » : أي قابلي نبوة الأنبياء .

(١) الفرقان ٨

(٢) الانعام ٨

(٣) المؤمنون ٧١

« أجور المطبتلين » بفتح اللام جمع المطبلي : أى الممتحنين .

« ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين » و في الكافي : ولا لحق المؤمنين ثواب المحسنين ، وإنما كانوا غير مستحقين لثواب لأنهم في إيمانهم ما فعلوا شيئاً فإلما فاقون أيضاً يؤمنون بنبي كذا .

« ولا لزمت الأسماء معانيها » و في الكافي هكذا : ولا لزمت الأسماء أهلها على معنى مبين ، و لذلك لو أنزل الله من السماء آية لظلت أعناقهم لها خاضعين ، ولو فعل لسقط البلوى عن الناس أجمعين . قال (ثم) : روى بنصب الأسماء ، و في نسخة الرضى - رحمه الله - برفع الأسماء ، والمعنى : أنه لم تكن المعاني لازمة للأسماء في من سمى بها مثلاً من سمى مؤمناً لا يكون معنى الإيمان الحق لازماً لاسمه فيه إن كان إيمانه بلسانه فقط عن رغبة أو رهبة ، و قال (حد) : أى من سمى مؤمناً ليس بمؤمن إيماناً من فعله بل يكون ملجأ إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات العظيمة . و ما ذكره (حد) أقرب و يشهد له زيادة الكافي المتقدمة . فيكون المراد أنه لو كان الأمر كذلك لصار الناس جميعهم في الدنيا مؤمنين كأهل الآخرة حيث يرون آيات الله عياناً فلا يكون لهم مجال للإنكار كما لا يكون لأحد مع وجود الشمس مجال للإنكار النهار .

« ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوة في عزائمهم » وكون أولى العزم من الرسل منحصراً بخمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، و محمد - صلى الله عليه وآله - لا ينافي كلامه عليه السلام في كون كلهم أولى قوة في عزائمهم لأن جميعهم كانوا أولى عزم في دعوة الناس إلى ربهم وأولئك كانوا أولى عزم خاص في ذلك بحيث كانت أوقاتهم مستغرقة في الدعوة . قال نوح « رب إنني دعوت قومي ليلاً و نهاراً » (١) ، و روى الكافي عن الصادق عليه السلام أنهم صاروا أولى العزم لأن نوحاً بعث بكتاب و شريعة ، و كل من جاء بعده أخذ بكتابه و شريعته حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرة به ، و كل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعته و بالصحف

حتى جاء موسى عليه السلام بالتوراة وبشريعة وبعزيمة ترك الصحف ، وكل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وبشريعته حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ، وكل نبي جاء بعد المسيح عليه السلام أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمد عليه السلام فجاء بالقرآن وبشريعة ، وحلاله حلال إلى يوم القيامة .

و في تفسير القمي معنى أولى العزم أنهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله ، وبكل نبي كان قبلهم أو بعدهم ، وعزموا على الصبر على التكذيب لهم والأذى ، وتوهم (خو) المنافاة بين كلامه عليه السلام وكون أولى العزم خمسة . فقال : قال بعض المفسرين في قوله تعالى « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » ^(١) : إن (من) في (من الرسل) للتيبين ، وأن كل الرسل أولو العزم ، وهو كما ترى كخرق الإجماع ، وكيف كان فيشهد لقوله عليه السلام من كون جميعهم أولى قوة في عزائمهم أن يوسف عليه السلام في السجن كان يدعو الناس إليه تعالى . فقال لصاحبي سجنه : « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان » ^(٢) وأن يعقوب عليه السلام حتى في احتضاره كان يدعو إليه تعالى قال سبحانه « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » ^(٣) .

« و ضعفة في ما ترى الآعين من حالانهم » قال تعالى حكاية عن قوم شعيب له « ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا » ^(٤) .

« مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى » أصل الغني غنى القلب والعين ، وليس غناهما إلا بالقناعة ، و أما الحريص فقلبه وعينه مشحونان من الفقر ، وإن كان ذا ثروة ووفرة . قال سليمان عليه السلام لرسول بلقيس ملكة يمن « بل أنتم بهديتمكم تفرحون » ^(٥)

(١) الاحقاف ٣٥

(٢) يوسف ٤٠

(٣) البقرة ١٣٣

(٤) هود ٩١

(٥) النمل ٢٦

ولما قالت قريش للنبي ﷺ : دع دعوتك نغنيك و نملكك علينا . قال لهم : لو كنتم تقدرون على أن تجعلوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ما تركت طريقي . هذا ، و في تفسير القمي - في غزوة الخندق - فبينما المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل فيه المعاول . فبعثوا جابراً الأنصاري إلى النبي ﷺ يعلمه فجاء إليه والنبي ﷺ مستلق على قفاه ، و رداءه تحت رأسه ، و قد شد على بطنه حجرأ . قال : فلما رأيت الحجر على بطنه علمت أنه جائع . فقلت له : هل لك في الغداء . قال : ما عندك ؟ قلت : عناق وصاع من شعير . فقال : تقدم وأصلح ما عندك . فجمت إلى أهلي فأمرتها فطحنتم الشعير ، و ذبحت العنز ، و سلختها و أمرتها أن تخمبز و تطبخ و تشوي فلما فرغت جمت إلى النبي ﷺ فقلت : بأبي أنت و أمي احضر مع من أحببت . فقام إلي شفير الخندق ثم قال : معاشر المهاجرين والأنصار اجيبوا جابراً - و كان في الخندق سبعمائة رجل - فخرجوا كلهم ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال : اجيبوا جابراً قال : فتقدمت إلى أهلي و قلت : قد والله أتاك النبي ﷺ بما لا قبل لك به فقالت : ما علمته ما عندنا ؟ قلت : نعم قالت : فهو أعلم بما أتى فدخل النبي ﷺ فنظر في القدر . ثم قال : اغرفي و أبقى ثم نظر في التنور ثم قال : اخرجي و أبقى . ثم دعا بصحيفة فترد فيها و غرف . فقال : يا جابر أدخل علي عشرة عشرة . فأدخلت عشرة . فأكلوا حتى نهلوا ، و ما يرى في القصة إلا آثار أصابعهم - إلى أن قال - قال جابر : فقلت له : كم للشاة من ذراع قال : ذراعان . فقلت : والذي بعثك بالحق لقد أتيته بثلاثة عشر ذراعاً . فقال : أما لو سكت لأكل الناس كلهم من الذراع . قال : فأقبلت أدخل عشرة فيأكلون حتى أكلوا كلهم و بقي لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً .

« و خصاصة » : أى فقرا .

« تملأ الأبصار » برؤيتها .

« والأسماع » بسماعهما .

« أذى » ورثى قلبه لهم .

« ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام » من رام يروم : أى طلب .
 « وعزة لا تضام » من الضيم بمعنى الاستدلال .
 « و ملك تمتد نحوه أعناق الرجال » كناية عن الرغبة الشديدة . فمن اشتاق
 إلى شيء شديداً يمدّ عنقه نحوه ليراه كاملاً .
 « و تشدّ إليه عقد الرجال » الرجل للبعير كالسرج للدابة ، و هو أيضاً كناية
 عن غاية الشوق حتىّ يحمل صاحبه على الشخوض نحو المطلوب إلى مسافة بعيدة .
 « لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار » و في الكافي في (الاختبار) و هو
 الأصح كما لا يخفى .

« و أبعد لهم في الاستكبار » و « قالوا لو لا زل هذا القرآن على رجل من
 القرينتين عظيم » (١) و كانوا يقولون كيف : تتبع يقيم آل أبي طالب .
 « و لا آمنوا عن رهبة قاهرة لهم » كما يمان أبي سفيان و معاوية ، و كثير من أهل مكة
 بعد فتح النبي ﷺ لها فآمنوا ظاهر أليحقنوا به دمائهم ، و قال ﷺ في معاوية وأصحابه:
 ما أسلموا ولكن استسلموا و أسروا الكفر فلماً وجدوا أعواناً عليه أظهروه .
 « أو رغبة مائلة بهم » روى الطبري عن هشام عن عوانة عن لبطة بن الفرزدق عن
 أبيه - و ذكر لقائه الحسين ﷺ في الحرم لما أراد الكوفة خارجاً من مكة و سؤاله
 عن أشياء من نذور و مناسك - قال الفرزدق : ثم مضيت فاذا أنا بفسطاط مضروب في
 الحرم . فاذا هو لعبد الله بن عمرو بن العاص . فسألني فأخبرته بلقاء الحسين ﷺ ،
 فقال لي : ويملك : فهلاً اتبعته فوالله ليملكن ولا يجوز السلاح فيه ، ولا في أصحابه .
 قال : فهممت أن الحق به و وقع في قلبي مقاتله . ثم ذكرت الأنبياء و قتلهم فصدني
 ذلك عن اللحاق به .

قلت : كان عبد الله بن عمرو وسمع من أخبار الملاحم شيئاً ، والظاهر أنه سمع أن
 الحسين ﷺ ، و أصحابه لا يجدون ألم السلاح كما ورد في خبر آخر لشدة شوقهم
 فوهم و بدّله بعدم جواز السلاح و أثره فيهم .

وروى الطبري أيضاً عن أبي مخنف عن أبي عليّ الأصبهاني عن بكر بن مصعب المزني قال : كان الحسين عليه السلام لا يمرّ بأهل ماء إلاّ اتبعوه حتّى انتهى إلى زبالة سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة . فأخرج للناس كتاباً فقرئه عليهم « أما بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة ، و عبدالله بن يقطر ، وقد خذلتنا شيعتنا . فمن أحبّ منكم الانصراف . فليصرف ليس عليه منازمات » فتفرّق الناس عنه تفرّقاً فأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة ، وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنّ أنّ الأعراب إنّما اتبعوه لأنّهم ظنّوا أنّه يأتي بلد أقداسقامت له طاعة أهله . ففكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون على م يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بين لهم لم يصحبه إلاّ من يريد مواساته واطوته معه .

« فكانت النيات مشتركة والحسنات مقسمة » قال (حد ، وثم ، وخو) : أي تكون النيات حينئذ مشتركة بينه تعالى ، وبين ما يأملونه من الشهوات ، والحسنات مقسمة بينه تعالى ، وبين تلك الشهوات غير خالصة من هوى الأنافس .

قلت : بل المراد أنّ النيات تصير حينئذ مشتركة بين الموحّد والملمحد ، والحسنات مقسمة بين الصالح والطالح .

« ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله » الظرف لغو ، وكذلك في

الفقرات الأربع بعده .

« والتصديق لكتبه » الصحف ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن .

« والخشوع لوجهه » : أي لذاته .

« والاستكانة » : أي الخضوع والمسكنة .

« لأمره » التكليف .

« والاستسلام » : أي الانقياد .

« طاعته أموراً له » تعالى .

« خاصّة لا يشوبها » : أي لا يختلطها .

« من غيرها شائبة » والأصل فيها قدر يشوب ويختلط بشيء طيب . قال تعالى

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١) وعن النبي ﷺ أن الملك ليصعد بعمل العبد مبهتجاً فإذا صعد بحسناته يقول تعالى : اجعلوها في السجين إنه ليس إني أرادها ، وعن الصادق عليه السلام يقول - عز وجل - أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً ، واجعله كله لمن أشرك معي

٧ في ١٥٥ ر ١ و ان شئت تئيت بموسى كليم الله صلى الله عليه وآله . اذ يقول : رب انى لما انزلت الى من خير فقير ، والله ما سألته الا خبزاً يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ، ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزأله و تشذب لحمه ، و ان شئت ثلثت بداود صلى الله عليه وآله و سلم صاحب المزامير ، و قارىء اهل الجنة . فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ، و يقول لجلسائه : ايكم يكفينى بيعها ، و يأكل قرص الشعير من ثمنها ، و ان شئت قلت فى عيسى بن مريم عليه السلام فلقد كان يتوسد الحجر ، و يلبس الخشن ، و كان ادامه الجوع ، و سراجة بالليل القمر ، و ظلاله فى الشتاء مشارق الارض و مغاربها ، و فاكهته و ريحانه ما تئيت الارض للبهائم ، ولم تكن له روجة تفتنه ، و لا ولد يحزنه و لامال يلفته ، و لا طمع يذله . دابته رجلاه ، و خادمه يداه .

« وإن شئت نثبت » : أى جعلت دليلاً ثانياً في ذم الدنيا و عيبها ، و كثرة مخازيها و مساويها .

« بموسى كليم الله ﷺ » و الدليل الأول عمل الدنيا مع نبيها ﷺ إذ قبضت عنه أطرافها ، و و طئت لغيره أكنافها كما يأتي في فصل النبوة الخاصة ، و كون موسى ﷺ كليم الله ممّا نطق به القرآن . قال - عز وجل - « و كلم الله موسى تكليماً » (١) و عن النبي ﷺ أن الله تعالى ناجى موسى بمائة و أربعة و عشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام و لياليهنّ ما طعم فيها موسى و لا شرب . فلما انصرف إلى بنى إسرائيل و سمع كلامهم مقتمهم لما وقع في مسامعه من حلالة كلامه تعالى .

و روى العليل عن الصادق عليه السلام أو حى الله تعالى إلى موسى أتدرى لم اصطنعتك لكلامى دون خلقى ؟ فقال : لا . قال : إنني قلبت عبادى ظهر البطن . فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لى منك نفساً إنك إذ اصليت وضعت خديك في التراب ، و كان موسى عليه السلام إذ اصلى لم ينقل حتى يلصق خده الأيمن و الأيسر بالأرض .

« إن يقول : ربّ إنني لما أنزلت من خير فقير » الآية في سورة القصص ، و قبلها « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون و وجد من دونهم إمراةين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء و أبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال »

« والله ما سأله إلا خبزاً يأكله » في الكافي عن النبي ﷺ الخبز مبارك أرسل الله تعالى له السماء مدراراً ، وله أنبت الله المرعى ، و به صليتكم ، و به صتمت و به حججتم بيت ربكم ، و عنه ﷺ أكرموا الخبز فانّه عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض و ما فيها من كثير من خلقه ، و في العيون عن الرضا عليه السلام أن سلمان دعا أباذر إلى منزله فقدّم إليه رغيفين فأخذهما أبوذر فقلّبهما فقال له سلمان : لأى شيء تقلّبهما ؟ قال : خفت أن لا يكونا نضيجين ، فغضب سلمان ، ثم قال : ما أجراك حيث تقلّبهما . فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذى تحت العرش ، و عملت فيه الملائكة حتى ألقوه إلى

الريح ، وعملت فيه الريح حتى ألقته إلى السحاب ، وعمل فيه السحاب حتى أمطره إلى الأرض ، وعمل فيه الرعد والبرق والملائكة حتى وضعوه مواضعه ، وعملت فيه الخشب والحديد والبهايم والنار والحطب والملح ، وما لا احصيه أكثر . فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر . فقال أبوذر : إلى الله أتوب مما أحدثت .

« لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى « البقلة .

« من شفيف « من (شف عليه ثوبه) إذ ارق حتى يرى ما خلفه .

« صفاق « : أى الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

« بطنه لهزاله « الهزال مقابل السمين .

« و تشذب لحمه « : أى تفرقه .

« وإن شئت ثلثت « : أى جعلت دليلاً ثالثاً لك في نقص الدنيا .

« بداود عليه السلام صاحب المزامير « جمع المزمار . قيل : قيل له : صاحب المزامير لأنه

كان كأن في حلقه مزامير من حسن صوته .

« وقارىء أهل الجنة « قال تعالى « وآتينا داود زبوراً » (١) « و اذكر عبدنا

داود ذا الأيد إنه أوأب إننا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطيور

محشورة كل له أوأب وشددنا ملكه و آتينا الحكمة و فصل الخطاب ، (٢) « و لقد

آتينا داود مناً فضلاً يا جبال أوأبى معه والطيور وألنا له الحديد أن اعمل ساقيات و قدر

في السرد ، (٣) .

« فلقد كان يعمل سفائف « : أى نسائج .

« الخوص « : أى ورق النخل .

« بيده و يقول لجلسائه أيكم يكفينى بيعها « و روى الطبرى في ذيله أن عطاء

سلمان كان خمسة آلاف ، و كان على ثلاثين ألفاً من الناس ، و يخطب في عبادة يفترش

(١) الاسراء ٥٥

(٢) ص ١٨

(٣) سبأ ١١

نصفها ، و يلبس نصفها ، و كان إذا خرج عطاء أمضاه و كان يأكل من سفيف يده ، و روى الاستيعاب أن قوماً دخلوا على سلمان و هو أمير على المدائن ، و هو يعمل الخوص . ف قيل له : لم تعمل هذا و أنت أمير يجرى عليك رزق ؟ فقال : إنني أحب أن آكل من عمل يدي .

« و يأكل قرص الشعير من ثمنها » في الكافي عن الرضا عليه السلام ما من نبي إلا وقد دعا لآكل الشعير و بارك عليه ، و ما أخرج جوفاً إلا أخرج كل داء فيه ، هوقوت الأنبياء و طعام الأبرار أبي الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلا شعيراً .

هذا ، و روى الطبري في ذيله أن أصحاب الإبل و أصحاب الغنم تفاخروا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال أصحاب الإبل : ما أنتم يارعاء الشاة هل تحببون شيئاً أو تصيبونه ما هي الأشويبات أحدكم يرعاها ثم يروحها - حتى اصمتوهم - فقال النبي صلى الله عليه وآله بعث داود عليه السلام و هو راعي غنم ، و بعث موسى عليه السلام ، و هو راعي غنم ، و بعث أنا و أنا أرعم غنم أهلي باجباد - فغلبهم أصحاب الغنم .

« وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام » قال تعالى « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة و من المقربين و يكلمك الناس في المهذب و كهلاً و من الصالحين قالت رب أننى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون و يعلمه الكتاب والحكمة و التوراة و الانجيل و رسولا إلى بني إسرائيل أننى قد جئتكم بآية من ربكم أننى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص و أوحى الموتى باذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » (١) .

« فلقد كان » : أى عيسى .

« يتوسد الحجر » : أى يجعله له و سادة ، و في الخبر أن إبليس أتى عيسى عليه السلام و كان نام و جعل و سادته لبننة . فقال له عليه السلام : ما تريد منى و ليس لى شيء

من علائق الدنيا ؟ فقال : مادام هذه اللبنة تحت رأسك أرجو منك ذلك . فأخذه عيسى ، ورمى به .

« ويلبس الخشن » و زاد (حد) و يأكل الجشب .

« وكان إدامه الجوع ، وسراجه بالليل القمر ، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض و مغاربها » و لم يكن له دار ولا بناء .

« و فاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم » و لم يأكل لحمًا ولا فواكه .

« ولم تكن له زوجة تفتنه » كما اتفق للكثير من العباد والزهاد افتنانهم

بنسائهم .

« ولا ولد يحزنه » بمرضه أو خوف فقره أو موته .

« ولا مال يلقته » : أى يصرفه عن الله تعالى وذكره قال تعالى « يا أيها الذين

آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله و من يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (١) .

« ولا طمع يذله » فقالوا : عز من قنع و نل من طمع .

« دابته رجلاه ، و خادمه يداه » و في الخبر قام عيسى عليه السلام و قال بعد وصفه

نفسه كما وصفه عليه السلام : أصبحت وليس لى شيء ، و أمسيت وليس لى شيء ، و أنا أغنى

ولد آدم . هذا ، و لبعضهم في وصف نفسه :

أترانى أرائى من الدهر يوما ☆ لى فيه مطية غير رجلى

كلما كنت في جمع فقالوا ☆ قرّ بوا للرحيل قرّبت نعلى

حيثما كنت لا أخلف رجلا ☆ من رآنى فقد رآنى ورجلى

أيضاً :

برزت من المنازل والقباب ☆ فلم يعسر على أحد حجابى

فمنزلى الفضاء وسقف بيتى ☆ سماء الله أو قطع السحاب

فأنت إذا أردت دخلت بيتى ☆ على مسلماً من غير باب

- لا نئى لم أجد مصراع باب ☆ يكون من السحاب إلى التراب
 ولا خفت الإباق على عبيدى ☆ ولا خفت الهلاك على دوابى
 ولا حاسبت يوماً قهرمانى ☆ محاسبة فأغلظ في حسابى
 و في ذاراحة و فراغ بال ☆ فدأب الدهر ذا أبدأ ودأبى

٨ ر ١٩٦ و من كلام له **عليه السلام** : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى ثِقَلَةَ أَهْلِهِ . فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبِعَهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعَهَا طَوِيلٌ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ . فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَوْهُ بِالرِّضَا . فَقَالَ سَبْحَانَهُ : فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَمَا كَانَ الْأَنْ خَارَتِ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خَوَارِ السَّكَّةِ الْمَحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ . أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ ، وَ مَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التَّيْهِ .

أقول : رواه النعماني بإسنادين مع اختلاف يسير و زيادة و نقيصة :
 الأول : عن ابن عقدة ، عن جعفر بن عبد الله الحميري ، عن يزيد بن إسحاق الأرحبي المعروف بشعر ، عن محول ، عن فرات بن أحنف ، عن الأصبع بن نباتة . قال : سمعت أمير المؤمنين **عليه السلام** يقول على منبر الكوفة : أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أَنْفُ الْهُدَى وَ عَيْنَاهُ . أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ثِقَلَةً مِنْ يَسْلِكُهُ ، إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ قَلِيلٍ شَبِعَهَا . كَثِيرٌ جُوعَهَا ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَإِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالغَضَبُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ صَالِحٍ وَاحِدٍ . فَأَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ بِالرِّضَا لِفَعْلِهِ ، وَ آيَةٌ ذَلِكَ

قوله - عز وجل - « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي و نذر » (١) و قال « فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها » (٢) ألا و من سئل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلتني ، أيها الناس من سلك الطريق و رد الماء ، و من حاد عنه وقع في التيه .

والثاني : عن محمد بن همام ، عن الحسن بن محمد بن جمهور ، عن أحمد بن نوح ، عن ابن عليم ، عن رجل ، عن فرات ، عن سمع أمير المؤمنين عليه السلام - و ذكر مثله إلا أنه قال بدل (من يسلكه) (أهله) - .

« أيها الناس لاتستوحشوا في طريق الهدى » والمراد نفسه . فقد عرفت من رواية النعماني أن قبله (أيها الناس أنا أنف الهدى و عيناها) .

« لقلّة أهله » و قد عرفت أن في أحد إسنادي النعماني (لقلّة من يسلكه) وهو الأ نسب بقوله (طريق الهدى) و قديماً كان أهل الهدى قليلاً . قال تعالى « اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور » (٣) و قال - عز وجل - « و إن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم » (٤) و قال سبحانه « وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون » (٥) و قال - عز وجل - « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » (٦) .

« فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل » علّة لعدم الاستيحاش من طريق الحقّ والهدى لقلّة أهلها بأنّ الناس رأوا مائدة يشبعون منها

(١) القمر ٢٩

(٢) الشمس ١٤-١٥

(٣) سبأ ١٣

(٤) ص ٢٤

(٥) الحاقة ٤١

(٦) الاعراف ١٠

فازدحموا عليها إلا أنتم لا يدرون أن شعبها إنما هو قصير ، و يتبعه جوع طويل إلى الأبد ، ولنعم مال بالفارسية :

برو از خانه گردون بدر و نان مطلب

كهن سيمه كاسه در آخر بكشد مهمان را

و روى الكافي في [باب قلة عدد المؤمنين] عن الكاظم عليه السلام قال : أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلا واحداً يعبد الله ، و لو كان معه غيره لأضافه تعالى إليه حيث يقول « إن إبراهيم كان أمةً فانتأ لله حنيفاً ولم يك من المشركين » ^(١) فغبر بذلك ما شاء الله ثم إن الله آنسه باسماعيل و اسحاق فصاروا ثلاثة أما والله إن المؤمن لقليل ، و أن أهل الكفر لكثير .

و عن همران بن أعين قلت للباقر عليه السلام : جعلت فداك ما أفلئنا لو اجتمعنا على شاة ما افئيناها ؟ فقال : ألا أحدئك بأعجب من ذلك المهاجرون والأ نصار ذهبوا إلا ثلاثة . قلت : جعلت فداك ما حال عمار ؟ قال : رحم الله عماراً بايع وقتل شهيداً لعلك ترى أنه مثل الثلاثة أيهات أيهات .

و عن سدبر الصيرفي قلت للصادق عليه السلام : والله ما يسعك القعود قال : ولم ؟ قلت : لكثرة شيعتك والله لو كان لا أمير المؤمنين عليه السلام مالك ما طمع فيه نيم و عدى . فقال : و كم عسى أن تكونوا ؟ قلت : مائة ألف . قال مائة ألف . قلت : بل مأتي ألف . قال : مأتي ألف ؟ قلت : بل نصف الدنيا . فسكت عني ثم قال : يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع . إلى أن قال : حتى صرنا إلى أرض حمراء و نظر إلى غلام يرعى جداءً . فقال : والله لو كان لى شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعنى القعود ففعدتها فإنها هي سبعة عشر .

« أيها الناس إنما يجمع الناس » في العمل و عدمه .

« الرضى والسخط » روى المحاسن فقرة (أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا

والسخط) عنه عليه السلام مع زيادة (فمن رضى أمراً فقد دخل فيه ، ومن سخط فقد خرج منه ، و روى العيون في باب أخباره المتفرقة عن الرضا عليه السلام أن ما روي عن الصادق عليه السلام أن القائم إذا خرج قتل ذرارى قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم صحيح . فقيل له : قال تعالى « ولا تزوروا زورا أخرى »^(١) قال : إنما يقتلهم لرضاهم بفعال آبائهم ، ومن رضى شيئاً كان كمن أتاه ، ولو أن رجلاً قتل بالمشرك . فرضى بقتله رجل بالمغرب كان الراضى شريك القاتل .

و روي العياشي في قوله تعالى « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذى قتلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين »^(٢) إن الصادق عليه السلام قال لكوفي : ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم . فقال : ما بقى منهم أحد . فقال عليه السلام : أنت لا ترى القاتل إلا من ولى القتل أولم تسمع قوله تعالى « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات و بالذى قتلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين »^(٣) ولم يكن الناس الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وآله ذلك قتلوا رسولاً و كيف ولم يكن بين النبي صلى الله عليه وآله و بين عيسى عليه السلام رسول .

و قد عرفت أن النعماني روى العنوان مع زيادة (ومن سئل عن قاتلي فزعم أنه مؤمن فقد قتلني) بل يمكن أن يقال : إن جميع العامة شريكون في قتل أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين و باقى المعصومين - صلوات الله عليهم أجمعين - لا أنهم راضون بخلافة أبي بكر ، وخالفته تسببت جميع ذلك .

ولما حمل معز الدولة الديلمي الناس في بغداد بإقامة مراسم العزاء للحسين عليه السلام أيام عاشوراء أقامت العامة مراسم العزاء لمصعب بن الزبير لأنه قتل المنتقمين للحسين عليه السلام .

« و إنما عقر » : أى ضرب بالسيف قوائم .

« ناقة ثمود » وقد عرفت أن النعماني رواه (ناقة صالح) وهو الأصح و إن كان

(١) فاطر ١٨ .

(٢) آل عمران ١٨٣

هذا أيضاً صحيحاً لأن الإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة .
« رجل واحد » و اسمه قي دار .

« فعمتهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا . فقال سبحانه « فعقروها فأصبحوا نادمين »
قد عرفت من رواية النعماني أنه عليه السلام استند إلى هذه الآية و إلى آية « فنادوا أصحابهم
فتعاطى فعقر » ^(١) بمعنى أن المباشر للعقر كان واحداً في الآية الثانية ، وقد نسه في الآية
الأولى إلى الجميع لرضاهم بفعله .

هذا . والآيات الواردة في قوم صالح عليه السلام قوله تعالى في سورة الأعراف « و إلى
ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها فياخذكم عذاب أليم واذكروا
إن جعلكم خلفاء من بعد عاد و بوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً و تنحتون
الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إننا
بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إننا بالذي آمنتم به كافرين فعقروا الناقة
و عتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة
فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم و قال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربِّي و نصحت
لكم و لكن لا تحبون الناصحين » ^(٢) ، و فيها أيضاً نسب العقر إلى الجميع برضاهم .
و في سورة هود « و إلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله
غيره هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربِّي
قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا
و إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربِّي
آتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما يزيدونني غير تخسير و يا قوم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب

(١) القمر ٢٩ .

(٢) الأعراف ٧٣-٧٩ .

فعمقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجيمنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا و من خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز و أخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود اكفروا ربهم ألا بعداً لثمود ،^(١) و هي أيضاً كسابقتها .

و في سورة الحجر « ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين و آتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ،^(٢) .

و في سورة الشعراء « كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إنني لكم رسول أمين فاتقوا الله و أطيعوا الله و ما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا أعلى رب العالمين أتركون في ما هيئنا آمنين في جنات و عيون و زروع و نخل طلعتها هضيم و تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله و اطيعوا الله و لا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض و لا يصلحون قالوا إنما أنت من المسحورين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب و لكم شرب يوم معلوم و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعمقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية و ما كان أكثرهم مؤمنين »^(٣) و فيها الآية التي استشهد عليه السلام بها .

و في سورة النمل « و لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن أعبدوا الله فإناهم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطمئننا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون و كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض و لا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيئتمه و أهله

(١) هود ٦١-٦٨ .

(٢) الحجر ٨٠-٨٤ .

(٣) الشعراء ١٤١-١٥٨ .

ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون» (١) الآيات .

و في سورة السجدة [فصلت] « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » (٢) .

و في الذاريات « و في ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » (٣) .

و في القمر « إنا مرسلوا الناقة فتمتة لهم فارتقبهم واصطبر و نبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي و نذر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » (٤) وقد استشهد عليه السلام بها علي رواية النعماني .

و في الحاقة « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية » (٥) و في الفجر « و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد » (٦) و في الشمس « كذبت ثمود بطغويها إذا انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذت بوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها » (٧) وقد استشهد عليه السلام بها علي رواية النعماني .

و في تفسير القمي في (هود) بعث الله تعالى صالحاً إلى ثمود و هو ابن ست عشرة سنة لا يجيبونه ، و كان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله . فلما رأى ذلك قال : يا قوم بعثت إليكم و أنا ابن ست عشرة سنة ، و قد بلغت عشرين و مائة سنة و أنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم سلوني حتى أسأل إلهي فيجيبيكم و إن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتنى خرجت عنكم . فقالوا : انصفت فأمهلنا . فأقبلوا يتعبدون ثلاثة أيام و يتمسحون بالأصنام و يذبحون لها ، و آخر جوهها إلى سفح الجبل و أقبلوا يتضرعون إليها . فلما كان اليوم الثالث

(١) النمل ٤٥-٤٩ .

(٢) فصلت ١٧ .

(٣) الذاريات ٤٣-٤٥ .

(٤) القمر ٢٧-٣١ .

(٥) الحاقة ٥ .

(٦) الفجر ٩ .

(٧) الشمس ١١ .

قال لهم صالح عليه السلام : قد طال هذا الأمر فقالوا له : سل ماشئت فدنا إلى أكبر صنم لهم فقال له : ما اسمك فلم يجبه . فقالوا له : تنح عنه . فاقبلوا يتضرعون ووضعوا على رؤوسهم التراب . وقالوا له فضحتنا ونكست رؤوسنا .

فقال لهم صالح : قد ذهب النهار فقالوا : سله فدنا منه ، فكلمه فلم يجبه فبكوا و تضرعوا حتى فعلوا ذلك ثلاث مرات فلم يجب فقالوا : إن هذا لا يجيبك ولكننا نسأل إلهك فقال لهم سلوه ماشئتم فقالوا : سله أن يخرج لنا من هذا الجبل ناقة شقراء عسرا - أى حاملة - تضرب منكبيها طرفي الجبلين ، وتلقى فضيلها من ساعتها ، وتدر لبنها . فقال لهم صالح : إن الذى سألتمنى عندى عظيم ، وعند الله هين . فقام فصلى ركعتين ثم سجد و تضرع فما رفع رأسه حتى تصدع الجبل و سمعوا له دويماً شديداً كادوا أن يموتوا منه فطلع رأس الناقة وهى تجتر . فلما خرجت ألفت فضيلها ودرت بلبنها . فبهتوا وقالوا : قد علمنا يا صالح أن ربك أقدر من آلهتنا ، و كان لقريتهم ماء وهى (الحجر) التى ذكرها تعالى فى قوله « وكذب أصحاب الحجر المرسلين » (١)

فقال لهم صالح : لهذه الناقة شرب تشرب مائكم يوماً ، وتدر لبنها عليكم يوماً ، و هو قوله تعالى « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فإياخذكم عذاب يوم عظيم » (٢)

فكانت تشرب مائهم يوماً و إذا كان من الغد وقفت وسط قريتهم . فلا يبقى فى القرية أحد إلا حلب منها حاجته ، و كان فيهم تسعة من رؤسائهم كما ذكر تعالى فى سورة النمل « وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » (٣) فعفروا الناقة ورموها حتى قتلوها وقتلوا الفضيل ثم قالوا لصالح : اثنتا بمتعدنا إن كنت من الصادقين فقال لهم صالح « تمتعوا فى داركم ثلاثه أيام ذلك وعد غير مكذوب » (٤) ثم قال : و علامة هلاككم أنه تبييض وجوهكم غدا ؟ و تحمر بعد غد ، و تسود اليوم الثالث فلما كان

(١) الحجر ٨٠

(٢) الشعراء ١٥٥

(٣) النمل ٢٨

(٤) هود ٦٥

من الغد نظروا إلى وجوههم قد ابيضت مثل القطن . فلما كان اليوم الثاني احمرت مثل الدم . فلما كان اليوم الثالث اسودت وجوههم . فبعث الله عليهم زلزلة وصيحة فهلكوا وهو قوله « فأخذتهم الرجفة » (١) .

وقال القمى أيضاً في سورة النمل : وكان الذي عقر الناقة أحمر أزرق ولدزنا ، و أما قوله : قالوا اطيّرنا بك وبمن معك . فإنه أصابهم جوع شديد فقالوا : من شؤمك وشؤم من معك أصابنا هذا القحط « قال طائر كم عند الله » (٢) . يعني خيركم وشركم من عند الله « بل أنتم قوم تفتنون » (٣) : أى تبتلون بالاختبار « قالوا تقاسموا بالله لنبيئتنه وأهله » (٤) فأتوا صالحاً ليقتلوه ، وعند صالح ملائكة يحرسونه . فلما أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة فأصبحوا في داره مقتولين وأخذت قومه الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين .

« فما كان إلا أن خارت » : أى ضعفت ووهنت أرضهم بالخسفة الحاصلة من الرجفة .
« خوار السكة » : أى الحديد التي يحرق بها .
« الملحمة » من (أحميت الحديد في النار) .

« في الأرض الخوارة » : أى المنهمرة في نفسها ، و في المجمع - بعد ذكر عقر الناقة - فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولّى هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغاء تقطع منه قلوب القوم ، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه بأنه إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا . فقال لهم صالح : انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه . فعسى أن يرفع عنكم العذاب . فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء ، فقال لهم صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام - إلى أن قال - فلما كان نصف الليل بعد الثالث أتاهم جبرئيل عليه السلام . فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم ، و فلقت

(١) الاعراف ٧٨

(٢) النمل ٤٧

(٣) النمل ٤٧

(٤) النمل ٤٩

قلوبهم ، وصدعت أكبادهم فماتوا في طرفة عين ثم أرسل عليهم مع الصيحة النار فأحرقتهم أجمعين .

و في المروج كان ملك ثمود - وهو ابن عابر بن إرم بن سام بن نوح - بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفتح الناقة وبيوتهم إلى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال ورممهم باقية و آثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى بيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار ، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا ، وهذا يدل على أن أجسادهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصص من بعد أجسامهم - قال : وليس هؤلاء كعاد إن كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنياتهم بأرض الشجر تدل على بعد أجسامهم - بعث الله صالحاً وهو غلام حدث على فترة بينه وبين هود نحو من مائة سنة . فدعا قومه . فلم يجبههم إلا يسيراً وكبر صالح ولم يزدادوا إلا بعداً منه فلما تواتر عليهم أعداره وأنذاره ، ووعده ووعيدته ساموه المعجزات وإظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم ، ويعجزوه عن خطابهم ، فحضر عيد لهم ، وقد أظهروا أوثانهم ، وكان القوم أصحاب إبل فساموه الآية من جنس أموالهم ، وطالبوه بما هو مجانيس لأملاكهم . فقالوا : يا صالح إن كنت صادقاً . فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، ولتكن وبراء سوداء عشراء نتوجاً حالكة . صافية اللون . ذات عرف وناصية وشعرووبر . فاستغاث بربه . فتحرك الصخرة وبدا منها حنين وأنين . ثم انصدت من بعدتمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة . ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها في الوصف فامعنا في رعى الكلاء وطلب الماء ، وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربة ثمود كلهم وضايقتهم في الكلاء والماء ، وكان في ثمود إمرأتان ذواتا حسن وجمال . فزارهما رجلان قدار وصدع ، والمرأتان عنيزة وصدوف . فقالت صدوف : لو كان لنا في هذا اليوم ماء لا سقيناكم خمراً ، وهذا يوم الناقة وورودها ، ولا سبيل لنا إلى الشرب فقالت عنيزة : بلى والله لو أن لنا رجالاً لكفونا إياها ، وهل هي إلا بعير من الإبل . فقال قدار : يا صدوف إن أنا كفيتك أمر الناقة . فمالي عندك . فقالت : نفسي ، وهل حائل دونها عنك .

فأجابت الأخرى صاحبها بنحو ذلك . فقالا : ميلا علينا بالخمر . فشربا حتى توسطنا السكر . ثم خرجا . فاستعونا تسعة رهط ، وهم التسعة الذين أخبر تعالى عنهم في قوله « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون »^(١) فقصدوا طريق الناقة في حال صدورها . فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها واتبع صاحبها العرقوب الآخر . فخربت الناقة لوجهها ، ووجأ قدار لبتها فنحرها ، ولان السقب بصخرة فلحقه بعضهم . فعقره وورد صالح فنظر إلى ما فعلوا فوعدهم العذاب ، وكان ذلك في يوم الأربعاء . فقالوا له مستهزئين : متى يكون العذاب . فقال : تصبح وجوهكم يوم مونس وهو الخميس مصفرة ، ويوم العروبة محمرة ، ويوم شيار مسودة . ثم يصحبكم العذاب يوم أول . فبهم التسعة بقتله ، فاتوه ليلا فمنعه الله منهم ، وأمطرتهم الملائكة الحجارة فلما أصبحوا نظروا إلى وجوههم كما وعدهم صفراء كأنها الورس ، وخرج صالح مع من خف من المؤمنين ليلة الأحد من بين ظهرائهم . فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين وأتاهم العذاب يوم الأحد ، وفيهم يقول بعض من آمن بصالح :

أراكم يا رجال بنى عتيد	☆	كأن وجوهكم طليت بورس
و يوم عروبة اهرت وجوه	☆	مصفرة و نادوا يال مرس
و يوم شيار اسودت وجوه	☆	من الحيين قبل طلوع شمس
فلما كان أول في ضجاء	☆	أنتهم صيحة عمت بتعس

وقال بعض آخر منهم :

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة	☆	ما أن يضام لهم في الناس من جار
لا يرهبون من الأعداء حولهم	☆	وقع السيوف ولا نزعا بأوتار
فأهلكوا ناقة كانت لربهم	☆	قد أنذروها و كانوا غير إنذار
نادوا قداراً ولحم السقب بينهم	☆	هل للعجول وهل للسقب من نار
لم يرعيا صالحاً في عقر ناقته	☆	وأخفروا العهد هدياً أى إخفار
فصادفوا عنده من ربه حرساً	☆	فشدخوا رأسهم شدخاً بأحجار

قال (حد) روى المحدثون أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : أتدرى من أشقى الأولين قال: نعم عاقر ناقة صالح . قال: أفأتدرى من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم . قال : من يضربك علي هذه حتى تخضب هذه .

قلت: و أجاد المبيدى حيث قال بالفارسية نظماً مضمون كلام النبي ﷺ :

اشتر حق را كشته اشقى الأولين ✽ شير حق را كشته اشقى الآخرين

وفي البحار قال الحسين عليه السلام يوم الطف لما قتلوا رضيعه : لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح . اللهم إن كنت حبست عنا النصر . فاجعل ذلك لما هو خير لنا . وقد عرفت من رواية المروج كمال شباهة اشقى الآخرين بأشقى الأولين حيث إن كلاهما افتتن بامرأة طلبت في مقابل نفسها قتل صالح أي صالح صالح و أمير المؤمنين عليه السلام ، وكون كل منهما ذا معاون الأول مصدع ، والأخير شبيب إلا أن شبيباً وقعت ضربته في الطاق .

« أيها الناس من سلك الطريق الواضح » و المراد طريقه عليه السلام و كون طريقه واضحاً لكونه عليه السلام كنفس النبي ﷺ بنص القرآن و بالوجدان والعيان .
« ورد الماء » وسلم من الهلكة .

« و من خالف » و تبع غيره .

« وقع في التيه » : أي مفازة يتاه فيها حيث إن النبي ﷺ قال : مثل أهل بيته مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، و من تركها غرق .

١١٧٧٩ أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش ،

واسبغ عليكم المعاش ، ولو أن أحداً يجد إلى البقاء سلماً أو إلى

دفع الموت سبيلاً . كان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك

الجن و الإنس ، مع النبوة و عظيم الزلفة فلما استوفى طعمته ، و

اسْتَكْمَلَ مَدَّتَهُ ، رَمَتْهَا قَسِيَّ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ ، وَاصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ
خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةٌ ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ
السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً : إِبْنُ الْعِمَالِقَةِ ، وَابْنَاءُ الْعِمَالِقَةِ . إِبْنُ الْفِرَاعِنَةِ وَابْنَاءُ
الْفِرَاعِنَةِ . إِبْنُ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرَّسِّ . الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وَاطْفَأُوا
سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ ، وَاحْيَا سُنَنَ الْجَبَارِينَ . وَإِنَّ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ ،
وَهَزَمُوا الْأَلُوفَ ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ .

« أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش » : أى ثياب التجمل . قال
تعالى « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك
خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » (١) .
« وأسبغ » : أى أكمل .

« لكم المعاش » قال تعالى « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش
قليلاً ما تشكرون » (٢) « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل
شئ موزون وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين » (٣) .
« ولو أن أحداً يجد إلى البقاء » في الدنيا .
« سلماً » كناية عن الوسيلة .

« أو إلى دفع » هكذا في المصرية ، والصواب : أو لدفع كما في (حد ، و ثم و
الخطية) .

« الموت سبيلاً » حتى ينجو منه . في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام أن الله

(٢) الاعراف ١٠

(١) الاعراف ٢٤

(٣) الحجر ١٩-٢٠

تعالى غضب على ملك من الملائكة . فقطع جناحه ، و ألقاه في جزيرة من جزائر البحر . فبقى ماشاء الله في ذلك البحر . فلما بعث إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه . فقال له : ادع الله تعالى أن يرضى عني ويرد علي جناحي فدعا ربه . فرد عليه جناحه . فقال الملك لإدريس ألك حاجة ؟ قال : نعم أحب أن ترفعني إلى السماء حتى أنظر إلى ملك الموت . فأبى الله لأعيش لي مع ذكره . فأخذ الملك على جناحه حتى انتهى به إلى السماء الرابعة . فأذا ملك الموت يحرك رأسه تعجباً . فسلم إدريس على ملك الموت ، و قال له : مالك تحرك رأسك . قال : إن رب العزة أمرني أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة . ثم قبض روحه مكانه ، و هو قوله تعالى « و رفعناه مكاناً علياً » (١) .

« لكان ذلك سليمان بن داود » قال شاعر :

ياهاربا من جنود الموت منهزماً ☆ عنها ، توقف أين المفركا
هب عشت أكثر من نوح فحين نجا ☆ بقدره الله من طوفانه هلكا
و قال آخر :

لو أن حياً مدرك الفلاح ☆ أدركه ملاعب الرماح
« الذي سخر له ملك الجنّ و الإنس » قال تعالى « و لسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكننا بكل شيء عاطين ومن الشياطين من يغوصون له و يعملون عملاً دون ذلك و كننا لهم حافظين » (٢) و « لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر و أرسلنا له عين القطر و من الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات عملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور » (٣) « و حشر لسليمان جنوده من الجنّ و الإنس و الطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنه »

(١) مريم ٥٧

(٢) الانبياء ٨١

(٣) السبا ١٢

وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلّي والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»^(١) «ولقد فتننا سليمان وألقينا عليّ كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كلّ بناء وغواص وآخرين مقرّنين في الأضداد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب»^(٢)

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «ولقد فتننا سليمان وألقينا عليّ كرسيه جسداً» أن سليمان لما تزوج باليمانية ولد له منها ابن وكان يحبه فنزل ملك الموت عليه - وكان كثيراً ما ينزل عليه - فنظر إلى ابنه نظراً. ففزع سليمان من ذلك ، وقال لأمّه : إن ملك الموت نظره أظنه قد أمر بقبض روحه . فقال للجنّ والشياطين : هل لكم حيلة أن تفرّوه من الموت . فقال واحد منهم : أنا أضعه تحت عين الشمس بالشرق ، فقال سليمان إن ملك الموت يبلغ ذلك . فقال آخر : أنا أضعه في السحاب والهواء فرفعه ووضعه في السماء وجاء ملك الموت . فقبض روحه في السماء . فوقع جسده ميتاً عليّ كرسيه . فعلم أنّه أخطأ .

وروى عن الصادق عليه السلام قال : ملك الأرض كلّها مؤمنان : سليمان وذوالقرنين ، وكافران : نمرود وبخت النصر ، ولو أن أحد كان ناجياً من الموت لكان أبوه داود عليه السلام الذي قال تعالى فيه «وان ذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب إننا استخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كلّ له أوّاب وشدنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب»^(٣) ، وروى الكافي عن النبي صلى الله عليه وآله قال : مات داود عليه السلام يوم السبت فمجدوا . فاظلمت الطير بأجنحتها ، وكذا لو كان نجى أحد لكان موسى كليم الله ، وفي الخبرات

(١) النمل ١٧

(٢) ص ٣٤-٣٠

(٣) ص ١٧-٢٠

موسى عليه السلام . فصاح صائح من السماء : مات كليم الله ، وأى نفس لاتموت .
« مع النبوة و عظيم الزلفة » : أى التقرب إليه تعالى . قال تعالى « وورت سليمان
داود و قال يا أيها الناس علمنا منطق الطير و أوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل
المبين » (١) « و تفقد الطير فقال مالى لأرى الهد هدام كان من الغائبين لأعد بنه عذاباً
شديداً أولاد بحننه أوليا تبنى سلطان مبین فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به
وجئتك من سبأ نبأ يقين إنى وجدت إمرة تملكهم و أوتيت من كل شيء ولها عرش
عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم
عن السبيل فهم لا يبهتدون إلا يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فى السماوات و الأرض و يعلم
ما تخفون و ما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من
الكاذبين إذ هب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها
الملا إنى ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان و إنه بسم الله الرحمن الرحيم
ألا تعلموا على و آتوتى مسلمين قالت يا أيها الملا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً
حتى تشهدون قالوا نحن ألو اوقوة و ألو ابا س و الأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين قالت
إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون و إنى
مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمد و ن بمال فما آتانى
الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأ تيسنهم بجنود لا قبل لهم
بها لنخرجنهم منها أذلة و هم صاغرون قال يا أيها الملا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن
يأتوتى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إنى عليه
لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك
فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءأشكر أم أكفر و من شكر
فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها فنظر
أتهتدى أم تكون من الذين لا يبهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه

هو وأوتينا العلم من قبلها وكنّا مسلمين وصدّها ما كانت تعبد من دون الله إنّها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلمّا رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنّهُ صرح ممرّد من قوارير قالت ربّ إنّني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين» (١).

« فلما استوفى طعمته » فما دام لم يأكل الإنسان اللقمة الأخيرة ، ولم يشرب الجرعة الأخيرة من رزقه من الدنيا لا يموت .

« واستكمل مدّته » وأجله المسمّى عند ربّه . روى الإكمال أنّه عاش ٧١٢ سنة وروى عن الصادق عليه السلام أنّ ملك الموت قال للنبي ﷺ : إنّني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله عليه . فأقوم ناحية من دارهم . فأقول : ما هذا الجزع فوالله ما تعجلناهُ قبل أجله ، وما كان لنا في قبضه من ذنب . فإنّ تحتسبوه وتصبروا توجروا ، وإنّ تجزعوا تأثموا وتوزروا ، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة إنّهُ ليس في شرقها وغربها أهل بيت مدرولا وبر إلاّ وأنا أتصفّحهم كلّ يوم خمس مرات ولا أنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ، ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي .

« رمته قسي » قال الجوهري قسيّ وأقواس : جمع القوس يذكر ويؤنث وأصل قسيّ : قأوس لأنّه فعول إلاّ أنّهم قدّموا اللام ، وصيروه (قسو) على (فلوع) ثمّ قلبوا الواوياء وكسروا القاف كما كسروا عين (عصى) فصارت (قسي) على (فليع) .
« الفناء » والارتحال من الدنيا .

« بنبال » قال الجوهري : النبل : السهام العربية ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على أنبال ، ونبال .

« الموت » « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلاّ دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبيّنت الجن أنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » (٢) وأخذ

(١) النمل ٢٩ - ٤٤ .

(٢) سبأ ١٤

معنى كلامه عليه السلام : «رمته قسى الفناء بنبال الموت» في سليمان عليه السلام ضيائي الذرفولي في الناس عموماً . فقال بالفارسية . مزيداً حال كونهم في القبور :
چەشەد كزبك كماند ارفنا اين لكشربى حد

بسر دارند از لوح مزار خود سپرها را

« وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة ، وورثها قوم آخرون » شأن باقي الناس من الملوك إلى السوقة . روى روضة الكافي عن الصادق أن الله تعالى أوحى إلى سليمان أن آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة ، فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة قد طلعت . فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : خرنوبة . فولى سليمان مدبراً إلى محرابه . فقام فيه : متكئاً على عصاه . فقبض روحه من ساعته . فجعلت الجن والانس يحدون ، ويسعون في أمره كما كانوا ، وهم يظنون أنه حتى لم يموت يغدون ويروحون ، وهو قائم ثابت حتى دبت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخر سليمان إلى الأرض - الخبر -

وروى العيون عن الرضا عليه السلام أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تعالى قد وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد بعدى سخر لى الريح والانس والجن والطير والوحش ، وعلمنى منطق الطير ، وآتانى من كل شىء ، ومع جميع ما أوتيته من الملك ماتم لى سرور يوم إلى الليل ، وقد أحببت أن أدخل إلى قصرى في غد فأصعد أعلاه . و أنظر إلى ممالكى . فلأتانوا أحد بالدخول على لئلا يرد على ما ينغص على يومى . فقالوا : نعم فلما كان من الغد أخذ عصاه و صعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتى فرحاً بما أعطى إن نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره . فلما بصر به سليمان قال له : من أدخلك هذا القصر ، وبأين من دخلت . فقال : أدخلنى ربىه وبأينه دخلت فقال : ربىه أحق به منى . فمن أنت ؟ قال : ملك الموت . قال : فيم جئت ؟ قال : لأقبض روحك قال : امض لما أمرت به أبى الله أن يكون لى يوم سرور دون لقائك .

وفي تفسير القمى لما أوحى الله إلى سليمان أنك ميت أمر الشياطين أن يتخذوا له

بيتاً من قوارير ، ووضعوه في لجة البحر ، ودخله سليمان عليه السلام فاتكأ على عصاه ، وكان يقرء الزبور ، والشياطين حوله ينظرون إليه ، ولا يجسرون أن يبرحوا ، فبينما هو كذلك إذحانت منه التفاتة . فإذاً هو برجل معه في القبة ففرع منه . فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي لأقبل الرشاد ، ولا اهاب الملوك . فقبضه وهو متكئ على عصاه سنة والجن يعملون له ولا يعلمون بموته حتى بعث الله الأروسة . فأكلت منسأته . فلما خر على وجهه تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ^(١) كذا نزلت هذه الآية ، وذلك أن الإنس كانوا يقولون : إن الجن يعلمون الغيب . فلما سقط سليمان على وجهه علم الإنس أن لو علم الجن الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميت ويتوهمونه حياً ، والجن تشكر الأروسة بما عملت بعصا سليمان ، فلا تكاد تراها في مكان إلا وعندها ماء وطين . فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر ، وكتبه في كتاب ثم طواه ، وكتب على ظهره : « هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا و كذا فليفعل كذا و كذا » ثم دفنه تحت السرير ثم استشاره لهم فقرأوه . فقال الكافرون : ما كان سليمان يغلبنا إلا بهذا ، وقال المؤمنون بل عبد الله ونبيه ، فقال - جل ذكره - « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » ^(١) .

هذا ، وقال البحرى في سليمان بن وهب :

طالت مساعيه النجوم سموكا	هذا سليمان بن وهب بعدما
سبعين حولاً قد تمنن دكيكا	وتنصف الدنيا يدبر أهلها
ما كان رسم حديشها ما فوكا	أعرت به الأقدار بغت ملمة
غصنا بمنخرق الرياح نهيكا	فكأنما خضد الحمام بيومه

« وأن لكم في القرون السالفة لعبرة » قال تعالى في فرعون « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » ^(٢) .

(١) البقرة ١٠٢

(٢) النازعات ٢٤ .

وروى أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام قال : خرج داود عليه السلام ذات يوم يقرء - وكان إذا قرء لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ، ولا سبع إلا جاوبه - فما زال يمر حتى انتهى إلى جبل . فإذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له : حزقييل . فلما سمع دوى الجبال وأصوات السباع والطير علم أنه داود عليه السلام . فقال له داود : أتأذن لي يا حزقييل أن أصعد إليك قال : لا . فبكى داود عليه السلام . فأوحى إلى حزقييل لا تعير داود وسلنى العافية . فقام حزقييل وأخذ بيد داود عليه السلام . فرفعه إليه فقال له داود : هل هممت بخطيئة قط ؟ قال : لا . قال : فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادته تعالى قال : لا . قال : فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من لذتها وشهوتها ؟ قال : بلى ربما عرض بقلبي . قال : فما تصنع إذا كان ذلك ؟ قال : أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه . فدخل داود عليه السلام الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية ، وعظام فانية . فإذا لوح من حديد فيه كتابة . فقرأها داود . فإذا هي : أنا أروى بن شليم ملكت ألف سنة ، وبنيت ألف مدينة ، وافتضت ألف بكر ، فأذن كان آخر عمرى أن صار التراب فراشى ، والحجارة وسادتى ، والديدان والحيات جيرانى . فمن رأنى . فلا يغتر بالدنيا .

« أين العمالقة وأبناء العمالقة » قال الجوهري : العمالقة قوم من ولد عمليق بن

لاوذب إنرم بن سام بن نوح ، وهم أمم تفرقوا في البلاد .

وفي الأغاني أن عمليقا ملك طسم وجديس ابني لاوذب إنرم بن سام بن نوح ، وكان في أول ملكه قدامدى في الظلم والغشم ، وأن امرئة من جديس طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها . فخاصمته إلى عمليق - إلى أن قال - فأمر عمليق بأن تباع هى وزوجها وأمر بالغلام بأن ينزع منهما ويجعل في غلمانه . فقالت :

أتينا أخطم ليحكم بيننا ☆ فأنفذ حكماً في هزيمة ظالما

لعمري لقد حكمت لامتو رعا * ولا كنت في ما يبرم الحكم عالما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لاتزوج بكر من جديس . فتهدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها . فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلاً . فلم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس - وهى عفيرة أخت الأسود الذى وقع إلى جبل طى . فقتله طى

وسكنوا الجبل من بعده - فانطلقوا بها إليه . فافترعها . فخرجت إلى قومها في دماءها شاقّة درعها من قبل ومن دبر والدم يسيل وهي في أقبح منظر وهي تقول :

لأحد أذلّ من جدّيس * أهكذا يفعل بالعروس
وقالت تحرّض قومها :

أيجمل ما يؤتى إلى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكننا لانقرّ بدأ الفعل
وإن أنتم لاتغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لاتعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فانما * خلقتم لأثواب العروس وللنسل

فلما سمع أخوها ذلك ، وكان سيّدا مطاعاً . قال لقومه : يامعشر جدّيس إن هؤلاء ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا ، ولولا إدهاننا ما كان له فضل علينا . قالوا : نطيعك ، ولكنّ القوم أكثر . قال : فانّي أصنع للملك طعاماً . ثمّ أدعوهم جميعاً . فاذا جاؤا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفهم ، وهم غارون فأهدناهم بها . قالوا : نفعل . ففعل ذلك . فلما مدّوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشدّ الأسود على عمليق فقتله ، وشدّ كل رجل منهم على جلسه . فأما توهّم . فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة . فلم يدعوا أحداً منهم ثمّ إن بقية طسم لجاءوا إلى حسّان بن تبيع فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق فأقام بجبل طيّ قبل نزول طيّ إيتاه .

«أين الفراعنة وأبناء الفراعنة» قال الجوهري : فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر ، وكلّ عات فرعون ، والعتاة الفراعنة ، وقال عدى بن زيد العبادي :

أين كسرى خير الملوك أنوشروان * أم أين قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولّى * الملوك عنه فبابه مهجور
حين ولّوا كأنهم ورق جفّ * تدرى به الصبا والذبور
وبنو الأصفر الكرام ملوك * الروم لم يبق منهم مذکور

وفي المروج - بعد ذكر ملوك مصر الأولين - وكثير واد بيصر بن حام بأرض مصر

فتشعبوا وملكوا النساء . فطمعت فيهم ملوك الأرض . فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له : الوليد بن دوبع . فكانت له حروب بها وغلب على الملك ، فانقادوا إليه واستقام له الأمر إلى أن هلك ثم ملك بعده الريان بن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف ، وقد ذكر الله تعالى خبره معه ، وما كان من أمرهما في كتابه العزيز ثم ملك بعده دارم بن الريان العملاقي ثم ملك بعده كابس بن معدان العملاقي . ثم ملك بعده الوليد بن مصعب ، وهو فرعون موسى عليه السلام قيل : إنّه من العماليق ، وقيل : إنّه من الأقباط من ولد مصر بن بيصر بن حام ، وقيل : إنّه من الخم من بلاد الشام ، ولما غرق فرعون ملكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم يقال لها : دلوكة .

والذى اتفقت عليه أهل التاريخ مع تباين ما فيها إن عدّة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعوناً ومن بلوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ، ومن عماليق الشام أربعة ، ومن الروم سبعة ، ومن اليونانيين عشرة ، وذلك قبل المسيح عليه السلام ، وملكها أناس من الفرس قبل الأكاسرة ، وكان مدّة من ملك من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف وثلاثمائة سنة .

قال تعالى « وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لباطرصاد » ^(١) وقال تعالى لبنى إسرائيل « وإن نجسيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ^(٢) .

« أين أصحاب مدائن الرس » فى الصحاح : الرس : اسم بشر كانت لبقية من ثمود ويأتى وجه آخر فى الخبر . قال تعالى « كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد » ^(٣) « وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكلاً ضربنا له

(١) الفجر ١٠ - ١٤ .

(٢) البقرة ٤٩ .

(٣) ق ١٢-١٤ .

الأمثال وكلاً تبرنا تبيراً ، (١) .

وروى العميون والعلل أن أصحاب الرس كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (شاه درخت) كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها (روشاب) كانت استنبط لنوح بعد الطوفان - وإنما سُموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض - وذلك بعد سليمان ، وكانت لهم اثنتي عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له (الرس) من بلاد المشرق ، وبهم سمى ذلك النهر ، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ، ولا أعذب منه ، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها تسمى إحداهن (أبان) والثانية (آذر) والثالثة (دي) والرابعة (بهمن) والخامسة (اسفندار) والسادسة (فروردين) والسابعة (ارديبهشت) والثامنة (خرداد) والتاسعة (مرداد) والعاشر (تير) والحادي عشر (مهر) والثاني عشر (شهر يور) وكانت أعظم مدنهم (اسفندار) وهي التي كان ينزلها ملكهم ، وكان يسمى تركوز بن عابور بن يارش بن ساذن بن نمروذ بن كنعان - ونمرود فرعون إبراهيم - وبها العين و الصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة ، وأجروا إليها نهرًا من العين التي عنده الصنوبرة . فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة ، وحرّموا ماء العين والأ نهار . فلا يشربون منها ولا أنعامهم ، ومن فعل ذلك قتلوه ، و يقولون : هو حياة آلهتنا . فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم .

وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها . فيضربون على الشجرة التي بها كلكة من حرير فيها من أنواع الصور . ثم يأتون بشاة وبقر . فيذبحونها قرباناً للشجرة ، ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقمارها في الهواء ، وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا للشجرة سجداً يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم . فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ، و يصبح من ساقها صياح الصبي أن قد رضيت عنكم عبادي . فطيبوا نفساً ، وقرّوا عيماً . فيرفعون

عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر ، ويضربون بالمعازف ، ويأخذون الدستنبد . فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون .

وإنما سميت العجم شهورهم «بأبانماء» و«آزماه» وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا ، وعيد شهر كذا .

حتى إذا كان عيد قريتهم اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم . فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور ، وجعلوا له إثني عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم ، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق ، ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم . فيجيء إبليس عند ذلك . فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ، ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً ويعددهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم ومنتمتهم الشياطين كلها . فيرفعون رؤوسهم من السجود ، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفقهون ولا يتكلمون من الشرب والعزف ، فيكون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليهم بعد أعيادهم سائر السنة ، ثم ينصرفون .

فلما طال كفرهم بالله تعالى بعث الله تعالى إليهم نبياً من بنى إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب . فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله تعالى . فلا يتبعونه فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال ، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد ، وحضر عيد قريتهم العظمى . قال : يارب إن عبادك أبوا ألا تكذبني والكفر بك ، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فابس شجرهم أجمع وارهم قدرتك وسلطانك . فأصبح القوم ، وقد يبس شجرهم ، فها لهم ذلك وصاروا فرقتين : فرقة قالت سحرا آلهتمكم هذا الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتمكم إلى إلهي ، وفرقة قالت : بل غضبت آلهتمكم حين رأت هذا الرجل يعيبيها ، ويدعوكم إلى عبادة غيرها . فحجبت حسنها وبهائها لكي تغضبوا لها فتنصروا منه فاجمع رأيهم على قتله . فاتخذوا أنابيب طويلاً من رصاص واسعة الأفواه . ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرانج ، ونزحوا ما فيها من الماء . ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة وأرسوا فيها نبيهم وألقموا فاهها صخرة عظيمة ثم أخرجوا

الأنايب من الماء ، وقالوا: الآن نرجوا أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأتنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ، ودفنناه تحت كبيرها يتشفى منه . فيعود لنا نورها ، ونضرتها كما كان . فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم وهو يقول : ياسيدي قد ترى ضيق مكاني ، وشدة كربى . فارحم ضعف ركنى ، وقلة حيلتى ، وعجل قبض روحى ، ولا تؤخر إجابة دعوتى ، حتى مات .

فقال - جل جلاله - لجبريل : أيعظن عبادى هؤلاء الذين غرهم حلمى ، و آمنوا مكروى وعبدوا غيرى ، وقتلوا رسولى أن يقوموا لغضبى أو يخرجوا من سلطانى كيف وأنا المنتقم ممن عصانى ، ولم يخش عقابى ، وإننى حلفت بعزتى و جلالى لأجعلنهم عبرة للعالمين . فلم يرعهم ، وهم في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديد الحمرة فتحيروا وزعروا منها ، وتصام بعضهم إلى بعض ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبير يتوقد وأظلمت سحابة سوداء . فالقت عليهم كالقبة حمرا يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار .

وفي معانى الأخبار معنى أصحاب الرس أنهم نسبوا إلى نهر يقال : له الرس من بلاد المشرق ، وقد قيل : إن الرس هو البثروان أصحابه رسوا نبيهم بعد سليمان ، وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (شاه درخت) كان غرسها يافث بن نوح فأنبئت لنوح بعد الطوفان - وكان نسائهم يشتغلن بالنساء عن الرجال فعذبوا بريح عاصف شديدة الحمرة ، وجعل الأرض حجر كبير يتوقد ، وأظلمت سحابة سوداء مظلمة . فانكفت عليهم كالقبة حمرة . فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار .

وفي ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام سأله امرأة عن السحق . فقال : حد واحد الزانى . فقيل : ما ذكر فى القرآن . فقال : بلى هو أصحاب الرس .

و عن تفسير الثعلبى اختلف فى أصحاب الرس . فقال : سعيد بن جبير و الكلبي و الخليل - دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديثهم - هم بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التى فى قوله تعالى «وبئر معطلة وقصر مشيد» ^(١) وكانوا بفليح

اليمامة نزولاً على تلك البئر ، وكل ركيّة لم تطوب بالحجارة والآجر هو بشر ، وكان لهم نبي يقال له : حنظلة بن صفوان ، وكان بأرضهم جبل يقال له (فتح) مصعداً إلى السماء ميلاً ، وكانت العنقاء تمتابه ، وهي كأعظم ما يكون من الطير ، وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها تنقض في ذلك الجبل على الطير تأكلها فجاءت ذات يوم فاعوزها الطير . فانقضت على صبي . فذهبت به ثم إنهما انقضت على جارية حين ترعرعت . فاخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين . فشكوا إلى نبيهم . فأهلكهم الله تعالى . وقال بعض العلماء : بلغني أنه كان رسّان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو أصحاب غنم ومواش . فبعث تعالى إليهم نبياً . فقتلوه ثم بعث إليهم آخر ، وعضده بولي فقتلوا الرسول وجاهدهم الولي حتى أفرحهم ، وكانوا يقولون : إلهنا في البحر ، وكانوا على سفيره ، وكان يخرج إليهم من البحر شيطان في كل شهر خرجة فيذبحون عنده ، ويتخذونه عيداً . فقال لهم الولي : أرأيتم أن خرج إليكم الذي تعبدونه إلى و أطاعني تجيئوني إلى ما دعوتكم إليه قالوا : بلى و اعطوه العهد ، و الموثيق . فانظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت ركباً أربعة أحوات ، وله عنق مستعلية ، وعلى رأسه مثل التاج فلما نظروا إليه خرّوا له سجداً ، وخرج الولي إليه ، فقال ايتني طوهاً أو كرهاً باسم الله الكريم . فنزل عند ذلك عن أحواته . فقال له الولي : ايتني عليهن لئلا يكون من القوم في أمرى شك . فأتى الحوت وآتين به حتى افضين به إلى البر يجرّونه فكذبوه ونقضوا العهد . فأرسل تعالى عليهم ريحاً . ففقدتهم في البحر ومواشيهم جميعاً ، وما كانوا يملكون من ذهب وفضة . فأتى الولي إلى البحر حتى أخذ التبر والفضة والأواني فقسّمها على أصحابه بالسوية الصغير والكبير ، وانقطع هذا النسل .

وأما الآخرون فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه ، وكان فيهم أنبياء كثيرة قل يوم يقوم نبي . إلا قتل ، وذلك النهر بمنقطع آذر بيجان بينها وبين إرمينية فإذا قطعتة مدبراً دخلت في حد إرمينية ، وإذا قطعتة مقبلاً دخلت في حد آذر بيجان يعبدون النيران ، وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى . فإذا تمت لا حديهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها ، و كان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ ، و كان يرتفع كل يوم

وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله ، وكان لا ينصب في بر ولا بحر إذا خرج من حدّهم يقف ويدور . ثم يرجع إليهم . فبعث الله تعالى إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوا جميعاً . فبعث إليهم نبياً وأيده بنصره ، وبعث معه ولياً فجاهدهم - الخبر - « الذين قتلوا النبيين » قال تعالى حكاية عن اليهود « قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » (١) « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون » (٢) وفي لهوف علي بن طاووس ملأ أراد الحسين عليه السلام الشخصوس من مكة إلى العراق جاءه ابن عمر ، فأشار عليه بصلح أهل الضلال . فقال عليه السلام له : أما تعلم أن بنى إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يلعبون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً . فلم يجعل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام ، اتق الله ولا تدع نصرتي .

« واطفأوا » من قولهم : اطفأ المصباح .

« سنن المرسلين » التي كانت في إراءة الناس لسبب الله كالسراج .

« وأحيوا سنن الجبارين » الذين لا يراعون شريعة ، ويأتون بكل فجيرة .

هذا ، وفي المروج كان المطعند إذا غضب على القائد النبيل والذي يختصه من غلمانة أمر أن تحفر له حفيرة . ثم يدلى رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه و نصفه الأسفل ظاهر على التراب حتى يموت ، وكان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد ويؤخذ القطن فيحشى في أذنه و خيشومه و فمه ، وتوضع المنافع في دبره حتى ينفخ ويعظم جسده ثم يسد الدبر بشىء من القطن ثم يفسد - وقد صار كالجممل العظيم - من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع ، وربما كان يقتل الرجل في أعلى القصر مجرداً موثقاً ، ويرمى بالنشاب حتى يموت ، واتخذ المطامير وجعل فيها صنوف العذاب ، و جعل عليها نجاح الحرمى المتولى لعذاب الناس .

(١) البقرة ٩١ .

(٢) ، ٨٧ .

«وأين الذين ساروا بالجيوش وهزموا الألوفاً من الملوك والأمراء في كامل الجزيرة توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في سنة ٥٥٤ وهو الذي حاصر بغداد طالباً السلطنة ، وعاد عنها فأصابه سلّ وطال به . فمات بباب همدان . فلما حضره الموت أمر العساكر . فركبت وأحضرت أمواله وجواهره ، و حظاياه ومماليكه . فنظر إلى الجميع من طيارة تشرف على ماتحتها ، وبكى ، وقال : هذه العساكر والجواهر والمماليك والسراري ما أرى يدفعون عني بقدر ذرة ، ولا يزيدون في أجلى لحظة وأمر بالجميع . فرفع بعد أن فرق منه شيئاً كثيراً .

وفي المروج كانت سياسة يعقوب بن ليث الصفار لجيوشه سياسة لم يسمع مثلها في من سلف ، ومن ذلك أنه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد النقلة . فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع . فرئى رجل من جيشه أخرج الحشيش من فم دابته مخافة أن تلوكه بعد سماع النداء ، وأقبل على الدابة مخاطباً (دواب را از تربريدند) يعنى : قطعوا الدواب عن الرطب ، ورئى رجل من قواده ذو مرتبة والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته . فقبل له في ذلك . فقال : نادى منادى الأمير ألبسوا السلاح ، وكنت أغتسل من جنابة . فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح ، توفى بجند يسابور ، وخلف في بيت ماله خمسين ألف درهم وثمانمئة ألف درهم .

وفيه سعى بالهادى عليه السلام إلى المتوكل ، وقيل له : إن في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته . فوجه ليلاً إليه من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله غفلة ممن في داره . فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل . فمثل بين يديه وهو يشرب وفي يده كأس . فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه . فناوله الكأس الذي في يده . فقال عليه السلام : ما خمر لحمى ودمى قط . فقال : انشدنى شعراً استحسنه . فقال : إننى لقليل الرواية للأشعار . قال : لا بد أن تنشدنى . فأنشده :

- باتو على قلل الجبال تحرسهم ☆ غلب الرجال فما أغنتهم القلل
 و استنزلوا بعد عز عن معاقلمهم ☆ فأودعوا حفراً يابس ما نزلوا
 ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ☆ أين الأُسرة و التيجان والحلل
 أين الوجوه التي كانت منعمة ☆ من دونها تضرب الأستار والكلل
 فأفصح القبر عنهم حين سائلهم ☆ تلك الوجوه عليها الدود تقتل
 قذال ما أكلوا دهنأ و ما شربوا ☆ فأصبحوا بعد طول الأكل قذاكلوا
 وطالما عمروا دورأ لتحصنهم ☆ فقارقوا الدوروالأهلين وانتقلوا
 وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ☆ فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
 أضحت منازلهم قفراً معطلة ☆ وساكنوها إلى الأجداث قدرحلوا
- فاشفق من حضر أن تبدر منه بادرة إليه ، و الله لقد بكى بكاء طويلاً حتى بليت
 دموعه لحيته ، و بكى من حضره . ثم أمره برفع الشراب وردّه مكرماً .
 « ومدّ نوا المدائن » ومنها المدائن التي مدّها كسرى .

هذا ، وفي القاموس : المنصورة بلد بالسند إسلامية ، و بلد بنواحي واسط ، واسم
 خوارزم القديمة التي كانت شرقي جيحون ، و بلدة قرب قيروان ، و بلدة ببلا الديلم ، و
 بلدة بين القاهرة و دمياط ، و من العجب أن كلاً منها بناها ملك عظيم في جلال سلطانه
 وعلو شأنه ، وسمّاها المنصورة تفوّلاً بالنصر و الدوام فخرجت جميعها ، و اندرست و
 تعفّت رسومها ، و اندحضت .

وفي المعجم قال علقمة بن مرثد في قصر شربيل ملك اليمن العجيب في جميع
 أموره المسمّى بالقشيب :

- اقفر من أهله القشيب ☆ و بان عن أهله الحبيب
 وقال شاعر في قصر أبي الخصيب مولى المنصور أحد المنتزهات المشرف على النجف
 ذي خمسين درجة عجيب الصفة :
- يادار غير رسمها ☆ مر الشمال مع الجنوب
 بين الخورنق و السدير ☆ فبطن قصر أبي الخصيب

فالدير فالنجف الأشم * جبال أرباب الصليب
وفيه ومن القصور قصر بهرامجور قرب همدان كله حجر واحد ، منقورة بيوته ،
وخزائنه ، و مجالسه ، وغرفه ، وشرفه وسائر حيطانه . فان كان مبنياً بحجارة مهندمة
قد لوحك بينها حتى صارت كأنها حجر واحد لا بين منها مجمع حجرين . فانه لعجب
وإن كان حجراً واحداً فكيف نقرت بيوته ، و خزائنه ، و حجراته ، ودها ليزه ، و
شرفاته . فهذا أعجب لأنه عظيم جداً كثيراً لمجالس و الخزائن و الغرف ، و في
مواقع منه . كتابة بالفارسية تتضمن شيئاً من أخبار ملوكهم ، و في كل ركن من أركانه صورة
جارية عليها كتابة .

و فيه ، و منها قصر شيرين قصر كسرى أبرويز الذي قالوا كان له أشياء لم تكن
لملك قبله ولا بعده . فرسه شبدين ، و مغنيسه و عواده و جاريته شيرين ، و قصر شيرين
الذي أحد عجائب الدنيا ، و كان سبب بناء أنه أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين في
فرسخين ، وأن يحصل فيه من كل صيد حتى يتناسل جميعه ، و وكل بذلك ألف رجل
فأقاموا في عمله ، و تحصيل صيوده سبع سنين حتى فرغوا . فلما تم صاروا إلى البلهد
المغني ، و سأله أن يخبر الملك بذلك . فعمل صوتاً و غناه به و سماه (باغ نخجيران)
أي بستان الصيد . فطرب الملك عليه و أمر للصناع بمال . فلما سكر قال لشيرين :
سلينى حاجة . فقالت : صير في هذين البستان نهرين من حجارة تجرى فيهما الخمر
و تبنى لى بينهما قصرأ لم بين في مملكتك مثلها . فأجابها إلى ذلك .

و فى المروج كتب ملك الصين إلى أنوشيروان : من يعبور ملك الصين صاحب
قصر الدر والجوهر والذي يجرى في قصره نهران يسقيان العود ، والكافور الذي توجد
رائحته على فرسخين ، والذي تخدمه بنات ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل أبيض
و أهدي إليه فرساً من در منضد بالجوهر ، و ثوب حرير فيه صورة الملك جالسا في
أيوانه عليه حليته و تاجه ، و على رأسه الخدم ، و بأيديهم المذاب صورة منسوجة
بالذهب ، و أرض الثوب لازورد في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تلالاً جمالاً .

و فيه : و كتب ملك الهند إلى أنوشروان : من ملك الهند صاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر ، وأهدى إليه ألف من عود هندي يذوب في النار كالشمع ، ويختم عليه كما على الشمع . فتبين فيه الكتابة وجاماً من الياقوت الأحمر فتحه شبر ، وعشرة أمانان كافور كالفسق وأكبر ، و جارية طولها سبعة أشبار تضرب أشفار عينيها خديها ، وكان بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ، ودقة تخطيطها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرّها ، وفرشاً من جلود الحيئات ألين من الحرير مكتوب بالذهب الأحمر .

و كان لأنوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع الجواهر ، وعن عليّ ابن يقطين كنتاً مع المهدي بما سبذان . فأكل يوماً ونام ، وكنتاً نحن في الرواق فانتبهنا لبكائه . فبادرنا إليه فقال : أما رأيتم ما رأيتم قلنا : ما رأيتم . قال : وقف عليّ رجل لو كان في ألف ما خفي عليّ وقال :

كانتني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربه و منازله
 و صار عميد القوم من بعد بهجة * و ملك إلى قبر عليه جنادله
 فلم يبق إلا ذكره و حديثه * ينادى عليه معولات حلائله
 فما أتت عليه بعد رؤياه إلا عشرة أيام حتى توفى .



﴿ الفصل السادس ﴾

في النبوة الخاصة

في ١١٠٠ على ذلك نسلت القرون ، و مضت الدهور ، و سلفت
 الآباء ، و خلفت الأبناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا رسول الله صلى
 الله عليه و سلم لانجاز عده ، و تمام نبوته . ماخوذاً على النبيين
 ميثاقه . مشهورة سماته ، كريماً ميلاده ، و اهل الارض يومئذ ملل
 متفرقة ، و اهواء منتشرة ، و طوائف متشتتة ، بين مشبه الله بخلقه ،
 او ملحد في اسمه ، او مشير الى غيره ، فهداهم به من الضلالة ، و
 انقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه
 و سلم لقائه ، و رضى له ما عنده ، و اكرمه عن دار الدنيا ، و
 رغب به عن مقارنة البلوى . فقبضه اليه كريماً صلى الله عليه وآله .

« على ذلك نسلت » من باب نصر : أى أتت بولد كثير .

« القرون » جمع القرن ، و في الصحاح القرن ثمانون سنة ، و يقال : ثلاثون سنة
 و القرن أهل زمان واحد . قال الشاعر :

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم ☆ و خلفت في قرن فأنت غريب

« و مضت الدهور » : أى الأزمنة .

« و سلفت الآباء » : أى مضوا .

« و خلفت الأبناء » : أى صاروا خلفهم .

إلى أن بعث الله سبحانه محمدًا رسول الله ﷺ هكذا في المصرية ، والصواب : صلى الله عليه وآله . كما في (حد ، وثم ، والنخية) .
« لا نجار » : أى قضاء .

« عدته » : أى وعده الذى وقع على لسان أنبيائه كما حكى تعالى عن عيسى عليه السلام
« ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » ^(١) وعن كتابه و كتاب موسى عليه السلام
« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » ^(٢)
وقال أبو طالب عمه : صلى الله عليه وآله .

ألم تعلموا أننا وجدنا محمدًا رسولاً كما موسى خط في أول الكتب
« وتمام نبوته » قال تعالى « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ^(٣) والمراد تمام نبوة
الله تعالى باعتبار الجاعلية لانبوة النبى صلى الله عليه وآله كما قاله (حد) فالضمير في (نبوته) راجع
إليه تعالى مثل (عدته) .

« مأخوذاً على النبيين ميثاقه » قال تعالى « وإذ أخذنا من النبيين ما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جئكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم
على ذلك إصرى قالوا أقررتنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » ^(٤) .
والمراد من أخذ الميثاق على النبيين الإيجاب عليهم بيانهم لا تمهم أن نبيينا
صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء ، وأن شريعته ناسخة لشرائعهم فيجب عليهم رفض شرائعهم واتباع
شريعته .

« مشهورة سماته » : أى علاماته . قال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون أبناءهم » ^(٥) وقال - عز وجل - « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى
يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالعرف و ينهاهم عن المنكر ويحل

(١) الص ٦ .

(٢) الاعراف ١٥٧

(٣) آل عمران ٨١

(٤) البقرة ١٤٦

لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (١)
والآية من معجزاته القطعية التي يشهد بها نبوته. فإنه لو لم يكن يعرفوه، ولم
يكن مكتوباً في كتبهم لأنوا بكتبهم إليه وإلى أصحابه، وقالوا له: أين كنت مذكوراً
و مكتوباً، ولو كان ذلك لصار أمره باطلاً، و تفرق الناس عنه ولا سيما كان في أصحابه
مناقفون منتظرون لمثله.

وممن عرفه بسماته ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، ورغبها في التزوج به لذلك
وزادها في رغبتها فيه ﷺ أخبار ميسرة غلامها بما سمع من أحبار الشام فيه ﷺ.
وممن عرفه بسماته زيد بن عمرو بن نفيل. قال الجزري في كامله: قال عامر بن
ربيعة: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنا لنتنظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من
بني عبدالمطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدق وأشهد أنه نبي. فإن طالت
بك حياة ورأيت فاقراه منى السلام وساخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك. قلت: هلم،
قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر، ولا تفرق عينيه حمرة، و
خاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه. ثم يخرج قومه، و
يكرهون ما جاء به، ويهاجر إلى يثرب. فيظهر بها أمره. فأيتك أن تنخذع عنه فأنتي
طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ﷺ فكل من أسأله من اليهود والنصارى و
المجوس يقول: هذا الدين وراك، و ينعته مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبق نبي
غيره. قال عامر: فلما أسلمت أخبرت النبي ﷺ بقول زيد وأقر أنه السلام منه فرد عليه
وترحم.

ومنها أمية بن أبي الصلت قال ابن قتيبة في معارفه: كان أمية قد قرأ الكتب،
ورغب عن عبادة الأوثان و كان يخبر بأن نبياً يبعث قد أظلم زمانه. فلما سمع بخروج
النبي ﷺ كفر حسداً له، ولما أنشد النبي ﷺ شعره قال: آمن لسانه وكفر قلبه.

وفيه أيضاً كان أسعد بن كرب الحميري آمن بالنبى ﷺ قبل أن يبعث بسبعمأة سنة ، وقال :

شهدت على أحمد أنه * رسول من بارىء النسم
فلو مد عمرى إلى عمره * لكنك وزيراً له وابن عم
وألزم طاعته كل من * على الأرض من عرب أو عجم

وقال أبو طالب :

أمين حبيب في العباد مسوم * بخاتم رب قاهر في الخواتم
يرى الناس برهانا عليه وهيبة * وما جاهل في قومه مثل عالم

ولا بن ظفر المنحوى اللغوى، كتاب مترجم : « خير البشر لخير البشر » ذكر فيه الأرهاصات التى كانت بين يدى ظهور النبى ﷺ .

و في كنز الكراجم مكتوب في التوراة « إذا جاءت الأمة الأخيرة تتبع ركب البعير يسبحون الرب تسميها جديداً » وراكب البعير هو نبينا والأمة الأخيرة أمته .
و فيه و في السفر الخامس من التوراة « الرب ظهر فجلى على سينين ، وأشرف على جبل ساعير ، وأشرف من جبل فاران » وجبل فاران جبل مكة ، وظهور الرب ظهور أمره .

و فيه و في الإنجيل « ابن البشير ذاهب ، والفار قليط آت من بعده » و من قول شعيا قال له إله إسرائيل « فإذا رأيت راكبين يسيران أضانت لهما الأرض أحدهما على حمار ، والآخر على جمل . فراكب الحمار عيسى عليه السلام ، وراكب الجمل محمد ﷺ »
و من قول دانيال : « جاء الله بالبيان من جبل فاران ، وامتلات السماوات والأرض من تسبيح الأمة محمد ﷺ » .

« كريما ميلاده » عن الصادق عليه السلام كان إبليس يخترق السماوات السبع . فلما ولد عيسى عليه السلام حجب عن ثلاث سماوات ، وكان يخترق أربع سماوات . فلما ولد النبى ﷺ حجب عن السبع كلها ، ورميت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش : هذا قيام الكذى كنا نسمع أهل الكتب يذكرونه ، وقال عمرو بن أمية - وكان من أرحز أهل الجاهلية :-

انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها ، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف . فإن كان رمى بها فهو هلاك كل شيء ، وإن كانت ثبتت ورمى بغيرها . فهو أمر حدث ، وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي ﷺ ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه ، وارتج منه في تلك الليلة أيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وغازت بحيرة ساوة ، وفاض وادي السماوة ، وخدمت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى المؤبدان في تلك الليلة في المنام إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً ، وقد قطعت دجلة ، وانسربت في بلاده ، وانفصم طاق ملك كسرى من وسطه ، وتخرقت عليه دجلة العوراء ، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز . ثم استطار حتى بلغ المشرق . فلم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة ، وبطل سحر السحرة ، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها ، وعظمت قريش في العرب وسموا آل الله ، وقالت آمنة : إن ابني سقط فاتقى الأرض بيده . ثم رفع رأسه إلى السماء . فنظر إليها . ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء وسمعت في الضوء قائلاً يقول : « إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً » وأتى به عبدالمطلب لينظر إليه ، وقد بلغه ما قالت أمه . فوضعه في حجره . ثم قال :

الحمد لله الذي أعطاني ❦ هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان .

ثم عوّزه بأركان الكعبة ، وقال فيه أشعاراً ، وصاح إبليس في أبالسته فاجتمعوا إليه . فقالوا : ما الذي أفزعك يا سيدنا ؟ فقال لهم : ويلكم لقد انكرت السماء والأرض منذ الليلة لقد حدث حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى . فأخرجوا وانظروا ما هذا الحدث . فافترقوا ثم اجتمعوا إليه وقالوا : ما وجدنا شيئاً . فقال : أنا لهذا . ثم انغمس في الدنيا . فجعلها حتى انتهى إلى الحرم . فوجده محفوظاً بالملائكة . فذهب ليدخل فصاحوا به . فرجع ثم صار مثل الصرد ، وهو العصفور . فدخل من قبل حراء . فقال له جبرئيل : وراك نفسك . فقال : حرف أسألك عنه ما هذا الذي حدث منذ الليلة ؟ فقال : ولد محمد ﷺ . فقال له : هل لي فيه من نصيب قال : لا

قال : ففي أمته . قال : نعم . قال : رضيت .

« و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة » كاليهود والنصارى والمجوس .

« و أهواء منتشرة » كالثنوية و عابدى الملائكة ، و عابدى الشمس . قال ابن

قتيبة : كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها الإلاهة . قال الأعشى :

فلم أذكر الرهب حتى انفتلت ☆ قبيل الإلاهة منها قريباً

و قال البلاذري : إن الأسيديين قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين - و قال

هشام الكلبي : هم ولد عبد الله بن زيد من زيد مناة بن تميم ، و قيل : لهم الأسيديون

لأنهم كانوا يعبدون فرساً - قلت : يقال للفرس بالفارسية (اسب) .

و في نسب قریش مصعب الزبيرى كان يقال لعمر و بن حبيب الفهرى المحاربى

جد جد ضرار بن الخطاب (آكل السقب) لأنه كان أغار على بنى بكر ، و كان لهم

سقب يعبدونه من دون الله . فأخذه و أكله - والسقب الذكر من ولد الناقة - .

و في حليلة أبى نعيم قال أبو رجاء العطاردى : كنا نجمع التراب في الجاهلية

فنجعل وسطه حفرة ، فنحلب فيها . ثم نسعى حولها و نقول : لييك لاشريك لك إلا

شريكاً هولاك تملكه و ما ملك ، و كنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم

نلقيه .

« و طوائف » هكذا في المصرية ، والصواب (و طرايق) كما في (حد و ثم

والخطية) .

« متشتتة » كالدهرية والوثنية . كان لربيعه بيت يطوفون به يسمى ذو الكعبات

و كان لخنعم بيت كان يدعى كعبة اليمامة ، و كان فيه صنم يدعى الخلصة ، و لما هزمت

بنو بغيض من غطفان صداء من مذبح قالوا : لتتخذن حرماً مثل مكة لا يهاج عائدته

فبنوا حرماً و وليه بنو مرة بن عوف . فبلغ ذلك زهير بن جناب . فقال : والله لا

أخلى غطفان تتخذ حرماً . فغزاهم و ظفر بهم ، و أخذ فارساً منهم في حرمهم . فقتله

و عطل ذلك الحرم ، و كانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس فعبدوه

دهراً طويلاً ثم أصابهم مجاعة . فأكلوه . فقال رجل من بني تميم :

أكلت ربها حنيفة من * جوع قديم بها ومن إغواز

و كان الحرث بن قيس السهمي - وهو أحد المستهزئين بالنبي ﷺ - يأخذ حجراً يعبده . فإذا رأى أحسن منه ترك الأول و عبد الثاني قيل : وفيه نزل « أفرايت من اتخذ إلهه هواه » (١) و كان أهل الجاهلية ينحرون لصخرة يعبدونها ، و يلبطخونها بالدم و يسمونها سعد الصخرة ، و كان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم جاؤا إلى تلك الصخرة و تمسحوا بها الإبل والغنم . فجاء رجل بإبل له يريد أن يتمسح لها بالصخرة ، و يبارك عليها . فنفرت ، و تفرقت . فقال :

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فما نحن من سعد

و ما سعد إلا صخرة مستوية * من الأرض لا تهدي لغى ولا رشد

و مرّت بسعد ذاك رجل و نعلب يبول عليه . فقال :

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقدنل من بالث عليه الثعالب

وفي تاريخ اليعقوبي : كان أول شأن الأصنام أن الناس كانوا إذا مات لأحدهم المييت الذي يعزّ عليهم من أب أو أخ أو ولد صنع صنماً على صورته ، و سماه باسمه . فلما أدرك الخلف الذين بعدهم ظنّوه إلهاً و حدّتهم الشيطان إنّه إنتما صنعت هذه لتعبد فعبدوها ثم فرقوا في دينهم . فمنهم من عبد الأصنام ، و منهم من عبد الشمس ، و منهم من عبد القمر ، و منهم من عبد الطير ، و منهم من عبد الحجارة ، و منهم من عبد الشجر ، و منهم من عبد الماء ، و منهم من عبد الريح ، و منهم من عبد النار .

« بين مشبه لله بخلقه » كاليهود حيث أثبتوا له إبناً و هو عزيز ، و كالنصارى حيث أثبتوا له إبناً و هو عيسى ، و كصنف من العرب حيث أثبتوا له بنات : أي الملائكة . فكانوا يعبدونها لتشفع لهم إلى الله تعالى ، و هم الذين أخبر تعالى عنهم في قوله « و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهون » (٢) وفي قوله « و جعلوا له من عباده جزءاً » (٣) .

(٢) النحل ٥٧ .

(١) الفرقان ٤٣ .

(٣) البقرة ٢٦٠ .

« أو مشير إلى غيره » حيث جعلوا الصانع الدهر والنور والظلمة ، ولما قال النبي ﷺ لقومه : أدعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله ، و خلع الأنداد. قالوا : ندع ثلاثمائة وستين إلهاً و نعبد إلهاً واحداً ، و قال (حد) : كان بعض العرب يقول : « ما هي الأحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر »^(١) و بعضهم أقر بالخالق ، وأنكر البعث ، و من قولهم في قتلى بدر :

أخبرنا ابن كيشة أن سنحياً ☆ و كيف حياة أصداء و هام
إذا ما الرأس زال بمنكبيه ☆ فقد شبع الأئيس من الطعام
أقتلني إذا ما كنت حياً ☆ و يحينني إذا رمت عظامي

و بعضهم أقر بالخالق و نوع من الإعادة ، و أنكر الرسل ، و عبدوا الأصنام ، و زعموا أنهم شفعاء في الآخرة ، و حججوا لها ، و نحرروا لها الهدى ، و قرّبوا قربان لها ، و حلّلوا و حرّموا ، و هم جمهور العرب الذين قال تعالى عنهم « و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق »^(٢) و منهم من يجعل الأصنام مشاركة للبارئ تعالى كقولهم في تلميتهم (لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه و ما ملك) و منهم من يجعلها وسائل و هم الذين قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »^(٣) و بعضهم يعتقد التناسخ ، و منهم أرباب الهامة التي قال النبي ﷺ عنهم « لا عدوى ولا هامة ولا صفر » و قال ذو الإصبع :

يا عمرو ألا تدع شتمى و منقصتى ☆ أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

و بعضهم مشبهة و مجسّمة ، و منهم أمية بن أبي الصلت . فقال :

فوق العرش جالس قد ☆ حظّ رجليه إلى كرسيه المنصوب

و كان فيهم متألّهة أصحاب الورع كعبد الله ، و عبد المطلب ، و أبي طالب ، و زيد بن عمرو بن نفيل ، و قس بن ساعدة ، و عامر بن الظرب ، و كان فيهم من يميل إلى اليهودية

(١) الجاثية ٢٤ .

(٢) الفرقان ٧

(٣) الزمر ٣ .

كجماعة من التبابعة ، وملوك اليمن ، ومنهم نصارى كبنى تغلب ، والعباديين رهط عدى بن زيدون نصارى نجران ، ومنهم من يميل إلى الصائبة و يقول بالنجوم والأهواء - الخ - .
« فهداهم به من الضلالة ، و أنقذهم بمكانه من الجهالة » قال الشاعر :

رأيت الصدع من كعب و كانوا ☆ من الشنآن قد صاروا كعابا

وفي الاحتجاج : اجتمع عند النبي ﷺ يوماً خمسة أديان: اليهود، والنصارى والدهرية ، والثنوية ، و مشركوا العرب . فقالت اليهود : نحن نقول : عزير ابن الله و قد جئناك يا محمد لننظر ما تقول . فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك ، و إن خالفنا خصمناك ، و قالت النصارى : نحن نقول : إن المسيح ابن الله اتحد به ، و قد جئناك لننظر ما تقول . فإن تبعتنا فنحن أسبق منك إلى الصواب و إن خالفنا خصمناك و قالت الدهرية : نحن نقول : لا بدء لها و هي دائمة ، و قد جئناك لننظر في ما تقول : فإن تبعتنا فنحن أسبق منك إلى الصواب و إن خالفنا خصمناك ، و قال الثنوية : نحن نقول : النور والظلمة هما المدبران ، و قد جئناك لننظر في ما تقول . فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و إن خالفنا خصمناك . فقال النبي ﷺ : آمنت بالله وحده لا شريك له ، و كفرت بكل معبود سواه ، ثم قال لهم : إن الله قد بعثنى كافة للناس بشيراً و نذيراً و حجة على العالين سيرد كيد من يكيد دينه في نحره . ثم قال لليهود : أجتئوني لأقبل قولكم بغير حجة . قالوا : لا . قال : فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزيراً ابن الله . قالوا : لأنه أحیی لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهب ، و لم يفعل بها هذا إلا لأنه ابنه . فقال النبي ﷺ : فكيف صار عزير ابن الله دون موسى ، و هو الذي جاء إليهم بالتوراة ورثي منه المعجزات ، و لئن كان عزير ابن الله لما أظهر من الكرامة باحياء التوراة . فلقد كان موسى بالبنوة أولى ، و لئن كان هذا المقدار من الكرامة لعزير توجب كونه ابنه ، فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة ، ثم إن كنتم تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطنى آبائهم لهم فقد كفرتم بالله و شبهتموه بخلقه ، و أوجبتم فيه صفات المحدثين ، و وجب عندكم أن يكون محدثاً

مخلوقاً ، وأن له خالقاً صنعه وابتدعه ، قالوا : لسنا نعلم هذا فان هذا كفر كما قلت لكن نعلم انه ابنه على معنى الكرامة ، وإن لم يكن هناك ولادة كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه وإبنته بالمنزلة من غيره (يا بنى) وإنه ابنى لا على إثبات ولادة منه لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي منه لانسب بينه وبينه ، وكذلك لما فعل الله بعزير ما فعل كان قد اتخذته إبناً على الكرامة لا الولادة. فقال النبي ﷺ : فهذا ما قلته لكم إنه إن وجب على هذا الوجه أن يكون عزير . فإن هذه المنزلة لموسى أولى وإن الله يفضح كل مبطل بإقراره ، ويغلب على حجته إن ما احتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكثر مما ذكرته لكم لأنكم قلتم إن عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبي لانسب بينه وبينه : يا بنى لا على طريق الولادة ، فقد تجدون هذا العظيم يقول لأجنبي آخر (هذا أخى) ولآخر (هذا شيخى وأبى) ولا خرها (سيدى) و (يا سيدى) على سبيل الإكرام ، وإن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول فإن يجوز عندكم أن يكون موسى أخاً له وشيخاً له أو أباً أو سيداً لأنه قد زاده في الإكرام مما لعزير . فبهت القوم وتحيروا وقالوا : يا محمد أجلنا نتفكر في ما قلته لنا . فقال : انظروا فيه بقلوب معتقدة للإصاف يهدكم الله .

ثم أقبل على النصارى . فقال لهم : وأنتم قلتم إن القديم - عز وجل - اتحد بالمسيح ابنه ما الذى أردتم بهذا القول ؟ أردتم بأن القديم صار محدثاً بوجود هذا المحدث أم المحدث الذى هو عيسى صار قديماً بوجود القديم الذى هو الله أو معنى قولكم اتحد به أنه اختصه بكرامة لم يكرم بها أحداً سواه . فإن أردتم إن القديم صار محدثاً فقد أبطلتم لأن القديم محال أن ينقلب فيصير محدثاً ، وإن أردتم أن المحدث صار قديماً . فقد أحلتم لأن المحدث أيضاً محال أن ينقلب فيصير قديماً ، وإن أردتم في قولكم (اتحد به) أنه اختصه واصطفاه على سائر عباده . فقد أقررتم بحدوث عيسى ، و بحدوث المعنى الذى اتحد به من أجله لأنه إذا كان عيسى محدثاً وكان الله اتحد به بأن أحدث فيه معنى صار أكرم الخلق عنده . فقد صار عيسى وذاك المعنى محدثين ، وهذا خلاف ما بدأت به تقولونه .

فقال النصراني : إن الله لما أظهر على يد عيسى من الأشياء العجيبة ما أظهر فقد اتخذته ولداً على جهة الكرامة . فقال لهم النبي ﷺ : فقد سمعتم ما قلته لليهود في هذا المعنى الذي ذكروا - ثم أعاد ذلك كله - فسكتوا إلا رجلاً واحداً منهم فقال للنبي ﷺ : أو لستم تقولون : إن إبراهيم خليل الله . قال : قد قلنا ذلك . قال الرجل : فإذا قلتم ذلك فلم منعتمونا أن نقول : إن عيسى ابن الله ، فقال له النبي ﷺ : إنهما لا يشابهان لأن قولنا : إبراهيم خليل الله إنما هو مشتق من الخلة أو الخلة فأما الخلة فإنما معناها الفقر والفاقة . فقد كان خليلاً : أى إلى ربه فقيراً وإليه منقطعاً ، وعن غيره متعظفاً معرضاً مستغنياً ، وذلك لما أريد قذفه في النار . فرمى به في المنجنيق . فبعث الله إلى جبرئيل أدرك عبدى فجاء فلقمه في الهواء . فقال : كلّفنى ما بدالك قد بعثنى الله لنصرتك . فقال : بل حسبى الله و نعم الوكيل إئتى لا أسأل غيره ، ولا حاجة لى إليه . فسمّاه خليله : أى فقيره و محتاجه ، والمنقطع إليه عمّن سواه ، وإذا جعل معنى ذلك من الخلة و هو أنه قد تخلل معانيه ، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به و بأمره ، ولا يوجب ذلك تشبيهه الله بخلقه ألا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله ، و إذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله ، و إن من يلد الرجل و إن أهانه و أقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده لأن معنى الولادة قائم . ثم إن وجب لأنه قال : إبراهيم خليلى أن تقيسوا أنتم فتقولون : إن عيسى ابنه و جب أيضاً كذلك أن تقولوا موسى أنه ابنه ، وأن يجوز أن تقولوا على هذا المعنى : إنه شيخه و سيده و عمه و رئيسه و أميره كما ذكرته لليهود . فقال بعضهم لبعض :

وفي الكتب المنزلة أن عيسى قال « أذهب إلى أبى » فقال لهم النبي ﷺ : فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون . فإن فيه « أذهب إلى أبى وأبيكم » فقولوا : إن جميع الذين خاطبهم عيسى كانوا أبناء الله كما كان عيسى ابنه من الوجه الذي كان عيسى ابنه ، ثم إن ما في هذا الكتاب مبطل عليكم هذا الذي زعمتم أن عيسى من جهة الاختصاص كان ابناً له لأنكم قلتم : إنه ابنه لأنه اختصه بما لم يختص به غيره ، وأنتم تزعمون أن الذي خص به عيسى لم يختص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى

«أذهب إلى أبي وأبيكم» فبطل أن يكون الاختصاص لعيسى لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل اختصاص عيسى ، وأنتم إنما حكيتم لفظة عيسى وتأولتموها على غير وجهها لأنه إذا قال «أبي وأبيكم» وفقد أراد غير ما ذهبتم إليه ، وما يدريكم لعله عنى «أذهب إلى آدم و نوح» وأن الله يرفعني إليهم و يجمعني معهم و آدم أبي وأبوكم ، و كذلك نوح بل ما أراد غير هذا . فسكت النصارى وقالوا : ما رأينا كالليوم مجادلاً و سننظر .

ثم أقبل النبي ﷺ على الدهرية ، وقال : و أنتم فما الذى دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدء لها ، و هى دائمة لم تزل و لن تزال . فقالوا : لأننا لا نحكم إلا بما نشاهد ، و لم نجد للأشياء حدثاً ، فحكمتنا بأنها لم تزل ، و لم نجد لها انقضاء . فحكمتنا بأنها لن تزال . فقال : أو جدتم لها قد ما أم وجدتم لها بقاء أبداً . فإن قلت أنكم وجدتم ذلك أثبتتم لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئتكم و عقولكم بلانهاية ولا تزالون كذلك ، ولئن قلت ذلك دفعتم العيان قالوا : بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاء أبداً . قال : فلم صرتم بأن تحكموا بالقدم والبقاء دائماً لأنكم لم تشاهدوا حدوثها و انقضاءها أولى ممن يحكم لها بالحدوث والانقضاء لأنه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاء أبداً أولستم تشاهدون الليل والنهار واحدهما بعد الآخر . قالوا : نعم .

قال : أترونيهما لم يزالا ولن يزالا: قالوا : نعم .

قال : أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار . قالوا : لا .

قال : فإن ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ، و يكون الثانى جارياً

بعده . قالوا : هو كذلك .

قال : قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل و نهار ، و لم تشاهد وهما . ثم

قال : أتقولون لما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه . فإن قلت غير متناه . فقد وصل إليكم آخر لا نهاية لأوله ، و إن قلت : إنه متناه . فقد كان ولا شيء منهما قالوا : نعم .

قال : أقلتم : إن العالم قديم غير محدث و أنتم عارفون بمعنى ما أقررتم ، و

بمعنى ما جحدتموه . قالوا : نعم .

قال : فهذا الذى تشاهدونه من الأشياء بعضه إلى بعض يقتصر لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به كما ترى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما ترى . فإن كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم . فأخبرونى أن لو كان محدثاً كيف كان يكون ، وماذا كانت تكون صفته . فبهتوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهى موجودة في هذا الذى زعموا أنه قديم . فرجعوا وقالوا : سننظر في أمرنا .

ثم أقبل النبي ﷺ على الثنوية الذين قالوا : إن النور والظلمة هما المدبران فقال : و أنتم فما الذى دعاكم إلى ما قلتموه من هذا ؟ فقالوا : لأننا وجدنا العالم صنفين خيراً و شراً و وجدنا الخير ضداً للشر . فأنكرنا أن يكون فاعل واحد يفعل الشيء وضده بل لكل واحد منهما فاعل ألا ترى أن الثلج محال أن يسخن كما أن النار محال أن يبرد . فاثبتنا لذلك صانعين قديمين ظلمة و نوراً .

فقال النبي ﷺ : أفلمستم قد وجدتم سواداً و بياضاً و حمرة ، و صفرة ، و خضرة و زرقه ، و كل واحد ضد لسائرها الاستحالة اجتماع اثنين منها في محل واحد كما كان الحر و البارد ضدّين لا يجتمعان في محل . قالوا : نعم . قال : فهل أثبتتم بعدد كل لون صانعاً قديماً ليكون فاعل كل ضد من هذه الألوان غير فاعل ضد الآخر . فسكتوا .

ثم قال : و كيف اختلط النور و الظلمة ، وهذا من طبعه الصعود وهذه من طبعها النزول أرايتم لو أن رجلاً يأخذ شرقاً يمشى إليه و الآخر غرباً أكان يجوز أن يلتقيان ماداما سائرين على وجوههما . قالوا : لا .

قال : فوجب أن لا يختلط النور و الظلمة لذهاب كل واحد منهما في غير جهة الإخراج . فكيف حصل هذا العالم من امتزاج ما محال أن يمتزج بلهما جميعاً مخلوقان مدبران . فقالوا : سننظر في أمرنا .

ثم أقبل النبي ﷺ على مشركى العرب . فقال : و أنتم لم عبدتم الأ صنمام من دون الله تعالى ؟ فقالوا : نتقرب بذلك إلى الله تعالى .
قال : و هى سامعة مطيعة لربها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله تعالى
قالوا : لا .

قال : فأنتم الذين نحتتموها بأيديكم . فلئن تعبدكم هى لو كان يجوز منها العبادة
أحرى من أن تعبدوها إن لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم وعواقبكم
والحكيم في ما يكلفكم . فلما قال النبي ﷺ هذا اختلفوا . فقال بعضهم : إن الله
قد حل في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا
تلك الصورة التى حل فيها ربنا ، وقال آخرون منهم : إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا
مطيعين لله قبلنا فمثلنا صورهم و عبدناها تعظيماً ، وقال آخرون منهم : إن الله لما
خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود لآدم تقرباً إلى الله ، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى
جهة مكة ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها و قصدتم
الكعبة لا محاريبكم و قصدكم للكعبة إلى الله لا إليها .

فقال النبي ﷺ للذين قالوا : إن الله حل في هياكل رجال كانوا على هذه
الصور التى صورناها فقد وصقتم ربكم بصفة المخلوقات أو يحل ربكم في شيء حتى
يحيط به ذلك الشيء . فأى فرق بينه إذن ، و بين سائر ما يحل فيه من لونه و طعمه
ورائحته و لينه و خشونته ، و ثقله ، و خفته و لم صار هذا المحلول فيه محدثاً ، و ذلك
قديماً دون أن يكون ذلك محدثاً وهذا قديماً ، و كيف يحتاج إلى المحال من لم ينزل
قبل المحال و هو - عز وجل - لم ينزل و إذا وصقتموه بصفات المحدثات في الحلول .
فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال ، و ما وصقتموه بالزوال والحدوث فصفوه بالفناء لأن
ذلك أجمع من صفات الحال والمحلول فيه وجميع ذلك يغير الذات . فإن كان لم يتغير
ذات البارى تعالى لحلوله في شيء جاز أن لا يتغير بأن يتحرك و يسكن و يسود و
يبيض و يحمر و يصفر و تحل الصفات التى تتعاقب على الموصوف بها حتى يكون فيه

جميع صفات المحدثين ، و يكون محدثاً - تعالى الله عن ذلك -

ثم قال : فإذا بطل ما ظننتموه من أن الله يحل في شيء فقد فسد ما بنيتم عليه قولكم . فسكت القوم ، وقالوا : سننظر .

ثم أقبل على الفريق الثاني . فقال : أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها ، ووضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها . فما الذي أبقيتم لرب العالمين أما علمتم أن من حق من يلزم تعظيمه وعبادته أن لا يساوى به عبده رأيتم لو أن ملكاً عظيماً سوتموه بعبده في التعظيم والخضوع أما يكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير قالوا : نعم . قال : أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين له تزررون على رب العالمين . فسكتوا بعد أن قالوا : سننظر .

ثم أقبل النبي ﷺ على الفريق الثالث ، وقال لهم : ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بأنفسكم ولا سواء ، و ذلك إننا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له في ما أمرنا ونزجر عما زجرنا ، و نعبد من حيث يريد مننا . فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه ، ولم نتعد إلى غيره مما لم يأمرنا ، ولم يأذن لنا لأننا لا ندري لعلنا إن أراد منا الأول يكره منا الثاني ، و قد نهانا أن نتقدم بين يديه . فلما أمرنا بالتوجه إلى الكعبة أطعناه . ثم أمرنا بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فطعناه . فلم نخرج في شيء من ذلك عن اتباع أمره ، والله تعالى حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي هي غيره . فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لأنكم لا تدرون لعلنا يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به . ثم قال لهم النبي ﷺ : لو أذن لكم رجل في دخول داره يوهأ بعينه ألكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره ، و لكم أن تدخلوا داراً أخرى له مثلها بغير إذنه . قالوا : لا . قال : فإن وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه أو عبداً من عبيده أو دابة من دوابه ألكم أن تأخذوا ذلك . قالوا : نعم . قال : ولكم أن تأخذوا آخر مثله . قالوا : لا لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما أذن لنا في الأول .

قال : فأخبروني الله أولى بأن لا يتقدم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين

قالوا : بل الله أولى بأن لا يتصرف في ملكه بغير أمره .

قال : فلم عملتم هكذا ، و متى أمركم أن تسجد والهذه الصور . فقالوا : سننظر
قال : فما أنت علي جماعتهم ثلاثة أيام حتى أتوه وأسلموا ، وكانوا خمسة و عشرين رجلاً
من كل فرقة خمسة ، و قالوا : ما رأينا مثل حجبتك نشهد أنك رسول الله .
« ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ » هكذا في المصرية ، والصواب : **صلى الله عليه وسلم** كما
في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« لغائه » بارتحاله . روى الطبرى مسنداً عن أبي مويهبة مولى النبي ﷺ قال :
بعث إلى النبي ﷺ في جوف الليل . فقال : إنني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع
فانطلق معي . فانطلقت معه . فلما وقف بين أظهرهم . قال : السلام عليكم أهل المقابر
ليهن لكم ما أصبحتم فيه ممماً أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع
آخرها أولها الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل علي . فقال : إنني قد أوتيت مفاتيح
خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة خيبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . فاخترت
لقاء ربي والجنة . قلت : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة .
فقال : لا والله لقد اخترت لقاء ربي والجنة . ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف .
فبدىء به وجعه الذي قبض فيه .

« فقبضه إليه كريماً ﷺ » بعد بلاغه رسالات ربه . روى الطبرى عن ابن مسعود
قال : نعى إلينا نبينا ﷺ نفسه قبل موته بشهر - إلى أن قال - : فقلنا : متى أجلك؟
قال : قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله ، و إلى سدة المنتهى . قلنا : فمن يغسلك؟ قال :
أهلى الأذى فالأذى . قلنا : فيم نكفنتك؟ قال : في ثيابي هذه إن شئتم أو في بياض مصراو في
حلة يمانية - إلى أن قال - إذا غسلتموني ، وكفنتموني . فضعوني على سريري في بيتي
هذا على شفير قبري . ثم أخرجوا عني ساعة . فإن أول من يصلي علي جليسي وخليلي
جبرئيل . ثم ميكائيل . ثم إسرافيل . ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة
بأجمعها - إلى أن قال - قلنا : فمن يدخلك قبرك؟ قال : أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم
من حيث لا ترونهم .

٢٢٢ و من خطبة له بعد انصرافه من صفين : احمده استتماماً
لنعمته ، و استسلاماً لعزته ، و استعصاماً من معصيته ، و استعينه
فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ، ولا يأل من عاداه ، ولا يفتقر
من كفاه . فانه أرجح ما وزن ، و افضل ما خزن ، و اشهد الااله الا
الله وحده لأشريك له . شهادة ممتحناً اخلاصها . معتقداً مصاصها .
نتمسك بها ابدأ ما ابقانا ، و ندخرها لاهاويل ما يلقانا . فانها
عزيمة الايمان ، و فاتحة الاحسان ، و مرضاة الرحمان ، و مدحرة
الشيطان ، و اشهد ان محمداً عبده و رسوله ارسله بالدين المشهور ،
و العلم الماثور ، و الكتاب المسطور ، و النور الساطع ، و الضياء
اللامع و الامر الصادع . اذاحة للشبهات ، و احتجاجاً بالبينات ،
و تحذيراً بالآيات ، و تخويفاً بالمثلات ، و الناس في فتن انجذم
فيها جبل الدين ، و تزعزعت سوارى اليقين ، و اختلف النجر ،
و تشتت الامر ، و ضاق المخرج ، و عمى المصدر . فالهدى حامل
و العمى شامل . عصي الرحمن ، و نصر الشيطان ، و خذل الايمان .
فانهارت دعائمه ، و تنكرت معالمه ، و درست سبله ، و عفت شركه
اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ، و وردوا مناهلكه بهم سارت اعلامه ،

وَقَامَ لِوَأْتِهِ فِي فِتْنِ دَأْسَتِهِمْ بِأَخْفَافِهَا ، وَ وَطَّنَتْهُمْ بِأَطْلَافِهَا ، وَقَامَتْ
عَلَى سَنَابِكِهَا . فَهَمَّ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ
وَشَرِّ جِيرَانٍ . نَوْمُهُمْ سَهْدٌ ، وَ كَحْلُهُمْ دُمُوعٌ بَارِضٌ عَالِمُهَا مَلْجَمٌ ،
وَ جَاهِلُهَا مَكْرَمٌ .

أقول : رواها أئمة غريب اللغة كما يظهر من تفسير النهاية لغرائبها .

قول المصنف « و من خطبة له » هكذا في المصرية ، و الصواب زيادة « عَلَيْهِ السَّلَامُ »

كما في (حد ، و ثم ، و الخطبة)

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أحمده استتماماً لنعمته » قال تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم » (١)

« واستسلاماً لعزته » جعله عَلَيْهِ السَّلَامُ كالأول علةً لحمده لأن من استسلم لعزة أحد

لا بد أن يحمده ويمجده .

« واستعصاماً » : أى طلباً للعصمة والحفظ .

« من معصيته » جعله عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً علةً لحمده تعالى لأن من حمده - عز وجل -

يصير مورد لطفه ، و من صار مورد لطفه يعصمه .

« وأستعينه » « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » (٢)

« فاقه » : أى حاجة .

« إلى كفايته » « أليس الله بكاف عبده » (٣) قال (حد) « استتماماً واستسلاماً و

استعصاماً وفاقه » من لطيف الكناية و بديعها ، وهو كما ترى فلا كناية في الكلام ، وكان

من حقه أن يقول : من لطيف الكلام و بديعه .

« أنه لا يضل من هداه » الظاهر كونه تعليلاً لقوله « استسلاماً لعزته »

(١) إبراهيم ٧

(٢) الفاتحة ٥

(٣) الزمر ٣٦

« ولا يال » من وال : أى لا ينجو .

« من عاداه » والظاهر كون الكلام تعليلاً لقوله : استعصاماً من معصيته .

« ولا يفتقر من كفاء » الظاهر كونه تعليلاً لقوله : فاقه إلى كفايته . فيكون هو و

ما قبله عللاً للعلل . ثم الظاهر سقوط فقرة بيان علة قوله ﷺ (استتماماً لنعمته) من النسخ كأن يقال : ولا يسلب نعمة من شكره .

« فإيته » : أى حمده تعالى .

« أرجح ما وزن » و من حمده تكبيره ، و تسبيحه ، و تهليله أيضاً ، و في الخبر لو

أن السماوات وعامريهن والأرضين السبع ومن عليهن في كفة (ولا إله إلا الله) في كفة مالت بهن (لا إله إلا الله)

« وأفضل ما وزن » « ما عندكم ينفد و ما عند الله باق » (١) وروى الصدوق عن

الصادق من قال (الحمد لله كما هو أهله) شغل كتاب السماء قيل : وكيف . قال : يقولون : اللهم إنا لانعلم الغيب . فيقول : اكتبوها كما قال عبدى وعلى ثوابها .

« و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له » هكذا في المصرية ، وليس (وحده

لا شريك له) في (ثم ، و الخطية) و أمّا (حد) فكتبوه فيه في الحاشية . فالظاهر زيادته .

« شهادة ممتحناً بإخلاصها » روى الصدوق عن الصادق ﷺ من قال (لا إله إلا الله)

مخلصاً دخل الجنة ، و إخلاصه بها أن يحجزه (لا إله إلا الله) عما حرم الله .

« معتقداً مصاصها » : أى خلاصها يقال : فلان مصاص قومه إذا كان أخلصهم نسباً ،

وقد شهد له ﷺ النبي ﷺ في كون إيمانه ﷺ بالله تعالى ممتحناً إخلاصها معتقداً مصاصها

في قوله ﷺ (أشهد يا على أن الأيمان خالط لحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى)

و أنبأ به ﷺ عن نفسه في قوله « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » .

« تتسّمك بها أبداً ما أبقانا » لكونها عروة وثقى لا انفصام لها .

« وندّخرها لأهاويل ما يلقانا » من أهوال الآخرة ، و للنجاة من عذاب يوم القيامة ، وفي خبر سلسلة الذهب عن الرضا عليه السلام قال الله - عز وجل - من جاء منكم بشهادة ألا إله إلا الله بالاخلاص دخل حصنى ، و من دخل حصنى أمن من عذابي .
« فإنيها » : أى الشهادة عن الاخلاص .

« عزيمة الايمان » ولا رخصة لأحد في تركها . قال تعالى « فاعبدوا الله مخلصين له الدين » (١)

و « فاتحة الإحسان » الواجب على العبد إلى ربه في مقابل نعمه - عز وجل - التى لا تعدّ بحكم بدهة العقول كما نبّه عليه تعالى في قوله « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » (٢) و فاتحة إحسان العبد شهادته الخالصة بوحداية ربه .

« و مرضاة الرحمن » عن عبيده . قال تعالى « رضى الله عنهم و رضوانه » (٣) و في القدسي : طوبى لمن قال من أمّتك : لا إله إلا الله وحده مخلصا .
« و مدحرة » : أى مطردة و مبعدة .

« للشيطان » عن العبد . قال تعالى حكاية عن الشيطان إنّه قال « ولأغوينهم أجمعين إلا عبادة منكم المخلصين » (٤)

« وأشهد أن محمداً عبده » قال تعالى في عبوديته عليه السلام « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير » (٥) .

« و رسوله » « و ما محمداً إلا رسول » (٦) « ولكن رسول الله و خاتم النبيين » (٧) .

(١) البينة ٥

(٢) الرحمن ٦٠

(٣) المائدة ١١٩

(٤) الحجر ٤٠

(٥) الاسرى ٢

(٦) آل عمران ١٤٤

(٧) الاحزاب ٤٠

«أرسله بالدين المشهور» : أى الواضح، و الأصل في المشهور كونه و صفاءً للسيرف
يقال : سيف مشهور : أى المخرج من الغمد . ثم استعمل في كل واضح . قال تعالى في
دينه ﷻ « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و ما وصينا
به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه » (١) .

« و العلم المأثور » قرء (العلم) في كلامه ﷻ (حد ، و ثم ، و خو) بفتحين مع أن
الظاهر كونه بالكسر . فالسكون مصدر (علم) و كون كلامه ﷻ إشارة إلى
قوله تعالى « ايتونى بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم إن كنتم صادقين » (١)
قالوا في معناه : أى ايتوا ببقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم .

« و الكتاب المسطور » : أى القرآن . قال تعالى « و الطور و كتاب مسطور في رق
منشور » (٣)

« و النور الساطع » : أى اطر ترفع . قال تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي
الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الانجيل - إلى - فالذين آمنوا به
و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (٤)

« و الضياء اللامع » : أى المشرق .

« و الأمر الصادع » : أى الظاهر . قال تعالى « فاصدع بما تؤمر و اعرض عن
المشركين » (٥)

« إزاحة » : أى إزالة .

(١) الشورى ١٣

(٢) الاحقاف ٤

(٣) الطور ١- ٣

(٤) الاعراف ١٥٧

(٥) الحجر ٩٤

« للشبهات » « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي » (١) .
 « واحتجاجاً بالبيِّنات » قال تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) وقال - عز وجل -
 « قاتوا بعشر سور مثله مقتريات » (٣) وقال - جل وعلا - « قل فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين » (٤) .

« و تحذيراً بالآيات » : أى العلامات من الله تعالى .

« و تخويفاً بالمثلات » هكذا فى المصرية ، و الصواب (للمثلات) كما فى (حد
 وثم ، والخطية) والمثلات : العقوبات فى تفسير القمى كان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً
 من دهاة العرب ، وكان من المستهزئين بالنبي ﷺ وكان النبي يقعد فى الحجرة ، ويقراء
 القرآن فاجتمعت قريش إلى الوليد . فقالوا : يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمد
 أشعر هو أم كهانة أم خطب ؟ فقال : دعونى أسمع كلامه . فدنا من النبي ﷺ فقال :
 يا محمد أنشدنى من شعرك قال : ما هو شعر و لكن كلام الله الذى ارتضاه ملائكته ورسله .
 فقال : اتل علىّ منه شيئاً فقرأ (حم السجدة) إلى قوله « فإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً
 مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَ ثَمُودَ » (٥) فاقشعر الوليد وقامت كل شعرة فى رأسه ولحيته ، و مر إلى بيته
 و لم يرجع إلى قريش - الخبر - .

« والناس فى فتن انجذم » : أى انقطع .

« فيها جبل الدين » فلا يمنعهم من ارتكاب كل شنيع شرع .

« وتزعزعت » : أى تزلزلت .

« سوارى » : أى أساطين جمع سارية .

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) الاسراء ٨٨

(٣) هود ١٣

(٤) البقرة ٢٣

(٥) فصلت ١٣

- « اليقين » فلم تثبت لهم عقيدة بجزء .
- « واختلف النجر » في النهاية : النجر : الطبع والأصل .
- « وتشتت الأمر » بحيث يعسر اجتماعه .
- « وضاقت المخرج » من الشدائد .
- « وعمى المصدر » فلا اهتداء لهم .
- « فالهدى شامل » : « أى ساقط عند الناس لا نباهة له عندهم .
- « والعمى شامل » للشريف والوضيع .
- « عصى الرحمن » في دينه .
- « و نصر الشيطان » في مقاصده .
- « وخذل الايمان » : أى صار بلا معين .
- « فانهارت » : أى انخرقت .
- « دعائمه » : أى أعمدته .
- « و تنكرت » : أى صارت غير معروفة .
- « معالمه » : أى علائمه .
- « وعفت » : أى درست .
- « شركه » : أى طريقه .
- « أطاعوا الشيطان » في ما يدعوهم إليه .
- « فسلكوا مسالكه » فيتبعون خطواته .
- « ووردوا مناھله » المناهل : موارد الماء .
- « بهم سارت أعلامه » : أى بسببهم وقعت ألوية الشيطان في السير حيث شاء .
- « وقام لواؤه » على ساقها ولم تقع .
- « في فتن » راجعة إلى أمور دنياهم كما أن الأولى كانت راجعة إلى أمور دينهم
- فمرّ قوله فيها « انجذم فيها جبل الدين »
- « داستهم » من داس الشيء برجله : إذا مشى عليه ، و داس الطعام : دقّه بالفندان

ليخرج الحب من السنبيل .

« بأخفافها ، ووطئتهم بأظلافها » قالوا : الخف للبعير ، و الظلف للبقرة والشاة والضبي ، والكلام استعارة فشبهه ﷺ الفتن بابل تدوس شيئاً ، و يبقر تطأ شيئاً ، « وقامت » تلك الفتن .

« على سنا بكمها » سنا بك : جمع سنبك طرف مقدم الحافر شبهه ﷺ الفتنة بخيل قامت على سنا بكمها .

« فهم فيها » : أى في تلك الفتن التي كانت أوصافها ما ذكر .

« تائهون » كمن وقع في مفازة لا يهتدى فيها للطريق .

« حائرون » : أى متحيرون لا يدرون علاجاً لدائهم .

« جاهلون مفتونون » : أى معذبون . قال تعالى « يوم هم على النار يفتنون »^(١)

« في خير » متعلق بقوله ﷺ (أرسله) أو لا .

« دار » : أى البلد الحرام .

« و شرّ جيران » : أى قرى عادوه حتى أخرجوه . ثم حاربوه كما أنهم عادوا

بعده وصيه و حاربوه .

« نومهم سهود » هكذا في المصرية ، والصواب (سهود) كما في (حد ، و ثم ،

والخطية) : أى قليل و أرق و سهر .

« وكحلهم دموع » وإنما كان نومهم سهوداً ، وكحلهم دموعاً للفتن التي أخلت

بنظام معاشهم من نهب القوى للضعيف و قتل القادر للعاجز ، و قال (حد) معنى كون

نومهم سهوداً : أنه لو استنامهم نهم النوم لجادوا عليه بالسهود عوضاً عنه ، و معنى

(كون كحلهم دموعاً) أنه لو استجد أهم الكحل كان كحلهم الذي يصلونه به الدموع .

قلت : و ما قاله كما ترى معنى بارد ركيك ، والصواب ما عرفت من كون المراد

أن لهم في أنفسهم بدل النوم السهود ، و بدل الكحل الدموع لا بالنسبة إلى النبي

ﷺ ثم تعبيره بمحمد دون النبي غلط لأن التعبير من نفسه لا نقلاً عنهم .

« بأرض عاملها ملجم » قال ابن قتيبة في معارفه : كان جمع قبل مبعث النبي ﷺ على دين الله تعالى - وعد منهم زيد بن عمرو بن عمير - قال : فأولع عمر به سفهاء مكة فأذوه فخرج إلى الشام فقتله النصارى .

« و جاهلهم مكرّم » فجعلوه رئيساً عليهم من صباوته وكنسوه أبا الحكم ، و قال (حد) : المراد (من عاملها ملجم) من آمن بالنبي ﷺ (و من جاهلها مكرّم) من كذب بالنبي ﷺ و هو كما ترى من كونه كسابقه تفسيراً ركيكاً و إنما المراد حالهم قبل بعثته ﷺ .

هذا ، و في سنن أبي داود أن قريشاً أعمتتهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها - أي مع النبي ﷺ - فقالوا : و من يجترى إلا أسامة حبسه فكلمه أسامة ، فقال له النبي ﷺ : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام . فخطب فقال : إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

٣ ر ٢٥ و من خطبة له ﷺ : ان الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين

و اميناً على التنزيل ، و انتم معشر العرب على شر دين ، و في شر دار .

من يخون بين حجارة خشن ، و حيات صم . تشربون الكدر ، و تاكلون

الجشب ، و تسفكون دماءكم ، و تقطعون ارحامكم . الاصنام فيكم منصوبة ،

والاثام بكم معصوبة .

أقول : الأصل فيه ما رواه ابن قتيبة في خلفائه ، والكليني في رسائله ، وإبراهيم

الثقفي في غاراته ، وكون سببها سؤال الناس له بعد انقضاء أمر النهروان عن رأيه في أبي بكر وعمر وعثمان .

قال الأول : دخل حجر بن عدى ، وعمر بن الحمق ، وعبد الله بن وهب الراسبي عليه عليه السلام . فسألوه عن الثلاثة . فقال : إنني مخرج إليكم كتاباً أنبئكم فيه ما سألتموني عنه . فقرأه على شيعتي - فخرج إليهم كتاباً فيه : أما بعد فإن الله بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً على هذه الأمة ، وأنتم يا معشر العرب على غير دين ، وفي شر دار تسفكون دماءكم ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فبعث . محمداً عليه السلام إليكم - إلخ - .

وقال الثاني : كتب أمير المؤمنين عليه السلام بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يقرأ على الناس - إلى أن قال - بعث محمداً عليه السلام وأنتم معشر العرب علي شر حال يغذوا أحدكم كلبه ، ويقتل ولده ، ويغير على غيره . فيرجع وقد اغير عليه تأكلون العلهزو الهبيد ، والميتة والدم . منيخون على أحجار خشن ، وأوثان مضلة تأكلون الطعام الجشب وتشربون الماء الأجن . تسافكون دماءكم ، ويسبى بعضكم بعضاً .

وقال الثالث : خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر . فقال : أما بعد فإن الله بعث محمداً عليه السلام نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وشهيداً على هذه الأمة ، وأنتم معشر العرب يومئذ على شر دين ، وفي شر دار منيخون على حجارة خشن ، وحيات صم ، وشوك مبثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث ، وتأكلون الطعام الخبيث . تسفكون دماءكم ، وتقتلون أولادكم ، وتقطعون أرحامكم ، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل ، سبلكم خائفة ، والأصنام فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثركم بالله . الأول أنتم مشركون فمن الله - عز وجل - عليكم بمحمد عليه السلام فبعثه إليكم رسولاً من أنفسكم بلسانكم . فعلمكم الكتاب والحكمة ، والفرائض والسنة ، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دماءكم ، وصلاح ذات البين ، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وأن

توفوا بالعهد ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، و أن تعاطفوا و تباروا ، و تباذلوا و تراحموا ، و نهاكم عن التناهب ، و التظالم ، و التحاسد ، و التبغى ، و التقاذف ، و عن شرب الحرام ، و بخس المكيال ، و نقص الميزان ، و تقدم إليكم في ما تلا عليكم أن لا تزفوا ، و لا تربوا ، و لا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً ، و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، و لا تعثوا في الأرض مفسدين ، و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، و كل خير يدنى إلى الجنة أمركم به ، و كل شر يدنى إلى النار و يباعدكم من الجنة نهاكم عنه -
إلخ - ،

« إن الله » هكذا في المصرية ، و زاد (حد) (تعالى) و الخطية (سبحانه) .

« بعث محمداً ﷺ » و الصواب : عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في (حد ، و ثم ، و الخطية)

« نذيراً للعالمين » إننا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً ^(١) .

« و أميناً على التنزيل » « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ^(٢) .

« و أنتم معشر العرب على شر دين » في الأديان الباطلة . قال المغيرة بن زرارة الأسيدي ليزدجر في القادسية كان ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، و يغير بعضنا على بعض و أن كان أحدهنا ليدفن ابنته كراهة أن تأكل من طعامه ، و في معارف ابن قتيبة . في عنوان أديان العرب في الجاهلية : كانت النصرانية في ربيعة و غسان و بعض قضاة ، و كانت اليهودية في حمير و بنى كنانة و بنى الحرث بن كعب و كندة ، و كانت المجوسية في بنى تميم و منهم حاجب بن زرارة ، و كان تزوج ابنته ثم ندم ، و منهم الأقرع بن حابس ، و كانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة ، و كان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهاً من حيس ، أى تمر يخلط بسمن و أقط . فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه فعبده دهرأ طويلاً ، ثم أصابهم مجاعة . فأكلوه . فقال رجل من بنى تميم :

أكلت حنيفة ربها ☆ زمن التقمم و المجاعة

(١) الاحزاب ٤٥

(٢) الانعام ١٢٤

لم يحذروا من ربهم ☆ سوء العواقب والتباعة .

وفي السبائك ديانات العرب كانت متباينة . فصنف منهم قالوا بالدهر ، و صنف أقرّوا بالمبدء وأنكروا المعاد ، و قالوا : من يحيى العظام وهي رميم ، و صنف عبدوا الأصنام ، و صنف عبدوا الملائكة ، و صنف عبدوا الجن ، و صنف يميل إلى اليهودية ، و صنف إلى النصرانية ، و صنف إلى الصائبة ، و يعتقدون أن الكواكب فعالة بأنفسها . و روى سنن أبي داود أن النكاح كان في الجاهلية على أربعة أنحاء . فكان منها نكاح اليوم ، والثاني : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه و يعتزلها زوجها و لا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إن أحب ، و إنما يفعل ذلك رغبة في نجاة الولد . فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع ، والثالث : يجتمع الرهط دون العشرة . فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها . فإذا حملت و وضعت و مر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها . فتقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت و هو ابنك يا فلان - تسمى من أحببت منهم باسمه - فيلحق به ولدها ، والرابع : يجتمع الناس الكثير لا تمتنع ممن جاءها و هن البغايا كن ينصبن أبوابهن رايات تكن علماً لمن أرادهن . فإذا حملت فوضعت جمعوا لها و دعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه و دعى ابنه لا يمتنع من ذلك . فلما بعث الله محمداً ﷺ هدم النكاح الجاهلية كله إلا نكاح الإسلام اليوم .

قلت : و من الثالث كان تكوّن عمرو بن العاص ، و من الرابع تكوّن زياد بن أبيه لكن معاوية ألحقه بأبيه أبي سفيان عن هواه لا بطريقة الجاهلية عن حكم القافة ، و لا بسنة الإسلام بكونه للفراش عبید .

« و في شر دار » قال المغيرة ليزدجر : و أمّا منازلنا فإنما هي ظهر الأرض .
« منيخون » : أى مقيمون ، و الأصل في الإناخة إناخة الإبل على الأرض .

« بين حجارة خشن وحيات صم » وفي الصحاح الصمّة: الذكر من الحيات .
 وفي السير قال رجل : كنت بالبادية . فرأيت ناساً حول نار فسألت عنهم ، فقالوا:
 صادوا حيات فهم يشتونها فأتيتهم . فرأيت رجلاً منهم قد أخرج حية من الجمر ليأكلها .
 فامتنعت عليه . فجعل يمدّها فما صرفت بصري عنه حتى صرع . فمات .
 هذا ، وقال ابن قتيبة جييء إلى المتوكل بأسود من بعض البوادي يأكل الأفاعي
 وهي حية يتلقاها بالنهش من جهة رؤوسها ويأكل ابن عرس وهو حي يتلقاه بالأكل من
 جهة الرأس .

هذا ، وقال (حد) قوله **الحيات** « بين حجارة خشن وحيات صم » يحتمل المجاز
 أيضاً وهو أحسن يقال للأعداء: حيات ، ويقال للعدو: إنه حجر خشن المس إذا كان
 ألدّ الخصام .

قلت : المقام ليس بمجاز فلا جواز له فضلاً عن أحسنيته . ثم إطلاق الحية
 والحجر ليس مختصاً بالعدو كما قال بل يطلقان على الولي أيضاً . فيطلقان على الرجل
 الشديد ولياً أو عدواً .

« تشربون الكدر » فلم يكن عندهم صاف . قال الجاحظ في بخلائه في عنوان
 شرب العرب : كان للعرب شرب مجدوح وهو إذا بلغ العطش منهم المجهود نحروا الإبل
 وتلقوا دمائها بالجفان كيلا يضيع من دمائها شيء . فإذا برد الدم ضربوه بأيديهم
 وجدحوه بالعيدان جدحاً حتى ينقطع فيعتمزل مائه من ثقله كما يخلص الزبد بالمخيض والجبن
 بالأنفحة . فيتصافنون ذلك الماء ، ويتلعون به حتى يخرجوا من المفازة قال : ولهم
 شرب غظ وهو عصارة الفرث إذا أصابهم العطش في المفاوز ، وفي بلدان الحموى : سلاح
 ماء لبنى كلاب شبكة ملح لا يشرب منها أحد إلا سلاح .

« وتأكلون الجشب » قال الجوهري : طعام جشب : أي غليظ ويقال : هو الذي
 لا آدم معه . سئل أعرابي ما تأكلون وما تعافون قال : نأكل ما دبّ وهب إلا أمّ حنين
 فقال السائل : تهنتى أمّ حنين العافية ، وقال المغيرة الأسيدي ليزدجرد : كنتأأكل الخنافس
 والجعلان والعقارب والحيات .

قوله عليه السلام في رواية الكليني « تأكلون العلمزوا لهبيد » قال الجاحظ : العلمز : القردان ترض وتعجن بالدم ، وقال أبو عبيد : الهبيد ، حب الحنظل زعموا أنه يعالج حتى يمكن أكله ، والهبيد : كان طعام عمر في الجاهلية . فقالوا : ذكر عمر خشونة مطعمه وملبسه في صباه فقال : لقد رأيتمنى مرة وأختالى نرعى على أبويننا ناضحاً - أى بعير السقى - قد ألبستنا أمنا نقبتها - النقبة قطعة من ثوب قدر السراويل يجعل لها حجرة محيطة من غير نيفق ويشد كما يشد حجرة السراويل - وزودتنا من الهبيد . فنخرج بناضحنا . فإذا طلعت الشمس القيت النقبة إلى أختى وخرجت أسعى عرياناً فنرجع إلى أمنا وقد جعلت لنا لفيفة : أى ضرباً من الطبخ كالحساء من ذلك الهبيد فياخصباه . ذكروا ذلك في غريب حديث عمر ، ولا بد أنه عليه السلام عرض به حيث سأله عنه وعن أخويه ، وعد الجاحظ في بخلائه في طعام العرب غير (العلمز) و (الهبيد) أطعمة أخرى مذمومة منها الغث والدعاع ، والقدر والعسوم ، ومنقمع البرم ، والقصيد ، والحيات ، واستشهد لها بأبيات كقول الشاعر :

لم يأكل الغث والدعاع ولم ، وقول الشاعر :

ولا أقوات أهلها العسوم . وقول الشاعر :

من المشتوين القدر في كل شتوة ، وقول الشاعر :

وأنتم حلول تشتون الأفاعيا .

وقال أيضاً : القرامة نحاة القرون والأظلاف ، والقررة الدقيق المختلط بالشعر كان الرجل منهم لا يحلق رأسه إلا وعلى رأسه قبضة من دقيق ليكون صدقة على الضرائك وطهوراً له ، وقال الحموى : كان لقضاعة ولخم و جذام صنم يقال له : الأقيصر كانوا يحجون إليه ، ويحلقون رؤوسهم عنده . فكان كلما حلق رجل منهم رأسه ألقى مع كل شعرة قررة من دقيق - وهى قبضة - وكانت هوازن تأتهم في ذلك الأبان . فإن أدركه أحد منهم قبل أن يلقى القررة على الشعر قال : أعطني - يعنى الدقيق - فإننى من هوازن ضارع ، وإن فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فتخبزه ويأكله . فقال معاوية الجرمى في أبيات :

ألم ترجماً الجذب وأبوكم مع القمل في جوّ الأقيصر شارع هذا ، وفي شعراء ابن قتيبة . قال أبو عبيدة : دخلت على روبة بن العجاج ، وهو يجيل جرداناً على النار . فقلت : أتأكلها . قال : نعم إنَّها خير من دجاجكم إنَّها تأكل البرّ والتمر .

« وتسفكوا دماثكم » بغير الحق .

« وتقتطعون أرحامكم » حتى كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ، ويأدون بناتهم لثلاً تصير إلى قبلية أخرى .

« الأصنام » قال الجزري : قيل : الصنم ما كان له جسم أو صورة وإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن .

« فيكم منصوبة » لكل قبيلة منهم صنم ، ولابن الكلبي كتاب في أصنام العرب ، وفي سيرة ابن هشام : اللات بيت لتقيف يعظّمونه تعظيم الكعبة . قال ضراب بن الخطاب الفهري :

وفرت تقيف إلى لاتها ☆ بمنقلب الخائب الخاسر

وفيه قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه . فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسّح به حين يركب كان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجّه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسّح به كان ذلك أوّل ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله . فلمّا بعث الله تعالى رسوله قالت قريش : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ، وقالوا : لمّا ولّت خزاعة أمر البيت وكان أوّل من ولّى عمرو بن لحي بعث العرب على عبادة التماثيل ، وأكثر من نصب الأصنام حول الكعبة ، وقالوا : كان ودّ لكتب بدومة الجندل ، وسواع لهذيل بئرّها ، ونسر لحمير ، ويعوث لهمدان ، واللات لتقيف ، والعزى لكنانة ، وقريش ومضر كلّها ، وبعض بنى سليم ، والسعير اعنزة ، وعوص لبكر بن وائل . قال الأعشى :

حلفت بمائرات حول عوص ☆ وأنصاب تركزن لدى السعير

ومناة بالمشلل لغسان والأوس ، والخزرج ، وكان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة ، وأساف ونائلة على الصفا والمروة ، وعن تهذيب الأزهرى الدوار صنم كانت

العرب تنصبه يجعلون موضعاً حوله يدورون به، وفي اسم ذلك الصنم والموضع الدوار قال امرؤ القيس :

فغنّ لنا سرب كأنّ نعاجه ☆ عذارى دوار في ملاء مذيبل

وفي القاموس (ضمار) ككتاب : صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه و(رضا) صنم كان لطى ، وبه سمى جدّ زيد الخيل : عبد رضا ، وسواع بالضم والفتح - وقرء بها الخليل - صنم عبد في زمن نوح عليه السلام . فدفنه الطوفان فاستشاره إبليس فعبد وصار لهذيل وفي المعجم لما قتلت بنو أسد حجراً و خرج ابنه امرؤ القيس طلب ثاره مرّ بنبالة و بها صنم للعرب تعظّمه يقال له : ذوالخلصة فاستقسم عنده بقداحة ، وهي ثلاثة : الآمر والنهى و المتربّص فأجالها . فخرج النهى فجمعها وكسرها و ضرب بها وجه الصنم ، و قال : مصصت بظرامك لو قتل أبوك ما نهيتنى ، و قال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتور ☆ مثلى وكان شيخك المقبوراً

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر بنى أسد ، وقتل قاتل أبيه وأهل بيته ، وألبسهم الدروع البيض محمّاة وكحلهم بالنار ، و يقال : إنّه ما استقسم عند ذى الخلصة بعدها أحد بقدح حتى جاء الإسلام وهدم ، وقالوا : كان لأهيب بن سماع صنم يقال له : راقب ، واستعان به الحرث المصطلقى في حربه . فعقر له عقيرة ليستخيره في أمره . فسمع منه صوتاً هائلاً . فصار سبب هدايته ، وله قصة طويلة ، وفي أسد الغابة كان عمرو بن الجموح الأنصارى سيّداً من سادات بنى سلمة ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له : مناف يعظّمه ويطهره . فلما أسلم فتيان بنى سلمة كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه ، و يطرحونه في بعض حفر بنى سلمة و فيها عدّار بنى سلمة منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على إلهنا هذه الليلة . ثم يغذو فيلتمسه . فاذا وجده غسله وطيبه . ثم يقول : و الله لو أعلم من يصنع بك هذا لأخزيتّه . يفعلون به ذلك كل ليلة . فلما أحوأ عليه جاء بسيفه فعلقه عليه . ثم قال له : إن كان فيك خير فهذا السيف معك . فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه . ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه

معه بجبل ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو وبنته حتى وجده مقروناً بكلب فأبصر رشده، وكلم من أسلم من قومه. فأسلم وقال :

تالله لو كنت إلهاً لم تكن ☆ أنت وكلب في وسط بئر في قرن

وفي حلية أبي نعيم عن أبي رجاء العطاردي بعث النبي ﷺ ونحن على ماء، وكان لنا صنم مدور. فحملناه على قتب، وانتقلنا من ذلك الماء إلى غيره فمررنا برملة. فأنسل الحجر فوق في الرمل. فغاب فيه. فلما رجعنا فقدنا الحجر. فرجعنا في طلبه. فاستخرجناه من الرمل. فقلت. إن إلها لم يمنع من تراب يغيب فيه لاله سوء، وإن العنز لتمنع حياها بذنبا. فكان ذلك أول إسلامي، فرجعت إلى المدينة، وقد توفى النبي ﷺ.

وقالوا : كان لسعد العشيرة صنم يقال له : قرص، ويقال لسادنه : ابن وقشة، وكان له رثى يخبره بما يكون. فأثاه. فقال له : اسمع العجب العجاب بعث أحمد بالكتاب بمكة لا يجاب. فحكى ابن وقشة ذلك لرجل من قومه فلما سمع الرجل بخروج النبي ﷺ قام إلى الصنم. فحطمه. ثم أتى النبي ﷺ فأسلم، وقال :

تبعث رسول الله إني جاء بالهدى ☆ وخلفت قرصاً بأرض هوان
شددت عليه شدة فتركته ☆ كان لم يكن والدهر ذو حدثان
ولما رأيت الله أظهر دينه ☆ أجبت رسول الله حين دعاني
فمن مبلغ سعد العشيرة إنني ☆ شريت الذي يبقى بأخر فان

وقالوا : كان لبني عذرة صنم يقال له : حمام، وكان في بني هند بن حزام وسادنه رجل منهم يقال له : طارق. فلما بعث النبي ﷺ سمعوا منه صوتاً يقول :

يا بني هند بن حزام ☆ ظهر الحق وأودى حمام

ودفع الشرك الاسلام

ففرعوا. ثم سمعوا بعد أيام صوتاً يقول : يا طارق بعث النبي الصادق بوحى ناطق. صدع صادع بأرض تهامة. لناصريه السلامة، ولخاذليه الندامة. هذا الوداع مني إلى يوم القيامة. ثم وقع الصنم لوجهه فأتى زمل العذري، ونفر من قومه إلى النبي ﷺ وأخبروه بما سمعوا. فقال النبي ﷺ : ذاك كلام مؤمن من الجن فأسلموا، وقال زمل :

إليك رسول الله أعلمت نصّها ☆ أكلفها حزناً وفوزاً من الرمل
وقالوا : كان لجهينة صنم فرأى سادنة في النوم من يقول : تقشعت الظلماء ، و
سطح الضياء ، و بعث خاتم الأنبياء . أقبل حق فسطح ، ودمغ باطل . فانقمع . فكسر
الصنم ولحق بالنبى ﷺ وأسلم ، وقال :

شهدت بأن الله حق وأنسى ☆ لا إله إلا حجار أول تارك
وشمرت عن ساق الأزارمها جراً ☆ إليك أجوب الوعث بعد الدكادك
فبعثه النبى ﷺ إلى قومه . فأسلموا إلا رجلاً منهم كذب به . فقال له : أمر الله
عيش الأ كذب منى ومنك ، وأبكم لسانه وأكمه إنسانه ، فمامات حتى عمى وافتقر ، وأبكم
وفي الأ سدكان لأمر بن سواء السدوسى صنم يعبده . فألقاه في بئر ثم أتى النبى ﷺ
فبايعه ، وفيه كان اسم راشد بن حفص ظالمًا وقيل : غاوبا . فسماه النبى ﷺ راشدًا
كان سادن صنم بنى سليم الذى يدعى سواعا . فسكروه

وفي المناب لمّا فتح النبى ﷺ مكة كان فيها ثلاثمائة وستون صنماً بعضها مشدوداً ،
إلى بعض بالرصاص ، فأخذ أبو سفيان من ليلته مائة إلى الحبشة ، ومنها إلى الهند فبهاؤها
لها داراً من مقناطيس . فتعلقت في الهواء إلى أيام محمود بن سبكتكين . فلما غزاها
أخذها ، و كسرها ، و نقلها إلى إصبهان و جعلت تحت طريق المارة ، و في كامل الجزرى
في فتح مكة ، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، وكان بيد النبى ﷺ قضيب .
فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرء « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً »
فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط على وجهه .

وفي تاريخ بغداد للخطيب عن أبى مريم قال : قال على ﷺ : انطلق بى النبى
ﷺ إلى الأصنام . فقال : اجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة . ثم صعد على منكبى .
ثم قال : انهض بى إلى الصنم . فنهضت به . فلما رأى ضعفى تحته . قال : اجلس .
فجلست . فانزلته عنى ، فجلست لى النبى ﷺ ثم قال : اصعد إلى منكبى ، فصعدت على
منكبى . ثم نهض فخيّل لى أننى لو شئت نلت السماء ، وصعدت على الكعبة ، وتنحى
النبى ﷺ فالقيت صنمهم الأكبر صنم قريش ، وكان من نحاس مومتداً بأوتاد من حديد

إلى الأرض . فقال لى النبي ﷺ عالجته . فمازلت أعالجه والنبي ﷺ يقول : ايه ايه حتى استمكنت منه . فقال : دقته فدقته ، وكسرتة ونزلت .

وفي الطبقات لما أراد النبي ﷺ المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسى . فهدمه وأحرقه وهو يقول :

ياذا الكفيلين لست من عبادك ✽ ميلادنا أقدم من ميلادك
إننى حششت النار في فؤادك

وفيه لما وفد خولان على النبي ﷺ وأسلموا قال لهم : ما فعل عم أنس - اسم صنمهم - قالوا : بشر وعرأبد لنا الله به ما جئت به ، ولو قد رجعنا إليه هدمناه فلما رجعوا لهم يحلوا عقدة حتى هدموه ، وفي أنساب البلاذرى و من سرايا النبي ﷺ سرية خالد بن الوليد بعد فتح مكة لهدم العزى ببطن نخلة ، وسرية عمرو بن العاص لهدم سواع برهاط من بلاد هذيل في شهر رمضان سنة ثمان ، وفيه ومن سرايا النبي ﷺ سرية على بن عبد المطلب لهدم الفلاس صنم طى ، وكان مقلداً بسيفين أهداهما إليه الحارث بن أبى شمر ، وهما مخدوم ورسوب ، وفيهما يقول علقمة :

مظاهر سر بالى جديد عليهما ✽ عقيلا سيوف مخدوم ورسوب

فأتى بهما النبي ﷺ هذا . وفي الطبرى كان جذيمة الأبرش اتخذ صنمين يقال لهما : الضيزان ، ومكانهما بالحيرة معروف ، وكان يستسقى بهما ، ويستنصر بهما على العدو فغزأيدا . فبعثوا قوماً . فسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوهما . فبعثوا إلى جذيمة أن صنميك أصبحا فينا زهداً فيك ، ورغبة فينا فإن أوثقت لنا أن لاتغزونا رددناهما إليك - إلخ - .

وروا عن هشام الكلبي في قصة أساف ونائله أن أسافاً كان رجلاً من جرهم يقال له : اساف بن يعلى ، وأن نائلة كانت بنت زيد من جرهم ، وكان يتعشقها بأرض اليمن . فاقبلها حباً فجاء فدخل الكعبة . فوجد غفلة من الناس . ففجر بها في البيت فمسخا . فأصبحوا . فوجدوهما مسخين . فوضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها . فكأنوا ينحرون ويدبحون عندهما إلى أن كسرهما النبي ﷺ

صلى الله عليه وآله يوم الفتح في ما كسر من الأصنام - إلخ - ولكن في خبر عن مسعدة أنهما كانا شابين صبيحين ، وكان باحدهما تأنيث ، وكان يطوفان بالبيت فصادفا من الميت خلوة . فأراد أحدهما صاحبه . ففعل . فمسخهما الله تعالى . فقالت قريش : لولأن الله رضى أن يعبد هذان معه ما حوّلهما عن حالهما .

« والآثم بكم معصوبة » : أى مشدودة يقال : عصب رأسه بعصاة . كانوا يزنون ، ويشربون ، ويسرقون ، ويقامرون . قال ابن قتيبة في شعرائه لما رحل الأعمى - وهو ابن قيس قتييل الجوع - إلى النبي ﷺ في صلح الحديبية سأله أبو سفيان عن وجهه المذى يريد . فقال : أردت محمداً . قال : إنه يحرم عليكم الخمر ، والزنا ، والقمار . قال له : أمّا الزنا فقد تركنى ، ولم أتركه ، وأمّا الخمر . فقد قضيت منها وطراً ، وأمّا القمار . فلهي أصيب منه عوضاً - إلخ - .

وقالوا : إن عمرو بن كلثوم ، وزهير بن جناب ، وعامر ملاعب الأسنّة ممن غضبوا . فشرّبوا خمرهم صرفاً حتى ماتوا ، وقيل لحنظلة بن الشرقى : ما أدنى آثامك ليلة الدير قال : نزلت بديرا نية . فأكلت عندها طفشليا - أى مرقا - بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزيت بها ، وسرقت كأسها ، ومضيت ، وجعل عمرو بن لحي الخزاعي فتمح باب الكعبة ، وغلقه إلى أبي غبشان الخزاعي فباعه أبو غبشان من قصى ببيعير وزق خمر . فقال شاعر :

إذا افتخرت خزاعة في قديم ✽ وجدنا فخرها شرب الخمر

وباعت كعبة الرحمن جهراً ✽ بزق بئس مفتخر الفخور

وقالوا : كان سبب الفجار الثاني من الفجار الأربعة أن قتيمة من قريش قعدوا إلى امرئة من بنى عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، وعليها برقع ، وهى في درع فضل . فأعجبهم مارأوا من هيئتها . فسألوها أن تسفر عن وجهها . فابت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها . فشدّ ذيلها بشوكة إلى ظهرها ، وهى لا تدرى . فلما قامت تفلّص الدرع عن دبرها فضحكوا وقالوا : منعتنا النظر إلى وجهها . فقد رأينا دبرها . فنادت امرئة يا آل عامر فتشاور الناس ، ووقع يوم الفجار الثاني ، وقصة ذات النخيين التى يضرب

بها المثل، ويقال : أشغل من ذات النجيين معروفة . كانت المرثة من تيم الله بن ثعلبة تبيع السمن فأتاها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاع منها سمناً فلم يرعنها أحداً فطمع فيها وساوها . فحلت نجياً . فنظر إليه ثم قال : امسكيه حتى أنظر إلى غيره فأمسكته ، وقالت : حل نجياً آخر . ففعل ونظر إليه . فقال : أريد غير هذا امسكيه شرد بعيري ففعلت فلما شغلت يديها ساورها . فلم تقدر على دفعه حتى قضى ما أراد وهرب ، فقال :

شغلت يديها إن أردت خلاطها ☆ بنحيين من سمن زوى عجات
فأخرجته ريان ينطف رأسه ☆ من الرامل المذموم بالمقرات

ثم أسلم وشهد بدرا . فقال له النبي ﷺ : كيف شر أوك يا خوات وتبسم . فقال : رزق الله خيراً ، وأعوذ بالله من الحور بعد الكور ، وفي رواية قال له النبي ﷺ : ما فعل بعيرك أشرد عليك . فقال : أمّا منذ عقله إلا سلام فلا ، و خوات هذا هو الذي شهد حفر الخندق ، وكان في ذلك الوقت لم يحل الأيفطار في ليالي شهر رمضان بعد صلوة العشاء والنوم فنام ليلة ولم يفطر فانتبه وقد حرم عليه الأكل ولطماً أصبح وحفر غشى عليه فرق له النبي ﷺ : وأنزل تعالى به « فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »^(١) ولا لفهم واعتيادهم بالآثام سألت هذيل النبي ﷺ أن يحل لهم الزنا فقال حسان :

سألت هذيل رسول الله فاحشة ☆ ضلّت هذيل بما سألت ولم تصب

وسألت بنو عمرو بن عمير من ثقيف ، و بنوا الطغيرة من مخزوم النبي ﷺ أن يحل لهم الرباء فنزلت كما في أسباب نزول الواحدى آية « وزرّوا ما بقى من الربوا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله »^(٢) هذا ، وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أن ناساً أتوا النبي ﷺ بعد ما أسلموا . فقالوا : أيؤخذ الرجل منا بما كان عمل في الجاهلية . فقال النبي ﷺ : من حسن إسلامه وصحّ يقين إيمانه لم

(١) البقرة ١٧٨

(٢) البقرة ٢٧٨ .

يأخذه الله تعالى بما عمل في الجاهلية ، ومن سخر إسلامه ، ولم يصح يقين إيمانه أخذه
تعالى بالأول والآخر .

قلت : ومصدق الأول خوات المتقدم صاحب ذات النحين ، ومصدق الثاني
المغيرة بن شعبة غدر في جاهليته بجمع فقتلهم وأخذ أموالهم ، وصار في إسلامه سبياً لتصدى
الرجلين الأجنبيين لتصدى خلافة النبي ﷺ و سار سبياً لاستلحاق معاوية زياد أبه ،
واستخلافه ابنه السكير القمير كما أن جمعاً أسلموا لو كانوا بقواعلى شركهم كانوا
أهون عذاباً ، وهم الذين عملوا مع أهل بيت نبينهم ما عملوا ولا يزيد الظالمين
إلا خساراً ، (١) .

٨٥٣ ومن خطبة له عليه السلام : أرسله على حين فترة من الرسل ، و
طول هجعة من الأمم ، واعتزام من الفتن ، وانتشار من الأمور ، و
تلف من الحروب ، و الدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور . على حين
اصفرار من ورقها ، وإياس من ثمرها ، واغورار من مائها ، قد درست
منار الهدى ، و ظهرت اعلام الردى . فهي متجهة لأهلها . عابسة في
وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، و طعامها الجيفة ، و شعارها الخوف ،
ودثارها السيف .

وفي ١٥٣ ومن خطبة له عليه السلام : أرسله على حين فترة من الرسل .

و طول هجعة من الأمم ، وانتقاض من المبرم .

أقول: رواهما الكافي في باب (الرد إلى الكتاب والسنة) من كتاب عقله مع زيادة هكذا « أيتها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول، وأنزل إليكم الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب و من أنزله، وعن الرسول، ومن أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجمة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من الطبرم، وعمى عن الحق واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظ من الحروب، على حين إصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبس من أغصانها وانتشار من ورقها، وإياس من ثمرها، وإغورار من مائها. قد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى. فالدنيا متجهمة في وجوه أهلها مكفهرة مدبرة. غير مقبلة. ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف. مزقتم كل ممزق وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب المورودة بنتهم من أولادهم. يجتاز دونهم طيب العيش. ورفاهية خفوض الدنيا لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون والله منه عقاباً. حيثهم أعمى نجس، وميتهم في النار مبلس. فجاءهم بنسخها في الصحف الأولى - الخ - و عن القمى روايتهما في أول تفسيره.

ويناسب كلامه عليه السلام كلام سيده النساء - صلوات الله عليها - في خطبتها التي رواها أحمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات نسائه، فروى أنها قالت: ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه. فرأى الأمم فرقاً في أديانها. عكفاً على نيرانها. عابدة لآوثانها. منكرة لله تعالى مع عرفانها. فأنازل الله - عز وجل - بمحمد ما ظلمها، وفرج عن القلوب بهمها، وجلّى عن الابصار غممها - الخ -

قوله عليه السلام فيها « أرسله على حين فترة » في النهاية: الفترة ما بين الرسولين من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة، ومنه فترة ما بين عيسى ومحمد عليه السلام في أنساب البلاذري كان كعب بن لوى يخطب الناس في أيام الحجج: فيقول: اعظموا هذا الحرم، وتمسكوا به فسيكون له نبأ، و يبعث منه خاتم الأنبياء بذلك جاء موسى وعيسى. ثم ينشد.

على فترة يأتي نبي مهيمن ☆ يخبر أخباراً عليها خيرها

« من الرسل » ولم يقل من الأنبياء لاتصال الأنبياء، وهم أوصياء المسيح من

المسيح إليه ﷺ كما مرّ في الثالث من الفصل المتقدم .

« وطول هجعة » قال الجوهري : الهجوع : النوم ليلاً .
« من الأمم » وعدم تنبيههم ارشدهم .

قوله ﷺ في الثاني « و انتفاض من المبرم » : أى حلّ الجبلين اللذين فتلاً فجعلوا واحداً ، والمراد نقض الديانات الالهية .

قوله ﷺ في الأول « واعتزام من الفتن » قال : (حد) كأنه ﷺ جعل الفتن معتزلة : أى مريدة مصممة للشعث والهرج ، ويروى (واعترام) من العرام وهى الشدة ، ويروى (واعتراض) .

قلت : الصحيح الأخير بتصديق الكافى ، وتفسير القمى له نسخة واحدة مع أن (الاعتزام) بالزأى إنما يتعدى (بعلى) وليست بل لم يذكر له مفعول (والاعتزام) بالراء لم يعلم استعماله مستقلاً وإنما يقال : صبى عام .
« وانتشار من الأمور » واختلالها ، واغتشاشها لعدم نظام لها .
« وتلظّ » : أى التهاب .

« من الحروب » التى كانت كالنار . قال ابن قتيبة في معارفه : الأيام المشهورة في الجاهلية : يوم ذى قار كان بين جيش أبرويز ، وهانى الشيبانى لما استودعه النعمان عياله ، ومائة درع وهرب فظفر بنو شيبان ، ويوم الفجار الأول كاد أن يكون حرب ولم يقع ، ويوم الفجار الثانى كان بين كنانة وقيس عيلان ، ويوم شويحط كان بين اليمن ومضر وكانت لهم في حرب بكر وتغلب ستة أيام مشهورة : يوم عنيزة ، ويوم واردات ، ويوم الحنو ، ويوم القصبيات ، ويوم قضة ، ويوم تحلاق اللمم ، وكانت هذه الحرب أربعين سنة ، و حرب داحس وغبراء بين عبس وزيان تراهنوا . فسبقت (الغبراء) فرس عبس . فوضعت ذبيان كميناً فردّوها . فهاجت الحرب بينهما .

وفي اشتقاق ابن دريد وسمى الحارث بن مالك من بنى عجل وصافاً لأن المنذر الأكبر يوم أواره قتل بكير بن وائل قتلاً ذريعاً ، وكان يذبهم على جبل آلى أن يذبهم حتى يبلغ الدم الأرض . فقال له الوصاف : أبيت اللعن لو قتلت أهل الأرض هكذا

لم يبلغ دمهم الحضيض ، ولكن تأمر بصب الماء على الدم حتى يبلغ الدم الأرض ، وفيه و من رجال بنى عكابة و قاء بن الأشعر و كان الأشعر سيداً و هو لسان الحمرة أحد البلغاء في الجاهلية ولد (و قاء) في حرب كانت بينهم ، وجاء الإسلام . فاشتغلوا به . فقال أبوه : وقانا الله به . فسمي و قاء .

وقد جمع ابن عبد ربّه في عقده ، والجزري في كامله أيام العرب وحروبها مبسوطه « والدنيا كاسفة النور » مظلمة .

« ظاهرة الغرور » فلم يكن لأحد على أحد معتمد .

« على حين إصفرار من ورقها » كالأشجار وقت الخريف .

« وإياس من ثمرها » بعد حصول العيب في أصلها حتى يبس غضنها ، و انتشر ورقها

كما مرّ في رواية الكافي .

« وإغورار » كإحمرار من (غار الماء) ذهب .

« من مائها » يقال : ماء غور : أي غائر ، ونقله (حد) (وإعوار من مائها) وجعل

(وإغورار من مائها) نسخة مع أنه لا معنى لإعوار مائها وجعله من (فلاة عوراء) لاء ماء بها غلط لأنه أثبت لها ماء مع أن الكافي ، و تفسير القمي أيضاً نقلاه « واعورار » .

« قد درست » : أي صارت مندرسة .

« منار الهدى » قد عرفت أن في رواية الكافي (أعلام الهدى) و هو الأ نسب

بقوله (قد درست) .

« وظهرت » للناس .

« أعلام » : أي علائم .

« الردى » : أي الهلكة .

« فهى » : أي الدنيا .

« متجهمة لأهلها » : أي متلقيتهم بالغلظة ، و قال (خو) وفي نسخة (متجهمة

لأهلها) قلت : هي تحريف لأنه لا يقال : تهجم لفلان بل على فلان ، والنسخة إنما

تنقلني ما احتملت صحته .

« عابسة في وجه طالبا » فلا يحصل منها مطلوبه .

« ثمرها الفتنة » كشجرة ثمرتها مرة .

« وطعامها الجيفة » كطعام الكلاب . روى الطبري في ذيله أنه قيل لعبد خير :

هل تذكر من أمر الجاهلية شيئاً ، و كان أتى عليه مائة و عشرون سنة . قال : أذكر أن

أمي قد طبخت لنا قدراً . فقلت لها : اطعميني . فقالت : حتى يجيء أبوكم . فجاء أبي

فقال : إن كتاب النبي ﷺ قد جاء ينهانا عن لحوم الميتة . فذكر أنها كانت لحم ميتة

فأكفاناها ، و روى أبو نعيم في حليته عن أبي رجاء العطاردي - و كان أدرك الجاهلية -

قال : بلغنا أمر النبي ﷺ و نحن على ماء لنا يقال له : سند . فانطلقنا نحو الشجرة

هارين بعيالنا إذ وجدت كراع ظبي طرى . فأثيت به الطرثة . فقلت : هل عندك شعير

قالت : كان لنا عام أول شيء من شعير ما أدري بقي منه أم لا . فاخذته . فنفضته . فاستخرجت

منه ملاكف من شعير فرضخته بين حجرين . ثم ألقيته والكراع في برمة . ثم قمت إلى

بعير . ففدته إناء من دم ثم أوقدت تحته . ثم أخذت عوداً . فلبكته به حتى انضجته .

ثم أكلنا . فقيل له : كيف طعم الدم . قال : حلو ، وقالوا : كانت بنو أسد تأكل الكلاب .

فقال الفرزدق :

إذا أسدى^١ جاع يوماً ببلدة ☆ وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقالوا : كان بنو فقعمس يأكلون لحوم الناس . قال شاعر :

إذا ما ضفت ليلاً فقعمسياً ☆ فلان تأكل له أبداً طعاماً

فإن اللحم إنسان فدعه ☆ وخير الزاد ما منع الحراما

وعن ابن قرفة أضافني أعرابي . فجاءني بقدر جماعة ضخمة ليس فيها شيء إلا قطع

من لحم . فإذا بضعة تتمأت في فمي ، وبضعة كأنها بضع ساق ، وبضعة كأنها شحم رخم .

فقلت : ما هذا . فقال : إنني رجل صياد جمعت بين ذئب و ظبي و بضع .

« وشعارها الخوف و دنارها السيف » قال الجوهري : الشعار : ما ولي الجسد من

الثياب ، و الدنار : كل ما كان من الثياب فوق الشعار . قال تعالى « فليعبدوا رب هذا

البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (١).

٥ ر في ١٩٥٠ حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى

الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات

مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبيائه ، وانتخب منها أممائه

عترته خير العتر ، وأسوته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ،

نبتت في حرم ، وبسقت في كرم . لها فروع طوال ، وثمره لا

تنال . فهو أمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوئه

وشهاب سطع نوره ، وزند برق لمعه ، سيرته القصد ، وسنته

الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل ، على حين فترة من الرسل

وهفوة عن العمل ، وغباوة عن الأمم .

« حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ » روى سنن أبي داود في (باب

الثوم) أن النبي ﷺ أتى بيدر : أي طبق فيه خضرات من البقول . فوجد لها ريحاً .

فقال : قرّبوها إلى بعض أصحابه كان معه . فلما رآه كره أكلها فقال له : كل فإني

أناجي من لا تناجي .

« فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً » عن الكاظم عليه السلام أن يهودياً من أحبار الشام

كان قد قرء التوراة والإنجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء ، وعرف دلائلهم جاء إلى

مجلس فيه أصحاب النبي ﷺ فقال : يا أمة محمد ما تركتم لنبي درجة ، ولا

لمرسل فضيلة إلا تحلتوها نبيتكم . فهل تجيبوني عما أسألكم عنه . فكلح القوم عنه ، وكان فيهم أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : ما أعطى الله نبياً درجة ، ولا مرسلًا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد ، وزاد مجدداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفاً - الخبر - ذكره الاحتجاج « وأعز الأرومات » بالفتح جمع أرومة أصل الشجرة .

« مغرسا » من حيث النسل : أي النسل السامى ، وفي خطبة له عليه السلام المروية في إثبات المسعودى « ثم أذنت في إيداعه صلى الله عليه وآله ساماً دون حام و يافث ، فضربت لهما بسهم في الذلّة ، وجعلت ما أخرجت من بينهما لنسل سام خولاً » وفي معارف ابن قتيبة العرب كلها ، والآنبياء كلها من ولد سام .
« من الشجرة التى صدع » : أى شق .

« منها أنبيائه » والمراد من الشجرة إبراهيم عليه السلام فرسل جاؤا بعده كانوا من نسله .

« وانتخب » : أى اختار .

« منها أمناؤه » على وحيه ، وفسر قوله تعالى « الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين » ^(١) فى الأخبار بمعنى حين تقوم فى النبوة وتقلبك فى أصلاب النبيين .
« عترته خير العتر » كما أنه خير البشر ، وفى الصحاح : عتره الرجل : ذريته ورهطه الأذنون . روى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله قال : إننى أو شك أن ادعى فاجيب وإننى تارك فيكم الثقلين كتاب الله - عز وجل - جبل ممدود بين السماء والأرض و عترتى أهل بيتى ، وأخبرنى اللطيف أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .
« وأسرته » وهم بنوهاشم .

« خير الأسر » فكانت بنوهاشم أفضل طوائف قريش .

« وشجرتة » وهم قريش .

« خير الشجرة » فكانت قريش أفضل طوائف العرب .

« نبتت في حرم » : أى عز و منعة ، وليس المراد مكة كما احتمله (حد) فلو كانت مرادة لقال : (في الحرم) لا (في حرم) .
« وبسقت » : أى علت .

« في كرم » وشرف . روى الكافي عن الصادق عليه السلام أن النبي ﷺ بينا في المسجد الحرام ، وعليه ثياب جدد إن ألقى المشركون عليه سلا ناقة ، فملاً وأثابه بها . فدخله من ذلك ما شاء الله . فذهب إلى أبي طالب . فقال له : يا عم كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له : وما ذلك يا بن أخي فأخبره . فدعا أبو طالب حمزة ، وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا . ثم توجه إلى القوم والنبي ﷺ معه ، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة ، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه . ثم قال لحمزة : أمر السلا على أسبلتهم ، ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم . ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ . فقال : يا بن أخي هذا حسبك فينا .

« لها فروع طوال » قال تعالى له « إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبر » (١) .

« وثمره لا تنال » هكذا في المصرية ، والصواب (وثمر لا ينال) كما في (حد) ، وثمر ، والخطية) قال (حد) : ليس المراد بقوله (وثمر لا ينال) أن ثمرها لا ينتفع به . فإن ذلك ليس بمدح بل المراد أن ثمرها لا ينال قهراً ، ولا يجنى غصباً .

قلت : إنما ينال قهراً و غصباً من الإنسان لا من الشجر والثمر ، والصواب أن يقال : إن شرف الشجر بعلوه حتى لا ينهب ثمره كل من مر عليه ، والمراد أن إعلوم النبي ﷺ وكمالاته ليست عادية متعارفة حتى يدعى نيابته كل أحد ، وغرضه ﷺ التعريض بالمتقدمين عليه بكونهم غير أهلين لتصدى مقامه ﷺ لأن النائب كالمندوب عنه بقضية العقول ، و أين هم من النبي ﷺ وإنما كان أهل بيته مثله ، و مما يوضح كونهم ﷺ ثمره شجرة النبي ﷺ قوله ﷺ لما بلغه أن قريشاً احتجوا في السقيفة لتقدمهم علي الأ نصار بكونهم شجرة النبي ﷺ « احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة » وفي زياراتهم

صلى الله عليه وسلم السلام على الشجرة النبوية، والدوحة الهاشمية، المثمرة بالنبوة. المونعة بالإمامة». «فهو إمام من اتقى» الله في عمله فليتبعه غيره، روى الطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم عدل يوم بدر صفوف أصحابه، و في يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزيرة حليف بنى عدى من النجار وهو مستنقل من الصف، فطعن النبي صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح، وقال: استو. فقال سواده: أوجعنتي وقد بعثك الله بالحق. فاقدني فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه. ثم قال: استفد فقبيل بطنه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فما حملك على هذا. قال: حضر ما ترى فلم آمن القتل، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بخير.

«و بصيرة من اهتدى» فليسلك مسلكه. روى الطبري عن أبي سفيان قال: كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا، وبين محمد قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا. فلما كانت الهدنة بيننا، وبينه لم نأمن أن لانجدأمناً فخرجت في نفر من قريش تجاراً إلى الشام، وكان وجه متجرنا غزوة، فقد منها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس، وأخرجهم منها، وانتزع له منهم صليبه الأ عظم، وكانوا قد استلبوه إياه. فلما بلغ ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقله، وكانت حمص منزله خرج منها يمشى على قدميه متشكراً لله حين رد عليه ما رد ليصلى في بيت المقدس تبسط له البسط، و تلقى عليها الرياحين، فلما انتهى إلى ايليا، وقضى فيها صلوته، ومعه بطارقه، وأشرف الروم أصبح ذات غداة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء. فقال له بطارقه: قد أصبحت مهموماً قال: أجل أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر. قالوا له ما نعلم أمة تختن إلا اليهود، وهم في سلطانتك فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك مره ليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود واسترح من هذا الهم، وأنهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها - فقال: إن هذا الرجل من أهل الشاء والإبل يحدث عن أمر حدث ببلاد عجب. فسله عنه. فلما انتهى به إلى هرقل قال لترجمانه: سله ما كان فسأله. فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي، وقد اتبعه ناس

و صدقوه ، و خالفه ناس ، و قد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة . فتركتهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبر ، قال جرّ دوه . فجرّ دوه . فأذا هو مختون . فقال هرقل : هذا والله الذي أريت لا ما تقولون أعطوه ثوبه انطلق عنّا .

ثم دعا صاحب شرطته . فقال له : قلب الشام لي ظهراً و بطناً حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل -- يعنى النبي ﷺ . -

قال أبو سفيان : وأنا بغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته . فقال : أتمم من قوم هذا الرجل الذي ظهر بالحجاز . قلنا : نعم . قال : انطلقوا إلى الملك . فانطلقنا . فلمّا انتهينا إليه . قال : أتمم من رهط هذا الرجل . قلنا : نعم . قال : فأيتكم أمس به رحماً . قلت : أنا . فقال : ادن . فاقعدني بين يديه و أقعد أصحابي خلفي . ثم قال : إني سأسأله . فإن كذب فردّوا عليه . قال أبو سفيان : فوالله لو كذبت ماردّوا عليّ ، ولكنني كنت امرءاً سيّداً أتكرّم عن الكذب ، و عرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتّه أن يحفظوا ذلك عليّ ثمّ يحدّثوا به عنّي فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى فجعلت أصغر أمره و أقول ما يهمنك من أمره إن شأنه دون ما يبلغك فجعل لا يلتفت إلى ذلك . ثمّ قال : أنبأني عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سل .

قال : كيف نسبه ؟ قلت : محض أو سطننا نسباً .

قال : هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول به فهو يتشبه به . قلت : لا .

قال : فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه

ملكه . قلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث

من الغلمان والنساء ، و أما ذووالأسنان والشرف من قومه . فلم يتبعه منهم أحد .

قال : فأخبرني عن من تبعه أيحبه و يلزمه أم يقلبه و يفارقه ؟ قلت : ما تبعه

رجل . ففارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم و بينه . قلت : سبحان يدال علينا و ندال عليه .

قال : فأخبرني هل يغدر -- فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أعجزه فيه غيرها -- قلت : لا ونحن منه في هدنة ولا نأمن غدرة -- فوالله ما التفت إليها مني ثم كررت عليّ الحديث .

قال : سألتك كيف نسبه فيكم . فزعمت أنه محض من أوسطكم نسباً و كذلك يأخذ الله الأنبياء ، و سألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به . فزعمت أن لا ، و سألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه . فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه . فزعمت أن لا ، و سألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، و سألتك ممن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبيه ويفارقه . فزعمت ألا يتبعه أحد يفارقه ، و كذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني علي ما تحت قدمي هاتين ولوددت أنني عنده فاغسل قدميه انطلق لشأنك . فقامت من عنده و أنا أضرب إحدى يدي على الأخرى ، و أقول : يا عباد الله لقد أمر ابن أبي كبشة لقد أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام .

« سراج طمع ضوئه » فلم يبق معه ظلمة .

« وشهاب » في النهاية : الشهاب : الذي ينقض في الليل شبه الكوكب ، و هو في الأصل الشعلة من النار .

« سطع » : أي ارتفع .

« نوره » حتى أضاء كل جانب .

« وزند » في الصحاح : الزند : العود الذي تندح به النار ، و هو الأعلى ، و الزندة : السفلى فيها ثقب ، و هي الأنثى . فإذا اجتمعاقيل : زندان و تقول لمن أعانك : ورت بك زنداى .

« برق لمعه » حتى حصلت منه الاستتارة . في الطبقات أن علياً عليه السلام كان إذا نعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا بالقصير المتردد . كان ربعة ،

ولم يكن بالجعد القلط ، ولا السبط كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمظهم ولا المتكلم ، وكان في وجهه تدوير أبيض مشرب . أدعج العينين . أهدب الأشفار . جليل المشاش والكتد ، اجرد ذا مسربة شثن الكفّين والقدمين إذا مشى تقلّع كأنما يمشى في صلب ، وإذا التفت التفت معاً . بين كتفيه خاتم النبوة . أجود الناس كفاً . وأجرء الناس صدراً . وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس بدمّة . وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبّه يقول ناعته لم أرقبله ولا بعده مثله .

« سيرته القصد » : أى الوسط ليس بإفراط ولا تفريط . وفي الخبر كانت صلوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصداً وخطبته قصداً .

« وسنته الرشد » روى سمن أبى داود عن عبد الله بن أبى الحساء قال : بايعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعث ببيع و بقيت منه بقيّة . فوعده أن آتبه بها في مكانه . فنسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث . فجمت فإذاً هو في مكانه . فقال : يا فتى لقد شققت على أنا هيئنا منذ ثلاث أنتظرك ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقسم لحظاته بين جلسائه . قال عمه أبو طالب فيه :

وميزان صدق لا يخيس شعيرة وزان صدق وزنه غير عائل

وفي الطبقات عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى منزله جزء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله و جزء لأهله ، و جزء لنفسه . ثم جزء جزئه بينه وبين الناس . فيسرود ذلك على العامة ، ولا يدخر عنهم شيئاً .

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل نأديه ، و قسمه على قدر فضلهم في الدين . فمنهم ذو حاجة ، ومنهم ذو حاجتين ، ومنهم ذو حوائج . فيتشأغل بهم و يشغلهم في ما أصلحهم من مسئلته عنهم ، و إخبارهم بالذى ينبغى لهم ، و يقول : ليلغ الشاهد الغائب ، و أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغى حاجته . فإنّه من أبلغ سلطناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إيّاه ثبتت الله قدميه يوم القيامة . لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يدخل من أحد غيره . يدخلون رواداً ، و يخرجون أدأة ، ولا يفترقون إلا عن ذواق ، و كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخزن لسانه إلا مما يعنيههم و يؤلفهم ، ولا ينفرهم ، و

يكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم ، و يحذر الناس و يحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره ولا خلقه ، و يتفقّد أصحابه ، و يسأل الناس عمّا في الناس ، و يحسن الحسن و يقوّ به ، و يقبّح القبيح و يوهنه . معتدل الأمر غير مختلف . لا يغفل مخافة أن يغفلوا لكلّ حال عنده عتاد لا يقصر عن الحقّ ولا يجوزه الدين . يلونه من الناس خيارهم . أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة ، أحسنهم موازرةً و مواساةً و كان عليه السلام لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر . لا يوطئن الأماكن ، و ينهى عن إيظانها و إذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ، و يأمر بذلك . يعطى كلّ جلسائه بنصيبه . لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، و من جالسه أوقاومه في حاجة . صابرة حتى يكون هو المنصرف ، و من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول . قد وسع الناس منه بسطه ، و خلقه . فصار لهم أباً و صاروا في الحقّ عنده سواء . مجلسه مجلس حلم و حياء . و صبر و أمانة . لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبّن فيه الحرم .

و عنه عليه السلام كان النبي ﷺ دائم البشر . سهل الخلق . ليّن الجانب . ليس بفظّ ولا غليظ ، ولا صخب ، ولا فحاش ولا عياب . يتغافل عمّا لا يشتهي ، ولا يدنس منه ، ولا يجنب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الطراء والإكثار ومما لا يعنيه ، و ترك الناس من ثلاث . كان لا يذم أحداً ، ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا في ما رجا ثوابه . إذا تكلم أطرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير . فإذا سكت يتكلموا ، ولا يتنازعون عنده ، و من تكلم انصت له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أو ليتهم يضحك ممّا يضحكون منه ، و يتعجب ممّا يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقته و مسألته .

و عنه عليه السلام كان سكوت النبي ﷺ على أربع : على الحلم والحذر والتقريب والتفكير . فأما تقريره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس ، و أما تذكّره أو تفكيره ففي ما يبقى و يفنى ، و جمع الحلم والصبر ، و كان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه ، و جمع له الجِدّ في أربع أخذه بالحسنى ليقنّدى به ، و تركه القبيح ليتناهى عنه ، و اجتهاده

الرأى في ما أصلح أمته ، والقيام في ما جمع له الدنيا والآخرة .

« وكلامه الفصل » قال ﷺ : أوتيت جوامع الكلم ، وليس بعد كلام الله تعالى كلام فوق كلامه ، وقد جمع جمع من العامة والخاصة كلمه ﷺ كالزجاجي صاب المطبرد ، و نفظويه النحوى ، و جعفر بن حمدان الموصلى ، والمصنّف في كتابه المجازات النبويّة .

وعن الجاحظ يجب أن يكون الإنسان سخياً لا يبلغ التبذير ، وشجاعاً لا يبلغ الهوج . محترساً لا يبلغ الجبن ، ماضياً لا يبلغ القحة . قوياً لا يبلغ الهذر . صموتاً لا يبلغ العى . حلماً لا يبلغ الذل . منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ البلادة . نافذاً لا يبلغ الطيش . ثم وجدنا النبي ﷺ قد جمع ذلك كله في كلمة واحدة ، وهى قوله « خير الأمور أوسطها » فعلمنا أنه أوتى جوامع الكلم ، وعلم فصل الخطاب ، ومن عجيب كلماته قوله ﷺ : خمس من أتى الله بهنّ أو بواحدة منهنّ أوجب له الجنة : من سقى هامة صادية ، أو أطعم كبداً هافية ، أو أكسى جلدأ عارية ، أو حمل قدماً حافية ، أو اعتق رقبة عانية .

وروى الكافي أن أعرابياً قدم بابل له . فقال للنبي ﷺ : بع لى إبلى . فقال صلى الله عليه وآله : لست ببياع في الأسواق قال : فأشر علىّ فقال له : بع هذا الجمل بكذا ، وبع هذه الناقة بكذا - حتى وصف له كل بعير منها . فخرج الأعرابي إلى السوق . فباعها . ثم جاء إليه . فقال له : والذى بعثك بالحقّ ما زدت درهماً مما قلت لى ، ولا نقصت ، و في سنن أبى داود عنه ﷺ قال : لا تطلق ، ولا اعتاق في غلاق . قلت : وهود ليل على بطلان مذهبهم في الحلف بالعتاق والطلاق ، وفيه أيضاً أن النبي ﷺ لما دخل على عائشة ورأى عندها رجلاً . فتغيّر وجهه . فقالت : إنه أخى من الرضاعة . قال : انظرن من إخوانكنّ إنّما الرضاعة من المجاعة ، و في السيرة عن أبى عياش قال : قال لى النبي ﷺ في غزوة ذى قرد : لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك . فقلت : أنا أفرس الناس فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى . فعجبت أن النبي ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، و أنا أقول : أنا أفرس الناس ، وفيه أيضاً ، وأقبل النبي ﷺ في المسلمين فاذا مسجى بيردة أبى قتادة .

فاسترجع الناس ، و قالوا : قتل أبو قتادة . فقال النبي ﷺ : ليس بأبي قتادة ، و لكنه قتل لأبي قتادة . وضع عليه برده لتعرفوا أنه برده ، و فيه أيضاً بعد ذكر إغارة عيمنية على لقاح النبي ﷺ و فيها رجل من غفار . فقتلوا الرجل ، و احتملوا المرثة في اللقاح - قال : و أقبلت امرئة الغفاري على ناقة من إبل النبي ﷺ و قالت : نذرت لله أن أنحرها أن نجاني الله عليها . فتمسّم النبي ﷺ ثم قال : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها و نجّاك بها ثم تنحرينها أنه لا نذر في معصية الله ، ولا في ما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلى . فارجمي إلى أهلك على بركة الله .

« و حكمه العدل » أعطى النبي ﷺ اليهود خيبر أرضها و نخلها بالمنصفة . فلما أدركت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة . فقوم عليهم و خرس . فقال لهم : أما أن تأخذوه و تعطوني نصف التمر ، و أما آخذه و اعطيكم نصف التمر . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، و روى الكافي أن رجلاً من الأنصار و رجلاً من ثقيف أتيا النبي ﷺ فقال الثقيفي : حاجتي فقال النبي ﷺ سبقك أخوك الأنصاري . فقال : إنني على ظهر سفر ، و إنني عجلان . فقال الأنصاري : قدأذنت له - الخبر - و في خبر من صار رئيس الخوارج أنه قال النبي ﷺ : في غنائم خيبر : ما عدلت . فغضب النبي ﷺ و قال له : و يلك إذا لم يكن العدل عندي . فعند من يكون فأراد المسلمون قتله . فقال النبي ﷺ : دعوه فإنه سيكون له أتباع يمرقون من الدين - الخبر - .

و عن أبي جعفر عليه السلام أن سمرة بن جندب كان له عذق في حايط لرجل من الأنصار ، و كان منزل الأنصاري بباب البستان . فكان يمر به إلى نخلته ، ولا يستأذن فشكاه الأنصاري إلى النبي ﷺ فأرسل إليه و قال له : إذا أردت الدخول فاستأذن . فأبى فساومه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله . فأبى أن يبيع فقال : لك بها عذق في الجنة . فأبى . فقال النبي ﷺ للأنصاري : إذهب فاعملها و ارم بها إليه . فإنه لا ضرر ولا ضرار ، و روى سنن أبي داود أن جمعاً من الصحابة كانوا مع النبي ﷺ

فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى جبل معه فأخذه ففزع ، فقال النبي ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروغ مسلماً .

« على حين فترة » هكذا في المصرية ، والصواب (أرسله على حين فترة) كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« من الرسل » وانقطاع لهم .

« وهفوة » : أي زلّة .

« عن العمل » فلم يكن منهم عمل رأساً أو عمل صالح .

« وغبوة عن الأمم » في رشدهم وصلاحهم كما قال شاعر :

كما بعث الله النبي ﷺ محمداً ☆ على فترة والناس مثل البهائم

٩١ و من خطبة له عليه السلام : بعثه والناس ضلال في

حيرة ، وخابطون في فتنة . قد استهوتهم الأهواء ، و استزلتهم

الكبرياء ، و استخفتهم الجاهلية الجهلاء . حيارى في زلزال من

الأمر . و بلاء من الجهل . فبأغ صلى الله عليه وآله في النصيحة

و مضى على الطريق ، و دعا إلى الحكمة و الموعظة الحسنة .

« بعثه والناس ضلال في حيرة » كان الناس وقت بعثته ﷺ بين طبعي ، وثنوي

و وثى ، و براهمة ، و يهودى ، و نصراني ، و مجوسى ، و صابى ، و نظائرهم .

« و خابطون » قال الجوهري : خبط البعير الأرض بيده : ضربها ، و منه قيل :

خبط عشواء ، و هى الناقة التى في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً ، و قال

(حد) خابطون : جمع حاطب ، و هو الذى يجمع الحطب ، و يقال لمن يجمع بين

الصواب والخطاء والغث والسمين : حاطب ليل لأنه لا يبصر ما يجمع في حبله . قال :

و يروى (و خابطون) .

قلت : الصحيح : و خابطون ، وإنما يصح الأول لو كان بلفظ و خابطو ليل .
فإن خابط ليل يستعمل في ما ذكر لا الحاطب مجرداً . فإنه لا يحمل إلا على معناه
الظاهري من جمع الحطب .

« في فتنه » : أى ما يوجب امتحان الخلق ، والأصل فيها فتن الصائغ الذهب
بإدخاله النار لينظر ما جودته .

« قد استهوتهم » : أى استهاهمتهم .

« الأهواء » كما قال تعالى « رأيت من اتخذ إلهه هواه » (١) .

« واستزقتهم » عن الثبات .

« الكبرياء » : أى التكبر كما حصلت لا بليس .

« واستخفتهم » : أى عدتهم خفيفين .

« الجاهلية الجهلاء » : أى الغاية في الجهالة .

« حيارى » : أى متحيرين .

« في زلزال من الأمر » فلا يدرون رشدهم و صلاحهم .

« و بلاء من الجهل » والجهل بلاء فوق كل بليّة . فكانوا يقتلون أولادهم

خشية إملاق و فقر ، ولا يعلمون أن الله يرزقهم كما خلقهم ، و يؤودون بناتهم لثلاً يصلن

إلى غير عشيرتهم مع كونهم أشنع عمل ، و ينساون الشهور الحرم ، و يخترعون البدع

من السائبة والوصيلة ، والحام ، والبحيرة ، و غيرها بالنسبة إلى أحشامهم و أغنامهم .

« فبالغ صلى الله عليه وسلم في النصيحة » قال السرورى : روى أنه لما نزل قوله تعالى « و

أنذر عشيرتلك الأقرين » (١) صعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا . فقال : يا صباحاه .

فاجتمعت إليه قريش . فقالوا : مالك؟ قال : أرايتم أن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو

ممسिकم ما كنتم تصدقوننى قالوا : بلى قال : فأنا نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

(١) الفرقان ٤٣

(٢) الشعراء ٢١٤

فقال أبو لهب : تبياً لك ألهذا دعوتنا . فنزلت سورة (تبت) أيضاً ، وقال قتادة : خطب النبي ﷺ ثم قال : أيها الناس : إن الرائد لا يكذب أهله ، و لو كنت كاذباً لما كذبتكم ، والله الذي لا إله إلا هو أنى رسول الله حقاً إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، والله لتموتون كما تنامون ، و لتبعثون كما تستيقظون ، و لتحاسبون كما تعملون و لتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسوء سوء ، وإنها الجنة أبدأ ، والنار أبدأ ، وأنكم أول من اندرتم .

« ومضى على الطريق » : طريق الحق « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني » (١) .

« ودعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة » كما أمره ربه بقوله « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن » (٢) و كان ﷺ يحاج كل فرقة بلسانهم ، و يلزمهم بما يتم الحجّة عليهم . قال شاعر :

الله قد أيّد بالوحي مجدداً ذا الأمر والنهي

يأمر بالعدل و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

٧ ر في ٩٤ منها في ذكر الرسول : مستقره خير مستقر ، ومنبته

أشرف منبت في معادن الكرامة ، و مماهد السلامة . قد صرفت
نحوه أفئدة الأبرار ، و ثبتت إليه أئمة الأبصار . دفن به الضغائن
و اطفأ به الثوائر . الف به اخوانا ، و فرق به أقرانا . اعزبه الذلة ،
و اذل به العزة ، كلامه بيان ، وصمته لسان .

« مستقره خير مستقر » الظاهر أن مراده ﷺ بمستقره المدينة ، و قد سماها النبي ﷺ الطيبة ، و وصفها بأنها تنفى خبثها كما تنفى الكبر خبث الحديد كما

في الخبر .

« و منبته خير منبت » والظاهر أن مراده ﷺ بمنبته ﷺ مكة ، وقد قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » (١) .

وفي خطبة له ﷺ على رواية إثبات المسعودي في مجال نوره ﷺ « وأى ساحة من الأرض سلكت به لم تظهر بها قدسه حتى الكعبة التي جعلت منها مخرجه . غرست أساسها بياقوته من جنات عدن ، وأمرت الملكين المطهرين : جبرئيل و ميكائيل . فتوسطا بها أرضك و سميته بيتك واتخذته معهداً لنبيك » - إلخ - .

« في معادن الكرامة » الظاهر رجوعه إلى (مستقره) على اللف والنشر المرتب . قال الحميري :

فاختل دار كرامة في معشر * آووه في سعة المحل الأرحب
« و مهاد » جمع مهاد اسم مكان .

« السلامة » الظاهر رجوع (مهاد السلامة) إلى (منبته) قال تعالى « و من دخله كان آمناً » (٢) وقال (حد) مهاد : جمع مهاد و هو إزدواج قرينة (معادن) كقولهم (الغدايا والعشايا) و يعنى (بالسلامة) البرائة من العيوب : أى في نسب طاهر ، و هو كما ترى ، و وجه ما قاله أنه لم ير (مهاد) في الصحاح . فقال : مهاد جمع مهاد مع أنه لا يلزم أن يذكر الصحاح جميع الاشتقاقات مع أنه لا معنى للإزدواج بما قاله كما أن وجه قوله (يعنى بالسلامة البرائة من العيوب) أنه حمل (المستقر ، والمنبت) في كلامه ﷺ على الأرحام والأصلا ب ، و هو أيضاً كما ترى . « قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار » فصاروا مصدقيه و ملازميه ، و في الطبرى : و فد الأسود بن ربيعة على النبي ﷺ و قال : جئت لاقرب إلى الله تعالى بصحبتك فسماه النبي ﷺ المقرب ، و قال : أبو طالب فيه :

وإن عليه في العباد محبة ☆ ولا حيف في من خصه الله بالحب أيضاً :

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ☆ وأحبيته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسى دونه فحमितه ☆ ودافعت عنه بالذرى والكواهل

قال بعضهم : إذا تفكرت في أشعار أبي طالب في مدائح النبي ﷺ وأنها أشعار ذاك الشيخ المبحجل في ابن أخيه وهو شاب مستجير به معتصم بظله من قريش قد رباه في حجره غلاماً ، و على عاتقه طفلاً ، و بين يديه شاباً . يأكل من زاده ، و يأوى إلى داره علمت موضع خاصية النبوة و سرها ، و أن أمره كان عظيماً ، و أن الله تعالى أوقع له في القلوب والأنفوس منزلة رفيعة ، و مكاناً جليلاً .
« و ثنيت » : أى رفعت من (ثاني عطفه) .

« إليه أرمّة الأَبصار » فلا تخفض إلى غيره كان الجلف البدوى يرى وجهه .
فيقول : والله ما هذا وجه كذاب ، و كان عظيماً مهيباً حتى ارتاعت منه رسل كسرى مع أنه كان متواضعاً في الغاية ، و قال عروة بن مسعود الثقفى لقريش : والله لقد وفدت على كسرى و قيصر والنجاشى ، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد مجراً يقتلون على وضوئه ، و يتبادرون لأمره ، و يخفضون أصواتهم عنده ، و ما يحدثون النظر إليه تعظيماً ، و لما دخل أبو سفيان عام الفتح عليه ، و رأى أيدي المسلمين تحت شعره يستشفون بالقطرات من وضوئه . قال : تالله إن رأيت كالسيوم كسرى و قيصر ، و في الاستيعاب دخل النبي ﷺ على كبشة الأنصارية . فشرب من فم قربة معلقة . فقطعت كبشة فم القربة و رفعته : أى تبر كآ به .

و في الأغاني أن زيد بن الدثنة لما أسره المشركون . فاجتمع رهط من قريش ليقتلوه ، و فيهم أبو سفيان قال له : أنتحب أن تكون في أهلك ، و يكون محمد عندنا مكانك . فنضرب عنقه . فقال : والله ما أحب أن محمداً تصيبه شوكة في مكانه الذى فيه ، و أنا في أهلى . فتعجب أبو سفيان .

« دفن به الضغائن » كان بين الأوس والخزرج ضغائن من حروب كانت بينهما ،
وقتلى كثيرة منهما فأماها الله به ﷺ .

« واطفأ به الثوائر » هكذا في المصرية ، والصواب (النوائر) جمع النار كما في
(حد ، و نم ، والخطية) ولأنّ الاطفاء إنّما ينسب إلى النار لا إلى النار . قال
تعالى « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند
الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم » (١) .

« ألفت به إخواناً » قال تعالى « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم
ولكنّ الله ألفت بينهم إنه عزيز حكيم » (٢) « واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم
منها » (٣) « إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » (٤) « وقال النبي ﷺ :
المؤمنون إخوة تتكافىء دمائهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

« وفرّق به أقراناً » بواسطة مخالفتهم في الدين فكم ابن وأخ ترك أباه وأخاه
به وكم امرئة تركت زوجها به ، وقالوا : أتى الوليد بن المغيرة قريشاً . فقال لهم : إن
الناس غدأ يجتمعون بالموسم ، وقد فشا أمر هذا الرجل . فيسألونكم فما تقولون لهم؟
فقال أبو جهل : أنا أقول : إنه مجنون ، وقال أبو لهب : أنا أقول : إنه شاعر ، وقال
عقبة بن أبي معيط : أنا أقول : إنه كاهن . فقال الوليد : وأنا أقول : إنه ساحر يفرّق
بين الرجل والمرئة ، وبين الرجل وأخيه وأبيه .

« أعزّ به الذلّة » فكم من أذلاء صاروا أعزّاء بالإيمان به .
« وأذلّ به العزّة » وكم من جبابرة أعزّاء صاروا أذلاء بالكفر به .
« كلامه بيان » قال تعالى فيه « وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى

(٢) الانفال ٦٣

(١) النساء ٩٤

(٣) آل عمران ١٠٣

(٤) الحجرات ١٠

يوحى» (١) ولكن الثاني قال لمّا قال ﷺ في مرض وفاته «يتونى بدواة، وصحيفة أكتب لكم ما لا تظنون بعدى»: إن الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله.

وروى أسد الغابة عن ابن أبي حنيفة الأسلمى قال: كان ليهودى عليه أربعة دراهم. فاستعدى عليه النبي ﷺ فقال له: يا محمد إن لى على هذا أربعة دراهم، وقد غلبنى عليها. قال: اعطه حقّه. فقال: والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها. قال: اعطه حقّه. قال: قد أخبرته إنك تبعتنا إلى خيبر. فارجو أن تغنمنا شيئاً. فارجع فاقضيه. قال: فاعطه حقّه - وكان النبي ﷺ إذا قال ثلاثاً لا يرجع - فخرج به إلى السوق، وعلى رأسه عمامة، وهو متزر ببرد. فنزع العمامة من رأسه. فاتزر بها، ونزع البردة. فقال: اشتر منى هذه البردة. فباعها منه بأربعة دراهم - الخبر - وفي الطبقات جاء مجوسى إليه قد أعفى شاربه، وأحفى لحيته. فقال: من أمرك بهذا قال ربى قال: لكن ربى أمرنى أن أحفى شاربى، وأعفى لحيتى.

«وصمته لسان» حيث إن تقريره ﷺ أيضاً حجة كقوله وفعله، وفي الطبرى أن النبي ﷺ عهد إلى امرائه في فتح مكة أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر بقتلهم منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح لأنه أسلم فارتد. ففر إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة. ففيسبه حتى أتى به النبي ﷺ فاستأمنه له، فذكر أن النبي ﷺ صمت طويلاً. ثم قال نعم. فلمّا انصرف به عثمان قال النبي ﷺ لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم. فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلا أو مات قال: إن النبي ﷺ لا يقتل بالإشارة.

هذا، ويناسب كلامه ﷺ في وصفه ﷺ كلام أبى الفضل الهمداني في بعض أعيان دهره: له من الصدور ما ليس للفؤاد، ومن القلوب ما ليس للأولاد. فكأنما اشتق من جميع الأكباد، وولد بجميع البلاد. سواء الحاضر فيه والباد، وكل أفعاله غرة في ناصية الأيام، وزهرة في جنح الظلام، وذكر أعرابي رجلاً. فقال: والله لكان القلوب والألسن ريضت له. فما تعقد إلا على وده، ولا تنطق إلا بحمده.

٨ ر ١٠١ و من خطبة له عليه السلام : حتى بعث الله محمداً شهيداً ، و بشيراً و نذيراً . خير البرية طفلاً ، و انجبها كهلاً ، اظهر المطهرين شيمة ، و امطر المستمطرين ديمة .

« حتى بعث الله محمداً شهيداً ، و بشيراً و نذيراً » عن تفسير الواحدى عن الحسن عليه السلام في قوله تعالى « و شاهد و مشهود » (١) الشاهد النبي ﷺ و المشهود يوم القيامة . قال تعالى « يا أيها النبي اننا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً » (٢) و قال تعالى « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود » (٣) .

« خير البرية طفلاً » في المناقب عن ابن عباس كان النبي ﷺ يقرب إلى الصبيان يصحبهم . فيختلسون و يكف ، و يصبح الصبيان غمماً و رمصاً ، و يصبح صقيلاً دهيناً ، و عن عكرمة كان يوضع فراش لعبد المطالب في ظل الكعبة ، و لا يجلس عليه إلا هو إجلالاً له ، و كان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج . فكان النبي ﷺ يجلس عليه . فيأخذه أعمامه . فيقول لهم عبد المطالب : دعوا ابني . فوالله إن له لشأناً عظيماً .

و عنه قال أبو طالب لأخيه العباس : أخبرك عن محمد إننى ضممته . فلم أفارقه ساعة من ليل أو نهار ، فلم أئتمن عليه أحداً حتى نومت في فراشى . فأمرته أن يخلع ثيابه ، و ينام معى . فرأيت في وجهه الكراهة . فقال : يا عماء اصرف بوجهك عنى حتى أخلع ثيابى ، و أدخل فراشى . فقلت له : ولم ذاك ؟ فقال : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدى . فتعجبت و صرفت بصري عنه حتى دخل فراشه . فإذا دخلت أنا الفراش إذا بينى و بينه ثوب . ثم شممته كأنه غمس في مسك ، ولم أر منه كذبة قط ولا جاهلية قط ، ولا رأيت يضحك في غير موضع الضحك ، ولا يدخل مع الصبيان في

لعب ، ولا التفت إليهم ، وكان الوحدة أحب إليه والتواضع ، وقال المسعودي : قال عبد الله أبوه فيه :

الحمد لله الذي أعطاني ☆ هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهدي على الغلمان ☆ أعينه بالبيت ذى الأركان
وقال أبو طالب عمه فيه :

ولقد عهدتكَ صادقاً في القول لا تتزبد ☆ مازلت تنطق بالصواب وأنت طفل أُمرد

« وأنجبها كهلاً » قال الجوهري : الكهل من الرجال ما جاوز الثلاثين ، ولما بنت قريش الكعبة ، وتنازعوا في رفع الحجر ووضعه في محله ، وحكموا النبي ﷺ فحكم بينهم بما ارتضوه . قال قائل متعجباً من انقياد شيوخ قريش لشاب - وكان يؤمئذ ابن خمس وثلاثين - أما واللات والعزى ليفوقنهم سبقاً ، وليقسم بينهم حظوناً وجدوداً ، وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم ، وقال بعضهم : ولولا خاصية النبوة و سرها لما كان مثل أبي طالب وهو شيخ قريش و ذو سنتها و ذو شرفها يمدحه وهو شاب قد ربى في حجره ، وهو يتيمه و مكفوله و جار مجرى أولاده بمثل قوله : و تلقوا ربيع الأبطحين محمداً ، و مثل قوله : و أبيض يستسقى الغمام بوجهه . فإن مثل هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذناي من الناس ، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء .

« أظهر المطهرين شيمة » : أى خلقاً و طبيعة . قالوا : كان ﷺ يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله ، ولا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه ، و كان أكثر الناس تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن ، ولا يرتفع على عبيده ، و إمامه في مآكل ولا ملبس ، و ما شتم أحداً بشتمه ، ولا لعن امرأة و خادمة بلعنة ، ولا يأتيه حر ولا عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته .

« وأمطر » هكذا في المصرية ، والصواب : وأجودكما في (حد ، وثم ، والخطية) .

« المستمطرين » بلفظ اسم المفعول .

« ديمة » في الصحاح الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل، والجمع: ديم. قال لبيد:

باتت وأسبل وأكف من ديمة ☆ يروى الخمائل دائماً تسجامها

ثم يشبهه به غيره، وفي الحديث كان عمله ديمة. قالوا: كان صلى الله عليه وسلم أسخى الناس لا يثبت عنده دينار ولا درهم. فإن فضل ولم يجد من يعطيه ويجنسه الليل لم يأو إلى منزله حتى يمتد منه إلى من يحتاج إليه، ولا يستل شيئاً إلا أعطاه ثم يعود إلى قوت عامه. فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتيه شيء، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلوته، وأقبل عليه، وقال: ألك حاجة؟ وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته، وقال أبو طالب فيه:

وأبيض يستمقى الغمام بوجهه ☆ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم ☆ فهم عنده في نعمة و فواضل

٩ ر في ٣٢ ر ١ ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله و ليس

احد من العرب يقرء كتاباً ، و لا يدعى نبوة . فساق الناس حتى

بوأهم محللتهم ، و بلغهم منجاتهم . فاستقامت قناتهم ، و اطمأنت

صفتهم .

و ١٠٠ و من خطبة له عليه السلام (و قد تقدم مختارها بخلاف

هذه الرواية) أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله

و ليس احد من العرب يقرء كتاباً ، و لا يدعى نبوة ولا وحياً .

فقاتل بمن اطاعه من عصابه . يسوقهم الى منجاتهم ، و يبادر بهم

الساعة ان تنزل بهم . يحسر الحسير . ويقف الكسير فيقيم عليه حتى
يلحقه غايته الا هالكا لا خير فيه حتى اراهم منجاتهم ، و بواهم
محلثهم . فاستدارت رحاهم ، واستقامت قناتهم .

قوله ﷺ في الأوّل : « إن الله » هكذا في المصرية وزاد (حد ، والخطية)
(سبحانه) كما في الثاني بالاتفاق .

« فان الله سبحانه » قوله ﷺ فيهما .

« بعث محمداً ﷺ و ليس أحد من العرب يقرء كتاباً » قال تعالى « هو الذى بعث
في الأميين رسولا منهم » (١) وفي معارف ابن قتيبة قال الأصمعي : ذكروا أن قريشاً
سئلوا من أين لكم الكتاب ؟ قالوا : من أهل الحيرة ، وقيل لأهل الحيرة : من أين لكم
الكتاب ؟ قالوا : من الأنبار ، وروى أن بشر بن عبد الله العبادى علم أبا سفيان بن
أمية و أبا قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتاب فعلموا أهل مكة ، وروى عن سهل أن
أول من كتب بالعريضة مرامر بن مرة من أهل الأنبار ، و من الأنبار انتشرت في
الناس ، وقال وهب : أول من خط بالقلم إدريس ﷺ .

« ولا يدعى نبوة » وزاد في الثاني .

« ولا وحياً » وإنما كان أمية بن أبي الصلت لرغبته عن عبادة الأوثان وقرائنه
كتب السلف ، و يخبر أن نبياً يبعث قد أظلم زمانه . فلما سمع بخروج النبي ﷺ
كفر حسداً له ، و كان يطمع أن يكونه .

و لشيعاء خبير بعثته ، و قرب ظهوره سمى قوم أبناءهم محمداً رجاء أن يكونه لما
سمعوا أن اسم النبي الآتى محمداً ، والمسمون هم : محمد بن مسلمة ، ومحمد بن أحيحة ، و
محمد بن براء البكرى ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفى ، ومحمد

بن خزاعة السلمى ، وقد وقع نظير ذلك قبله ﷺ موسى ﷺ وبعده ﷺ للمهدى ﷺ .

وروى الطبرى عن الزهرى أن النبى ﷺ لما كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم عرض نفسه على بنى عامر . فاشترطوا أن يكون الأمر لهم بعده . فقال النبى ﷺ : الأمر إلى الله . فاعرضوا عنه ، ورجعوا إلى شيخ كبير لهم . فأخبروه خبره ونسبه . فوضع يده على رأسه . ثم قال : يا بنى عامر هل من تلاف ، والذي نفسى بيده ما تقولها اسمعيلى قط ، وأنها لحق ، وأين كان رأيكم عنه .

و ادعى النبوة كذباً بعد بعثته ﷺ جمع : مسيلمة من حنيفة ، وسجاح التى تزوجها مسيلمة من بنى يربوع ، وأسود بن كعب من عنس ، وطلحة بن خويلد من أسد بن خزيمة لكننه رجع إلى الإسلام بعد ، وأما خالد بن سنان العبسى الذى قالوا : أنت ابنته إلى النبى ﷺ فسمعتة يقرء « قل هو الله أحد » فقالت : كان أبى يقول هذا . فغير محقق وإن قالوا إن النبى ﷺ قال : ذاك نبى أضاعه قومه .

هذا ، وفي الخبر أن خمسة من الأنبياء كانوا سريانين وهم آدم ، وشيث ، وإدريس ونوح ، وإبراهيم ، وخمسة منهم عبرانيين : اسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وداود ، وعيسى ، وخمسة منهم من العرب : هود ، و صالح ، وإسماعيل ، وشعيب ، ومحمد - عليه وعلى آله وعليهم السلام - .

قوله ﷺ في الأول « فساق الناس حتى بوأهم » : أى مكنتهم .

« محللتهم » التى ينبغى لهم أن يحلّوها ، وهى الإسلام ذاك الدين الحنيف .

قوله ﷺ في الثانى « فقاتل بمن أطاعه » وهم أهل المدينة .

« من عصاه » وهم أهل مكة واليهود وغيرهم ، وفي المناقب نزل جبرئيل ﷺ

بآية القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ^(٢) على النبى ﷺ بعد سبعة أشهر

من هجرته ، ولقد في عنقه سيفاً ، وقال له حارب بهذا قومك حتى يقولوا : لا إله

إِلَّا اللَّهُ .

و في السير أن جميع ما غزا النبي ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة : البواط .
والعشيرة . بدر الأولى . بدر الكبرى . السويق . ذوامرة . أحد . نجران . بنو سليم .
الأسد ، بنو النضير . ذات الرقاع . بدر الآخرة . دومة الجندل . الخندق . بنو قريظة .
بنو لحيان . بنم قرد ، بنو المصطلق . الحديدية . خيبر . الفتح . حنين . الطائف . تبوك .
و يلحق بها بنو قينقاع . قاتل في تسع منها : بدر الكبرى . وأحد . والخندق . و
بنى قريظة . و بنى المصطلق . و بنى لحيان . و خيبر . والفتح . و حنين . والطائف .
و أمّا سراياه ﷺ فست وثلاثون : أولها سرية حمزة بن عبد المطلب لقي أبا -
جهل بسيف البحر . ثم سرية سعد بن أبي وقاص في طلب عير . ثم سرية عبيدة بن
الجارث بن المطلب نحو الجحفة إلى أبي سفيان - الخ - .

قوله ﷺ في الأول « و بلغهم منجاتهم » و في الثاني « يسوقهم إلى منجاتهم » :
أى محل نجاتهم قال تعالى « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم » (١) .

« و يبادر بهم الساعة » : أى القيامة .

« تنزل بهم » ولم يستعدوا لها ، و في إرشاد المفيد لما عاد النبي ﷺ من
تبوك قدم عليه عمرو بن معديكرب . فقال ﷺ له : أسلم يؤمنك الله من الفزع الأكبر .
قال : يا محمد و ما الفزع الأكبر فإنى لا أفزع ؟ فقال : يا عمر و إنّه ليس كما تظن
و تحسب إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة . فلا يبقى ميت إلا نشر ، ولا حي إلا
مات إلا ما شاء الله . ثم يصاح بهم صيحة أخرى . فينشر من مات ، و يصفون جميعاً
و تنشق السماء و تهد الأرض ، و تخرّ الجبال هدأ ، و ترمى النار بمثل الجبال
شراً ، فلا يبقى ذرّ ذرّ إلا انخل قلبه و شغل بنفسه إلا ما شاء الله . فأين أنت يا عمرو
من هذا . قال : ألا إننى أسمع أمراً عظيماً . فأمن و آمن معه ناس من قومه ،

و رجعوا .

« يحسر الحسير » : أى يعجز العاجز . قال الجوهري : حسر البعير أعياء

فهو حسير .

« و يقف الكسير » : أى من كسر رجله .

« فيقيم عليه » : أى على كل من الحسير والكسير ، و يحسن في مثله توحيد

الضمير لرجوع الحسير والكسير إلى معنى واحد ، وهو من لم يقدر على السير المتعارف .

« حتى يلحقه غايته » و مقصده ، والضميران أيضاً كالضمير في (عليه) والمراد

أنه لما لم يكن كل الناس صاحب معرفة قوية يسلم حين يدعو بل كثير منهم كانوا آيين

أولاً يدار بهم ، و يدعوهم مرة بعد مرة حتى يعرفوا الحق بالتأمل و يهتدوا .

« إلا هالكاً لا خير فيه » ولا تفيده الدعوة كالذين قال تعالى فيهم « ولو أننا

نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » (١) .

و منهم المستهزئون به صلى الله عليه وآله الذين قال تعالى فيهم « إنا كفيناك المستهزئين » (٢)

و هم الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، و أبو زمعة ، والعاص بن وائل ،

والحرث بن قيس ، وعقبة بن أبي معيط ، والأسود بن الحرث ، و أبو أحيحة ، والنضر

بن الحرث ، والحكم بن العاص ، و عتبة ، و شيبة ، و طعيمة بن عدى ، والحرث بن

عامر ، و أبو البختری ، و أبو جهل ، و أبو لهب ، و نظرائهم . فدلهم النبي صلى الله عليه وآله على

سبيل نجاتهم . فأبوا إلا سلوك طريق الهلكة ، و كانوا قد هدّوه بالقتل ، فأهلكهم الله

بعضهم بالقتل في غزوة بدر ، و بعضهم بأسقام و أوجاع . قالوا مرّ الأسود بن عبد يغوث

على النبي صلى الله عليه وآله فأومى صلى الله عليه وآله إلى بطنه . فاستسقى ومات حيناً ، و مرّ عليه أبو زمعة .

فأشار صلى الله عليه وآله إلى عينه . فعمى ، و كان يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ، و مرّ عليه

الوليد بن المغيرة . فأومى صلى الله عليه وآله إلى جرح اندمل في بطن رجله من نبل . فتعلقت به

شوكة ففنن فخدشت ساقه ، و لم يزل مريضاً حتى مات ، و خرج العاص بن وائل من

(١) الانعام ١١١

(٢) الحجر ٩٥

بيته . فلحقته السموم . فلمّا انصرف إلى داره لم يعرفوه . فباعده فمات غمّاً - وفي خبر فقتلوه - وفي آخر وطأ على شبرقة فدخلت في أخمص رجله . فقال : لدغت فلم يزل يحكّها حتى مات ، ومرّ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحِثْ فأمىء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رأسه فتقياً قيحاً - وفي خبر لدغته حية - وفي آخر تدهده عليه حجر من جبل فتقطع و أكل الأسود بن الحارث حوتاً فأصابه عطش . فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه ، ورمى الله أبا لهب بالعدسة . فتركه إبناه ثلاثاً لا يدفنانه ، و كانوا يتسقون العدسة . فقتلوا عليه الحجارة حتى واروه ، و عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً . فكان منها نقيّة . فثبت الماء . فأنبت الكلاء والعشب الكثير و كان منها أجادب أمسكت الماء . فنفع الله بها الناس . فشر بوا و سقوا و زرعوا ، و كان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء .

و في الأغاني نظر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى زهير بن أبي سلمى ، و له مائة سنة . فقال : اللهم اعذني من شيطانه . فمالاك بيتاً حتى مات .
قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأوّل وكذا الثاني « فاستقامت قناتهم » : أي رحيمهم ، واستقامة القناة كناية عن تمكّنهم كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الثاني .
« فاستدارت رحاهم » . فإنّه كناية عن نفوذ أمرهم .

١٠ ر في ١٠٤ منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله : اختاره
من شجرة الأنبياء . و مشكاة الضياء ، و ذؤابة العلياء . و سرّة
البطحاء . و مصابيح الظلمة ، و ينابيع الحكمة .

« اختاره من شجرة الأنبياء » روى طبقات كاتب الواقدي عن ابن عباس في قوله تعالى « وتقلّبك في الساجدين » (١) : أي من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبياً .

« و مشكاة الضياء » عن الفراء المشكوة : الكوة التي ليست بنافاذة .
« و ذؤابة العلياء » تستعار الذؤابة كالمشكاة للنقاوة قال حسبان في (بئر معونة) :
بنى أمّ البنين ألم يرعكم * و أنتم من ذؤائب أهل نجد
قال الشاعر في كونه صلى الله عليه وآله من شجرة الأنبياء ، و مشكاة الضياء .
ورث الشرف جامعاً عن جامع ☆ و شهد له نداء الصوامع
هو من مضر في سويداء قلبها ☆ و من هاشم في سواد طرفها
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أن الله تعالى قسم الخلق قسمين . فجعلني الله
في خيرها قسماً ، و ذلك قوله تعالى في أصحاب اليمين و أصحاب الشمال ، و أنا من
أصحاب اليمين ، و خير أصحاب اليمين . ثم جعل القسمين ثلاثة . فجعلني في خيرها ،
و ذلك قوله تعالى « و أصحاب الميمنة و أصحاب المشئمة و السابقون السابقون » و أنا من
السابقين ، و خير السابقين . ثم جعل الثلاثة قبائل . فجعلني في خيرها قبيلة ، و ذلك
قوله تعالى « وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) و أنا
أتقى ولد آدم و أكرمهم على الله و لا فخر . ثم جعل القبائل بيوتاً . فجعلني في خيرها
بيتاً و ذلك قوله تعالى « إنتما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم
تطهيراً » (٢) .

« و سرّة البطحاء » قال المسعودي : إن قريشا قريش الظواهر ، و قريش الأباطح
و الظواهر بنو محارب ، و الحرث بن فهر ، و بنو الأدرم بن غالب بن فهر ، و بنو هصيص بن
عامر بن لوى ، و البطائح بنو عبد مناف ، و بنو عبد الدار ، و بنو عبد العزى ، و زهرة ،
و مخزوم ، و تيم ، و جمح ، و سهم ، و عدى ، و قصي ، و الفخر للبطاح . قال ذكوان
مولي عبد الدار للضحاك الفهرى :

(١) الحجرات ١٣

(٢) الاحزاب ٣٣

تطاولت للضحاك حتى رددته ☆ إلى نسب في قومه متقاصر
 فلو شاهدتني من قريش عصابة ☆ قريش بطاح لا قريش الظواهر
 وقال أبو طالب في النبي ﷺ :

من القوم مفضل ابني على العدى ☆ تمكّن في الفرعين من آل هاشم
 و كان قصي أبو عبد مناف هو الأصل في قريش البطاح ، و سمى مجتمعاً لأنه
 جمع قومه من الشعاب ، والأودية ، والجبال إلى مكة . فلما تركهم بمكة ملكوه
 عليهم . فكان أول ولد كعب بن لوى أصاب ملكاً أطاعه به قومه ، و كان إليه الحجابة
 والسقاية ، والرفادة . والندوة ، واللواء . فجاز شرف قريش كله و قسم مكة أربعاً بين
 قومه فبنوا المساكن ، و تيمنت قريش بأمره . فما ينكح رجل ولا امرأة إلا في داره ،
 و كان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته و بعد موته .

و أما قول قريش للنبي ﷺ : ابن أبي كبشة . ففي أنساب قريش مصعب الزبيري
 أن قريشاً كانت تنسب النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، و حربن غالب الخزاعي جد وهب
 أبي أمية أم النبي ﷺ لأمه ولم يعيروا النبي ﷺ في نسبه إليه من تقصير كان
 فيه . فكان سيد قومه ، و إنما كان أبو كبشة أول من عبد الشعري لأنها تقطع السماء
 عرضاً بخلاف الشمس والقمر ، و باقي الكواكب ، والعرب تظن أن أحداً لا يعمل
 شيئاً إلا بعرق ينزعه . فلما خالف النبي ﷺ دين قريش قالت قريش : نزعه أبو كبشة .
 هذا ، و قالوا : يكون موضعان آخران مسميان بالبطحاء غير بطحاء مكة
 أحدهما بطحاء الجزيرة ، و ثانيهما بطحاء ذي قار ، و قالوا : رأى قرشي رجلاً له هيئة
 رثة فسأل عنه . فقالوا : من تغلب . فوقف عليه و هو يطوف بالبيت . فقال له : أرى
 رجلين ، قلما وطئتا البطحاء . فقال الرجل : البطحوات ثلاث : بطحاء الجزيرة وهي
 لي دونك ، و بطحاء ذي قار ، و أنا أحق بها منك ، و هذه البطحاء ، و سواء العاكف
 فيه والباد .

هذا ، و في سيرة ابن هشام عن الزهري طاً و فد الأشعث بن قيس على النبي ﷺ

وَاللَّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ - كَانَ مِنْ وَلَدِهِ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ - وَأَمْتُ ابْنِ آكَلِ الْمُرَارِ فَتَبَسَّمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ : نَاسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ تَاجِرَيْنِ ، وَكَانَا إِذَا شَاعَا فِي بَعْضِ الْعَرَبِ فَسُئِلَا مَنْ هُمَا قَالَا : نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ - ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَاللَّهِ لَوْ بَلَغَ نَحْنُ النُّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ لَا نَفْقُوا مِنَّا ، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِيْنَا .

« ومصابيح الظلمة » : أى اختاره منها .

« وينايع الحكمة » : أى الأنياء والحكماء الذين كانوا آباءه ﷺ .

١١ ر ١٤٧ و من خطبة له عليه السلام : وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ

الشَّيْطَانِ ، وَمَزَاجِرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ ، وَمَخَاتَلِهِ ، وَاشْهَدَ

أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيْبُهُ وَصَفْوَتُهُ لَا يُوَازِي فَضْلُهُ ، وَلَا

يَجْبِرُ فَقْدُهُ . أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلَمَةِ ، وَالْجِهَالَةِ

الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذْنِبُونَ

الْحَكِيمَ ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ .

« و أستعينه على مداحر » : أى ما يوجب الطرد ، والابعاد . قال تعالى اخرج

« منها مذموماً مدحوراً » (١) .

« الشيطان ومزاجره » : أى ما يوجب منعه ، ومداحر الشيطان ، ومزاجره

العبادات والطاعات من الصلاة والصيام ، وباقي القربات ، قال الصادق ﷺ : إن العبد إذا

سجد فأطال السجود نادى إبليس يا ويله أطاع وعصيت ، وسجد وأبيت ، وقال النبي ﷺ

لأصحابه : ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق

من المغرب . قالوا : بلى . قال : الصوم يسود وجهه ، والصدقة تكسر ظهره ، والحب في الله ، والموازرة على العمل الصالح يقطع دابره ، والاستغفار يقطع و تينه .

و عن الصادق عليه السلام لا يزال إبليس فرحاً ما تهاجر المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته ، و تخلمت أوصاله ، و نادى ياويله ما لقي من الثبور ، و عنهم عليهم السلام ليس شيء أنكأ لإبليس و جنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض ، وإن المؤمنين ليلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت . فلا يبقى على وجه إبليس مضغة لحم إلا تحدر حتى أن روحه لتستغيث من شدة ما يجد من الأثم . فتحس ملائكة السماء و خز أن الجنان ، فيلعنونه حتى لا يبقى ملك مقرب إلا لعنه فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً .

« والاعتصام » عطف على (مداحر) : أى الاحتفاظ .

« من حبائله » جمع الحباله : أى التى يصيد بها الصائد .

« و مخاتله » : أى مخادعه ، و حبائله و مخاتله الخمر و الميسر و النساء ، و زخارف الدنيا . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إنمّا الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنمّا يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة فهل أنتم منتهون » (١) و عنهم عليهم السلام القتن ثلاث : حب النساء ، و هو سيف الشيطان ، و شرب الخمر ، و هو فنج الشيطان ، و حب الدينار و الدرهم و هو سهم الشيطان ، و عنهم عليهم السلام إن إبليس ظهر ليحيى و إزاً عليه معاليق من كل شيء . فقال يحيى : ما هذه المعاليق ؟ قال : هذه الشهوات التى أصيب بها ابن آدم . فقال يحيى : هل لى منها شيء ؟ قال : ربمّا شبعت فشغلتك عن الصلاة و الذكر . فقال يحيى : لله على أن لا أملاً بطنى من طعام أبداً .

« و أشهد أن محمداً عبده و رسوله » قدمت العبودية لأنه لولاها لما حصلت الرسالة .

« و نجيبه و صفوته » « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (١) .

« لا يوازي » أي لا يحاذي ، و أصل الواو الهمز : من الإزاء ، وقول الجوهري :

أزيتته إذا حاذيته ولا تقل وازيته . خطأ حيث إن غيره أحازه ويشهد له كلامه صلى الله عليه وآله .

« فضله » من أحد . قال أبو طالب لما خطب للنبي صلى الله عليه وآله خديجة . ثم ابن

أخى هذا - يعني النبي صلى الله عليه وآله - ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ، ولا يقاس

به رجل إلا أعظم عنه ، ولا عدل له في الخلق ، وقالوا : لما تلجج ورقة عم خديجة في

الجواب في قبال أبي طالب مع كونه من القسيسين ، وقالت خديجة نفسها : قد زوجتكم

نفسى والمهر على في مالي ، و قال بعض قريش : و اعجباه المهر على النساء للرجال .

غضب أبو طالب غضباً شديداً و قام على قدميه ، و كان ممن تهابه الرجال و تكره غضبه

و قال : إذا كان الرجال مثل ابن أخى هذا طلبوا بأغلى الأثمان وأعظم المهر ، وإذا كانوا

أمثالكم لا يزوجون إلا بالمهر الغالى ، و قال كعب بن نمط في النبي صلى الله عليه وآله :

و ما حملت من ناقة فوق رحلها ☆ أبروا و في ذمة من محمد

ولا وضعت أنثى لأحمد مشبها ☆ من الناس في التقوى ولا في التبعيد

و قال مالك بن عوف :

ما إن رأيت ولا سمعت بواحد ☆ في الناس كلهم شبيه محمد

« ولا يجبر فقده » قال الباقر عليه السلام : إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك

أو في ولدك . فاذا ذكر مصابك بالنبي صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط .

« أضائت به البلاد بعد الضلالة المظلمة » الغاشية لها من الجاهلية . قال

العباس بن مرداس فيه :

سنتت لنا فيه الهدى بعد جورنا ☆ عن الحق لما أصبح الحق مظلماً

و نورت بالبرهان أمراً مدمماً ☆ و اطفأت بالقرآن جمرأ تضرماً

« والجاهالة الغالبة » على جميع الفرق في سنن أبي داود عن ابن عباس كان النضير

من اليهود أشرف من قريظتهم فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به ،

وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فودى بمائة وسق من تمر . فلما بعث النبي ﷺ قتل نضيرى قريظياً . فقالوا : ادفعوه إلينا نقتله . فقالوا : بيننا وبينكم محمد . فاتوه فنزلت « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » (١) : أى النفس بالنفس . ثم نزلت « أفحكم الجاهلية يبعون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (٢) .

« والجفوة الجافية » : أى الغليظة . فكانوا يفعلون أفعالاً في غاية الشناعة ، و منها وأد البنات ، و في الكافي عن الصادق عليه السلام جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إنني ولدت بنتاً وربيتها حتى إذا بلغت ألبستها و حلتها ثم جئت بها إلى قليب . فدفعتها في جوفه ، و كان آخر ما سمعت منها ، و هي تقول : يا أبتاه . فما كفارة ذلك؟ قال : ألك أم حية؟ قال : لا . قال : فلك خالة حية . قال : نعم . قال : فابرها . فأنتها بمنزلة الأم تكفّر عنك ما صنعت قيل : متى هذا . قال : في الجاهلية يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين .

« والناس يستحلون الحريم » أى الحرام . فيرتكبونه بلا مبالاة . « ويستذلون الحكيم » فضلاً عن أن لا يعظموه . في الأغاني خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، و كان ملكاً يريد الحج و كانت العرب تعجّب في الجاهلية . فلا يعرض بعضها لبعض . فمرّ بنى عامر بن عقيل . فوثبوا عليه . فأسروه و أخذوا ماله ، و ما كان معه ، والقوه في القدر . فمكث فيه ثلاث سنين ، و شاع باليمن أن الجن استطارته - إلى أن قال - فتمشيت يوماً في أغلاله ، و قيوده حتى صعداً كمة ثم أقبل يضرب بصره نحو اليمن و تغشاه عبرة . فبكى ثم رفع طرفه إلى السماء و قال : اللهم ساكن السماء فرّج له ممّا أصبحت فيه إذ عرض له راكب . فأشار إليه أن أقبل . فكتب تحت خشبة رحله بالمسند أمره . فجاء قومه . فاستنقذوه .

« يحيون على فترة » غافلين عن ربهم الذي خلقهم و رزقهم . « ويموتون على كفر » بالههم ، و ما أراد منهم من عبادته . قال حسّان

(١) المائة ٤٢

(٢) المائة ٥٠

فيه صلى الله عليه وآله :

أتانا بعد يأس و فترة ✽ من الرسل والأوثان في الأرض يعبد
ولما بعثت قريش عمرو بن العاص إلى ملك الحبشة لرد جعفر الطيار ومن معه
لما هاجروا إليه تخلصاً من أذاهم ، وقال عمرو للملك : إنهم خالفونا في ديننا وسبوا
آلهتنا ، وأفسدوا شباننا ، وفرقوا جماعتنا . فردهم إلينا لنجتمع أمرنا . قال جعفر
للملك : خالفناهم في دينهم لأن الله تعالى بعث فينا نبياً أمر بخلع الأنداد ، وترك
الاستقسام بالأزلام ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، وحرّم الظلم والجور ، وسفك الدماء
بغير حقها ، وحرّم الزنا والربا والميمنة والدم ، وأمرنا بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى
القربى وينهى عن الفحشاء ، والمنكر والبغى . فقال الملك : فبهذا بعث الله تعالى
عيسى بن مريم .

١٢ ر ١٥٦ و من خطبة له عليه السلام بعثه بالنور المضيء ،

والبرهان الجلي ، والمنهاج البادي ، والكتاب الهادي ، أسرته

خير أسرة ، وشجرته خير شجرة . أغصانها معتدلة ، وثمارها متهدلة

مولده بمكة و هجرته بطيبة علا بها ذكره ، و امتد بها صوته ،

أرسله بحجة كافية ، و موعظة شافية ودعوة متلافية . أظهر به الشرائع

المجهولة ، وقمع به البدع المدخولة ، وبين به الأحكام المفصولة . فمن

يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته ، و تنفصم عروته ، و تعظم

كبوته . ثم يكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الويل .

« بعثه بالنور المضيء » : أى القرآن قال تعالى « فالذين آمنوا به وعزروه »

ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (١) .
 « والبرهان الجلى » قال تعالى « قد جائكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم
 نوراً مبيناً » (٢) .

« والمنهاج » : أى الطريق الواضح .

« البادى » : أى الظاهر المستبين من (بدأ يبدو) لا (بادى بدى) الذى أصله
 الهمز بمعنى الابتداء . قال تعالى « قد تبين الرشد من الغى » (٣) .
 « والكتاب الهادى » إلى الله تعالى قال تعالى « وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع
 رضوانه سبل السلام » (٤) .

« أسرته » : أى عشيرته وهم بنو هاشم .

« خير أسرة » قالت قتيلة ابنة النضر الدارى الذى قتله أمير المؤمنين عليه السلام :

صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وآله في أبيات :

أحمد ولأنت صنو نجيبة ☆ من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضررك لومنت ولربما ☆ من الفتى وهو المغيظ المخنق

« و شجرته خير شجرة » والمراد أصله الذى خلق صلى الله عليه وآله منه كما يشهد له قول

النبى صلى الله عليه وآله : أنا و على من شجرة واحدة ، و سائر الناس من شجر شتى .

« أغصانها معتدلة » : ليس فيها زيغ ، و إعوجاج .

« و ثمارها متهدلة » : أى نازلة لا تمتنع من قطفها ، والمراد من أغصانها ، و ثمارها

خلفائه الحقه ، و عن الباقر عليه السلام سئل عن قوله تعالى « كشجرة طيبة أصلها ثابت و

فرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » (٥) فقال : قال النبى صلى الله عليه وآله : أنا

(١) الاعراف ١٥٧

(٢) النساء ١٧٤

(٣) البقرة ٢٥٦

(٤) المائدة ١٦

(٥) ابراهيم ٢٤

أصل تلك الشجرة، وعلى، والأئمة عليهم السلام أغصانها، و علمنا ثمرها، و ما يخرج من الإمام من الحلال والحرام في كل سنة إلى شيعته هو إيتاء أكلها كل حين، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنا أهل البيت شجرة النبوة، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و بيت الرحمة، و معدن العلم.

«مولده بمكة» حرم الله.

«و هجرته بطيبة»: أي المدينة فطيبة إحدى أسمائها. ففي شرح المرتضى لقصيدة الحميري للمدينة إثنى عشر اسماً: طيبة، و يثرب، و الدار، و السكينة، و جابرة، و المحبورة، و المحببة، و المحبوبة، و العذراء، و الرعبوبة، و بتدد، و قاصمة، و قال سيف بن ذي يزن لجدّه عبد المطلب لما بشره به: أجد في الكتاب الناطق، و العلم السابق أن يثرب دار هجرته، و بيت نصرته.

«علا بها»: أي بطيبة.

«ذكره، و امتد بها» في الآفاق.

«صوته». قال قيس بن صرمة من بني النجار فيه صلى الله عليه وآله:

نوى في قريش بضع عشرة حجّة	☆	يذكر من يلقي صديقا مواليا
و يعرض في أهل المواسم نفسه	☆	فلم يرمن يؤوى ولم ير داغيا
فلما أتانا أظهر الله دينه	☆	فأصبح مسروراً بطيبة راضياً

و قال الأعشى:

نبي يرى ما لا يرون و ذكره ☆ أغار لعمرى في البلاد و أنجدا

هذا، و في الفقيه عن الصادق عليه السلام كان اسم النبي صلى الله عليه وآله يكرر في الأذان، و أول من حذفه ابن أروى - قلت: أي عثمان، و كان معاوية يتلطف على عدم استطاعته رفع اسمه صلى الله عليه وآله رأساً من الأذان.

«أرسله بحجّة كافية»: و هي القرآن: قال تعالى «قل لمن اجتمعت الإانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض

ظهيراً» (١) وقال - عز وجل - «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» (٢).

«وموعظة شافية» «وجاءك في هذه الحق» و موعظة وذكرى للمؤمنين» (٣)
 «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمن في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» (٤)
 ولو لم يكن في القرآن إلا قوله تعالى «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره» (٥) أو قوله تعالى «يا أيها الناس إنما بغيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إني أريد أن أخرجكم منها بما كنتم تعملون» (٦) «إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء» الآية (٧) أو قوله تعالى «قل إن الموت الذي تفترون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» (٨)
 إلى غير ذلك من نظائرها الكفى في كونها موعظة شافية .

«ودعوة» إلى الله .

«متلافية» : أى متداركة . قال تعالى : «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» (٩) .

«أظهر به الشرائع المجهولة» يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير» (١٠) في سنن أبي داود عن البراء بن عازب مرّوا على النبي ﷺ يهودى قد حتم وجهه : أى سوّد وهو يطاف به فناشدهم ما حدّ الزاني في كتابهم . فقال رجل منهم : الرجم ولكن ظهر الزنا في أشرافنا فكرهنا أن يترك الشريف ، و يقام على من دونه فوضعنا هذا عننا فأمر به النبي ﷺ

(٢) البقرة ٢٣

(١) الاسراء ٨٨

(٤) يونس ٥٧

(٣) هود ١٢٠

(٦) يونس ٢٣

(٥) الزلزلة ٧

(٨) الجمعة ٨

(٧) يونس ٢٤

(١٠) المائدة ١٥

(٩) الاحزاب ٤٥

فرجم . ثم قال : اللهم إني أول من أحیی ما أماتوا من كتابك .
« وقمع به البدع المدخولة » في الدين « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام » ^(١) وفي النهاية كانوا إذا ولدت إبلهم سقياً بحروا أذنه : أى شقوها وقالوا :
اللهم إن عاش ففتى وإن مات فذكى . فاذا مات أكلوه وسموه (البحيرة) وقيل :
البحيرة : بنت السائبة ، والسائبة . ما إذا تابعت الناقة بين عشر أُنث لم يركب ظهرها
ولم يجز و برها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، وتركوها مسيمة لسبيلها . فما ولدت
بعد ذلك من أنثى شقوا أذنها و خللوا سبيلها ، و حرم منها ما حزم من أمها وسموها
البحيرة ، والوصيلة : الشاة إذا ولدت ستة أبطن اثنتين اثنتين ، وولدت في السابعة
ذكراً وأنثى . قالوا : وصلت أخاها . فاحلوا لبنها للرجال ، و حرموه على النساء ،
وقيل : إن كان السابع ذكراً ذبح و أكل منه الرجال والنساء ، وإن كانت أنثى تركت
في الغنم ، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، و كان لبنها حراماً على النساء
و في الصحاح : الحامى : الفحل من الإبل طال مكنته عندهم . قال الفراء : إذا لقمح
ولد ولده . فقد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يجز له وبر ، ولا يمنع من مرعى ، وعن
البخارى (البحيرة) التى يمنع درها للطواغيت . فلا يحلبها أحد ، (والسائبة) ما
يسبونها لآلهتهم . فلا يحمل عليها شيء ، و (الوصيلة) الناقة البكر تمكر في أول نتاج
الإبل بأنثى ثم تنثى بعد بأنثى كانوا يسبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى
ليس بينهما ذكر و (الحام) فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه
للطواغيت و اعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شيء و سموه الحامى ، وقال تعالى « وقالوا
هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم و أنعام حرمت ظهورها و أنعام لا
يذكرون اسم الله عليها افتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون و قالوا ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرّم على أزواجنا وإن يكن ميمة فهم فيه شركاء سيجزيهم
وصفهم إنه حكيم عليم » ^(٢) وقالوا : كانت تلبية قريش والعرب تلبية إبراهيم والأنبياء

(١) المائدة ١٠٣

(٢) الانعام ١٣٩

عَلَيْهِمْ السَّلَامُ « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك » فجاءهم إبليس في صورة شيخ و قال : ما هذا تلبية أسلافكم و إنما تلبيتهم (لا شريك لك إلا شريك هو لك) فنفت قريش من هذا القول فقال لهم إبليس : على رسلكم حتى آتى على آخر كلامي . فقالوا : وما هو قال : (ألا شريك هو لك تملكه وما ملك) ألا ترون أنه يملك الشريك و مملكه فرضوا بذلك ، و كانت قريش خاصة يلبون به فقال لهم النبي ﷺ : هذا شرك ، و أنزل تعالى « ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت من أيما نكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء » (١) .

« و يبين به الأحكام المفصلة » « و قد فصل لكم ما حرم عليكم » (٢) « و هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » (٣) .

« فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فتحقق شقوته » قال تعالى (و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين » (٤) .
« و تنقص » : أى تنقطع .

« عروته » : فإن العروة الوثقى التى لا انفصام لها هى دين الإسلام .
« و تعظم كبوته » بحيث لا يرجى نعشه .

« ثم يكون مآبه » : أى مرجعه .

« إلى الحزن الطويل » الذى لا انقضاء له .

« والعذاب الويل » أى الوخيم . قال أبو طالب فيه :

نبي أتاه الوحي من عند ربه ☆ و من قال لا ، يقرع سن نادم

هذا ، و للبحترى في أحمد بن محمد الطائى :

و لو تناهت بنو شيان عنه إذن ☆ لم يجشموا غير وقع ندى حد من مذروب

ما زادها النفر عنه غير تغوية ☆ و بعدها من رضاه غير تتيب

١٣ ر في ١٧٣ ر ١ وأشهد ألا إله إلا الله غير معدول به ،
 ولا مشكوك فيه ، ولا مكفور دينه ، ولا محجود تكوينه شهادة من
 صدقت نبيته ، و صفت دخلته ، و خلص يقينه ، و ثقلت موازينه ،
 و أشهد أن محمداً عبده و رسوله المجتبي من خلائقه ، و المعتم
 شرح حقائقه ، و المختص بعقائل كراماته ، و المصطفى لكرائم رسالاته
 و الموضحة به أشراف الهدى و المجلوبه غريب العمى .

« و أشهد ألا إله إلا الله » فقد قال تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (١) .
 « غير معدول به » أحد ، و كيف يعدل المخلوق بالخالق ، و كيف يعدل من هو
 في غاية النقص بمن هو في نهاية الكمال .
 « ولا مشكوك فيه » و كيف و هو أظهر من الشمس كيف لا و الشمس أحد آثاره
 « أفي الله شك فاطر السماوات والأرض » (٢) .
 « ولا مكفور دينه » و كيف و هو دين قيم غير ذى عوج جامع لسعادة الدارين
 فقد قال سفرائه تعالى : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، و اعمل لآخرتك كأنك
 تموت غدا .

« ولا محجود تكوينه » حتى من الذين جعلوا الأصنام له شركاء في العبادة
 « و لكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله » (٣) .

(١) الانبياء ٢٢

(٢) ابراهيم ١٠

(٣) لقمان ٢٥

« شهادة من صدقت نيته » من الكذب .

« و صفت دخلته » من الكدر .

« وخلص يقينه » من الريب .

« و نقلت موازينه » بالأعمال الصالحة ، وإنما قيّد عَلَيْهِ السَّلَامُ شهادته بما قيّده لأنّ

الشهادة إذا لم تكن كذلك لم تكن بمفيدة كشهادة المنافقين .

« و أشهد أنّ محمداً عبده ورسوله » إلى خلقه .

« المصطفى » : أي المصطفى .

« من خلّاقه » من الأولين والآخرين ، و عن ابن عباس في حديث المعراج

أنّ جبرئيل أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و قال : إنّ ربّي بعثنى إليك لانيه بك فقم فإنّ الله

تعالى يكرمك كرامة لم يكرم بها أحد قبلك ولا بعدك ، و في خبر آخر فلما انتهى

إلى سدرة المنتهى فأنتهى إلى الحجب قال له جبرئيل : تقدّم ليس لي أن أجوز هذا

المكان ، ولو دنوت أنملة لأحترقت - و في خبر آخر قال له جبرئيل : ما وطأ نبيّ

قطّ مكانك .

« والمعتم » : أي المختار ، و لفظ اسمي الفاعل والمفعول في مثله ، و إن كان

واحد إلا أنّه هنا اسم مفعول كلفظ (المختص) بعده ، و قول (خو) إنّهُ اسم فاعل وهم .

« لشرح حقائقه » جمع حقيقة قال (حد) أي لشرح حقائق توحيدهِ و عدله ،

و معنى حقائق توحيدهِ الأمور المحقّقة اليقينية التي لا تعترّبها الشكوك ، و لا تتخالجها

الشبه ، و هي أدلّة أصحابنا المعتملة التي استنبطوها بعقولهم بعد أن دلّهم إليها ، و نسبهم

على طرق استنباطها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنّه إمام المتكلمين

الذي لم يعرف علم الكلام من أحد قبله .

قلت : بل المراد بشرح حقائقه مطلق الأصول والفروع فإنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما

شرح التوحيد والعدل شرح المعاد والثواب والعقاب ، و شرح الحلال والحرام ، و

لاسيما بعض الأحكام التي بيّنها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فقال : رجل للكاظم

عَلَيْهِ السَّلَامُ إنّ رجلاً من مواليك تزوّج جارية معصراً لم تطمئ . فلما افتضها سال الدم

نحواً من عشرة أيام لم ينقطع ، وإن القوابل اختلفن في ذلك . فقال بعضهم : دم الحيض ، و قال بعضهم : دم العذرة . فما ينبغي لها أن تصنع - إلى أن قال : قال عليه السلام له : سر الله فلا تضيعوه ، ولا تعلموا هذا الخلق أصول دين الله بل أرضوا لهم ما رضي الله لهم من ضلال . ثم قال : تستدخل القطنة ثم تدعها ملياً ثم تخرجها إخراجاً رقيقاً فإن كان الدم مطوّقاً فهو من العذرة ، وإن كان مستنقعا في القطنة فهو من الحيض . فبكى الرجل و قال له عليه السلام : من كان يحسن هذا غيرك ، فرفع الكاظم عليه السلام يده إلى السماء و قال : إنني والله ما أخبرك إلا عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام عن الله - عز وجل - . و في خبر عن الصادق عليه السلام في اشتباه دم الحيض والقرحة فإن خرج الدم من الجانب الأيسر فهو من الحيض ، و من الأيمن فمن القرحة ، و قد شرح النبي صلى الله عليه وآله الحقائق في ما نسبه أهل الكتاب إلى التوراة والإنجيل افتراء منهما لحم الأبل ، فقالوا كان محرماً ما في ملة إبراهيم عليه السلام فكذب بهم النبي صلى الله عليه وآله في ما أنزل تعالى في قوله « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » (١) و شرح النبي صلى الله عليه وآله قصص الأنبياء بحقائقها في ما أنزل تعالى عليه فقال في (هود) بعد ذكر قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » (٢) و شرح خبر نبي القرنين و خبر أصحاب الكهف إلى غير ذلك .

و كان في الأنصار تيه و تكرر فيتحرّجون من مؤاكلة الأعمى ، والأعرج والمرضى ، ويتحرّجون هم من مؤاكلة الأصحاء . فسألوا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فنزلت « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم » (٣) - الآية - ، و توهم غير الأصحاء وجوب الجهاد عليهم كالأصحاء فنزلت « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج و من

(٢) هود ٤٩

(١) آل عمران ٩٣

(٣) النور ٦١

يطع الله ورسوله « (١) - الآية -

ثم لم خص (حد) شرح النبي ﷺ للحقائق بالتوحيد والعدل من الأصول ولم لم يذكر المعاد ، وقد شرحه في كتابه . فقال « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٢) .

ولم لم يذكر شرح النبي ﷺ للإمامة التى هى أهم الحقائق إذ به تكميل الدين ، ولو لم يشرحها كان لم يبلغ رسالته كما نص على ذلك في الكتاب ، وقد شرحها في كتابه في قوله تعالى « إنتما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (٣) وفي قوله تعالى « فمن حاجتكم فيه بعد ما جائتكم من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٤) وفي قوله تعالى « إنتما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٥) وفي قوله ﷺ بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم . من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وفي قوله ﷺ . أنت منى يا على بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى ؛ إلى غير ذلك .

« والمختص بعقائل » جمع عقيلة : أى نفائس .

« كراماته » قال تعالى له ﷺ « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك » (٦) وقال - عز وجل - له « والضحى والليل إناسجى ماود عك ربك و

(١) الفتح ١٧

(٢) يس ٧٨

(٣) المائدة ٥٥

(٤) آل عمران ٦١

(٥) الاحزاب ٣٣

(٦) الانشراح ١-٤

ما قلني وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيماً فأوى
 ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى - إلى - وأما بنعمة ربك فحدث» (١) وقال - عز
 اسمه - « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي
 باركنا حوله لنريه من آياتنا » (٢) وقال سبحانه « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا
 وحى يوحى » (٣) وقد جعل - عز وجل - ذكره ﷺ مقروناً بذكره في كل يوم
 خمس مرات على المنابر، وجعل الشهادة برسالته موصولة بالشهادة بتوحيده - جل وعلا -
 على المنابر .

وفي خبر المعراج أنا المحمود وأنت محمد شققت اسمك من اسمي ، فمن وصلك
 وصلته ، ومن قطعك قطعته انزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك وإنني لم أبعث
 نبياً إلا جعلت له وزيراً وأنتك رسولي ، وأن علياً وزيرك .
 « والمصطفى » : أي المختار .

« لكرائم رسالاته » إلى بريته « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى
 إلى عبده ما أوحى » (٤) وقال ﷺ : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .
 « والموضحة به » ﷺ .

« أشراف » جمع شرط بفتحيتين : أي علائم .

« الهدى » قال ابن الزبير فيهِ ﷺ :

هادى العباد إلى الرشاد وقادها ☆ للمؤمنين بضوء نور ثاقب

« وغريب » عطف على أشراف : أي شذائد سواد .

« العمى » فرفع به ﷺ المنكرات والشنائع فصار الناس به بصيرين ، وفي الخبر

(١) الضحى ١ . ٨

(٢) الاسراء ١

(٣) النجم ٣

(٤) النجم ٨-١٠

سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل: منها ما الأعمى بالليل بصير بالنهار؟ فقال عليه السلام: ذلك رجل جحد الأفياء الذين مضوا ثم أدرك النبي صلى الله عليه وآله فأمن به فعمى بالليل وأبصر بالنهار.

١٤ ر ١٦٨ و من خطبة له (ع) أمين وحيه ، وخاتم رسله ، و

بشير رحمته ، و نذير نقمته .

« أمين وحيه » قال حسّان فيه صلى الله عليه وآله : أمين الله شيمته الوفاء ، وقال عمته

أبو طالب فيه :

أنت الأمين أمين الله لا كذب ☆ والصادق القول لا لهو ولا لعب
أنت الرسول رسول الله تعلمه ☆ عليك ينزل من ذى العزّة الكتب

« وخاتم رسله » قال تعالى « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (١) وقال صلى الله عليه وآله

لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى ، وهو من الأخبار المتواترة ، و حاله حلال إلى يوم القيامة ، و حرامه حرام إلى يوم القيامة فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد كتابه بكتاب أو جاء بعد سنته بسنة فكافر ودمه مباح و مع ذلك فقد قال فاروقهم : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا أحرّهما وأعاقب عليهما ، وزاد هو وصدّ يقهم على سنة خاتم الرسل سنناً أثبتتها التاريخ ، ولما قال أمينهم ابن عوف لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الدار : أبايعك على سنة أبى بكر و عمر أنكر عليه السلام ذلك ورضى بغصب حقّه الذى كان يشكودائماً منه دلالة على بطلان سنتهما و قبله ذو نوريهم ، و زاد في إيقاد نيرانهما بما أدّى إلى إحراقه ، وكذلك أنكر عليه السلام سنتهما لمعارض الخشمى عند قيام الخوارج عليه ذلك في بيعة الناس الثانية إتماماً للحجّة .

« و بشير رحمته » « و بشرّ الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » (٢)

« و نذير نعمته » « و أنذرهم يوم الآزفة إن القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع »^(١) « و أنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك و نتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال »^(٢) « فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود »^(٣) « إنما تنذر من اتبع الذكر و خشى الرحمان بالغيب فبشره بمغفرة و أجر كريم »^(٤) « إنما أنذركم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً »^(٥).

١٥ ر ١٨٥ و من خطبة له عليه السلام : أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِأَنْعَامِهِ ،
وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِيزِ الْجُنْدِ . عَظِيمِ الْمَجْدِ ، وَاشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرِ أَعْدَائِهِ .
جِهَادًا عَلَى دِينِهِ . لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعُ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالنَّمَّاسُ
لِإِطْفَاءِ نُورِهِ .

« أحمده شكراً لأني نعمته » « فإن شكر المنعم من الوجبات العقلية .
« و أستعينه على وظيف حقوقه » « فلا حول ولا قوة إلا بالله فلا بد من الاستعانة
به حتى في أداء حقوقه .
« عزيز الجند » « و إن جندنا لهم الغالبون »^(٦) « إن جاءتكم جنود فأرسلنا
عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها »^(٧) .

(٢) ابراهيم ٤٤

(١) غافر ١٨

(٤) يس ١١

(٣) فصلت ١٣

(٦) الصافات ١٧٣

(٥) النبأ ٤٠

(٧) الاحزاب ٩

« عظيم المجد » « ذوالعرش المجيد فعّال لما يريد » (١) .

« و أشهد أن محمداً عبده ورسوله » أشرف رسله .

« دعا إلى طاعته » صعد النبي ﷺ في أول بعثته الصفا وقال : يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا : مالك قال : رأيتكم أن أخبرتكم إن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوننى قالوا: بلى . قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . « و قاهر أعدائه جهاداً » في بدر وأحد ، و غيرهما .

« على دينه » هكذا في المصرية ، والصواب (عن دينه) كما في (حد ، وثم ، و الخطية) قالوا : نزل جبرئيل بعد سبعة أشهر من هجرته ، و قلّد في عنقه سيفاً لا غمد له ، وقال له : حارب بهذا قومك حتى يقولوا : لا إله إلا الله .

« لا يثنيه » : أى لا يدفعه .

« عن ذلك » : أى الجهاد في الدين .

« اجتماع على تكذيبه ، والتماس لاطفاء نوره » قالوا : جاءت قريش إليه ﷺ و قالوا : شتمت آلهتنا ، و سفهت أحلامنا ، و فرقت جماعتنا . فإن طلبت مالا أعطيناك أو الشرف سوّدناك أو كان بك علة دايمناك . فقال لهم النبي ﷺ : ليس شيء من ذلك بل بعثنى الله إليكم رسولا ، وأنزل عليكم كتاباً . فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، و إن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا . فقالوا لعمه أبي طالب : قل له : يكف عن سب آلهتنا أو ننازله في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين قال : يا عماء لو وضعت الشمس في يميني ، والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه .

١٦ ر في ١٨٦ ر ١ و أشهد أن محمداً عبده ورسوله . ابتعثه

وَالنَّاسُ يَصْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ، وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْزَمَةٌ

« الْحَيْنِ ، وَاسْتَعَلَّقَتْ عَلَيَّ أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرِّينِ . »

« وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون « (١) .

« ابتعته » بالرسالة .

« والناس يضربون في غمرة » : أي شدة . قال ذوالرمة :

ليالي اللهب يطبينني فاتبعه ☆ كأنني ضارب في غمرة لعب

« ويموجون في حيرة » ولا يعرفون سبيلا للنجاة .

« قد قادتهم أزمة الحين » بالفتح : أي الهلاك . قال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (٢) .

« واستعلقت على أفئدتهم أقفال الرين » : أي الطبع والختم . قال تعالى « كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (٣) « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم » (٤) في سيرة ابن هشام عن ابن عباس دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولأشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم إلا وقع . فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبر و علم ☆ لمن يرجو الثواب أو العقابا

وفيه وحدثني بعض أهل العلم أن النبي ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزام يستقسم بها . فقال : قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما شأن إبراهيم « ما كان إبراهيم

(٢) آل عمران ١٠٣

(١) التوبة ٣٣

(٤) النساء ٩٤

(٣) المطففين ١٤

يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (١) ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ، و يجعلون المحرم صفرأ و يقولون . إذا برا الدبر ، و عفى الأثر ، و انسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر . فقدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاضم ذلك عنده فقالوا: أى الحل قال : الحل كله .

١٧ ر في ١٨٠ ر ١ و اشهد ان محمداً عبده ورسوله الصفي ،

و أمينه الرضى صلى الله عليه . أرسله بوجوب الحج ، و ظهور الفلج ، و ايضاح المنهج . فبلغ الرسالة صادعاً بها ، و حمل على المحجة دالاً عليها ، و اقام اعلام الاهتداء ، و منار الضياء ، و جعل امراس الاسلام متينة ، و عرى الايمان وثيقة .

« و اشهد أن محمد عبده ورسوله الصفي » : أى المصطفى . قال السروي: سيد النبيين

ﷺ وزنه في الحساب المصطفى محمد رسول الله . لأن عدد كل واحد منهما استويا في ٧١٤ .

« و أمينه الرضى ﷺ » قال تعالى « والضحي والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلى و للأخرة خير لك من الأولى و لسوف يعطيك ربك فترضى - إلى - و أما بنعمة ربك فحدث » (٢) و روى الخطيب في محمد بن أحمد بن الفرج عن أنس قال : قال النبي ﷺ : من كرامتي أنى ولدت مختوناً ، ولم ير أحد سواتى ، و في دعاء فطر الصحيفة الثانية : و قلت جل قولك حين اختصته بما سميته من الأسماء « طه ما

أنزلنا عليك القرآن لتشقى» (١) وقلت - جلّ قولك - «يس والقرآن الحكيم» وقلت - تقدست أسمائك - «ص والقرآن ذى الذكر» وقلت - عظمت آلائك - «ق والقرآن المجيد» فخصته أن جعلته قسمك حين اسميته ، وقرنت القرآن به . فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردفه إلا وهو اسمه ، وذلك شرف شرفته به ، وفضل بعثته إليه ، والمفهوم من كلام السجّاد عليه السلام هذا إن الفواتح التي بعدها لفظ القرآن كقوله تعالى «طه ما أنزلنا عليك القرآن» «يس والقرآن» «ص والقرآن» «ق والقرآن» كلها أسماء للنبي صلى الله عليه وآله أقسم الله تعالى به أولاً ثم بكتابه ، ويكفيه صلى الله عليه وآله ذلك شرفاً ونبلاً ، واصطفاء وارتضاء .

«أرسله بوجوب الحجج» في الخبر أن قريشاً نهوا طفيل بن عمرو عن قرب النبي صلى الله عليه وآله فدخل المسجد محشواً أذنيه بكرسف لكيلا يسمع صوته . فكان يسمع فأسلم ، وقال :

يحذرني مجدها قريش	☆	وما أنا باليهوب لدى الخصام
فقام إلى المقام وقمت منه	☆	بعيداً حيث انحو من ملام
واسمعت الهدى وسمعت قولاً	☆	كريماً ليس من سجع الأنام
وصدقت الرسول وهان قوم	☆	على رموه بالبهت العظام

ثم قال: يا رسول الله إننى امرؤ مطاع في قومي، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً على ما أدعوهم إلى الإسلام . فقال : اللهم اجعل له آية . فانصرف إلى قومه إذ رأى نوراً في طرف سوطه كالقنديل . فأنشأ :

ألا ابلغ لديك بنى لوى	☆	على الشنآن والغضب المردي
بأن الله رب الناس فرد	☆	تعالى جدّه عن كل جد
وأن مجّداً عبد رسول	☆	دليل هدى وموضع كل رشد
رأيت له دلائل أنبأتنى	☆	بأن سميّله للفضل يهدى

« و ظهور الفلج » : أى الغلبة على الخصوم .

« و إيضاح المنهج » : أى الطريق . فى الخبر أن النبى ﷺ كان يقول « جاء الحق و زهق الباطل » و يرمى كفتاً من حصى . فتنكب الأَصنام لوجهها . فيقول أهل مكة : ما رأينا أسحر من محمد .

« فبلغ الرسالة » : من ربه إلى عباده .

« صادعاً » . أى مظهراً بها كما أمره ربه فى قوله « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين » ^(١) قال السروى لما قالت قريش « إنه ساحر » علمنا أنه قد أراهم ما لم يقدر و على مثله ، و لما قالوا « هو كاهن » علمنا أنه قد أنبأهم بالغائبات ، و لما قالوا « معلم » علمنا أنه قد أنبأهم بما يكتمونه من أسرارهم ، و لما قالوا : « إنه مجنون » علمنا أنه هجم منهم على شىء لم يفكروا فى عاقبته . فثبت صدقه من حيث قصدوا تكذيبه .

« و حمل على المحجّة » : أى الجادة .

« دالاً عليها » « و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ^(٢) قال الجزرى : لما كان من أمر أصحاب الفيل ما كان عظمت قريش عند العرب . فقالوا لهم : أهل الله و قطنه تحامى عنهم . فاجتمعت قريش بينها ، و قالوا : نحن بنو إبراهيم ، و أهل الحرم ، و ولاة البيت ، و قاطنوا مكة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا ، ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا . فهلموا فلنتفق على ايتلاف أننا لا نعظم شيئاً من الحل كما نعظم الحرم . فأما إن فعلنا ذلك استخفت الحرم بنا و بحرمتنا ، و قالوا : قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم . فتركوا الوقوف بعرفة ، و الأفاضة منها ، و هم يقرّون و يعرفون أنها من المشاعر و دين العرب ، و ترى سائر العرب أن يقفوا عليها ، و أن يفيضوا منها ، و قالوا أيضاً : نحن الحمس و أصل الحمس

(١) الحجر ٩٤

(٢) الانعام ١٥٣

الشدّة يعنى أنهم تشددوا في دينهم - وجعلوا لمن ولدوا حدة من نسائهم من عرب الحلّ مثل ما لهم ، و دخل معهم في ذلك كنانة ، و خزاعة و عامر لولادة لهم . ثمّ ابتدعوا فقالوا : لا ينبغي للحمس أن يعملوا الأقط ولا يسلاوا السمن ، وهم حرم ، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ، ولا يستظلّوا إلاّ في بيوت الادم ما كانوا حرماً - وقالوا أيضاً : لا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاؤا به من الحلّ في الحرم إذا جاؤا حججاً أو عمّاراً ولا يطوفوا بالبيت طوافهم إذا قدموا إلاّ في ثياب الحمس . فإن لم يجدوا أطافوا بالبيت عراة . فإن أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً إذا لم يجد ثياب الحمس . فطاف في ثيابه ألقاها إذا فرغ من الطواف ، ولا يمسّها هو ولا أحد غيره ، و كانوا يسمونها اللقى . فدانت العرب لهم بذلك . فكانوا يطوفون كما شرعوا ، و يتركون أزوادهم التي جاؤا بها من الحلّ ، و يشترون من طعام الحرم ، و يأكلونه . هذا في الرجال ، و أمّا النساء فكانت تضع ثيابها كلّها إلاّ درعها مفرّجاً ثمّ تطوف فيه و تقول :

اليوم يبد و بعضه أو كلّه ❖ و ما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتّى بعث الله محمّداً ﷺ فنسخه . فأفاض من عرفات ، و طاف الحجّاج بالثياب التي معهم من الحلّ ، و أكلوا من طعام الحلّ في الحرم ، و أنزل تعالى في ذلك « ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس » (١) أراد بالناس العرب . أمر قريشاً أن يفيضوا من عرفات ، و أنزل تعالى في الطعام واللباس الذي من الحلّ و تركهم إياه في الحرم « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد و كلوا و اشربوا - إلى - لقوم يعلمون » (٢) و في خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أمرنى النبي ﷺ عن الله تعالى أنّه لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك .

« و أقام أعلام الاهتداء و منار الضياء » اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً ، (٣) .

(١) البقرة ١٩٩

(٢) الاعراف ٣٢

(٣) مائدة ٣

« وجعل أمرا » : أى حبال .

« الاسلام متينة » : أى محكمة صليبية .

« و عرى » : جمع عروة .

« الايمان وثيقة » : أى مستحكمة « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها » (١) قال السروى : و من أوضح الدلالات على نبوته استيقان كافتهم بحدوده ، و تمكن موجباتها في غوامض صدورهم حتى أنهم يسمون بالفسوق من خرج عن حد من حدوده ، و بالجهل من لم يعرفه ، و بالكفر من أعرض عنه ، و يقيمون الحدود ، و يحكمون بالقتل والضرب والأسر لمن خرج عن شريعته ، و يتبرء الأقارب بعضهم من بعض في محبته ، و بقى نيسفاً و عشرين سنة بين ظهرانى قوم ما تملك من الأرض إلا جزيرة العرب . فاتسقت دعوته برأ و بحرامقروناً باسم ربه ينادى بأقصى الصين والهند والترك والخزر والصفالبة والشرق والغرب والجنوب والشمال في كل يوم خمس مرات بالشهادتين بأعلى صوت بلا أجرة ، و خضعت الجبابرة لها و لا يبقى ملك صيت بعد موته ، و من تمام قوته أنها تجذب العالم من أدنى الأرض ، و أقصى أطرافها في كل عام إلى الحج حتى تخرج العذراء من خدرها ، والعجوز في ضعفها ، و من حضرته وفاته يوصى بأدائه ، و قد يرى الصائم في شهر رمضان يتلهث عطشا ، و يخوض الماء إلى حلقه ، و لا يستطيع أن يجرع منه جرعة ، و كل يوم يسجدون خمس مرات خوفاً و تضرعاً ، و عن التورية في وصفه ﷺ يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخف و الحافر .

١٨ ر فى ١٩٠ . و اشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة إيمان و

إيقان ، و إخلاص و ادعان ، و اشهد أن محمداً عبده و رسوله . ارسله

وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَ
نَصَحَ لِلخَلْقِ ، وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ .

« و أشهد أن لا إله إلا الله شهادة إيمان » بالقلب لا مجرد إظهار لسان .
« وإيقان » لاعن شك .

« وإخلاص » لا ليرى الناس .

« وإذعان » : أى خضوع وتذلل .

« و أشهد أن محمداً عبده ورسوله » بالحق .

« أرسله » ربّه .

« و أعلام » : أى علائم .

« الهدى » إلى صراط الله .

« دارسة » : أى مندرة .

« و مناهج » : أى طرق .

« الدين طامسة » : أى محوّة . قال السروى في زبور داود : اللهم ابعث مقيم

السنة بعد الفترة ، و روى عن محمد بن إسحاق أن زيد بن عمرو ضرب في الأرض يطلب

الدين الحنيف . فقال له راهب بالشام : إنك لتسأل عن دين ذهب من كان يعرفه ولكن

أظنك خروج نبي يحيى ملة إبراهيم الحنيفة و هذا زمانه .

« فصدع » : أى أعلن .

« بالحق » كما أمر ، و عن الصادق عليه السلام اكنتم النبي صلى الله عليه وآله أمره بمكة خائفاً

خمس سنين معه على صلى الله عليه وآله و خديجة ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر فظهر و

أظهر أمره .

« و نصح للخلق » بما هو سعادتهم في دنياهم و عقباهم .
 « و هدى إلى الرشده » « قد تبين الرشده من الغى » (١) .
 « و أمر بالقصد » : أى العدل ، قال شاعر :

على حكم المأني يوماً إذا قضى * قضيته ألا يجوز و يقصد
 « الذين يتبعون الرسول النبى الأُمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة
 و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم
 الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلالاتى كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و
 نصره و اتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » (٢) .
 « صلى الله عليه و آله » « و أمر أهلك بالصلوة و اصطر عليها » (٣) « إنما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا » (٤) .

١٩ ر ١٩١ و من خطبة له عليه السلام : بعثه حين لا علم قائم ،

و لا منار ساطع ، و لا منهج واضح .

« بعثه حين لا علم » : أى معلما للطريق .

« قائم » لم ينف عَلَيْهِ السَّلَامُ المعلم رأساً بل مع كونه قائماً حيث إنّه لم يخل زمان
 من حجة لئلا يكون للناس فى وقت على الله حجة ، و كذا الكلام فى الآتين .

« و لا منار » قال الجوهري : المنار : علم الطريق ، و ذوالمنار ملك من ملوك
 اليمن ، قيل له ذلك لأنه أول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى بها
 إذا رجع .

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) الاعراف ١٥٧

(٣) طه ١٣٢

(٤) الاحزاب ٣٣

« ساطع » : أى مرتفع .

« ولا منهج » أى طريق .

« واضح » مستبين . قال :

ولقد أضاء لك الطريق وانهجت ☆ سبل المسالك والهدى

٢٠ ر فى ١٩٣ ر ١ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ ، وَسَفِيرٌ وَحِيهِ

وَرَسُولٌ رَحْمَتُهُ .

« وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ » : أى كريمه و نفيه .

« وَسَفِيرٌ » قال الجوهري : السفير الرسول والمصلح بين القوم .

« وَحِيهِ » « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » (١)

« وَرَسُولٌ رَحْمَتُهُ » « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) قال السروي : صبر

النبي ﷺ في ذات الله ، وأعذر قومه إن كذب وشرّد وحبص بالحصاة وعلاه

أبو جهل بسلاشة فأوحى الله إلى ملك الجبال انته إلى أمر محمد فأتاه وقال له : إن

أمرت أطبقت عليهم الجبال فأهلكتهم بها . فقال : إنما بعثت رحمة اللهم اهد قومي

فإنهم لا يعلمون .

٢١ ر فى ١٩٣ أيضاً - بعد وصف الاسلام - ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ

مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ . حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ ،

وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ ، وَاطْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا

عَلَى سَاقٍ ، وَخَشِنَ مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ

(١) النجم ٣

(٢) الانبياء ١٠٧

مَدَّتْهَا ، وَاقْتَرَابَ مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَتَصَرَّمَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَانْقِصَامَ مِنْ حُلُقَتِهَا ، وَانْتِشَارَ مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءَ مِنْ أَعْلَامِهَا ، وَتَكْشِفَ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَاقْصَرَ مِنْ طُولِهَا جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ ، وَرَفِيعَةً لِأَعْوَانِهِ وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ .

« ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا : أَى قَرَبِ الْإِنْقِطَاعِ وَالْفَنَاءِ قَالُوا مِنْ أَلْقَابِ النَّبِيِّ ﷺ : الْعَاقِبُ وَالْحَاشِرُ لِأَنَّهُ يَحْشُرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِهِ ، وَقَالُوا : كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ شِدَّةٌ مِنْ كَفَّارِ زَمَانِهِمْ يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ انصُرْنَا بِالنَّبِيِّ الْمُبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي نَجِدُ نِعْمَتَهُ فِي التَّوْرَةِ ، وَإِنْ كَانُوا كَفَرُوا بِهِ لَمَّا جَاءَهُمْ . »
« وَدَنَا مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ » : أَى الْإِشْرَافِ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : الْمَطَّلَعُ مَوْضِعُ الْإِطْلَاعِ مِنْ أَشْرَافٍ إِلَى انْحِدَارٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ (مِنْ هَوْلِ الْمَطَّلَعِ) شَبَّهَ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ بِذَلِكَ ، يَشْهَدُ لَمَّا قَالَهُ ﷺ مِنْ دَنُو الْإِطْلَاعِ الْآخِرَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى « اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ » (١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (٢) .

« وَاطْلَمْتُ بِهَجَّتِهَا » : أَى حَسَنُهَا وَمَسْرُوتُهَا قَالَ :

كَانَ الشَّبَابُ رَدَاءً قَدْ بَهَجَتْ بِهِ فَفَقَدَ تَطَايِرَ مِنْهُ لِلْبَلْبِيِّ خَرَقَ

« بَعْدَ إِشْرَاقِ » : أَى إِنَارَةٍ .

« وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ » : أَى أَقَامَهُمْ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّدَّةِ

وَمِنْ كَلَامِهِ ﷺ أَيْضًا « حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ » .

« وَخَشَنَ مِنْهَا مَهَادٌ » أَى صَارَ ذَا خَشُونَةٍ مَا كَانَ مِنْهَا ذَوَلِيْنَةً .

(١) الْإِنْبِيَاءُ ١

(٢) الْقَمَرُ ١

« وأزف » : أى قرب .

« منها قياد » هكذا في النسخ ، والظاهر كون قياد فيها مصحف نفاذ ، فإنها لا معنى لقرب الانقياد من الدنيا في المقام بل قرب النفاذ والزوال ، وبعد ما قلنا: لا تحتاج إلى تكلف (حد) بأن المراد قرب انقيادها إلى الزوال . فإنه تأويل لا يحتمله اللفظ .

« في انقطاع من مدتها » بانقضائها ، والظرف متعلق بقوله عَلَيْهَا « حين دنا من الدنيا الانقطاع » .

« واقتراب من أشراتها » : أى علائم الآخرة لأنه متعلق « وأقبل من الآخرة الاطلاع » على اللف والنشر المترتب . قال في الأساس : طلع الشرطان : أى قرنا الحمل وذلك في أول الربيع قال : ومن ثم قيل لأوائل كل شيء : يقع أشراطه ، ومنه أشراط الساعة ، وبعد ما قلنا يظهر لك ما في قول (حد) أضاف عَلَيْهَا الأشراط ، وهى علامات الساعة إلى الدنيا لأنها في الدنيا تحدث ، وإن كانت علامات للآخرة .

« وصرم » : أى تقطع .

« من أهلها وانفصام » : أى انكسار قال الجوهري . فصم الشيء كسره من غير أن يبين .

« من حلقتها » صرم من أهلها وانفصام من حلقتها متعلقان بقوله عَلَيْهَا « وأظلمت بهجتها بعد إشراق » لكون مضمونها واحداً .

« وانتشار من سببها » قال الجوهري : السبب الجبل ، و كل شيء يتوصل به إلى غيره .

« وعفاء » : أى أندراس .

« من أعلامها » : أى علائمها ، و (وانتشار) و (وعفاء) متعلقان بقوله « و قامت بأهلها على ساق » .

« وتكشف من عوراتها » قال الجوهري : العورة : سواة الإنسان ، و كل ما لا يستحيى منه ، و كل خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب . قال عَلَيْهَا ذلك لأن الواجب

ستر العورة و سدها ثم (و تكشف) متعلق بقوله (و خشن منها مهاد) .
 « و قصر من طولها » متعلق بقوله ﷺ (أذف منها نفاذ) على ما عرفت من
 استظهاره ، و هو أيضاً شاهد لما قلنا .
 « جعله » : أي النبي ﷺ .
 « الله » هكذا في المصرية و الصواب الله سبحانه كما في (حد ، و ثم ،
 و الخطية) .

« بلاغاً لرسالته » : أي لرسالته تعالى إلى عباده ، و حيث إنّه تعالى أكمل
 بخاتم الأنبياء دينه ، و أتمّ به نعمته على عباده كان ﷺ بلاغاً لرسالته تعالى التي
 كان إبلاغها واجباً عليه تعالى إنماماً للحجّة و لطفاً للبريّة ، و إنّ
 أدوا ما عليهم من الإيلاغ إلا أنّه لمّا كانت رسالاتهم موقّته محدودة لم يحصل منهم
 إيلاغ منه تعالى كاف .

« و كرامة لأمتّه » ورد في تفسير قوله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على
 الذين من قبلكم » (١) إنّّه لم يكتب صيام شهر رمضان على أمة قبل هذه الأمة بل
 على أنبياء الأمم ، و كتب على هذه الأمة ما كتب على نفس الأنبياء كرامة لهذه الأمة .
 « و ربيعاً لأهل زمانه » كان ﷺ ربيعاً معنوياً و ظاهرياً حتّى لغير المؤمنين
 و في تاريخ اليعقوبي بلغ النبي ﷺ بعد فتح خيبر ما فيه أهل مكّة من الجذب
 و القحط . فبعث إليهم بطعام مع عمرو بن أمية الضمري . فأخذ أبو سفيان و فرقّه على
 فقراء قريش ، و قال : جزى الله ابن أخينا خيراً فإِنَّه وصول الرحمة ، و من أبيات أبي
 طالب فيه ﷺ :

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ☆ ربيع اليتامى عصمة للأراامل

و لمّا استسقى النبي ﷺ و نزل الغيث بحيث منعهم من السلوك . فشكوا إليه
 ﷺ ذلك فقال « اللهم حوالينا و لا علينا » فانشق السحاب . فكان المطر خارج المدينة

لا فيها قال صلى الله عليه وآله: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه من ينشدنا شعره - أراد صلى الله عليه وآله البيت المتقدم - ومن أبياته فيه أيضاً :

و تلقوا ربيع الأبطحين محمداً * على ربوة في رأس عنقاء عيطل

والشعراء وإن كانوا يقولون للأمراء: إنهم ربيع للناس كما قال بعضهم في بعضهم (بأنك ربيع و أنتك غيث مريع) إلا أنه كلام زور و قول باطل ، وإنما الحقيقة فيه صلى الله عليه وآله لأنه كان سبباً لحياة الدنيا كالأخرة و لنظام هذا العالم كقوام ذاك العالم .
« و رفعة لأعوانه ، و شرفاً لأنصاره » روى طبقات كاتب الواقدي عن أبي ذر قال: لقد تركنا النبي صلى الله عليه وآله وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً .

٢٢ ر في ٢٠٨ منها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله: أرسله

بالضياء ، و قدّمه في الاصطفاء . فرتق به المفاتيح ، و ساور به
المغالب ، و دّل به الصعوبة ، و سهل به الحزونة حتى سرح الضلال
عن يمين و شمال .

« أرسله بالضياء » : أي القرآن قال تعالى « كتاب أنزلنا إليك لتتخرج الناس من الظلمات إلى النور » (١) .

« و قدّمه في الاصطفاء » : أي الاختيار . فالأنبياء ، و إن كانوا كلهم مصطفين له تعالى كما قال سبحانه « إن الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين » (٢) إلا أنه صلى الله عليه وآله كان مقدماً عليهم حتى صار المصطفى علماً له ، و روى الطبري في ذيله عن ميسرة قال : قلت للنبي صلى الله عليه وآله : متى كنت نبياً . قال : كنت نبياً و آدم بين الروح و الجسد .

(١) ابراهيم ١

(٢) آل عمران ٣٣

« فرفق به المقاتل » الظاهر كون (المقاتل) بضم الميم اسم فاعل (فاتق) بقرينة (المغالب) في قرينته ، ويحتمل أن يكون بفتحها جمع (المفتق) : أى الفتوق وهى الشقوق ، وكيف كان قال ابن الزبيرى : لمّا أسلم واعتذر عن هجائه في كفره :

يارسول المليك إن لسانك ☆ راتق ما فتقت إذ أنا بور

« و ساور » من ساوره : أى وثب عليه .

« به المغالب » : أى من أراد الغلبة . فصار عالياً على المغالب . في الطبقات لمّا ولد النبى ﷺ فوق على الأرض وقع على يديه رافعاً رأسه إلى السماء ، و قبض قبضة من التراب بيده . فبلغ ذلك رجلاً من لهب فقال : لئن صدق الفأل ليغلبن أهل الأرض ، وعن ابن عباس اجتمع قريش في الحجر . فتعاقدوا باللات والعزى و مناة لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحد ، ولنقتلنه . فدخلت فاطمة عليها السلام على أبيها باكية ، وحكت مقالتهم . فقال : يا بنيتة أدبى و ضوء . فتوضأ ثم خرج إلى المسجد فلمّا رآوه قالوا : ها هوذا . فخفضت رؤوسهم ، و سقطت أنقائهم في صدورهم . فلم يصل إليه منهم رجل . فأخذ النبى ﷺ قبضة من التراب فحصبهم بها و قال : شأهت الوجوه . فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر .

و روى الطبرى في ذيله عن يزيد بن عامر السوائى - و كان مع المشركين يوم حنين ثم أسلم - قال : لمّا كانت انكشافه المسلمين ضرب النبى ﷺ بيده إلى الأرض فأخذ منها قبضة من تراب . فأقبل بها على المشركين ، و هم يتبعون المسلمين فحشا به في وجوههم ، و قال : ارجعوا شأهت الوجوه . فانصرفنا و ما بلغ منّا أحد أحداً إلا و هو يمسح القذى عن عينيه .

« و ذلك به الصعوبة » و يضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم .

« و سهّل به الحزونة » والحزونة : ضد السهولة ، و في الاستيعاب قال النبى ﷺ

لحزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيّب : ما اسمك؟ قال: حزن. فقال النبى ﷺ : لابل أنت سهل. فقال: اسم سماني به أبى ، و روى أنه قال: إنهما السهولة

للحمار . قال سعيد بن المسيّب : فما زالت تلك الحزونة تعرف فينا حتى اليوم ، و قال أهل النسب في ولده حزونة ، و سوء خلق معروف ذلك فيهم لا يكاد يعدو منهم .
« حتى سرّح » : أى أرسل سريعاً .

« الضلالة عن يمين و شمال » أى أزالها رأساً . في طبقات كاتب الواقدي عن مجاهد حجّ أبو بكر في ذى القعدة . فكانت الجاهلية يحجّون في كل شهر من شهور السنة عامين ، و وافق حجّ النبي ﷺ في ذى الحجة فقال النبي ﷺ : هذا يوم استدار الزمان كهيئة يوم خلق السماوات والأرض - الخبر - .

و قال تعالى « هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (١) .

٢٣ ر ٢٢٦ و من خطبة له عليه السلام - خطبها بنى قار ،

و هو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل -

فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ ، وَ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ . فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ ، وَ

رَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ وَالْفَ بَيْنَ ذَوَى الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ ،

وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ .

« قول المصنّف : و من خطبة له عليه السلام خطبها بنى قار » في بلدان الحموي

نو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها و بين واسط ، و فيه كانت الوقعة

المشهوره بينهم و بين الفرس ، و كسرت الفرس كسرة هائلة ، و كانت الوقعة يوم ولادة

النبي ﷺ و قيل : عند منصرفه من بدر الكبرى ، و كان أوّل يوم انتصف فيه العرب

من العجم ، و بالنبي ﷺ انتصفوا و هى من مفاخر بكر قال أبو تمام في أدبى دلف :

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم ☆ عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

وقال في خالد بن الشيباني :

لهم يوم ذى قار معنى وهو مفرد ☆ وحيد من الأشباه ليس له صحب

قلت : وقال العجيف في أمه زاكراً أنفها لا تروى وإن شربت ماء ذى قار كما

لا تشبع وإن أكلت نخيل هجر :

يا ليتنا أمنا شالت نعامتها ☆ أيما إلى جنّة أيما إلى نار

ليست بشبعي وإن أسكنتها هجرا ☆ ولا برياً وإن حلت بذى قار

« وهو متوجه إلى البصرة » : أى لقتال طلحة والزبير .

« ذكرها الواقدي في كتاب الجمل » الواقدي هو محمد بن عمر بن واقد صاحب

المغازى .

« قوله ﷺ : فصدع » : أى جهر .

« بما أمر » في صحيح محمد الحلبي عن الصادق ﷺ اكتبتم النبي ﷺ مختفياً

بمكة خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره ، و على ﷺ معه و خديجة ثم أمره تعالى

أن يصدع بما أمر فظهر وأظهر أمره ، و في خبر اكتبتم سبع سنين .

« و بلغ رسالات » هكذا في المصرية ، والصواب (رسالة) كما في (حد ، و ثم ،

والخطية) .

« ربّه » و آخر ما بلغه من رسالة ربّه ولاية أمير المؤمنين ﷺ ، وهى الأصل

في رسالته ، ولذا قال تعالى له « و إن لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) و كان ﷺ

في تبليغها خائفاً من الناس حتى قال تعالى له « والله يعصمك من الناس » .

« فلم الله » : أى جمع و أصلح .

« به الصدع » : أى الشق .

« و رتق » : أى وصل .

« به الفتق » : أى الفصل . قال السروي : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على

قبائل العرب في الموسم . فبلغ رهطاً من الخزرج فقال لهم : ألا تجلسون أحدكم .
فمالوا إليه فدعاهم إلى الله تعالى ، و تلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض : إنه والله
النبى الذى كان يوعدكم به اليهود . فلا يسبقنكم إليه أحد . فأجابوه ، وقالوا : إننا
تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم و عسى الله أن يجمع بك بينهم
فتقدم عليهم ، و تدعوهم إلى أمرك - و كانوا ستة نفر - فلما قدموا المدينة و أخبروا
قومهم ما دار حول الإ و فيها حديث النبى ﷺ - الخ - .
« و ألف به بين ذوى الأرحام » كالأوس و الخزرج ابنى حارثة و يقال : لهما ابنى
قيلة نسبة إلى أمهما .

« بعد العداوة الواغرة » : أى المتوقدة .

« في الصدور » قال شاعر :

دست رسولاً بأن القوم ان قدروا عليك يشفوا صدوراً ذات توغير
« والضغائن » جمع الضغينة : أى الحقد .

« القادحة » : أى المشعلة « في القلوب » فكانت بين الأوس و الخزرج حروب كثيرة
حصلت فيها قتلى كثيرة من الفريقين ، و كل منهما يجد في طلب ثاره . فارتفع كل
ذلك بسببه ﷺ قال تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم إن كنتم أعداء فألف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته إخواناً » (١) و قال سبحانه « و ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض
جميعاً ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٢) .

٢٤ ر فى ١٢٩ ر ١ (منها) أرسله على حين فترة من الرسل،

و تنازع من الألسن ففقى به الرسل ، و ختم به الوحى . فجاهد

فى الله المدبرين عنه ، و العاديين به .

(١) آل عمران ١٠٣

(٢) الانفال ٦٣

« أرسله على حين فترة من الرسل » في الخبر أن أهل السماوات لم يسمعوا وحيًا في ما بين أن بعث عيسى إلى أن بعث محمد ﷺ فلما بعث الله جبرئيل إليه فسمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا علموا أن الله بعث نبياً .
« و تنازع من الألسن » قال (حد) معنى تنازع من الألسن أن قوماً في الجاهلية كانوا يعبدون الصنم ، و قوماً يعبدون الشمس ، و قوماً يعبدون الشيطان ، و قوما يعبدون المسيح فكل طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها . قلت : الأظهر أن معناه أن الناس كانوا قبل رسالته يتنازعون في ملل و نحل لم يكن لها معنى في القلوب بل مجرد ألفاظ على الألسن . فيكون قوله ﷺ « و تنازع من الألسن » نظير قول يوسف ﷺ في ما حكى الله تعالى عنه « ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » (١) أو المراد أنهم كانوا يتنازعون في أنواع الكلام من القصائد والخطب والأراجيز هل هذه أحسن أو تلك . فكانوا قبل بعثة النبي ﷺ يباهون بذلك ، و قصة المعلقات السبع معروفة . قال امرء القيس لمّا احتضر في أنقرة في آخر شيء تكلم به : رب خطبة محببة ، و طعنة مسحنفرة ، و جفنة مشعنجرة . تبقى غداً بأنقرة ، و من السبع المعلقات قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي التي كان قام بها خطيباً في ما كان بينه و بين عمرو بن هند ملك الحيرة ، و كان لقومه بها شغف كثير حتى قالوا فيهم :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة ☆ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم ☆ ياللرجال لشعر غير مسأوم
و من السبع قصيدة عبيد بن أبرص التي أولها : أفقر من أهلها ملحوب ، و لمّا
لقيه ملك الحيرة في يوم بؤسه وأراد قتله استنشده القصيدة إعجاباً بها فغيت البيت ، وقال :
أفقر من أهلها عبيد ☆ فالיום لا يبدى ولا يعيد
والكل مجرد ألفاظ ، و أمّا ما قاله (حد) من مجادلتهم بألسنتهم . فبارد .
فالمجادلة لا تكون بغير اللسان ، و كيف كان فقال الجوهري : قد يكتنى عن الكلمة

باللسان. قال أعشى باهلة : أتتني لسان لأسر به . فمن ذكره قال في الجمع . ثلاثة السنة
و من أتته قال : ثلاث ألسن .

قلت : الظاهر أن اللسان إذا كان بمعنى اللغة يكون مذكراً لقوله تعالى « وهذا
كتاب مصدق لساناً عربياً » (١) وقوله تعالى « و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم » (٢) و
إذا كان بمعنى التكلم يكون مؤنثاً كقوله :

أتتني لسان بنى عامر ☆ أحاديثها بعد قول نكر

وكقول طرفة :

و إذا تلسنتي ألسنها ☆ إنني لست بموهون فقر

و كقوله عليه السلام « و تنازع من الألسن » .

« ففقتي به الرسل » قال الجوهري : فقتيت على أثره بفلان : أى اتبعته إياه
و منه قوله تعالى « ثم فقتينا على آثارهم برسلنا » (٣) .

« و ختم به الوحى » فلا يوحى إلا إلى النبىؐ ولا نبى بعده ، و أمّا الإمام
فإنما يلهم .

« فجاهد في الله المدبرين عنه » و أمّا قوله تعالى « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا
و لم يرد إلا الحياة الدنيا » (٤) فلا ينافيه .

« و العادلين به » : أى الجاعلين غير الله عديلاً له تعالى كما أمره - عز وجل - في
قوله « يا أيها النبىؐ جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم و مأواهم جهنم و بشس
المصير » (٥) ذكرت الآية في التحريم و التوبة ، و أمّا عدم جهاده المنافقين ، و إنما
جاهدهم أمير المؤمنين عليه السلام بعده حيث إنه كان كنفس النبىؐ بنص قوله تعالى « و

(١) الاحقاف ١٢

(٢) الروم ٢٢

(٣) الحديد ٢٧

(٤) النجم ٢٩

(٥) التوبة ٧٣

أنفسنا و أنفسكم ، (١) .

١١٢٢٥ و من خطبة له عليه السلام : أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ ،
وَ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ . فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ . غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ ، وَ
جَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَائَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ . إِمَامٌ مِنَ اتَّقَى ، وَ بَصْرٌ
مَنْ اهْتَدَى .

« أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَ شَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ » « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَ مَبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَ سَرَاجًا مُنِيرًا » (٢) « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الْذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَا
الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضَ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا » (٣) .

« فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ » من و نى ينمى : أى ضعف .

« وَ لَا مُقَصِّرٍ فِي التَّبْلِيغِ » حَتَّى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حَضَرَ يَوْمَ وَفَاتِهِ مَعَ شِدَّةٍ مَرَضَةٍ كَمَا
رَوَى الْمَسْجِدُ وَ قَالَ : وَ اتَّقُوا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
وَ هُمْ لَا يَظْلَمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَدْعَى مَدْعٍ وَ لَا يَتَمَنَّى مَتْمَنًا أَنَّهُ يَنْجُو إِلَّا بِعَمَلٍ وَرَحْمَةٍ
وَ لَوْ عَصَيْتَ هُوَيْتَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتَ ، وَ قَالُوا : خَطَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بِمَنْى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَ قَالَ
فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَ : وَ كُلُّ مَأْتَرَةٍ أَوْ بَدْعٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي
هَاتِينَ لَيْسَ أَحَدًا كَرَمًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْتَقْوَى الْأَهْلِ بَلَغْتَ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَد . ثُمَّ قَالَ :
أَلَا وَ كُلُّ رَبَافِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَ أَوَّلُ مَوْضُوعٍ مِنْهُ رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
أَلَا وَ كُلُّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ ، وَ أَوَّلُ دَمٍ مَوْضُوعٍ دَمُ رِبِيعَةَ ، الْأَهْلِ بَلَغْتَ
قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : اللَّهُمَّ اشْهَد .

(١) آل عمران ٦

(٢) النساء ٤٢

(٣) الاحزاب ٤٦

ثم قال : ألا وإن الشيطان قد يأس أن يعبد بأرضكم هذه ، و لكنته راض بما تحتقرون من أعمالكم إلا أنه إذا أطيع فقد عبد. ألا أيها الناس إن المسلم أخو المسلم حقاً لا يحل لامرئ مسلم دم امرئ مسلم ، و ماله إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه ، و إنني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، و حسابهم على الله . ألا هل بلغت قالوا : نعم . قال اللهم أشهد .

ثم قال : أيها الناس احفظوا قولي تمتنعوا به بعدى و افهموه تمتنعوا ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا فإن أنتم فعلتم ذلك و لتفعلن - لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل و ميكائيل أضرب و جوهكم بالسيف - قال : ثم التفت عن يمينه . فسكت . ثم قال : إن شاء الله أو على بن أبي طالب .
« و جاهد أعدائه غير واهن » : أى ضعيف .

« ولا معذر » و المعذر بالتشديد من يأتي بالعدو باطلا ، و ضبطته المصرية بدون التشديد و هو غلط لأن المعذر بدونه من له عذر صحيح ، و إنما ينفي عنه ^{وَالشُّكْرُ} التّعذير لا الإعذار . قال تعالى « وجاء المعذرون من الأعراب » ^(١) قالوا وصف أحد أحبار أهل الكتاب لكعب بن أسد اليهودى النبى ^{وَالشُّكْرُ} بأنه يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى ، و لما أراد النبى ^{وَالشُّكْرُ} قتل كعب في أسراء بنى النضير ذكره قول ذاك الحبر . فأقر به ، و لكن قال : لا أسلم لكلاً يقول الناس إنه جزع عند الموت .
« أمام من اتقى و بصر من اهتدى » مررت الجملتان في طي خامس الفصل لكن ثمة (و بصيرة من اهتدى) .

٢٦ ر ٩٦ و من خطبة له عليه السلام اخرى : الحمد لله
الناشر في الخلق فضله ، و الباسط فيهم بالجو يد . نحمده في

جَمِيعَ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حَقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ الْإِلَهَ غَيْرَهُ، وَإِنْ
مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبَذَكَرَهُ نَاطِقًا. فَادَى أَمِينًا،
وَمَضَى رَشِيدًا .

و فِي ٨٥ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَ رَسُولَهُ ، أَرْسَلَهُ لِانْفِذِ
أَمْرِهِ ، وَ أَنْهَاءِ عِذْرِهِ ، وَ تَقْدِيمِ نَذْرِهِ .

و فِي ٨٧ - بَعْدَ ذِكْرِ آدَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ - حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
(ص) حُجَّتُهُ ، وَ بَلَغَ الْمَقْطَعُ عِذْرَهُ وَنَذْرَهُ .

قول المصنف: « و من خطبة له أخرى » هكذا في المصرية ، والصواب (و من
خطبة له ﷺ) كما في (حد ، و ثم ، والخطبة) و أيضاً لا معنى لقوله : أخرى هنا .
« قوله ﷺ في الأول » الحمد لله الناشر في الخلق فضله « قال تعالى « و أن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١) « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢) .
« والباسط فيهم بالجود يده » « و قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » (٣) .

« نحمده في جميع أموره » لكون كلها على وفق الحكمة و نهاية المصلحة .
« و نستعينه على رعاية حقوقه » فلا حول ولا قوة إلا بالله .
« و نشهد ألا إله غيره » « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (٤) .

(١) الحديد ٢٩

(٢) آل عمران ٧٥-٧٤

(٣) المائدة ٦٤

(٤) الانبياء ٢٢

« وأنَّ محمداً عبده ورسوله » إلى خلقه كافة .
 « أرسله بأمره صادعاً » : أى مجاهرأ كما أمره - عز وجل - في قوله « فاصدع
 بما تؤمر و أعرض عن المشركين » (١) .

« و بذكره ناطقاً » ولما رأيت قريش ذلك منه قولوا له مرتين : تعبد آلها سنة
 و تعبد إلهك سنة . فأجابهم بما أمره الله تعالى به بمثل قولهم في قوله تعالى « قل يا
 أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم
 عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » .

« نادى أميناً » و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، (٢) .
 « و مضى رشيداً » حيث أدى ما كان عليه من قبل الله تعالى ، و نزل عليه أخيراً
 « إذا جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمديك
 و استغفره إننه كان تواباً » (٣) .

« قوله ﷺ » في الثاني « أرسله لإفاد أمره » كما قال تعالى « يا أيها الرسول
 بلغ ما أنزل إليك من ربك » (٤) .
 « و إنهاء » : أى إبلاغ .

« عذره » « و لو أننا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لو لا أرسلت إلينا
 رسولا فنتسب آياتك من قبل أن نذلل و نخزي » (٥) .

« و تقديم نذره » « قال لا تختصموا لدي و قد قدمت إليكم بالوعيد » (٦)
 « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا

(١) الحجر ٩٤

(٢) النجم ٣

(٣) النصر ١-٣

(٤) المائدة ٦٧

(٥) طه ١٣٤

(٦) ق ٢٨

و قلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير» (١)، و في الأُسْد عن ابن أمّ مكتوم قال : خرج النبي ﷺ بعد ما ارتفعت الشمس و ناس عند الحجرات فقال : يا أهل الحجرات سعرت الفتن ، و جاءت الفتن كقطع الليل المظلم ، ولو تعلمون ما أعلمتم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً .

قوله ﷺ في الثالث : حتى تمت بنبينا محمد ﷺ حجته ، « و لكن رسول الله و خاتم النبيين » .

« و بلغ المقطع » بالكسر قال الجوهري : أى ما يقطع به الشيء .

« عذره و نذره » « قل فلكه الحجّة البالغة » (٢) « رسلا مبشرين و منذرين لثلاً يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل و كان الله عزيزاً حكيماً » (٣) .

٢٧ ر في ١٨٢ في القاصعة : وَاَعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ اسْمَاعِيلَ ، وَ

بَنِي اسْحَاقَ ، وَ بَنِي اسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَا اَشَدَّ اَعْتِدَالَ

الْاَحْوَالِ ، وَ اقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْاَمْثَالِ . تاملوا امرهم في حالِ تشتتِهم ،

وَ تَفَرَّقِهِمْ لِيَالِي كَانَتِ الْاَكْسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ اَرْبَاباً لَهُمْ . يَحْتَازُونَهِمْ

عَنْ رِيْفِ الْاَفَاقِ ، وَ بَحْرِ الْعِرَاقِ ، وَ خُضْرَةِ الدُّنْيَا اِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ

وَ مَهَابِي الرِّيْحِ ، وَ نَكْدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرَكَوْهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ اِخْوَانَ

دَبْرٍ وَ وَبْرٍ . اذَلَّ الْاُمَمِ دَاراً ، وَ اجْدَبَهُمْ قَرَاراً ، لَا يَأْوُونَ اِلَى جَنَاحِ

(١) الملك ٨

(٢) الانعام ١٤٩

(٣) النساء ١٦٥

دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا ، وَلَا إِلَى ظِلِّ الْفَةِ يِعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا .
 فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ . وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ فِي بِلَاءِ أَزْلِ ،
 وَاطِّبَاقِ جَهْلِ مِنْ بَنَاتِ مَوْوُودَةٍ . وَاصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ . وَارْحَامِ
 مَقْطُوعَةٍ . وَغَارَاتِ مَشْنُونَةٍ . فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ
 بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا . فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتَاهِمَ .
 كَيْفَ نَشَرَتْ النِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كِرَامَتِهَا ، وَاسْأَلَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ
 نَعِيمِهَا . وَالتَّفَّتِ الْمَلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا . فَاصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهِ
 غَرِيقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ . قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ
 سُلْطَانِ قَاهِرٍ . وَآوَتْهُمْ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ ، وَتَعَطَّتْ
 الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهَمَّ حُكَّامُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمَلُوكُ
 فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ . يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ ،
 وَيُمِضُونَ الْأَحْكَامَ فِي مَنْ كَانَ يُمِضِيهَا فِيهِمْ . لَا تَغْمِزُ لَهُمْ قِنَاةٌ ،
 وَلَا تُقَرِّعُ لَهُمْ صَفَاةٌ . إِلَّا وَأَنْكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ،
 وَتَلَمَّتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَاللَّهُ
 سَبْحَانَهُ قَدْ أَمْتَنَ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي مَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ

هَذِهِ الْأَلْفَةُ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَ يَأْوُونَ إِلَيْهَا كَنَفَهَا بِنِعْمَةٍ لَا
يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ ، وَ أَجَلُ
مِنْ كُلِّ خَطَرٍ ، وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صَرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا ، وَ بَعْدَ
الْمُؤَالَاةِ أَحْزَابًا . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ
مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ ، تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ . كَانَكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ
تُكْفَأُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَنْتَهَاكَ لِحَرِيْمِهِ ، وَ نَقَضْنَا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي
وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ ، وَ أَمْنَا بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَ أَنْتُمْ أَنْ
لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارِبْتُمْ أَهْلَ الْكُفْرِ . ثُمَّ لَا جِبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ ،
وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارَ ، يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسِّيفِ حَتَّى
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ ، وَ أَنْ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالُ مِنْ بَاسِ اللَّهِ وَ قَوَارِعِهِ ، وَ أَيَّامِهِ
وَ وَقَائِعِهِ . فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَ عَيْدُهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَ تَهَاقُوا بِبَطْشِهِ ، وَ يَأْسًا مِنْ
بَاسِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمْ
الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي ،
وَ الْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي ، إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ، وَ عَطَلْتُمْ حُدُودَهُ
وَ أَمْتُمْ أَحْكَامَهُ .

« و اعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و بنى إسرائيل » قال (حد) ذكر عليه السلام في هذه الكلمات المقهورين والقاهرين جميعاً : أما المقهورون فبنو إسماعيل و أما القاهرون فبنو إسحاق و بنو إسرائيل لأن الأكاسرة من بنى إسحاق ذكر كثير من أهل العلم أن فارس من ولد إسحاق والقياصرة من ولد إسحاق أيضاً لأن الروم بنو العيص بن إسحاق ، و بنو إسرائيل لما كانوا ملوكاً بالشام حاربوا العرب من بنى إسماعيل غير مرة و طردوهم عن الشام ، و ألجأوهم إلى المقام ببادية الحجاز و يصير تقدير الكلام : فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بنى إسحاق و بنى إسرائيل .

قلت : ما ذكره خارج عن طريق المحاوراة . فإن مقتضى السياق كون الأكاسرة والقياصرة مسلسطين على ولد إسماعيل و بنى إسحاق و بنى إسرائيل يفعلون بهم ما شاؤا ، و كون الأكاسرة والقياصرة غير ولد إسماعيل و غير بنى إسحاق و بنى إسرائيل ، و كيف جعل بنى إسرائيل من القاهرين ، و القرآن ناطق بمقهوريتهم مثل بنى إسماعيل بل أشد ، و كيف لا و قد قال - عز وجل - فيهم « و ضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله » (١) و قال تعالى « و قضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإنا جاء وعدا لهما بعثنا عليكم عبداً لئنا ولياً بشديد فجاؤا خلال الديار و كان وعداً مفعولاً - إلى - فإنا جاء وعد الآخرة ليسووا و جوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة و ليتبروا ما علوا تتيروا » (٢) .

والأكاسرة جعلهم ابن قتيبة والدينورى والطبرى من غير ولد إسحاق بل من ولد الملوك الأوتلين قبل ملوك الطوائف قال الأوتل : كتب أردشير إلى ملوك الطوائف : من أردشير بابكان المستأثر دونه لحقه المغلوب على ترأت آباءه ، و قال الأخير : و نب أردشير بفارس طالباً بزعمه دم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار الذى حارب الإسكندر فقتله حاجباه مريداً في ما يقول : رد الملوك إلى أهله و إلى ما لم يزل عليه أيام سلفه و آباءه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف و جمعه لرئيس واحد و ملك واحد ،

(١) البقرة ٦١

(٢) الاسراء ٧٠-٤

وقريباً منه قال الثاني رافعاً نسبه إلى إسفنديار بن بشتاسف .
 وإنما نقل المسعودى أقوالاً ضعيفة في كون الأكاسرة من ولد إسحاق فقال :
 تنازع الناس في الفرس و أنسابهم فقال قوم : إن فارس ابن ناسور بن سام بن نوح و
 كذلك النبط ، و هذا قول هشام بن محمد في ما حكاه عن أبيه و غيره ، و منهم من زعم أنه
 من ولد يوسف بن يعقوب ، و منهم من ذكر أنه من ولد إرم بن ارفخشذ بن سام بن
 نوح و أنه ولد بضعة عشر رجلاً كلهم كان فارساً شجاعاً فسموا الفرس بالفروسية ، و
 في ذلك يقول حطّان الفارسي :

و بنا سمي الفوارس فرساناً ☆ و منّا منّا ——— اجب الفرسان
 و كهولهم طواهم الركض والكر ☆ كمثل الكرات يوم الطعان

قال : و قد زعم قوم أن الفرس من ولد لوط من ابنته ، و ذكر آخرون أنهم من
 ولد بوّان بن الأسود بن سام بن نوح الذي ينسب إليه شعب بوّان ، و منهم من رأى
 أن الفرس من ولد إيران بن آفريدون ، و لا تناكر بين الفرس جميعاً في أنها من ولد
 إيراج جميعاً ، و إيراج هو إيران بن آفريدون ، و من الناس من ذهب إلى أن سائر
 أجناس الفرس و أهل كور الأهواز من ولد عيلام ، و لأخلاف بين الفرس في أن الجميع
 منهم من ولد كيومرث ، و من الناس من ذهب إلى أن الفرس الساسانية دون من سلف
 من الفرس الأولى من ولد منوچهر بن آفريدون ، و منهم من ذهب هو ابن مسعر بن
 آفريس و ترك ، و و ترك هو إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، و سار مسعر إلى أرض فارس
 و كان بها امرئة متملكة يقال لها : كورك ابنة إيراج فتزوجها . فولدت له منوچهر الملك
 و كثر ولده فملكوا الأرض ، و غلبوا عليها و هابتهم الملوك ، و دثرت الفرس الأولى
 كدثور الأمم الماضية ، و العرب العاربة ، و أكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول
 هذا و يعمل عليه في بدء النسب ، و ينقاد إليه كثير من الفرس ، و قد ذكرته شعراء
 العرب من نزار ، و افتخرت على اليمن من قحطان بالفرس و أنها من ولد إسحاق
 قال إسحاق بن سويد العدوي عدى قريش :

إذا افتخرت قحطان يوماً بسؤدد ☆ أتى فخرنا أعلى عليها و أسودا

- ملكانهم بدء بإسحاق عمنا ☆ وصاروا لنا غرماً على الدهر أعبدا
- فإن كان منهم تبّع وابن تبّع ☆ فأملأكمهم كانوا لأملأنا يدا
- ويجمعنا والغرّ أبناء سارة ☆ أب لا يبالي بعده من نفرّدا
- هم ملكوا شرقاً و غرباً ملوكهم ☆ وهم منحوهم بعد ذلك سوّدا
- وفي ذلك يقول جرير بن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بأنّ الفرس والروم
- من أولاد إسحاق والأبناء من ولد يعقوب بن إسحاق من كلمة طويلة يقول فيها :
- وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا ☆ حمائل موتى لا بسين السنورا
- إذا افتخروا عدوا الصبيد منهم ☆ وكسرى وعدّ والهرمزان وقيصرا
- وكان كتاب الله فيهم و نوره ☆ وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
- ومنهم سليمان النبي الذي دعا ☆ فأعطى نبيناً و ملكاً مقدراً
- أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا ☆ أب كان مهدياً نبياً مطهرا
- وموسى وعيسى والذي خرّ ساجداً ☆ وأبّت زرعاً دمع عينيه أخضرا
- و يعقوب منهم زاده الله حكمة ☆ وكان ابن يعقوب نبياً مطهرا
- ويجمعنا والغرّ أبناء فارس ☆ أب لا يبالي بعده من تأخرا
- أبونا خليل الله والله ربنا ☆ رضينا بما أعطى الإله و قدرا
- وفي ذلك يقول بشار بن برد :

نمتنى الكرام بنو فارس ☆ قريش وقومي قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنّه من ولد إسحاق ، وأنّ إسحاق هو المسمّى

وترك :

- أبونا وترك و به احاجى ☆ إذا فخر المفاخر بالولادة
- أبونا وترك عبد رسول ☆ له شرف الرسالة والزهادة
- فمن مثلى إذا افتخرت قرون ☆ و بيتى مثل واسطة القلادة

قال : وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد سنة ٢٩٠ بجدّه إسحاق على ولد إسماعيل

بأنّ الذبيح كان إسحاق فقال :

قل لبني هاجر ما بيت لكم ☆ ما هذه الكبرياء والعظمة
ألم تكن في القديم أممكم ☆ لأمننا سارة الجمال أمه
والمملك فينا والآنباء لنا ☆ إن تنكروا ذلك توجدوا ظلمه
إسحاق كان الذبيح قد أجمع ☆ الناس عليه إلا ادعاء لمه
وقد أجابه ابن المعتز . فقال :

أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ☆ من ذا الشقى الذي أباح دمه
حاش لإسحاق أن يكون لكم ☆ أبا وإن كنتم بنيه فمه

والفرس لا تنقاد إلى القول بأنّ المملك يكون فيها لأحد غير ولد أفريدون في
عصر من الأعصار في ما سلف و خلف إلى أن زال عنهم المملك إلا أن يكون دخل عليهم
داخل على طريق التعصب بغير حق . قال : وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام
وتطوف به تعظيماً له ولجدّها إبراهيم عليه السلام وتمسكاً بهديه وحفظاً لأنسائها ، وكان
آخر من حجّ منهم ساسان جدّ أردشير . فكان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على بشر
إسماعيل ، فقيل : إنّما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس ، وهذا يدلّ
على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البشر ، وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان :

زمزمت الفرس على زمزم ☆ وذلك من سالفها الأقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام بذلك . فقال :

ومازلنا نحجّ البيت قدما ☆ وتلفى بالأباطح آمينينا
وساسان بن بابك سارحتسى ☆ أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بشر ☆ لإسماعيل تروى الشارينا

و كانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان و جواهر ، وقد كان
ساسان أهدي غزالين من ذهب و جوهراً و سيوفاً و ذهباً كثيراً . فقذفه في زمزم ، وذهب
قوم أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة .

هذا آخر كلام المسعودى ، و قد عرفت ممّا مرّ كثرة الأقوال فى نسب الفرس هل هم من ولد ناسور بن سام أو ارفخشذ بن سام أو أسود بن سام أو من ولد لوط أو من ولد عيلام أو إيران بن آفريدون أو منوجهر بن آفريدون ، والكلّ غير إسحاق ، و إنّما قول ضعيف أنّ الفرس الأولى انقرضت ، والأكاسرة من ولد مسحر بن و ترك إسحاق مع أنّهم كانوا منكرين لذلك فمرّ قول المسعودى ، والفرس لا تنقاد إلى القول بأنّ الملك يكون فيها لأحد غير ولد آفريدون فى عصر من الأعصار فى ما سلف وخلف إلى أن زال عنهم الملك إلّا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصّب بغير حقّ .

و أمّا زهاب بعض شعراء عدنان إليه كإسحاق العدوى ، و جرير التميمى ، و بشار الأعمى . فإنّما كان لأنّ قحطان كانوا يفخرون عليهم بالملك ، و لم يكن فى عدنان ملوك . فأرادوا النقص عليهم . فادّعوا أنّ الأكاسرة من ولد عمّنا إسحاق ، و ملك الأكاسرة كان فوق ملك اليمن كما عرفت من أشعار الثلاثة كما أنّ زهاب بعض شعراء العجم إليه أيضاً كان لإرادة التفاخر بأنّه كما كان لنا الملك كان لنا النبوة لكون إسحاق أبانا ، و قد عرفت أنّ الطبرى ، و ابن قتيبة ، و الدينورى ، و هشام الكلبي ، و أباه محمد بن السائب جعلوا الأكاسرة من غير إسحاق ، و عرفت أنّ ابن المعتز أيضاً أنكر كونهم منه .

ولو كانوا من ولد إسحاق لكان فيهم أشياء من سنن إبراهيم عليه السلام كما كانت فى أولاد إسماعيل مع كونهم عابدى الأصنام بل كانوا بالضدّ من سنن إبراهيم كيف و كانوا يحلّون نكاح الأمّهات و البنات و الأخوات .

و أمّا قولهم أنّ الفرس كانت تهدى إلى الكعبة ، و أنّهم كانوا يحجّون البيت ، و أنّهم أهدوا الغزالين و سيوفاً ، و أنّ زمزم سميت زمزم لزمزمتهم عليها . فمجرد دعوى كقولهم بأنّهم من ولد إسحاق ، ففى الأخبار و السير أنّ المهدي للغزالين و السيوف جرهم ، و قد نقله المسعودى أيضاً ، و وجه تسميته البئر زمزم فى أخبارنا شىء آخر .

و أمّا كون القياصرة من ولد عيص بن إسحاق فالظاهر أنّ الأصل فيه التوراة

التي بيد اليهود ، و تحريفها واضح .

و كيف كان فلا يقال للأكاسرة والقياصرة : بنو إسحاق و إن فرض كونهم من ولد إسحاق حيث إنهم مشتهرون بلقبهم أكاسرة و قياصرة ، و إنما يقال لغيرهم ممن لم يكن لهم عنوان خاص ، و قد يجعل الخاص في قبال العام مع كونه صنفاً منه . فتقول: قريش و بنو هاشم . فالمراد بقريش غير بنى هاشم ، و إن كان بنو هاشم من قريش ، و قد قال ﷺ هنا : و بنى إسحاق و بنى إسرائيل مع أن إسرائيل - و هو يعقوب - ابن إسحاق فلا بد أن يراد بنى إسحاق غير بنى إسرائيل ، و بالجملة ما قاله (حد) في غاية السقوط ، و الكلام على ظاهره و تأويله عليل ، و سيأتى التصريح من الطبرى و المسعودى بقتل الأكاسرة و القياصرة لبنى إسرائيل في شرح قوله ﷺ : لا يأوون .

« فما أشد اعتدال الأحوال » في الأمثال : الناس سواء كأسنان المطشط .

« و أقرب اشتباه » : أى تشابه .

« الأمثال » قالوا في المثل : سواسية كأسنان الحمار .

« تأملوا أمرهم في حال تشتتهم و تفرقهم » من كونهم في غاية الذلّ و الهوان ، و من القواعد الفطرية و الأمور الطبيعية كون التشتت و التفرق موجبا للذلة بل الفناء ، و في الأغاني نزلت عدوان على ماء . فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهم بينهم فنفانوا فقال ذوالإصبع :

عذير الحى من عدوان	☆	كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً	☆	فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث	☆	برفع القول و الخفض
و منهم كانت السادات	☆	و الموفون بالقرض
و منهم حكم يقضى	☆	فلا ينقض ما يقضى

و روى أن سبب تفانيهم أن بنى ناجي منهم أغاروا على بنى عوف منهم . فقال

ذوالإصبع :

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت ✽ فقد غيبت دهرًا ملوكًا هنالك
 وفي الأغاني أيضاً أن كليب بن ربيعة التغلبي كان قد عزّ و سادفي ربيعة فبغى
 بغياً شديداً ، و كان هو الذي ينزلهم منازلهم و يرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون إلا
 بأمره ، و بلغ من عزّه أنه اتخذ جر و كلب فكان إذا نزل منزل كلاء قذف ذلك الجرو
 فيه فيعوى . فلا يرعى أحد ذلك الكلاء إلا بإذنه ، و كان يفعل هذا بحياض الماء .
 فلا يردّها أحد إلا بإذنه . فضرب به المثل في العز فقيل : « عزّ من كليب وائل » و كان
 يحمي الصيد فيقول : صيد ناحية كذا و كذا في جوارى . فلا يصيد منه أحد شيئاً ، و
 كان لا يمرّ بين يديه أحد إذا جلس ، ولا يجتبي أحد في مجلسه غيره . فقتله جسّاس بن
 مرّة البكرى . فبينما امرأة كليب أخت جسّاس تغسل رأس كليب ، و تسرحه ذات يوم
 إن قال : من أعزّ وائل فصمت فأعاد عليها .

فلما أكثر عليها قالت : أخواى جسّاس و همّام . فنزع رأسه من يدها ، و أخذ
 القوس فرمى فصيل ناقة البسوس خالة جسّاس و جارة بنى مرّة . فأغمضوا على ما فيه ،
 و سكتوا على ذلك . ثمّ لقي كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم قال :
 قتلته و أخليت لنا لبن أمّه فأغمضوا على هذه أيضاً . ثمّ إن كليباً أعاد على امرأته
 (من أعزّ وائل) .

فقال : أخواى فأضمرها و أسرها في نفسه و سكت حتى مرّت به إبل جسّاس
 فرآى ناقة بسوس فأنكرها فقال : ما هذه ؟ فقالوا : لخالة جسّاس ، فقال : أو قد بلغ
 من أمر ابن السعدية أن يجير علىّ بغير إذنى إرم ضرعها يا غلام . فرمى ضرع الناقة .
 فاختلط دمها بلبنها ، و راحت الرعاة على جسّاس . فأخبروه بالأمر . فقال : احلبوا لها
 مكيالى لبن بمحلبها ، ولا تذكروا لها شيئاً . فسكت جسّاس حتى ظعن ابنا وائل .
 فمرّت بكر بن وائل على نهر يقال له : شبيث . فنفاهم كليب عنه ، و قال : لا يذوقون
 منه قطرة ، ثمّ مرّوا على بطن الجريب . فمنعهم إيساء . فمضوا حتى نزلوا (الذنائب)
 ثمّ مرّ عليه جسّاس ، و هو واقف على غدير الذنائب . فقال : طردت إبلنا عن المياه
 حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال : ما منعناهم من ماء إلا و نحن له شاغلون . فمضى

جسس ، و معه ابن عمه المزدلف ، وقال بعضهم : بل ناداه جسس . فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي . فقال : أو قد ذكرتها أما أنسى لو وجدتني في غير إبل (مرّة) لا استحلت تلك الإبل بها فعطف عليه جسس قطعنه برمح . فأنفذ حنفيه . فلما تدائمه الموت قال : يا جسس اسقني الماء قال : ماعقلت استسقائك الماء منذ ولدتك أمك إلا ساعتك هذه - إلى أن قال - قال جسس لأخيه نضلة و يقال له عضد الحمار :

و إنسى قد جنيت عليك حربا ☆ تغصّ الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها فتى ☆ نشبت بأخر غير صاح
تنكّل عن ذئاب الغى قوماً ☆ و تدعو آخرين إلى الصلاح
فأجابه نضلة :

فإن تك قد جنيت على حربا ☆ فلا وان ولارث السلاح

فلما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تعجلوا على إخوانكم حتى تعذروا بينكم وبينهم . فانطلق رهط من أشرافهم و نوى أسنانهم حتى أتوا مرّة بن زهل فعظّموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : اختر منّا إمّا أن تدفع إلينا جسساً فمقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله ، و إمّا أن تدفع إلينا همماً و إمّا أن تقيدنا من نفسك فسكت و قد حضرته وجوه بكر بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول . فقال : أمّا جسس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف . فلا علم لي به ، و أمّا همّام فأخو عشرة و أبو عشرة ولو دفعته إليكم لصيح بنوه في وجهي ، و قالوا : دفعت أبانا بجزيرة غيره ، و أمّا أنا . فلا أتعجل الموت ، و هل تزيد الخيل على أن تجول جولة . فأكون أوّل قتيل ، و لكن هل لكم في غير ذلك هؤلاء بنى فدو نكم أحدهم فاقتلوه به ، وإن شئتم فلکم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل . فغضبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتؤدّي إلينا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن . فمفرّقوا و وقعت الحرب قالوا : كانت حربهم أربعين سنة فيهن خمس وقعات مزاحمات .

و في عيون ابن قتيبة عن وهب أن الله تعالى قال لشعيا : قم في قومك أوح على

لسانك فقام فيهم . فانطق لسانه فقال : يا سماء استمعى . يا أرض انصتى . فانصتت الأرض ، و استمعت السماء . فقال : إن الله تعالى يقول لكم : إننى استقبلت بنى إسرائيل بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها . فاويت شأوتها و جمعت ضالّتها ، و جبرت كسيرها ، وداويت مريضها ، و أسمنت مهزولها . فبطرت فتناطحت . فقتل بعضها بعضاً حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير أن الحمّار ممّا يتذكّر آريته الذى شبع عليه فيراجعه ، و أن الثور ممّا يتذكّر مرجه الذى سمن فيه فيمتا به ، و أن البعير ممّا يتذكّر وطنه الذى نتج فيه ، فينزح إليه و أن هؤلاء القوم لا يذكرون أننى جائهم الخير و هم أولوا الأبواب والعقول . ليسوا با بل ولا بقر ولا حمير ، و إننى ضارب لهم مثلاً فاسمعوه قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زماناً من أزمانها خربة مواتاً لاحت فيها ، و كان لها رب قوى حلّيم . فأقبل عليها بالعمارة ، و كره أن تخرب أرضه و هو قوى ، و أن يقال له : ضيّع و هو عليم . فأحاط عليها سياجاً ، و شيّد فيها قصرأ ، و أنبط فيها نهراً ، و صنف فيها غراساً من الزيتون والرمان ، و النخيل والأعنان ، و ألوان الثمار ، و ولى ذلك ذراى و همّة . حفيظاً قوياً أميناً . فلمّا أن جاء أبان أثمارها أثمرت خروباً ما كنتم قائلين له . قالوا : كذا نقول : بسّست الأرض ، و نشير عليه أن يقلع سياجها ، و يهدم قصرها ، و يدفن نهريها ، و يحرق غرسها حتى تعود خربة قال تعالى : قل لهم إن السياج نمتى ، و إن القصر شريعتى ، و إن النهر كتابى و إن القيم نبيتى ، و إن الغرس مثل لهم والخروب أعمالهم الخبيثة ، و أننى قد قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم يتقرّ بون إلى بذبح الغنم والبقر ، وليس ينالنى اللحم ولا أكله ، و يدعون أن يتقرّ بوا إلى بالتقوى ، والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها .

« لىالى كانت الأكسرة » جمع كسرى لقب ملوك الفرس .

« والقيصرة » لقب ملوك الروم . قالوا : و أول من لقب به منهم أغسطس لأن

أمّه ماتت ، و هى حامل به فشق بطنها و معنى قيصر : شق عنه . فكان يفتخر بأن النساء لم يلدنه .

« أرباباً لهم » : أى مالكين لأموهم .

« يحتازونهم » : أى يفصلونهم .

« عن ريف الآفاق » : أى خصبها .

« و بحر العراق » هكذا في النسخ ، والظاهر أن الأصل (و بحرى العراق) والمراد دجلة والفرات . فإنَّهـما لكثرة خيرهما ، و ما يحصل منهما سمياً الرافدين .

قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك لمّا ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق :

أوليت العراق ورافديه ☆ فزارياً أخذتُ بدالقميميص

و كان يقال للعراق: السواد لكثرة شجرها .

« و خضرة الدنيا » الظاهر أن المراد بها الشام كان يقال للشام : بدل الجنة .

قال النعمان بن جبلة التنوخى - و هو من صاحب رايات معاوية - لمعاوية : و سنقاتل عن تين الغوطة و زيتونها إذ حرمنا أثمار الجنة و أنهارها ، و مراده من حرمانهم من ثمار الجنة لقتالهم لأمر المؤمنين ﷺ في مساعدة معاوية .

« إلى منابت الشيخ » من النباتات القليلة الفائدة : أى إلى مواضع لم يحصل

منها نباتات جيدة .

« و مهافي » : أى مذاهب .

« الريح » : أى مواضع يكثُر هبوب الرياح فيها .

« و نكد المعاش » : أى مواضع يعسر العيش فيها .

« فتركوهم عالة » : أى ذوى فاقة .

« مساكين » لا حيلة لهم .

« إخوان دبر » بفتحين قرحة الدابة يقال : دهان على الأملس ما لاقى الدبر

بالفتح فالكسر يضرب في عدم اهتمام الرجل بصاحبه ، والمراد كونهم أرباب إبل

مقروحة السنم .

« و وبر » والمراد كونهم أرباب بيوت من وبر الآبال دون بيوت مبنية .

« أذل الأُم داراً » ومسكناً .

« وأجد بهم » : أى أفرطهم .

« قراراً » و موضعاً .

« لا يآوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها ، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على

عزها » فكانوا أذلاء . قال البحرى :

وفي حرب العشيرة مؤبدات ☆ تضعع تالد العز المهيب

و في الطبرى لما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا

في مملكته ، و أن يدينوا له . فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا أقبلوا

مع مالك بن فهم ، و عمرو بن فهم ، و مالك بن زهير و غيرهم . فلحقوا بالشام إلى من

كان هناك من قضاة ، و كان ناس من العرب يحدثون الأحداث في قومهم أو تضيق بهم

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، و ينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث : ثلث تنوخ

و هو من كان يسكن المظال و بيوت الشعر والوبر في غربى الفرات في ما بين الحيرة

والأنبار و ما فوقها ، و الثلث الثانى العباد وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة و ابتنوا بها ،

و الثلث الثالث الأحناف و هم الذين لحقوا بأهل الحيرة ، و نزلوا فيهم ممن لم يكن

من تنوخ الوبر ، و لا من العباد الذين دانوا لأردشير ، و كانت الحيرة والأنبار بنيتا

جمعاً في زمن بختنصر - إلخ - .

و قال في شرح حال سابور ذى الأكتاف : كان سابور حملا في زمن أبيه . فأوصى

بالملك للحمل . فولد مملكا ، و تقلد الوزارة و الكتاب الأعمال التى كانوا يعملونها في

ملك أبيه ، و لم يزالوا على ذلك حتى فشا خبرهم ، و شاع في أطراف مملكة الفرس أنه

لا ملك لهم ، و أن أهلها إنما يأملون صبياً في المهدي فطمعت في مملكتهم الترك و الروم ،

و كانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس ، و كانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء

من معاشهم ، و بلادهم لسوء حالهم ، و شظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر

من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين و كاظمة حتى أناخوا على إيران شهر و سواحل

أردشير خره ، و أسياف فارس ، و غلبوا أهلها على مواشيهم و حروثهم و معاشهم ، و

أكثر الفساد في تلك البلاد . فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً لا يعزوهم أحد من

الفرس لعقدهم تاج الملك على طفل حتى تحرك سابور و ترعرع .
إلى أن قال : ثم انتخب سابور ألف فارس من صناديد جنده ، و أبطالهم ،
و تقدم إليهم في المضى لأمره و نهيه ، و نهاهم عن الإبقاء على ما تقوا من العرب
والعرجة على إصابة مال ثم سار بهم . فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب و
هم غارون ، و قتل منهم أبرح القتل ، و اسر أعنف الأسر ، و هرب بقيتهم . ثم قطع
البحر في أصحابه ، و استقرى بلاد البحرين يقتل أهلها ، و لا يقبل فداء ، و لا يعرج على
غنيمة . ثم مضى على وجهه . فورد هجر و بها ناس من أعراب تميم ، و بكر بن وائل
و عبد القيس . فأفشى فيهم القتل ، و سفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر
حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن ينجيه منه غار في جبل ، و لا جزيرة في بحر . ثم
عطف إلى بلاد عبد القيس فأباد أهلها إلا من هرب منهم . فلحق بالرمال . ثم أتى
اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة ، و لم يمر بماء من مياه العرب إلا غوره ، و لاجب
من جبابهم إلا طمه . ثم أتى قرب المدينة . فقتل من وجد هنالك من العرب ، و اسر
ثم عطف نحو بلاد بكر و تغلب في ما بين مملكة فارس ، و مناظر الروم بأرض الشام .
فقتل من وجد بها من العرب و سبى و طم مياههم ، و أنه أسكن من البحرين دارين ،
و اسمهما : هيح و الخط ، و من كان من عبد القيس و طوائف من تميم و هجر ، و من كان
من بكر بن وائل كومان ، و هم الذين يدعون بكر أبان ، و من كان بينهم من بنى حنظلة
بالرملية من بلاد الأهواز .

و في الطبرى أيضاً كان ملك الفرس متصلاً دائماً من عهد جيومرث إلى أن زال
عنهم بأمة نبينا ﷺ و كانت النبوة و الملك متصلين بالشام و نواحيها لولد إسرائيل بن
إسحاق إلى أن زال عنهم ذلك بالفرس و الروم بعد يحيى و عيسى .

و في المروج ثم ملك - أى من ملوك الروم - طيطس و اسباسيانوس مشتركين
في الملك ثلاث عشرة سنة ، و لسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا إلى الشام ، و
كانت لهما مع بنى إسرائيل حروب عظيمة ، و قتل فيها من بنى إسرائيل ثلاثمائة ألف ،
و خربا بيت المقدس ، و أحرقا الهيكل بالنار ، و حرثاه بالبقر ، و أزالا رسمه ،

و محوا أثره .

« فالأحوال مضطربة ، والأيدى مختلفة ، والكثرة متفرقة » في عقدا بن عبد ربه - في حروب قيس في الجاهلية و أيامهم - الأول يوم منعج لغني على عبس ، و فيه قتل شاس بن زهير العبسي . الثاني : يوم النقرات لبنى عامر على بنى عبس فيه قتل زهير بن جذيمة العبسي . الثالث : يوم بطن عاقل لذبيان على عامر فيه قتل خالد بن جعفر . الرابع : يوم رحرحان لعامر على تميم أسر فيه معبد بن زرارة ، و مات في أسره هزالاً . الخامس : يوم شعب جبلة لعامر ، و عبس على ذبيان و تميم ، و هو أعظم أيامهم فيه قتل لقيط بن زارة ، و معاوية بن الجون ، و منفذ بن طريف الأسدی ، و مالك بن ربيع ، و أسرحاجب بن زرارة ، و سنان بن أبي حارثة ، و عمرو بن أبي عمرو - و عدت أيامهم ستاً و ثمانين آخرها يوم ذى قار و قد بعث النبي صلى الله عليه وآله .

و في الطبری كان بختنصر في زمان لهراسب ، و كان اصهبهد ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة . فشخص حتى أتى دمشق . فصالح أهلها ، و وجهه قائداً له فأتى بيت المقدس . فصالح ملك بنى إسرائيل ، و هو رجل من ولد داود ، و أخذ منه رهائن ، و انصرف ، فلمّا بلغ طبرية ، وثبت بنو إسرائيل على ملكهم . فقتلوه و قالوا : راهنت أهل بابل و خذلتنا و استعدوا للقتال . فكتب قائد بختنصر إليه بما كان . فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، و أن يضرب أعناق الرهائن الذين معه . فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس . فأخذ المدينة عنوة . فقتل المقاتلة ، و سبى الذرية .

و في المروج - في الثامن ممن ملك من بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام - ملك عليهم أجام فأظهر عبادة الأصنام فطغى . فصار إليه بعض ملوك بابل من عظامتهم فاسره و خرب مدينة الأسباط ، و مساكنهم ، و كان في أيامه تنازع بين اليهود في الديانة فنبذها الأسامرة ، و أنكروا نبوة داود عليه السلام و من تلاه من الأنبياء و أبوا أن يكون بعد موسى نبياً .

و فيه تاسعهم حزقييل - و سار سيجار ملك بابل إلى بيت المقدس و قتل خلقاً كثيراً من بني إسرائيل ، و سبى من الأسباط عدداً كثيراً - و قال في عاشرهم ميشا - قتل شعيا النبي ﷺ فبعث الله قسطنطين ملك الروم . فسار إليه و أسره - و قال في حادي عشرهم آمون - اشتد بغيه . فسار إليه فرعون الأعرج من مصر . فأمن في القتل و أسره - و قال في ثاني عشرهم نوفين - هو أبو دانيال ﷺ ، و في عصره سار بختنصر و هو مرزبان العراق و العرب من قبائل فارس فأمن في القتل و الأسر ، و حملهم إلى أرض العراق ، و أخذ التوراة و طرحه في بئر ، و عمد إلى تابوت السكينة . فأودعه بعض المواضع من الأرض . فيقال : كان عدة من سبى من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفاً .

و في تاريخ اليعقوبي - في تعداد ملوك بني إسرائيل - ثم ملك يوبقيم ، و هو أبو دانيال النبي ﷺ ، و في عصره سار بختنصر ملك بابل إلى بيت المقدس فقتل بني إسرائيل و سباهم ، و حملهم إلى أرض بابل ثم صار إلى أرض مصر . فقتل فرعون الأعرج ملكها ، و أخذ التوراة ، و ما كان في الهيكل من كتب الأنبياء فصيرها في بئر و طرح عليها النار - إلى أن قال - فقال إرميا النبي : إلهنا لم سلطت بختنصر على بني إسرائيل فقال تعالى : إنما انتقم من عبادي إذا عصوني بشار خلقي - قال : ولم يزالوا في أسره حتى تزوج امرئة منهم . فسألته أن يردهم إلى بلدهم . فلمّا رجعوا ملكوا عليهم زربابل . فبنى بيت المقدس ، و الهيكل في ستة و أربعين سنة - قال : و في زمانه مسخ الله بختنصر بهيمة أنثى . فلم يزل ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين ، ثم يقال : إنه تاب إلى الله تعالى . فأحياه بشراً . ثم مات و وجد زربابل التوراة ، و كتب الأنبياء بعد إخراجها لم تحترق .

« في بلاء » من هنا خص ﷺ الكلام ببني إسماعيل و لعل في الكلام سقطاً .
« أزل » : أي ضيق .

« و اطباق » قال (ثم) في خط الرضى كسر الهمزة .

« جهل » : أي جهل مطبق كحمى مطبقة لا تفارق ليلاً و نهاراً .

« من بنات مؤودة » : أى مدفونة حية قال الجوهري : كانت كندة تئد البنات .
قال الفرزدق :

ومنا الذى منع الوائدات ☆ فأحى الوئيد فلم يوأد

وقال (حد) : كان قوم من العرب يأدون البنات قيل : إنهم بنو تميم خاصة و
أنه استفاض منهم في جيرانهم ، وقيل : بل كان ذلك في بنى تميم وقيس وأسد وهديل
وبكر بن وائل قالوا وذلك أن النبي ﷺ دعا عليهم . فقال : « اللهم اشد وطأتك
على مضر ، واجعل عليهم سنى كسنى يوسف » فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر
بالدم ، و كانوا يسمونه العلهز ، و وأدوا البنات لإملاقهم و فقرهم ، و قد دل تعالى على
ذلك بقوله « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » ^(١) و قال « ولا يقتلن أولادهن » ^(٢)
وقيل : بل وأدوا البنات أنفة ، وزعموا أن تميماً منعت النعمان الاثاوة سنة من السنين
فوجه إليهم أخاه و جل من معه بكر بن وائل . فاستاق النعم ، و سبى الذرارى - إلى
أن قال - : فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه فرق عليهم و أعاد السبى ، و قال :
كل امرئة اختارت أباه ردت إليه و إن اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن
أباهن إلا ابنة قيس بن عاصم فاخترت من سبأها . فنذر قيس الأيولده بنت لإوأدها ، والوأة
أن يخنقها في التراب ، و يثقل وجهها به حتى تموت . ثم اقتدى به كثير من بنى تميم . قال
سبحانه « و إذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت » ^(٣) إلى أن قال : و في الحديث أن
صعصة بن ناجية لما و فد على النبي ﷺ قال له : إننى كنت أعمل في الجاهلية عملاً
صالحاً فهل ينفعنى ذلك اليوم . قال النبي ﷺ : وما عملت ؟ قال : أظلت ناقتين عشراوين
فركبت بهما و مضيت في بغاءهما . فرفع لى بيت جريد فقصدته . فإذا شيخ جالس
بفنائيه . فسألته عن الناقتين . فقال : ما نارهما قلت : ميسم بنى دارم قال هما عندى ،

(١) الانعام ١٢١

(٢) الممتحنة ١٢

(٣) التكوير ٩

وقد أحببني الله بهما قوماً من أهلك من مضر . فجلست معه ليخرجهما إليّ فإذا عجوز خرجت من كسر البيت . فقال لها : ما وضعت فإن كان سقياً شاركنا في أموالنا ، وإن كان حائلاً وأدناها . فقالت: وضعت أنثى . فقلت له أتبيعها . فقال: وهل تبيع العرب أولادها . قلت: إنهما اشترى حياتها ، ولا اشترى رقبتها قال: فبكم قلت: احتكم . قال: بالناقين والجمل . قلت: لك ذلك على أن يبلغني الجمل قال: قد بعته فاستنقذتها منه بالجمل والناقين ، وآمنت بك وقد صارت لي سنة في العرب أن اشترى كل مؤودة بناقين عشرين ، وجم . فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائة مؤودة قد انقذتهن . فقال النبي ﷺ : لا ينفك ذلك لأنك لم تتبع به وجه الله ، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تثب عليه . قلت: الأصل في ما قاله المطبرد في كامله إلا أنه تخليط منه بين وأد البنات للأنفة ، وقتل الأولاد ولو كانوا بنين للفقر والفاقة ، وفي الأول قوله تعالى « وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت »^(١) وفي الثاني قوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم »^(٢) وأما قوله تعالى « ولا يقتلن أولادهن »^(٣) فليس في واحد منهما بل في زانبات يقتلن أولادهن .

قال (حد) روى الزبير بن بكار في الموفقيات أن في الجاهلية قال أبو بكر لقيس بن عاصم المنقرى ما حملك على أن وأدت قال: مخافة أن يخلف عليهن مثلك . قلت: روى أغاني أبي الفرج أن أبادلما كنسى باسم جبل بمكة ويقال له: أبادلما كانت قريش تأدفيه البنات في الجاهلية وهو بأعلى مكة .

« وأصنام معبودة » قال ابن الكلبي في أصنامه : كانت مناة أقدم أصنامهم ، وكانت العرب تسمى: عبد مناة ، وزيد مناة ، وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقدر يد بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعاً تعظمه و تذبح حوله ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج . فكانوا يحججون ولا يحلقون حتى يأتوه . فيحلقوا عنده يرون ذلك تماماً لحججهم . فلم يزل على ذلك حتى خرج النبي ﷺ

(١) التكه ير ٩

(٢) الانعام ١٢١

(٣) الممتحنة ١٢

عام الفتح . فلما سارا أربع ليال أو خمس بعث علياً عليه السلام إليها ، فهدهما ، وأخذ ما كان لها فأقبل به إلى النبي صلى الله عليه وآله فكان في ما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غمان اهداهما له يسمي إحديهما مخدما ، والآخر رسوباً و ذكرهما علقمة :

مظاهر سر بالي حديد عليهما * عقيلاً سيوف مخدوم و رسوب

فوهبهما النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ويقال : إن ذا الفقار سيف علي عليه السلام أحدهما ويقال : إن علياً عليه السلام وجد هذين السيفين في الفلج ، وهو صنم طى حيث بعثه النبي صلى الله عليه وآله فهدهما - إلى أن قال : و مرض أبو أحيحة ، وهو سعيد بن العاص بن أمية مرضه الذي مات فيه . فدخل عليه أبو لهب يعود . فوجده يبكي فقال : أمن ملوت تبكي ولا بد منه ؟ قال : لا ولكنني أخاف ألا يعبد العزى بعدى . قال أبو لهب : والله ما عبدت حياتك من أجلك ، ولا تترك عبادتها بعدك ملوتك . فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لى خليفة و أعجبه شدته في عبادتها - إلى أن قال - وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة و حولها ، و كان أعظم عندهم (هبل) و كان في ما بلغني من عقيق أحر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك . فجعلوا له يداً من ذهب وله يقول أبو سفيان حين ظفر يوم أحد (اعل هبل) فقال النبي صلى الله عليه وآله : الله أعلى و أجل .

و روى الكافي عن الصادق عليه السلام أن قريشاً كانت تلطخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر ، وكان (يغوث) قبالة الباب ، وكان (يعوق) عن يمين الكعبة ، و كان (نسر) عن يسارها ، و كانوا إذا دخلوا خرّوا سجداً ليغوث ولا ينحنون ثم يستدبرون بحيالهم إلى (يعوق) ثم يستدبرون بحيالهم إلى (نسر) ثم يلبسون فيقولون : لبنيك لا شريك لك لبنيك إلا شريك هولاك تملكه و ما ملك . فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلا أكله ، و أنزل تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب

والمطلوب « (١) .

« و أرحام مقطوعة » فبكر و تغلب كانوا بنى عم وجدّهما وائل ، والأوس والخزرج كانوا بنى عم وجدّهما حارثة ، و قد ذكر التاريخ حروب كلّ منهما ، والأيام التي كانت بينهما .

« و غارات مشنونة » : أى متفرقة من كلّ جانب . قالت ليلى الأخيلية :

شنتما عليهم كلّ جرداء شطبة ☆ لجوج تبارى كلّ أجرد شرحب

و كان أحدهم يغير على آخر . فيرجع فيرى أن آخر أغار عليه .

و قال (خو) ألف ابراهيم بن مسعود الثقفى كتاباً سمّاه الغارات جمع فيه غارات

العرب . قلت : كتاب ابراهيم الثقفى إنّما هو في غارات معاوية بعد صفين على البلاد التي كانت في يد أمير المؤمنين عليه السلام و أمّا غارات العرب قبل الاسلام كما هو مورد كلامه عليه السلام فقد جمعها مع حروبهم ابن عبد ربه في عقده ، والجزرى في كامله بعنوان أيام العرب .

« فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم حين بعث إليهم رسولاً » قال - عز وجل -

« هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة و إن كانوا من قبل لى ضلال مبين » (٢) قال الشاعر :

أذكر إن لحافك جلد شاة ☆ و إن نعلاك من جلد البعير

و في العقد كانت آخر وقائع العرب وقعة ذى قار كانت و قد بعث النبي صلى الله عليه وآله

فأخبر أصحابه بها ، وقال : اليوم انتصفت فيه العرب من العجم و بنى نصرورا .

« فعقد بملكته طاعتهم » فكان المؤمنون يطيعونه أكثر من طاعة السوقة للملوك ،

و في الطبرى كان النبي صلى الله عليه وآله إذا غضب احمارت و جنتاه فأتاه المقداد في تلك الحال لما أراد غزوة بدر . وقال : ابشريا رسول الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

(١) الحج ٧٣

(٢) الجمعة ٢

اذهب أنت وربك فقَاتلاً إِنَّا ههنا قاعدون ، و لكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك و من خلفك و عن يمينك و عن شمالك أو يفتح الله لك اوسرت بنا إلى (برك الغماد) - يعنى مدينة الحبشة - لجالدنا معك . فقال له النبى ﷺ : خيراً و دعاه . ثم قال : اشيروا علىّ و إِنّمَا يريد الأ نصار - إلى أن قال - فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله قال : أجل قال : فقد آمنّا بك و صدّقناك و شهدنا أن ما جئت به هو الحقّ و اعطيناك عهدونا ، و مواثيقنا على السمع والطاعة .

« وجمع على دعوته ألقمتهم » قال تعالى « وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم و لكنّ الله ألفت بينهم إنّه عزيز حكيم » (١) « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٢) .

« كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها » وجعلتهم تحت حضانتها .

« و أسالت لهم جداول » : أى أنهار .

« نعيمها » : فمتعتهم بشمارها ، و في تاريخ بغداد عن عتبة بن غزوان لقد رأيتنى

مع النبى ﷺ سبع سبعة قد قرحت أشداقنا من أكل ورق الشجر حتّى وجدت بردة فاقسمتها بينى و بين سعد ، و ما منّا اليوم إلا أمير على مصر .

« و التفتت الملّة بهم في عوائد بركتها » قال (حد) : أى جمعتهم الملة كائنة في

عوائد بركتها . قلت : بل المعنى لصقتهم الملة : أى ملة الإسلام ، و أحاطت بهم من حيث عوائد بركتها .

« فأصبحوا في نعمتها » : أى نعمة ملة الإسلام .

« غريقين » إلى رؤوسهم .

() الانفال ٢٣

(٢) آل عمران ١٠٣

« وفي خضرة عيشها فكهين » : أى مسرورين و أشرين و بطرين .

« قد تربعت الأمور » : أى صلحت واستقامت . قال شاعر :

ما في معدّ فتمى يغنى رباعته ☆ إذا بهم بأمر صالح فعلا
« بهم » : أى بسببهم .

« في ظل سلطان قاهر » بركة نبوته ﷺ ، و في الطبرى حجّ عمر فلمّا كان
بضجنان قال : لا إله إلا الله العظيم العلى ألمعطى ماشاء من شاء كنت أرى إبل الخطاب
بهذا الوادى في مدرعة صوف ، و كان فظاً يتعبنى إذا عملت و يضربنى إذا قصرت ، و
عمر أوّل من حمل الدرّة و ضرب بها ، و هو أوّل من دوّن للناس الدواوين ، و كتب
الناس على قبائلهم ، و فرض لهم العطاء ، و كان عنده خيل موسومة في أفخاذها حبيس .
« وآوتهم » بالمدّ : أى أنزلتهم ، و لا يجوز القصر ، و قال (حد) آوتهم بالمدّ ،
و يجوز بغير مدّ أفعلت و فعلت في هذا المعنى واحد . عن أبى زيد . قلت : الأصل في كلامه
الصحيح في نقل ما قال عن أبى زيد لكنّه غير صحيح فحرف على أبى زيد . قال ابن دريد
في جمهرته : قال أبو زيد : تقول العرب : بت بهذا المنزل وبتّه ، و ظفرت بالرجل و ظفرتّه ،
و أويت إلى الرجل و أويته أويّاً : إذا نزلت به ، و هو كما ترى إنّما يدلّ على أنّ
أوى بدون المدّ بمعنى النزول به يتعدّى بالنفس فيقال : أويته ، و بالى فيقال :
أويت إليه ، و أين هو ممّا ادّعى من كون (أوى) بلامدّ كأوى مع المدّ في كونه
بمعنى الإيصال .

« الحال إلى كنف » : أى ناحية .

« عزّ غالب » فصارت العرب ذاك اليوم أعزّ من الفرس و الروم .

« و تعطف الأمور عليهم » قال ابن دريد : تعطف فلان على فلان : إذا آوى إليه

أو وصله .

« في ذرى » بالفتح : أى كنف .

« ملك ثابت » لأنّ ملكهم كان ذاك اليوم أوّل ملك في الدنيا .

« فهم حكام على العالمين ، وملوك في أطراف الأرضين » فتح المسلمون إفريقية في سنة ٢٧ وأخذوا منهم ثلاثمائة قنطار ذهب ، و وهبها عثمان لآل عمه الحكم بن أبي العاص وفتحوا قبرس في تلك السنة أو سنة أخرى وفتحوا فارس الأول و اصطخر الثاني في سنة ٢٨ و فتحوا طبرستان في سنة ٢٩ .

« يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم » من الفرس و الغساسنة و المناذرة و اليمن . قالت بنت النعمان بن المنذر :

فيمينا نسوى الناس و الأمرأمرنا ☆ إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

« و يمضون الأحكام في من كان يمضيها فيهم » في الطبرى قال جبير بن نفيير : لما سبينا أهل قبرس نظرت إلى أبى الدرداء يبكي . فقلت : ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام و أهله ، و أذل فيه الكفر و أهله فضر بيده على منكبي ، وقال : ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بيناهى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذ تركوا أمر الله فسلب الله السباء ، و إذا سلط الله السباء على قوم فليس لله فيهم حاجة ، و فيه أن في عهد أهل قبرس ألا يتزوجوا في عدو المسلمين من الروم إلا باذنهم ، و روى أن أهل طبرستان سألوا المسلمين الأمان . فأعطاهم سعيد بن العاص الأمان على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً وفتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً وحوى ما كان في الحصن . « لا نغمز لهم قناة » عدم غمز قناة لهم كناية عن عدم استطاعة غيرهم لا يقاع ضرر عليهم ، و قد يجيء للحقيقة . قال الشاعر :

و كنت إذا غمزت قناة قوم ☆ كسرت كعوبها أو تستقيما

« ولا تفرع لهم صفاة » بالفتح: الصخرة الملساء يقال في المثل : ماتندى صفاته و قوله عليه السلام « لا تفرع لهم صفاة » أيضاً كناية عن العز ، و قد يجيء أيضاً للحقيقة كقول الشاعر في وصف ذئب :

يستمخر الريح إنالم يسمع ☆ بمثل مقراع الصفا الموقع

و مثل المثلين في الكناية عن الافتقار و المنعة قولهم: لا يقعقع له بالشنان ، و قولهم: لا يقرع له العصى ، ولا تقل له الحصى .

« ألا وإنكم قد نفضتم : أي حررتكم بالرفع والخفض .

« أيدبكم من حبل الطاعة » التي أمر الله تعالى بها في قوله « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (١) وقد روى الثعلبي في تفسير الآية بأسانيد عن النبي ﷺ . قال : أيها الناس قد تركت فيكم الثقيلين خليقين إن أخذتم بهما لن تزلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي . ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

« وثلتمتم » بفتح اللام : أي جعلتم فيه ثلثة ، والثلثة الخلل في الحائط وغيره .

« حصن الله المضروب عليكم » دون باقي الفرق .

« بأحكام » متعلق بقوله : ثلتمتم ، والباء فيه للاستعانة .

« الجاهلية » التي أزالها الاسلام ، روى كاتب الواقدي في طبقاته عن أبي غادية قال : خطبنا النبي ﷺ يوم العقبة قال : أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا لأهل بلغت قلنا : نعم . قال : اللهم أشهد ألا لا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وروى الخبر عنه ابن قتيبة في معارفه هكذا قال أبو غادية : سمعت النبي ﷺ يقول :

« ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإن الحق يومئذ مع عمار . ثم قال ابن قتيبة : قال أبو غادية : وسمعت عماراً يذكر عثمان في المسجد قال : يدعى فينا جبانا ، ويقول : إن نعثلاً هذا يفعل ويفعل . يعيبه فلم وجدت ثلاثه أعوان يومئذ لو طمته حتى أقتله فبينما أنا بصفيين إذ أنا به في أول الكتيبة فطعنهم جل في كنفه فأنكشف المغفر عن رأسه فضربت رأسه فإذا رأس عمار قد ندر . ثم قال ابن قتيبة : قال كلثوم جبير - أي الراوى عن أبي غادية مامر - ما رأيت شيخاً أضل منه يروى أنه سمع النبي ﷺ يقول : ما قال ثم ضرب عنق عمار قلت : ليس العجب من الضلال منحصرأ بذلك الشيخ أبي غادية بل عامة مشائخ إخواننا مثله فراوا أن النبي ﷺ قال في حروبهم باسم عثمان أن الحق

يكون مع عمار ، و عمار كان من قتلة عثمان عملا و قولوا سبياً ، و مع ذلك يقولون :
 إن عثمان إمام حق إلا أنهم رأوا أنهم لو أنكروه كان عليهم انكار شيخهم كما رأى أبو-
 غادية لاتحاد المبنى فرجحوا أمر الأموية على أمر النبي ﷺ و قوله : فاضطروا
 عملا إلى مخالفة القاعدة العقلية من دلالة بطلان اللازم على بطلان الملزوم . ثم من
 مصاديق قوله ﷺ : من ثلمهم حصن الإسلام بأحكام الجاهلية استلحاق معاوية زياداً
 به بزنا أبيه بأمه مع أن الإسلام قال : الولد للفراش ، و للعاشر الحجر كما اعترف به
 ابن الأثير في كامله .

« و الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة في ما عقد بينهم من حبل هذه
 الألفة التي ينتقلون في ظلها » قال تعالى ممتنّاً عليهم « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم
 أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » (١)
 « وياوون إلى كنفها » : أى جانبها .
 « بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة » لأنهم بتلك الألفة ملكوا الأمم
 وسخروا العرب و العجم .

« لأنّها أرجح من كل ثمن » قيل : إنه إشارة إلى قوله تعالى « لو انفقت ما
 في الأرض ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألفت بينهم » (٢)
 « وأجل من كل خطر » : أى شيء زى قيمة .

« واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً » لأن في محل الإعراب لاتقام شرائع
 الإسلام كما تقام في محل الهجرة فاذا لاتقام في محل الهجرة يصيرون كالأعراب ،
 وقال (حد) صارت هذه الكلمة جارية مجرى المثل أنشد الحجاج على منبر الكوفة .

قدلفها الليل بعصبي ☆ أروع خراج من الدوى

مهاجر ليس بأعرابي

(١) آل عمران ١٠٣

(٢) الانفل ٦٣

وقال عثمان لأبي ذر: أخشى أن تصير بعد الهجرة أعرابياً .

قلت : قد عرفت الأصل في الهجرة والأعرابية ، ولم يكن للكلام ربط بالمثل وأما حديثه الشريف . فمن موضوعات سيف الذي ما استحيى ، وقال في ضد متواتر التاريخ أن عثمان ما نفى أبانز إلى الربذة بل أبوزر نفسه أراد الإعراض عن المدينة والإقامة في الربذة . فقال له عثمان ذلك ، والاستناد إلى غير معلوم الصدق شين . فكيف إلى معلوم الكذب .

«وبعدالموالاة أجزاباً»: أى صرتم بعد كونكم من أولياء الإسلام من أعداء الإسلام الذين حزّبوا أجزاباً لاستيصال بيضته فجاءهم من فوقهم ، و من أسفل منهم ، والأصل في الأحزاب أن جمعاً من اليهود خرجوا إلى قريش . فدعواهم إلى حرب النبي ﷺ ثم خرجوا إلى غطفان فدعواهم إلى حربهم فأجابناهم . فاقبل أولئك الأحزاب إليه في غزوة الخندق .

« ما تتعلّقون من الإسلام إلا باسمه » دون مسمّاه فإن المسلم من سلم المسلمون

من يده ولسانه .

« ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه » باقامة الصلوات الخمس في أوقاتها دون

حقيقته « إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة و ممّا رزقناهم ينفقون » (١)

« قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٢)

« تقولون النار والاعار » والأصل في الكلام تقولون: نختر النار ولا نختر العار

كما أن الأصل في قول الكلمة أوس بن حارثة ، وقال : (حد) هي كلمة جارية مجرى المثل تقولها أرباب الحميّة والاباء . فإذا قيلت في حق كانت صواباً ، وإذا قيلت في

(١) الانفال ٣

(٢) المؤمنون ١-١١

باطل كانت خطأ . و تبعه (خو) .

قلت : هو كلام مضحك فاختيار النار : أى نار جهنم كيف يمكن أن يكون حقاً ولا يقول الكلمة إلا أهل الباطل ، وأما أهل الحق : فإنما يقولون ما قاله ﷺ في موضع آخر « المنية ولا الدنية » وما قاله الحسين ﷺ يوم الطف :

الموت أولى من ركوب العار ❖ و العار أولى من دخول النار

و الله من هذا و هذا جارى

« كأنكم تريدون أن تكفأوا » من كفأت الإناء كبيتته و قلبته الإسلام على

و جهه .

« انتهاكاً ، إفتعال من (نهك) ، و ليس بانفعال . فإنه لو كان لكان من (تهك)

و ليس لنا تهك .

« لحریمه » قال الجوهري : انتهاك الحرمة تناولها بما لايجل .

« و نقضاً لميثاقه » قال تعالى في بنى إسرائيل « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا

قلوبهم قاسية » (١) .

« الذى » وصف للإسلام وجعله (ثم) وصفاً لميثاق ، و مع كونه خلاف الظاهر

لعدم الإتيان بوصف (لحریم) يمنع منه قوله بعد « و أنكم إن لجأتم إلى غيره » .

« وضعه الله لكم حراماً في أرضه » فكما أن الحرم صيده و شجره حرام المسلم ماله

و دمه حرام . قال النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله

فإنما قالوها عصموا دماءهم ، و قال (خو) في شرح الفقرة : لمنعه الآخذين به من الرفث

و الفسوق و الجدال . قلت : أى ربط لما قال هنا فإن ما قاله محرّمات الإحرام ، و لو

كان في غير الحرم و الرفث مطلق المقاربة ، و لو بالحلال كما أن الجدال مطلق اليمين

و لو صدقاً لا الحرم ، و قد قال ﷺ : وضعه لكم حراماً ، و لم يقل (احراماً) .

« و أمناً بين خلقه » فكما أن الحرم من دخله كان آمناً ، و لو كان قاتلاً في غيره

كذلك الإسلام من دخله كان آمناً ، ولو كان قبل إسلامه قاتلاً و قال -- عز وجل --
 « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا إلى - كذلك كنتم
 من قبل فمن الله عليكم » (١) .

« وإني أنتم إن لجأتم إلي غيره » : أي غير الإسلام .

« حاربكم أهل الكفر » كما حاربوكم حين كنتم متمسكين به .

« ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مہاجرون ولا أنصار ينصرونكم » كما كانوا
 ينصرونكم زمن النبي ﷺ حيث كنتم معتصمين به قال تعالى « ولقد نصركم الله في
 مواطن كثيرة و يوم حنين » (٢) « إن تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إنني ممدكم بألف
 من الملائكة مردفين » (٣) « إن يوحى ربك إلى الملائكة إنني معكم فثبتوا الذين
 آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق و اضربوا
 منهم كل بنان » (٤) و في تفسير القمي وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقه بن مالك
 فقال لهم : أنا جاركم ادفعوا إلي رايتكم فرفعوها إليه ، و جاء بشياطينه يهول بهم
 على أصحاب النبي ﷺ و يخيل إليهم ، و يفزعهم ، و أقبلت قريش يقدمهم إبليس
 معه الراية . فنظر إليه النبي ﷺ فقال : غضوا أبصاركم و عضوا على النواجذ ،
 ولا تسلوا سيفاً حتى آذن لكم . ثم رفع يده إلى السماء ، و قال : يارب إن تهلك
 هذه العصاة لا تعبد . ثم أصابه الغشى فسرى عنه ، و يسلت العرق عن وجهه ،
 و يقول : هذا جبرئيل قد آتاكم في ألف من الملائكة مردفين . قال : فنظرنا
 فإذا سحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر النبي ﷺ و قائل يقول :

(١) النساء ٩

(٢) التوبة ٢٥

(٣) الانفال ٩

(٤) الانفال ١٢

أقدم حيزوم أقدم حيزوم، وسمعنا قعقة السلاح من الجو فنظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع، ورمى باللواء. فأخذ منبة بن الحجاج بمجامع ثوبه. ثم قال: ويلك: ياسراقه نفت في أعضاء الناس فركله إبليس ركلة في صدره، وقال: إننى أرى ما لا ترون، وهو قوله تعالى « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإننى جار لكم فلما قرأت الفئتان نكص على عقبيه وقال إننى برىء منكم إننى أرى ما لا ترون ». إلى أن قال - وأسرأ أبو اليسر الأتصاري العباس وعقبلاً وجاء بهما إلى النبي ﷺ فقال له: أعانك عليهما أحد قال نعم رجل عليه ثياب بيض. فقال النبي ﷺ: ذاك من الملائكة، وفيه أيضاً نزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله إن جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها » في قصة الأحزاب من قريش والعرب الذين تحزبوا على النبي ﷺ. إلى أن قال بعد ذكر هزيمة الأحزاب، وبعث النبي ﷺ حذيفة لتجسس أخبارهم قال حذيفة: فمضيت وأنا انتفض من البرد. فوالله ما كان إلا بقدر ما جزت الخندق حتى كأننى في حمام فقصدت خباء عظيمافاً إذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلى خصيه على النار، وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول يامعشر قريش إن كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد. فلا طاقة لنا بأهل السماء وإن كنا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم - إلى أن قال - فلما دخل النبي ﷺ المدينة واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار ناداه جبرئيل عذيرك من محارب والله ما وضعت الملائكة لأمتها فكيف تضع لأمتك إن الله يأمرك ألا تصلى العصر إلا بينى قريظة. فأننى متقدمك ومززل بهم حصنهم إننا كنا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتى بلغوا حمراء الأسد وروى أبو الفرج في مقاتله بأسانيد عن جمع قالوا: خطب الحسن ع بعد وفاة أمير المؤمنين ع فقال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه إلا و لون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع النبي ﷺ فيقيه بنفسه، ولقد يوجهه برأيته. فيكنتفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره. فلا يرجع حتى يفتح الله عليه.

قال (حد) قوله ﷺ « ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين » الرواية

المشهوره بالنصب ، وهو جائز على التشبيه بالنكرة كقولهم : معضلة ولا أبا حسن ، وقال الراجز : لاهيثم الليلة للمطى ، وقد روى بالرفع في الجميع .

قلت : بل قوله **لِللَّيْلِ** « ولا مهاجرون ولا أنصار » بلا لام دون أن يقول : ولا المهاجرون ولا الأنصار دليل على إرادة العموم بجبرئيل وميكائيل كقولهم : ولا أبا حسن دون أن يقولوا : ولا أبا الحسن ، ولا فرق بين رواية الرفع والنصب ، وفي المعنى مع تكرار الـ مع أن الرواية المشهوره الرفع كما في (ثم) الذي نسخته بخط المصنف ، وكذا (حد) نفسه في عنوانه على ما في نسخته .

« إلا المقارعة بالسيف » قال (حد) : المقارعة منصوبة على الصدر ، وقال الراوندى هي استثناء منقطع وقال (خو) : مراد (حد) أنه خبر ، وأنه نظير (ما زيد ، إلا سيرا) وأصله (ما زيد إلا يسير سيراً) وهذا الأصل (لأنصار ينصرونكم إلا تقارعوا المقارعة بالسيف) وما قاله يقتضيه النظر الدقيق .

قلت : بل الواضح الذي لا غبار عليه وهو قول الراوندى فإن (ينصرونكم) هو الخبر فعنده يتم معنى الكلام يوضحه إننا نسقط الاستثناء ونقول : ثم لاجبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصرونكم ، ويكون كلاماً تاماً ، وإنما توهم ما كون (ينصرونكم) وصفاً فوقاً في ما وقعاً ثم لو كان نظير (ما زيد إلا سيراً) ما هذه اللام في (المقارعة) ولم لم يقل (إلا مقارعة) وقال (خو) : يروى برفع (المقارعة) ونصبها . قلت : بل اتفقوا على نصبها إما على المصدرية كما قال (حد) أو الاستثناء الا نقطاعى كما قال الراوندى . فإنه في غير لغة تميم واجب النصب ولو في النفى .

« حتى يحكم الله بينكم » بالغلبة لأحد الفريقين .

« وإن عندكم الأمثال من بأس الله » : أى عذابه « و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١)

« وقوارعه » : أى شدائده على الناس بسبب أعمالهم . قال تعالى « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد » (١) .

« وأيامه » قال تعالى « وذكّرهم بأيام الله » (١) وفي تفسير القمى للآية أيام الله ثلاثة : يوم القائم ، و يوم الموت ، و يوم القيامة .

« ووقائعه » : أى ايقاعاته بالمجرمين . قال تعالى - بعد ذكر قوم عاد وقوم ثمود وقارون وفرعون وهامون - « فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٢)

« فلا تستبظأوا وعيده » : أى لا تعدوا وإخباره بانتقامه من المجرمين بطيئاً .

« جهلاً بأخذه » : أى لجهلكم بموقع أخذه . قال تعالى « ولقد استهزى برسلكم من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب » (٣)

« و نهاناً ببطشه » : أى سطوته . قال تعالى « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم باللباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إزجائهم بأسنا تضرعوا و لكن قست قلوبهم و زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (٤)

« و يأساً من بأسه » و عقابه للمخالف . قال تعالى « حتى إذا استياس الرسل وظننوا أنهم قد كذبوا جائهم نصرنا فننجى من نشاء و لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » (٥)

(١) ابراهيم ٥

(٢) النكبات ٣٠

(٣) الرعد ٣٢

(٤) الانعام ٤٣

(٥) يوسف ١١٠

« فإن الله لم يلعن القرون الماضية بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » يعني ﷺ والحكم في الباقية كالماضية . قال (خو) : قال الطبرسي في تفسير آية « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (١) لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ، و على لسان عيسى فصاروا خنازير .

قلت: روى الكافي، وتفسير القمي وتفسير العياشي أنهم صاروا خنازير على لسان داود والقردة على لسان عيسى ﷺ، وروى القمي عن مسعدة بن صدقة قال: سألت رجلاً أبا عبد الله ﷺ عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان ويعملون لهم ويجنون لهم ويوالونهم . قال : ليس هم من الشيعة ، ولكنهم من أولئك . ثم قرأ ﷺ « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل - إلى - لبئس ما كانوا يفعلون » (٢) .

« فلعن الله » هكذا في المصرية ، و الصواب : فلعن بدون لفظة الجلالة لتقدم ذكرها ولخلو (حد ، و ثم ، و الخطية) عنها .

« السفهاء لركب المعاصي » في تفسير القمي كانوا يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، ويأتون النساء في أيام حيضهن .

« و الحكماء لترك التناهي » : أي ترك نهيتهم للمرتكبين « و ترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولاينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » (٣) .

« إلا وقد قطعتم قيد الإسلام وعطلتم حدوده ، وأتمم أحكامه » إن الإسلام قد قيد الناس عن ارتكاب المنكرات ، وتناول الخبائث ، و حد في ذلك حدوداً ، و حكم أحكاماً فإذا لم يراعوا ذلك . فقد قطعوا قيده وعطلوا حدوده ، وأماتوا أحكامه ، و في شعراء ابن قتيبة كان أبو بصير أعشى قيس أدرك الإسلام ، و رحل إلى النبي ﷺ في صلح

(١) المائدة ٧٩

(٢) المائدة ٧٩

(٣) المائدة ٦٣

الحديمية . فسأله أبو سفيان عن وجه الذي يريد . فقال : أردت محمداً قال : إنَّه يحرم عليكم الخمر و الزنا و القمار . فقال : أما الزنا فقد تركنى و لم أتركه ، و أما الخمر فقد قضيت منها و طراً ، و أما القمار فلعلنى أُصيب منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير منه قال : و ما هو قال : بيننا و بينه هدنة . فترجع عامك هذا ، و تأخذ مائة ناقة حمراء فإن ظفر بعد ذلك أتيته ، و إن ظفر ناكنت أصبت من رحلتك عوضاً . فقال : لأبالي ، فأخذه أبو سفيان إلى منزله و جمع عليه أصحابه ، و قال : يامعاشر قريش هذا أعشى قريش ، و لئن وصل إلى محمداً ليضربن عليكم العرب قاطبة . فجمعوا مائة ناقة حمراء . فانصرف فلماً صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . هذا ، و قال الجوهري في قول الشاعر :

فليس كعهد الدار يا أم مالك ☆ ولكن أحاطت بالرقاب بالسلاسل
أى ليس الأمر كما عهدت ، و لكن جاء الإسلام . فهدم ذلك .

٢٨ ر في ٨٢ ر ١ و عمر فيكم نبيه أزماناً حتى اكمل له ،

و لكم في ما أنزل من كتابه دينه الذي رضى لنفسه ، و انتهى اليكم
على لسانه محابه من الأعمال و مكارهه ، و نواهيهِ و أوامره . فالقى
اليكم المعذرة ، و اتخذ عليكم الحجة ، و قدم اليكم بالوعيد ، و
انذركم بين يدي عذاب شديد .

« و عمر فيكم نبيه أزماناً » قال المسعودى : بعث الله تعالى رسوله بعد بنى الكعبة
بخمسة سنين و هو ابن أربعين سنة كاملة . فأقام بمكة ثلاث عشر سنة ، و أخفى أمره
ثلاث سنين ، و أنزل عليه بمكة من القرآن اثنتين و ثمانين سورة ، و نزل تمام بعضها
بالمدينة ، و كان دخوله المدينة لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول . فأقام بها عشر
سنين كوامل .

« حتى أكمل » - عز وجل - .

« له ولكم في ما أنزل من كتابه دينه » « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » (١) .

« الذي رضى لنفسه » هكذا في النسخ ، والظاهر أن الأصل (رضيه لكم نفسه) فالأصل في كلامه ﷺ قوله تعالى « ورضيت لكم الإسلام ديناً » روى المصنف في مناقبه عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عن جدّه ﷺ قال : لما انصرف النبي ﷺ من حجة الوداع نزل أرضاً يقال لها : ضجنان . فنزلت « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » (٢) فلما نزلت « عصمته من الناس » نادى الصلوة جامعة . فاجتمع الناس إليه . فقال : من أولى منكم بأنفسكم فضجوا بأجمعهم (الله ورسوله) فأخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه ، وانصر من نصره ، و اخذل من خذله . فإنه منى وأنا منه ، وهو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي و كان آخر فريضة فرضها الله تعالى على أمة محمد ﷺ ثم أنزل تعالى على نبيه ﷺ « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (٣) فقبلوا من النبي ﷺ كل ما أمرهم من الفرائض في الصلاة والزكاة والصوم والحج ، و صدقوه على ذلك - الخبر - و في ذيله عدم تصديقهم له في فريضة الولاية التي هي أعظم الفرائض ، و بها إكمال الدين .

و في طرائف ابن طاووس قال أبو عبد الله الصادق ﷺ : إن حقوق الناس تعطى بشهادة شاهدين و ما أعطى أمير المؤمنين ﷺ بشهادة عشرة آلاف نفس - يعني يوم غدیر خم - « إن هذا الضلال عن الحق المبين ، و ما ذا بعد الحق إلا الضلال فانتى تصرفوني كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا إنهم لا يؤمنون » .

(١) المائة ٣

(٢) المائة ٦٧

(٣) المائة ٣

و روى سعد بن عبد الله القمي بأسناده عن زيد الشحام قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام و عنده رجل من المعتزلة فسأله عن شيء من السنن . فقال : ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه السنة من الله تعالى ، و من رسوله ، ولولا ذلك ما احتج الله علينا بما احتج . فقال : و بم احتج . فقال عليه السلام : بقوله « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » ^(١) حتى تتم بالولاية ، ولولم يكمل سنة و فريضة ما احتج بما احتج .

« و أنهى » : أى أبلغ .

« إليكم على لسانه » أى نبينه صلوات الله عليه .

« محابته » جمع (محبوب) : أى ما يحبه .

« من الأعمال و مكارهه » جمع مكروه : أى ما يكرهه منها .

« و نواهيته » و زواجره .

« و أوامره » و واجباته . روى إرشاد المفيد أن النبي صلوات الله عليه خرج في مرض و فاته معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيمنى يديه ، و على الفضل بن العباس بيده الأخرى حتى سعد المنبر . ثم قال : معاشر الناس قد حان منى خفوق من بين أظهركم ليس بين الله و بين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يصرف عنه به شراً إلا العمل . أيها الناس لا يدع مدع ، و لا يتمن متمن ، و الذى بعثنى بالحق نبياً لا ينجى إلا العمل مع رحمة ، ولو عصيت لهويت . اللهم هل بلغت - إلخ - .

و روى طبقات ابن سعد عن أبي غادية قال : خطبنا النبي صلوات الله عليه يوم العقبة قال : أيها الناس إن دمائكم و أموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الأهل بلغت قلنا : نعم . قال : اللهم أشهد ألا تترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

« فألقى » تعالى بعد أن عمر : نبينه حتى أكمل دينه ، و أنهى محابته و مكارهه

على لسانه .

« إليكم المعذرة » فلا يمكنكم الاعتذار مع المخالفة بالجهالة .
 « واتخذ عليكم الحجّة » « قل فله الحجّة البالغة » ^(١) « فيقولوا ربنا لولا
 أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك و نكون من المؤمنين » ^(٢) .
 « و قدّم إليكم بالوعيد » الأصل فيه قوله تعالى « قال لا تختصموا لديّ و قد
 قدّمتم إليكم بالوعيد » ^(٣) .

« و أنذركم بين يدي » : أى قدام .

« عذاب شديد » « تنزيل العزيز الرحيم لتنذرقوماً ما أنذرتهم فهم غافلون » ^(٤) .

٢٩ ر ٦٩ ومن خطبة له عليه السلام - علم فيها الناس الصلاة

على النبي صلى الله عليه وآله - اللَّهُمَّ دَاحِي الْمَدْحُوتِ ، وَ دَائِمِ

الْمَسْمُوكَاتِ ، وَ جَابِلِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا ، شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا . اجْعَلْ

شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ

لِمَا سَبَقَ ، وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، وَ الْمَعْلَنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، وَ الدَّافِعِ

جَبِشَاتِ الْإِبَاطِيلِ ، وَ الدَّمَغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ . كَمَا حَمَلَ فَاضْطَلَعَ قَائِمًا

بِأَمْرِكَ . مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قَدَمِ ، وَ لَوَاهٍ فِي عَزْمِ ،

وَاعِيًا لَوْحِيكَ . حَافِظًا عَلَى عَهْدِكَ . مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ . حَتَّى

(١) الانعام ١٤٩

(٢) القصص ٤٧

(٣) ق ٢٨

(٤) يس ٥ - ٦

أُورَى قَبَسَ الْقَابِسِ . وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْخَابِطِ . وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ
 بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ . وَاقَامَ مَوْضِحَاتِ الْأَعْلَامِ ، وَنِيرَاتِ الْأَحْكَامِ .
 فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ . وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ
 الدِّينِ . وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ . وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ . اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ
 مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ . وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ وَاغْلِ
 عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَائِهِ . وَآكِرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ . وَاتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ . وَ
 اجْزِهِ مِنْ ابْتِعَاثِكَ لَهُ . مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ ، وَمَرْضَى الْمَقَالَةِ . ذَا مَنْطِقِ
 عَدْلِ ، وَخَطَّةِ فَصْلِ اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ ، وَ
 قَرَارِ النِّعْمَةِ ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ ،
 وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ ، وَتَحْفِ الْكِرَامَةِ .

و في ١٠٢ ر ١ - منها في ذكر النبي صلى الله عليه و آله -
 حَتَّى أُورَى قَبَسًا لِقَابِسٍ ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ . فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ،
 وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً .
 اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ .
 اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِيْمِن بِنَائِهِ ، وَآكِرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَهُ ، وَشَرِّفْ

عِنْدَكَ مَنَزِلَتُهُ ، وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ ، وَأَعْطَاهُ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَ أَحْشَرْنَا
فِي زَمَرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا ، وَلَا نَادِمِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ ، وَلَا نَاكِبِينَ ،
وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مُفْتُونِينَ .

وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِي مَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَا كَرَرْنَا هَهُنَا لِمَا فِي
الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ .

أقول : نقل الرواية الأولى كتاب تنبيه البكري على أوهم القالي راوياً له عن
الحسن بن خضر عن أبيه عن بعض و لد علي عليه السلام عنه عليه السلام ، و كتاب غريب حديث
ابن قتيبة نقله عنه (حد) في فصل غريب هذا الكتاب قائلاً : قال سلامة الكندي : كان
علي عليه السلام يعلمنا الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله و كتاب مناقب ابن الجوزي عن الحسن
بن عرفة عن سعيد بن عمير عنه عليه السلام كما نقل البحار عنه .

قول المصنف في الأولى « ومن خطبة له عليه السلام علم فيها الناس » هكذا في المصرية
(حد) و ليست كلمة الناس في (ثم ، و الخطبة) و كيف كان فقد عرفت أن غريب
ابن قتيبة نقل عن سلامة الكندي . قال : كان علي عليه السلام يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله هكذا .
« الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله » قد روى عن النبي صلى الله عليه وآله نفسه تعليم الصلوة عليه صلى الله عليه وآله أيضاً روى
الخطيب في إسماعيل بن زكريا مسنداً عنه عن الأعمش و مسعر بن كدام ، و مالك بن معول كلهم
عن الحكم بن عتيبة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله
في الصلوة عليه : اللهم صل على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد
مجيد . اللهم بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

و روى في يوسف بن نفيس عن علي عليه السلام قال : قالوا : يا رسول الله كيف نصلى
عليك قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك و رحمتك على محمد و على آل محمد كما صليت على
إبراهيم إنك حميد مجيد ، و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد

مجيد ، وروى في الحسين بن نصر بأسناده عنه بأسناده عن بريدة الخزاعي . قال : قلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك . فكيف الصلوة عليك . قال : قالوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وآل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

و روى أبو المغيرة عن أبي الحسن عليه السلام قال : ومن سر آل محمد عليهم السلام في الصلوة على النبي وآله عليهم السلام اللهم صل على محمد وآل محمد في الأولين ، و صل على محمد وآل محمد في الآخرين ، و صل على محمد وآل محمد في المملأ الأعلى ، و صل على محمد وآل محمد في المرسلين . اللهم اعط محمد الوسيلة والشرف والفضيلة ، و الدرجة الكبيرة اللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و لم أره .

قوله عليه السلام « اللهم داخى المدحوات » مأخوذ من قوله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها »^(١) وفي النهاية في حديث على عليه السلام اللهم داخى المدحوات . المدحوات : الأرضون ، و روى (المدحيات) يقال : دحى يدحو و يدحى : أى بسط ، و وسع ، والدحو : رمى اللاعب بالجوز والحجر وغيره ، و منه حديث ابن المسيب سئل عن الدحو بالحجارة . فقال : لا بأس به : أى المرأاة بها و المسابقة .

وفي الأساس خلق الله الأرض مجتمعمة . ثم دحاها : أى بسطها ومدّها و وسّعها كما يأخذ الخباز الفرزقة . فيدحوها . قال ابن الرومى : يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر ، و باضت النعامة في أدحيتها و هو مفرخها لأنها تدحوه : أى تبسطه و توسّعه . « و داعم » : أى رافع .

« المسموكات » : أى المرتفعات ، و المراد بالمسموكات السماوات كما أن المراد بالمدحوات الأرضين قال تعالى « أنتم أشد خلقاً أم السماء رفع سمكها فسواها »^(٢) و المراد بدعمها رفعها بقواها كالعماد . قال تعالى « رفع السماوات بغير عمد ترونها »^(٣) .

« و جابل » : أى خالق .

« القلوب على فطرتها » : أى خلقتها .

« شقيتها و سعيدها » « و نفس و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها » (١) زاد

الحسن بن عرفة في روايته على (شقيتها و سعيدها) (و غويتها ورشيدها) .

« اجعل شرائف صلواتك » : أى عواليها .

« و نوامى بركانك » : أى متزايداتها . قال النابغة في المنذر بن المنذر بن ماء

السماء :

إلى صعب الملقاة منذر ☆ نماء في فروع المجد نام

« على محمد عبدك » « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا » (٢) « فأوحى إلى عبده ما

أوحى » (٣) .

« و رسولك » « و الله يعلم إنك لرسوله » (٤) .

« الخاتم لما سبق » من الأنبياء عليهم السلام .

« و الفاتح لما انغلق » من البلايا . قال تعالى « و يحل لهم الطيبات و يحرم

عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم » (٥) .

« و اطعن الحق بالحق » زاد في رواية الحسن بن عرفة (الناطق بالصدق) .

« و الدافع جيشات الأباطيل » التى حصلت من الجاهلية .

« و الدامغ » دمع : أى شج حتمى بلغت الشجيرة الدماغ .

(١) الشمس ٨

(٢) الاسراء ٢

(٣) النجم ١٠

(٤) المنافقون ١

(٥) الاعراف ١٥٧

« صولات الأضاليل » وفي رواية ابن عرفة (هيشات الأضاليل) هاش هيشا : أى تحرك وماج ، وهو أقرب لفظاً في الخبر اختار الله تعالى من الأنبياء أربعة للسيف : إبراهيم ، وداود ، وموسى ، ومحمد ﷺ .

« كما حمل » الرسالة .

« فاضطلع » : أى قوى على حمله .

« قائماً بأمرك » ومجرباً له .

« مستوفزاً » قال الجوهري : الوفز العجلة ، واستوفز في قعدته : إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن .

« في مرضاتك » : أى رضاك .

« غير ناكل » : أى غير ممتنع .

« عن قدم » : أى إقدام . قال الجوهري : مضى قدما : لم يعرج ولم ينثن .

« ولاواه » من وهى السقاء : إذا تخرق وانشق .

« في عزم » وكيف يكون واهياً في عزم وهو أشرف أولى العزم من الرسل ، وطلب

منه قريش أن يصرف عن عزمه ، و يملكوه عليهم . فقال : لو قدروا أن يجعلوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما صرفت عن عزمي .

« واعياً » : أى مستمعاً ، والأصل في الوعي جعل الأذن كالوعاء للمسموع .

« لوحيك » عاملاً به .

« حافظاً على عهدك » لا كآدم عليه السلام حيث قال تعالى فيه « ولقد عهدنا إلى آدم من

قبل فنسى ولم نجد له عزماً » (١) .

« ماضياً على نفاذ أمرك » حتى قال : أول ربا أضعه من ربا الجاهلية رباعى

العباس ، وأول دم أبطله دم ابن عمي ربيعة ، وطباً استشفع قريش إليه في ترك قطع يد

مخزومية سرقت بأسماء لكونه حبه قال له : أتشفع في حد من حدود الله لا شفاعاة

في حد .

قوله ﷺ فيهما « حتى أورى » من (أورت الزند) : أخرجت ناره .
قوله ﷺ في الأوّل : « قيس القابس ، و في الثاني : « قبساً لقابس » في النهاية :
القبس : الشعلة من النار ، والقابس : طالب النار ، ومنه حديث عليّ ﷺ (حتى أورى
قبساً لقابس) : أى أظهر نوراً من الحق لطالبه .

قوله ﷺ في الأوّل : « وأضاء الطريق للخابط » في النهاية الخابط : الذى
يمشى في الليل بلا مصباح يتمحيّر و يضلّ ، وربما تردى في بئر أو سقط على سبع .
و في الثاني « و أنار علماً لحابس » قال (حد) : يعنى نصب النبي ﷺ لمن
قد حبس ناقته ضلالاً فهو يخبط لا يدرى كيف يهتدى المنهج علماً يهتدى به . قلت : لم
يقبل أحد إن معنى (الحابس) ما قال ، و الصواب أن الحابس بمعنى الراجل الذى
تخلّف عن الركب يتمحيّر . ففي النهاية في حديث الفتح بعث أبا عبدة على الحبس : الحبس
الرجالة سموا بذلك لتحبسهم عن الركبان ، و تأخّرهم واحدهم (حبيس) بمعنى
مفعول أو بمعنى فاعل كأنه يحبس من يسير من الركبان بمسيره أو يكون الواحد (حابساً)
بهذا المعنى ، وأكثر ما يروى (الحبس) بالتشديد فإن صحّت الرواية فلا يكون واحدها
إلا حابساً كشاهد و شهيد .

و في الأوّل « و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن » هكذا في المصرية ، وفيها
سقط ففي (حد ، و ثم ، و الخطية) (بعد خوضات الفتن والآثام) كانوا يادون البنات ،
وكان شغلهم المحاربات و النهبات و الزنا ، و القمار ، و شرب المسكرات .
« و أقام موضحات الأعلام » في كتابه الذى جاء به من عند الله .

« و نيرات الأحكام » في ما أتى به من السنن ، و في باب صيام ثلاثة أيام المقنعة
روى عن النبي ﷺ قال : عرضت على أعمال أمتى فوجدت في أكثرها خللاً و نقصاناً
فجعلت في كل فريضة مثلها نافلة ليكون من أتى بذلك قد حصلت له الفريضة لأن الله
تعالى يستحيى أن يعمل له العبد . فلا يقبل منه الثلث . ففرض الله تعالى الصلوة في كل
يوم و ليلة سبع عشرة ركعة ، و سن النبي ﷺ أربعة و ثلاثين ركعة ، و فرض الله

صيام شهر رمضان في كل سنة ، و سن النبي ﷺ صيام ستين يوماً في السنة - إلخ -
 و مراده من صوم ستين صوم شعبان و صيام ثلاثة في كل عشرة أشهر أخرى .
 قوله ﷺ فيهما « فهو أمينك المأمون » قال تعالى فيه « وما ينطق عن الهوى
 إن هو إلا وحى يوحى » (١) كان ﷺ مشتهراً بمحمد الأمين ، و لما تشاحت
 قريش في وضع الحجر عند بناء هم البيت ، و كان عبدالدار ، و عدى من قريش ملأوا
 جفنته دماً و أدخلوا أيديهم في ذلك الدم و تعاقدوا على الموت فسموا العقة الدم ، و مكثوا
 أربع ليال على ذلك في التصدي لوضع الحجر . فأصلح بينهم أبوا مية بن المغيرة بحكمية
 أوّل داخل . فكان النبي أوّل داخل . فلما رأوه قالوا : قدرضينا بك يا محمد الأمين . فأمر
 بشوب فبسط ، و وضع الحجر . ثم أمر كل فخذ أن يأخذ جانباً . فرفعه ، و أخذ النبي
 ﷺ و وضعه .

قوله ﷺ في الأوّل « و خازن علمك المخزون » و عن الصادق ﷺ من مخزون
 علم الله الإتمام في أربعة مواطن : حرم الله ، و حرم رسوله ، و حرم أمير المؤمنين ﷺ
 و حرم الحسين ﷺ .

قوله ﷺ فيهما « و شهيدك يوم الدين » : أى يوم القيامة « و يوم نبعث في كل
 أمة شهيداً » (٢) « و جئناك على هؤلاء شهيداً » (٣) .

« و في الأوّل » « و بعيتك بالحق » ، و في الثانى « و بعيتك نعمة » قال الصادق ﷺ
 في قوله تعالى « و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (٤) برسول الله
 ﷺ انقذوا .

و في الأوّل « و رسوك إلى الخلق » ، و في الثانى « و رسوك بالحق رحمة »
 « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً » (٥) « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٦) .

(٢) النحل ٨٤

(١) النجم ٣

(٤) آل عمران ١٠٣

(٣) النساء ٤١

(٥) سبأ ٢٨

(٦) الانبياء ١٠٧

وفي الأول « اللهم افسح »: أى اوسع .

« له مفسحاً في ظلك » والمراد من ظلك لطفه بعباده .

وفي الثانى « اللهم أقسم له مقسماً من عدلك » الذى لا تضيع أجر عامل لك
« والضحى والليل إذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى و الآخرة خير لك من الأولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى » (١) .

وقوله ﷺ فيهما « و اجزه مضاعفات الخير من فضلك » « إنا أعطيناك الكوثر
فصلّ لربك وانحر إن شأنك هو الأبتى » . (٢)

فيهما « اللهم اعل على بناء البانين بنائه » هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (٣) و روى عن النبي ﷺ إنما
مثلى ، و مثل الأنبياء قبلى كرجل بنى دار . فأكملها و أحسنها إلا موضع لبنة . فجعل
الناس يدخلون ، و يعجبون بها ، و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا اللبنة ، و أنا
خاتم النبيين .

في الأول « و أكرم لديك منزلته » هكذا في المصرية ، والصواب : منزله كما
في (حد ، وثم ، والخطية) .

وفي الثانى « و أكرم لديك نزله » قال الجوهرى : النزله : ما يهيمىء للنزله .
« و شرف عندك منزلته » هكذا في المصرية ، والصواب : منزله ، و في الدعاء :
« و ابعثه المقام المحمود » و عنه ﷺ : لواء الحمد بيدى يعنى في القيامة .

وفي الأول « و اتمم نوره » الأصل فيه قوله تعالى « يوم لا يخزى الله النبيّ
والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
و اغفر لنا إنك على كل شيء قدير » (٤) .

(١) الضحى ١-٥

(٢) الكوثر ١ - ٤

(٣) الصف ٩

(٤) التحريم ٨

« واجزه من ابتعائك له » بالرسالة .

« مقبول الشهادة » : أى يجعله مقبول الشهادة .

« ومرضى المقالة » هكذا في المصرية، والصواب: (مرضى المقالة) بدون واو كما في

(حد ، و ثم) .

« ذا منطق عدل وخطبة فصل » عن غيره يقال : هذه خطبة بنى فلان : إذا كانت

محدودة، والمراد اجعل له امتيازاً عن باقي الأنبياء عن الكاظم عليه السلام كان ليهودى دنانير على

النبي صلى الله عليه وآله فتقاضاه . فقال له : ما عندى ما أعطيك . فقال : إننى لا أفارقك حتى

تقضىنى . فقال النبي صلى الله عليه وآله : إذن أجلس معك . فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضوع

الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يتهددونه

ويتوعدوناه . فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال : ما الذى تصنعون به ؟ . فقالوا :

يهودى يحبسك . فقال : لم يبعثنى ربى بأن أظلم معاهداً ولاغيره . فلداعلا النهار . قال

اليهودى : أشهدألا إله إلاالله ، وأنتك رسوله ، وشطرمالى فيسبيلالله ما فعلت الذى فعلت

إلا لأ نظر إلى نعتك في التوراة . فأنتى قرأت فيها : محمد بن عبد الله مولده بمكة ، و

مهاجره بطيبة . ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا متزين بالفحش ، وقول الخنا .

« اللهم اجمع بيننا وبينه » في الآخرة .

« في برد العيش ، وقرار النعمة » بلا زوال .

« ومنى الشهوات » المنى : جمع المنية .

« وأهواء اللذات » و « فيها ما تشتهيهِ الأ نفس و تلذذ الأ عين » (١) .

« ورخاء الدعة » : أى الراحة « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور

من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حرير و قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن

ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا

فيها لغوب » (٢) .

(١) الزخرف ٢١

(٢) فاطر ٣٥

« ومنتهى الطمأنينة » بلا اضطراب قلب كما يحصل للناس في هذا العالم .
 « و تحف الكرامة » منه تعالى للمقرّبين منه ، و عن الصادق عليه السلام قال النبي ﷺ
 لعلّي عليه السلام : إنني سألت ربّي فيك خمس خصال . فأعطاني أمّا أوّلها أن
 أكون أوّل من تنشقّ عنه الأرض . فانفض التراب عن رأسي ، و أنت معي فأعطاني ،
 والثانية أن يقضيني عند كفة الميزان ، و أنت معي . فأعطاني ، والثالثة أن يجعلك حامل
 لوائي ، و هو لواء الله الأكبر مكتوب عليه : المفلحون هم الفائزون بالجنة . فأعطاني
 و الرابعة أن يسقيني من حوضي بيدك . فأعطاني ، والخامسة أن يجعلك قائد أمّتي
 إلى الجنة . فأعطاني ، ورواه الخطيب في [أحمد بن غالب] مع اختلاف ، و في خبره : و
 أعطاني أنك وليّ المؤمنين من بعدى .

قول المصنّف في الثاني «منها في ذكر النبي ﷺ» هكذا في (حد) ولكن في (ثم)
 الرسول عليه السلام .

و قوله عليه السلام « و آتته » : أى اعطه .

« الوسيلة » و في خبر الوسيلة درجته عليه السلام في الجنة ، و هى ألف مرقة ، و
 يأتي آخر .

« واعطه السناء » : أى الضياء .

« والفضيلة » و في خطبة الوسيلة من خطبه عليه السلام في غير النهج «أيها الناس إن الله -
 جلّ وعزّ - وعد نبيّه محمداً عليه السلام الوسيلة - و وعدّه الحقّ ، و لا يخلف الله وعده - ألا و
 إن الوسيلة أعلى درجة الجنة ، و ذروة ذوائب الزلفة ، و نهاية غاية الأمنيّة لها ألف
 مرقة ما بين المرقة حضرفرس جواد مائة عام ، و هى ما بين مرقة جوهر إلى مرقة ياقوت
 إلى مرقة ذهب إلى مرقة فضة إلى مرقة زبرجدة إلى مرقة مرجانة إلى مرقة كافور
 إلى مرقة عنبر إلى مرقة يلنجوج إلى مرقة غمام إلى مرقة هواء إلى مرقة نور قدأنافت
 على كلّ جنان - الخبر - .

« واحشرنا في زمرة » و في خطبة الوسيلة - بعد مامرّ - و رسول الله عليه السلام قاعد
 عليها مرتد بريطتين : ريطه من رحمة الله ، و ريطه من نور الله . عليه تاج النبوة ، و

إكليل الرسالة قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة، وهي دون درجته، وعلى ريطان من أرجوان، وريطة من كافور، والرسل والأنبياء قد رقوا على المراقى، وأعلام الأزمنة، وحجج الدهور عن أيما ننا قد تجللتهم حلال النور والكرامة لايرانا ملك مقرب، ولانبيى مرسل إلا بهت بأنوارنا، وعجب من ضيائنا وجلالنا .

« غير خزايا » : أى غير ذليلين موهونين .

« ولانادمين » لوقوع تفريط منّا في الدنيا .

« ولاناكبين » : أى ولا عادلين عن الطريق .

« ولاناكثين » : أى ولا ناقضين لعهد .

« ولاضالين » عن سبيله .

« ولامضلين » هكذا في المصرية ، والكلمة زائدة لخلو (حد ، و ثم ، و

الخطية) عنها .

« ولامفتونين » في الدين .

« قال الشريف » هكذا في المصرية ، والجملة زائدة ليست من النهج لخلو الخطية

عنها ، وإنما قال (حد) عن نفسه في الشرح (قال الرضى) كما عن (ثم) قال (قال السيد)

« وقد مضى هذا الكلام في ما تقدم » على ما عرفت من موضعه .

« إلا أننا » هكذا في المصرية ، والصواب (إلا أننا) كما في الثلاثة .

« كرناه هيهنا لما في الروايتين من الاختلاف » قد عرفت مجتمعهما ومختلفهما .

هذا ، وله عَلَيْهِ السَّلَامُ دعاء آخر في الصلوة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقله البحرانى في صحيفة العلوية،

وهو : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على طيب المرسلين محمد بن عبدالله بن

عبدالمطلب . المنتجب الفائق الراق .

اللهم فخص محمد بالذكر المحمود ، والمنهل المشهود ، والحوض المورود .

اللهم فأت محمد الوسيلة والرفعة والفضيلة ، وفي المصطفين محبته ، وفي العليين

درجته ، وفي المقر بين كرامته .

اللهم اعط محمد صلواتك عليه وآله من كل كرامة أفضل تلك الكرامة ، ومن كل

نعيم أوسع ذلك النعيم ، ومن كل عطاء أجزل ذلك العطاء ، ومن كل يسر أضرب ذلك اليسر ، ومن كل قسم أوفر ذلك القسم حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منه مجلساً ، ولا أرفع منه عندك ذكراً و منزلة ، ولا أعظم عليك حقاً ، ولا أقرب وسيلة من محمد صلواتك عليه وآله إمام الخير وقائده ، والداعى إليه والبركة على جميع العباد والبلاد ، ورحمة للعالمين .

اللهم اجمع بيننا وبين محمد وآل محمد في برد العيش ، وبرد الروح ، وقرار النعمة ، وشهوة الأ نفس ، ومنى الشهوات ، ونعم اللذات ، ورخاء الفضيلة ، وشهود الطمأنينة ، وسودد الكرامة ، وقره العين ، ونضرة النعيم ، وتمام النعمة ، وبهجة لا تشبه بهجات الدنيا . نشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة أودى في جنبك ، واجتهد وجاهد في سبيلك ، وعبدك حتى أتاه اليقين ، فصلّى الله عليه وآله الطيبين . اللهم رب البلد الحرام ، ورب الركن والمقام ، ورب المشعر الحرام ، ورب الحل والحرام . بلغ روح محمدنا السلام .

اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وعلى أنبيائك ورسلك أجمعين ، وصل على الحفظة الكرام الكاتبين ، وعلى أهل طاعتك من أهل السماوات السبع ، وأهل الأرضين من المؤمنين أجمعين .

هذا . وفي المناقب عن سحر البلاغة في الصلوة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى الله عليه وسلم على خير مبعوث ، وأفضل وارث و موروث خير مولود دعا إلى خير معبود بشير الرحمة والثواب ، و نذير السطوة والعقاب . ناسخ كل ملة مشروعة ، و فاسخ كل نحلة متبوعة جاء بأمرته من الظلمات إلى النور ، وأوفى بهم إلى الظل بعد الحرور قد أفرد بالزعامة وحده ، و ختم بأن لانبى بعده . أرسله قمراً منيراً ، و قدراً مبيراً .

٣٠ ر ٣٦١ ر ٣ وقال عليه السلام : إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ

حَاجَةٌ فَابْدِءْ بِمَسْئَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ سَلْ

حَاجَتِكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْئَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي أَحَدَهُمَا ،
وَيَمْنَعُ الْآخَرَى .

« إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة . فابدء بمسئلة الصلوة على رسوله ﷺ »
هكذا في المصرية ، و الصواب (على النبي ﷺ) كما في (حد ، و ثم ، و الخطية)
قال (حد) : هذا الكلام على حسب الظاهر الذى يتعارفه الناس بينهم ، و هو ﷺ
يسلك هذا المسلك كثيراً ، و يخاطب الناس على قدر عقولهم ، و أمّا باطن الأمر . فإن
الله سبحانه لا يصلى على نبينا ﷺ لأجل دعاءنا إياه أن يصلى عليه لأن معنى
قولنا : (اللهم صل على محمد) أكرمه و ارفع درجته ، والله سبحانه قد قضى له بالإكرام
التمام ، و رفع الدرجة من دون دعائنا إياه ، وإنما تعبنا نحن بأن نصلى عليه لأن
لنا ثواباً في ذلك لا لأن إكرام الله تعالى أمر يستعقبه دعائنا .

قلت : فعلى ما ذكره يكون دعاء فالنبي ﷺ لغواً وعبثاً من حيث الدعاء نظير
أن نقول : اللهم اجعله نبياً ، و حصول ثواب لنا لا يخرج عن اللغوية في القول ، و ما
ذكره من أنه تعالى قضى له بالإكرام التمام ، و رفعة الدرجة مسلم لكن فوق كل إكرام
إكرام ، و كل درجة درجة .

وفي دعاء عرفة السجادة ﷺ : رب صل على محمد المنتجب المصطفى . المكرم المقرب
أفضل صلواتك ، و بارك عليه أتم بركانك ، و نرحم عليه أمتع رحماتك . رب صل على
محمد صلوة زاكية لا تكون صلوة أزكى منها ، وصل عليه صلوة نامية لا تكون صلوة
أنمى منها ، وصل عليه صلوة راضية لا تكون صلوة فوقها . رب صل على محمد وآله صلوة
ترضيه ، و تزيد على رضاك له ، وصل عليه صلوة لا ترضى له إلا بها ، و لا ترى
غيره لها أهلاً . رب صل على محمد وآل محمد صلوة تجاوز رضوانك ، و يتصل اتصالها
ببقاءك ، و لا تنفذ كما لا تنفذ كلماتك . رب صل على محمد و آل صلوة تنتظم صلوات
ملائكتك ، و أميائك ، و رسلك ، و أهل طاعتك ، و تشمل على صلوات عبادك من

جنك وإنسك ، وأهل إجابتك ، وتجتمع على صلوات كل من ذرات وبرات من أصناف خلقك . رب صل عليه وآله صلوة تحيط بكل صلوة سالفة ، ومستأنفة ، و صل عليه وآله صلوة مرضية لك ووطن دونك ، وتنشأ مع ذلك صلوات تضاعف معها تلك الصلوات عندها ، و تزيدها على كرور الأيام زيادة في تضاعف لا يعدها غيرك . فيلزم على ما قال أن يكون كل ذلك ألفاظاً لامعاني تحتها .

و تحقيق الجواب أن كل شيء وقع ويقع في العالم كان قدراً من الله تعالى ، و لكن مع سببه ، و صلواتنا و أدعيتنا من أسباب إكرام الله التام له صلى الله عليه وسلم .

و يشهد لما قلنا قول السجّاد عليه السلام في الصلوة عليه على ما في الصحيفة الثالثة :
فارفعه بسلامنا إلى حيث قدرت في سابق علمك أن تبلغه إياه بصلواتنا عليه .

وأما ماروى مصباح الشيخ في الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم الجمعة : اللهم إن محمداً صلى الله عليه وسلم كما وصفته في كتابك حيث تقول « لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فأشهد أنه كذلك ، و أنك لم تأمر بالصلوة عليه إلا بعد أن صليت عليه أنت و ملائكتك ، و أنزلت في محكم كتابك « أن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » لا لحاجة إلى صلوة أحد من المخلوقين بعد صلواتك عليه ، ولا إلى تزييتهم إياه بعد تزييتك بل الخلق جميعاً هم المحتاجون إلى ذلك لأنك جعلته بابك الذي لا تقبل من أتاك إلا منه ، و جعلت الصلوة عليه قرينة منك ، و وسيلة إليك ، و زلفة عندك ، و دلت المؤمنين عليه . و أمرتهم بالصلوة ليزدادوا بها أثره لديك ، و كرامة عليك ، و وكتت بالمصلين عليه ملائكة يصلون عليه ، و يبلغونه صلواتهم و تسليمهم - إلخ - فلا ينافي ما قلنا فإنه لا يدل على أكثر من أنه إذا لم نصل عليه لم يضره لكفاية صلوات الله تعالى عليه برفع درجته ، و إنما حرمننا نحن من أجر كثير .

ثم ظاهر الأخبار و وجوب الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكر اسمه أو سماعه كوجوبها في الصلوة . فعن الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ذكرت عنده فلم يصل عليّ و دخل

النار فأبعده الله ، و قال ﷺ : من ذكرت عنده ، و نسي الصلوة عليّ خطى به طريق الجنة .

وورد في ثواب الصلوة عليه ﷺ شيء كثير من العامة ، و الخاصة . روى الطبري في ذيله عن عمير الأنصاري قال : قال النبي ﷺ : من صلى عليّ من أمتي صلوة مخلصاً بها من نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات ، و رفعه بها عشر درجات ، و كتب له بها عشر حسنات ، و محاه عنه بها عشر سيئات .

و عنهم ﷺ ما في الميزان شيء أثقل من الصلوة عليّ محمد و آل محمد ، و أن الرجل ليوضع أعماله في الميزان . فيميل به . فيخرج النبي ﷺ الصلوة عليه فيضعها في ميزانه . فيرجح به .

و الصلوة عليه ﷺ في الجمعة آكد ، و في سنن أبي داود عن أوس ابن أوس عن النبي ﷺ أن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلوة . فإن صلوتكم معروضة عليّ . فقالوا : كيف تعرض صلوتنا عليك ، و قد أرمت : أي بليت . قال : إن الله حرم عليّ الأرض أجساد الأنبياء .

و يكفيه ﷺ جلالة قوله تعالى « إن الله وملائكته يصلون عليّ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (١) و عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي ﷺ قال : إن الآية نزلت في الصلوة عليّ بعد قبض الله لي .

و الصلوة عليه ﷺ وردت في الكتاب و عليّ آل و ردت في السنة . روى البخاري في صحيحه مسنداً عن كعب بن كعب بن عجرة ، و عن أبي سعيد الخدري ، و عن غيرهما . قالوا : قال النبي ﷺ : قولوا : اللهم صلّ عليّ محمد ، و عليّ آل محمد كما صليت عليّ إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

و روى الطبري مسنداً في ذيله عن فاطمة الصغرى عن فاطمة الكبرى قالت : قال النبي ﷺ في دخول المسجد : بسم الله اللهم صلّ محمد و آل و اغفر لي ذنوبي ، و افتح لي

أبواب رحمتك . وإذا خرج قال : بسم الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك .
وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمة قالت : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لفاطمة :
ايتني بزوجك وإنيك . فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فديكياً . ثم وضع يده عليهم ،
وقال : اللهم هؤلاء آل محمد واجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد إنك حميد مجيد ،
وروى ابن عبد البر في استيعابه في زيد بن حارثة مسنداً عن زيد قال : قلت : يا
رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك . فكيف نصلى عليك . قال : قولوا : اللهم بارك
على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد
وفي تاريخ الطبري عن ليث المجاور بمكة أربعين سنة عن بعض الحجبة قال :
إن الرشيد لما حج دخل الكعبة ، وقام على أصابعه وقال : يا من يملك حوائج
السائلين ، و يعلم ضمير الصامتين . فإن لكل مسألة منك رداً حاضراً ، وجواباً عتيداً
و لكل صامت منك علم محيط بماوعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ، ورحمتك
الواسعة صل على محمد وآل محمد و اغفر لنا نوبنا - إلخ - ولا بد أنه روى له ذلك .
هذا ، وفيه أيضاً وفي سنة ١٨١ أحدث الرشيد عند نزوله الرقة في صدور كتبه
الصلوة على محمد وآلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفي عيون ابن بابويه - بعد نقل رواية عن أحمد بن الحسين
الضبي - و ما لقيت أنصب منه ، و بلغ من نصبه أنه كان يقول (اللهم صل محمد فرداً)
و كان يمنع من الصلوة على آله .

قلت . الرجل كان كأعرابي ورد المدينة فعقل ناقته بفناء المسجد . ثم دخل فصلّى
مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم قال (اللهم اغفر لي و لمحمد حسب) ثم خرج فرجع فجعل النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاله حال ناقته ، و الرجل و إن كان ناصبياً إلا أن أنصب منه ابن الزبير فكان
لا يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رأساً بفضلاً لأهل بيته . ففي المروج خطب بن الزبير أربعين يوماً
لا يصلّي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقال : لا يمنعني أن أصلي عليه إلا أن تشمخ رجال بآنافها ،
و مراده من الرجال أهل بيته .

و مثله أبو حنيفة ففي تاريخ بغداد قال ابن المبارك : ما مجلس ما رأيت ذكر فيه

النبي ﷺ قطّ و لا يصلّي عليه إلا مجلس أبي حنيفة .

و من الناصبة التي لا تصلّي على أهل البيت ﷺ إبراهيم بن مهدي العبّاسي .
قال المسعودي في مروجه: كان المأمون يظهر التشيع ، و إبراهيم بن المهدي التسنن .
فقال المأمون :

إذا المرجى سرّك أن تراه ☆ يموت لحينه من قبل موته
فجددّ عنده ذكرى عليّ ☆ و صلّ عليّ النبيّ و آل بيته
فقال إبراهيم :

إذا الشيعيّ بهجم في مقال ☆ فسرك أن ييوح بذات نفسه
فصلّ عليّ النبيّ و صاحبيه ☆ و زيريه و جاريه برمسه
قلت : أمّا الصلوة على أهل بيت النبيّ ﷺ فرواه المرجئة أنفسهم كما عرفت في
أخبار عديدة ، و أمّا عليّ صاحبي رمسه فلم يروه شيعي حتّى يعارض بل روت المرجئة
أنفسهم أن النبيّ ﷺ قال : لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ، و كانا في جيشه
فكيف يصلّي عليّ من لعنه النبيّ ﷺ و أمّا تبعجه بكونهما صاحبي رمسه . فنكتفي
في جوابه بما قاله الخزاعي دعبل بن عليّ في كون الرشيد صاحب رمس أبي الحسن
الرضا ﷺ :

أربع بطوس عليّ قبر الزكيّ بها ☆ إن كنت تربع من دين عليّ و طر
ما ينفع الرجس من قرب الزكيّ ولا ☆ عليّ الزكيّ بقرب الرجس من ضرر
هيهات كلّ امرء رهن بما كسبت ☆ له يدها فخذ من ذاك أو فذر
قبران في طوس خير الناس كلّهم ☆ و قبر شرّهم هذا من العبر
ثمّ كونهما صاحبي رمس النبيّ ﷺ ككون الأوّل صاحب غاره عاروشنار
عليهما . ففي فصول علم الهدى مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفي بأبي حنيفة ، وهو
في جمع كثير يملئ عليهم . فقال لصاحب كان معه : و الله لا أبرح أو أخرجل أبا حنيفة .
فقال : صاحبه إن أبا حنيفة من قد علت منزلته ، و ظهرت حجّته . فقال : مه هل رأيت
حجّة كافر علت عليّ مؤمن . ثمّ دنا منه فسلم عليه فردّ أبو حنيفة عليه فقال له فضال :

يا أبا حنيفة إن أخاً لى يقول : خير الناس بعد النبي على ، و أنا أقول : أبو بكر ثم عمر . فما تقول أنت ؟ فقال : أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره . فأى حجة أوضح من هذا . فقال : قد قلت ذلك لأخى . فقال : إن كان الموضع للنبي ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق ، و إن كان لهما و وهباه له فقد أساءا في رجوعهما . فقال أبو حنيفة : لم يكن لهما ، و لكنهما استحققا الدفن بحقوق ابنتيهما . فقال : قد قلت لأخى ذلك . فقال لى : أما علمت أن النبي ﷺ أعطى حقوق نسائه في حياته بأمر من الله سبحانه حيث يقول « يا أيها النبي إنما أحللتك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن » (١) فقال : نعم و لكنهما استحققا ذلك بميراث ابنتيهما من النبي ﷺ فقال : قلت له ذلك . فقال : أنت تعلم أن النبي ﷺ مات عن تسع ، و لكل واحدة منهن تسع الثمن ، و هو شبر في شبر . فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ، و بعد فما بال عايشة و حفصة ترثان النبي ﷺ و فاطمة بنته تمنع الميراث . فقال أبو حنيفة : نحوه عنى فإنه رافضى .

هذا ، و روى الكافي عن يزيد بن خليفة . قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : إني رجل من بنى الحارث بن كعب و قد هداني الله تعالى إلى محبتكم و مودتكم أهل البيت . فقال لى : وكيف فوالله إن محبتنا في بنى الحارث قليل . قلت : إن لى غلاماً خراسانياً و هو يعمل القصرة ، و له همشهر يجون أربعة و هم يتداعون كل جمعة لتقع الدعوة على رجل منهم فيصيب غلامى كل خمس جمعة . فيجعل لهم النبيذ و اللحم فإذا فرغوا من الطعام جاء باجائة فملاًها نبيذاً . ثم جاء بمطهرة . فإذا ناول إنساناً منهم قال : لا تشرب حتى تصلى على محمد و آل محمد . فاهتديت إلى مودتكم بهذا الغلام . فقال لى : استوصى به خيراً و اقرئه منى السلام ، و قل له : يقول لك جعفر بن محمد : انظر شرابك هذا الذى تشربه . فإن كان كثيره يسكر . فلا تقربن قليله . قاله : فأثمت الكوفة ، و أبلغته سلامه . فبكى . ثم قال : اهتمم بى جعفر بن محمد عليه السلام حتى يقرئ نى السلام .

قلت : نعم ، وقد قال : انظر شرابك هذا الذي تشربه . فإن كان يسكر كثيره فلا تقربن قليله ، وقد أوصاني بك . فاذهب فأنت حر لوجه الله . فقال : والله ما يدخل جوفى ما بقيت في الدنيا .

هذا ، وعن تاريخ مدينة الدهلوى من أسباب رؤية النبي ﷺ في المنام المتداومة على قول « اللهم صل على محمد وآله وسلم كما تحب وترضى » .

هذا ، وفي الأدباء خاصم أبو العيناء - قلت و كان شيعياً - يوماً علويّاً . فقال له العلوى : أتخاصمنى ، وقد أمرت أن تقول : اللهم صل على محمد وآل محمد . فقال : لكننى أقول : الطيبين الطاهرين . فتخرج أنت .

« ثم سل حاجتك » وورد الختم أيضاً بمسألة الصلوة على النبي ﷺ ففى الكافي عن الصادق عليه السلام من كانت له إلى الله حاجة فليبدء بالصلوة على محمد وآله ثم يسأل حاجته . ثم يختم بالصلوة على محمد وآله فإن الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ، ويدع الوسط إذ كانت الصلوة على محمد وآله لا تحجب عنه ، ولا تنافى بينهما فالزيادة في الآخر تجعل القبول أقرب .

بل ورد عن النبي ﷺ زيادة الوسط أيضاً ففى الكافي أيضاً عنه ﷺ قال : لاتجعلونى كقدح الراكب . فإن الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء اجعلونى في أول الدعاء ، و في آخره ، و في وسطه - و رواه النهاية هكذا « لاتجعلونى كغمر الراكب صلوا على في أول الدعاء و أوسطه و آخره » وقال : الغمر بالضم فالفتح : القدح الصغير أراد أن الراكب يحمل رحله وازواده ، و يترك قعبه إلى آخر ترحاله . ثم يعلقه على رحله كالعلاوة . فليس عنده بهمهم فنهاهم أن يجعلوا الصلوة عليه كالغمر الذى لا يقدم و يجعل تبعاً .

« فإن الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضى إحديهما و يمنع الأخرى » قد عرفت نظيره عن الصادق عليه السلام ، و أنه قال : إذا صلى أو لا و أخيراً فإن الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين و يدع الوسط إذ كانت الصلوة عليه ﷺ لا تحجب . وقال (حد) كالمناكر للكلام : أى غضاضة على الكريم إذا سئل حاجتين فقضى

إحداهما دون الأخرى . فإن كان عليه في ذلك غضاضة فعليه في ردّ الحاجة الواحدة أيضاً غضاضة .

قلت : هذه أمور ذوقية وجدانية . فلا إنسان قد لا يدع الدنيّ أن يدخل بيته فضلاً عن أن يكرمه أمّا لو أضاف شريفاً و تنوق له أنواع الأطعمة ، و دخل الدنيّ تبعاً لذلك السرى يطعمه ممّا أطعمه ، و أن ردّ الحاجة كلكية لعدم لياقة في صاحبها لاغضاضة فيه ، وأمّا من قضى حاجة ، ولم يقض الأخرى . مع تمكّنه تذهب قضاء حاجته الأولى هدراً .

و في المروج في أحوال السفّاح كان السفّاح إذا حضر طعامه أبسط ما يكون وجهاً فكان إبراهيم بن مخزّمة الكندي إذا أراد أن يسأله حاجة أخرها حتّى يحضر طعامه ثمّ يسأله . فقال له السفّاح يوماً : مادعاك يا إبراهيم أن تشغلني عن طعامي بهوائجك قال : يدعوني إلى ذلك التماس النحيج لما أسأل . فقال له السفّاح : إنك لحقيق بالسود لحسن هذه الفطنة .

هذا ، و في العنوان [١٤٤] من المستجد لقي أبودلامة أبادلف في مصادله ، و هو والى العراق . فأخذ بعنان فرسه ، و أنشد :

إنّى خلفت لئن رأيتك سالماً ☆ بقرى العراق و أنت ذو وفر
لتصلين على النبيّ محمد ☆ و لتمتلان دراهم حجري

فقال : أمّا الصلوة على النبيّ ﷺ فصلّى الله على محمد و سلّم ، و أمّا الدراهم فلا فقال له . جعلت فداك : لا تفرّق بينهما بالذى أسأله أن لا يفرّق بينك ، و بين نبيه فاستسلفها أبودلف ، و صبّت في حجره حتّى أثقلته .

٣١ ر ١٨٩ (و من خطبة له (ع) يصف بها المنافقين) نحمده

عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ ، وَ نَسَأَ لَهُ لِمَنَّتِهِ
تَمَاماً ، وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً ، وَ نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ، خَاصٌّ

إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ ، وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ
 الْآدُونِ ، وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ ، وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ اعْمَتَهَا ، وَ
 ضَرَبَتْ لِمَحَارِبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلَهَا . حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عُدْوَانَهَا مِنْ
 أَبْعَدِ الدَّارِ ، وَاسْحَقِ الْمَزَارِ .

« نحمده على ما وفق له » الضمير راجع إلى (ما) .

« من الطاعة » (من) بيانية لما وفق .

« وذاد » : أى طرد و دفع .

« عنه » الضمير أيضاً راجع إلى (ما) .

« من المعصية » و فعل الطاعة ، و ترك المعصية ، و إن كانا من العبد إلا أن
 التوفيق لهما منه تعالى . فيجب حمده عليه ، و في توبة الكافي عن أبي جعفر عليه السلام أن الله
 تعالى أوحى إلى داود أن ائت عبدى دانيال . فقل له : إنك عصيتنى فغفرت لك ، و
 عصيتنى فغفرت لك ، و عصيتنى فغفرت لك فإن أنت عصيتنى الرابعة لم أغفر لك . فأتاه
 داود عليه السلام فقال : يادانيال إننى رسول الله إليك وهو يقول : إنك عصيتنى فغفرت لك ،
 و عصيتنى فغفرت لك ، و عصيتنى فغفرت لك . فإن أنت عصيتنى الرابعة لم أغفر لك .
 فقال له دانيال : قد بلغت يا نبي الله . فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربه .
 فقال : يارب إن داود نبيك أخبرنى عنك إننى قد عصيتك فغفرت لى ، و عصيتك فغرت
 لى ، و عصيتك فغفرت ، و أخبرنى عنك إن عصيتك الرابعة لم تغفر لى ، و عزتك و جلالك
 لئن لم تعصمنى لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك .

« ونسأله لمننته » علينا بالتوفيق و الذود .

« تماماً » بادامتهما .

« و بحبله اعتصاماً » : أى تمسكاً كما أمرنا . فقال - عز وجل - « واعتصموا بحبل

الله جميعاً» (١) .

« و نشهد أن محمدًا عبده » الذي قبل - عز اسمه - عبوديته .

« ورسوله » الذي ارتضاه لخلقه .

« خاض » : أى ورد ، والأصل فيه الغمس .

« إلى » تحصيل .

« رضوانه كل غمرة » : أى شدة ، والأصل فيها اللجة ذكروا أن قریشاً اجتمعت

إلى أبى طالب والنبي ﷺ عنده . فقالوا : نسألك من ابن أخيك النصف قال : وما

النصف منه قالوا : يكف عنّا و نكف عنه . فلا يكلمنا ، ولا نكلمه ، ولا يقاتلنا ولا

نقاتله إن هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب ، وزرعت الشحناء ، وأنبتت البغضاء .

فقال : يا ابن أخى أسمعت قال : ياعم لو أنصفتى بنوعى لأجابوا دعوتى ، وقبلوا

نصيحتى إن الله تعالى أمرنى أن أدعو إلى دينه الحنيف ملّة إبراهيم فمن أجا بنى .

فله عند الله الرضوان و الخلود في الجنان ، و من عصانى قاتلته حتى يحكم الله بيننا ، و

هو أحكم الحاكمين . فقالوا له : قل له يكف عن شتم آلہتنا . فلا يذكرها بسوء فنزل

« قل أغير الله تأمر و تنهى أعبداً أيها الجاهلون » (٢) قالوا إن كان صادقاً فيخبرنا من يؤمن

مننا ، و من يكفر فإن وجدناه صادقاً آمناً به . فنزل « ما كان الله ليدخر المؤمنين على

ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب » (٣) قالوا

لنشتمنك و إلهك فنزل « و انطلق الملاّ منهم أن امشوا و اصبروا على آلہتكم » (٤)

قالوا : قل له : فليعبد ما تعبد ، و نعبد ما يعبد . فنزلت سورة الكافرين . فقالوا : قل له

أرسل إلينا خاصّة أم إلى الناس كافة . قال : بل إلى الناس كافة إلى الأبيض و الأسود ،

(١) آل عمران ١٠٣

(٢) الزمر ٦٤

(٣) آل عمران ١٧٩

(٤) ص ٦

ومن على رؤوس الجبال ، و من في لجج البحار و لادعون^٢ فارس و الروم . فقالت : لو سمعت بهذا فارس و الروم لاختطقتنا من أرضنا و لقلعت الكعبة حجراً حجراً فأنزل « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » (١) .

فقال مطعم بن عدى لأبي طالب : لقد أصفك قومك و جهدوا على أن يتخلصوا مما تكرهه . فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال أبو طالب : بل ما أنصفوني ، و اجتمعت على خذلاني ، و مظاهرة القوم على^٣ . فاصنع ما بدالك . فوثب كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعدونهم ، و يفتنونهم عن دينهم ، و على الاستهزاء بالنبي ﷺ فمنع الله رسوله بعمته أبي طالب منهم ، و قد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بنى هاشم فدعاهم إلى ما هو عليه من منع النبي ﷺ و القيام دونه . فأجابوه إلا أبو لهب فأمر النبي ﷺ المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة .

« و تجرع فيه » : أى في رضوانه تعالى .

« كل غصة » عن الزهري لما توفى أبو طالب ، و اشتد على النبي ﷺ البلاء عمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤوه سادتها عبد نائل ، و مسعود ، و حبيب بنو عمرو بن نمير الثقفي . فلم يقبلوه ، و تبعه سفهائهم بالأحجار ، و دموا رجله ، فخلص منهم و استظل في ظل حبله ، و قال : اللهم إني أشكو إليك من ضعف قوتي ، و قلة حيلتي و ناصري و هواني على الناس يا أرحم الراحمين .

وروى الطبري في ذيله عن مشيب بن مدرك الأزدى عن أبيه عن جده قال : رأيت النبي ﷺ في القائلة ، و هو يقول للناس : قولوا لا إله إلا الله فتلجوا . فمنهم من تفل في وجهه ، و منهم من حثا عليه التراب ، و منهم من سبه حتى انتصف النهار . فجاؤت جارية بعس من ماء ، فغسل وجهه ثم قال : يا بنيمة ابشري و لا تحزني ، و لا تخشي على أهلك غلبة و لا ذلاً . فقلت : من هذه؟ فقالوا : زينب بنته ، و هي يومئذ و صيفة .

هذا ، و في الكافي عنهم عليهم السلام لما أمر الله تعالى رسوله بإظهار الإسلام رأى

قلّة من المسلمين ، و كثرة من المشركين . فاهتمّ همّاً شديداً . فبعث الله تعالى بسدر من سدرة المنتهى فغسل به رأسه . فجلا به همّه .

« وقد تلوّن له الأذنون » و منهم أبولهب عمّه ، و في نسب الزبيرى عن طارق المحاربى رأيت النبى ﷺ في سويقة ذى المجاز عليه حملة حمراء ، و هو يقول: يا أيّها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفحلوا ، و أبولهب يتبعه ، و يرميه بالحجارة ، و قد أومى كعبيه و عرقوبيه و هو يقول : أيّها الناس لاتطيعوه . فإنّه كذاب .

و عن أبى أيوب الأنصارى وقف النبى ﷺ بسوق ذى المجاز . فدعاهم إلى الله تعالى ، و العباس قائم يستمع الكلام . فقال : أشهد أنّك كذاب ، و مضى إلى أبى- لهب ، و ذكر ذلك فأقبلا يناديان أن ابن أخينا هذا كذاب فلا يغرّنكم عن دينكم ، و ذكروا أنّه كان إذا قدم على النبى ﷺ وفد ليعلموا علمه انطلقوا بأبى لهب إليهم ، و قالوا له : اخبر عن ابن أخيك . فكان يطعن في النبى ﷺ و يتقول الباطل ، و يقول : إنّنا لم نزل نعالجه من الجنون . فيرجع القوم ، و لا يلقونه .

وفي العقد قال معاوية يوماً : أيّها الناس إنّ الله فضّل قريشاً بثلاث فقال لنبيّه « و أنذر عشيرتك الأقربين » (١) فنحن عشيرته ، وقال له « و إنّّه لذكر لك و لقومك » (٢) فنحن قومه ، و قال « لا يلاف قريش - إلى - و آمنهم من خوف » (٣) و نحن قريش . فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية . فإنّ الله تعالى يقول « و كذب به قومك » و أنتم قومه ، و قال « ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون » (٤) و أنتم قومه ، و قال « و قال الرسول يارب إنّ قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » (٥) و أنتم قومه ثلاثة بثلاثة ، و لوزدتنا زدناك . فافحمه .

(١) الشعراء ٢١٤

(٢) الزخرف ٤٤

(٣) قريش ١ - ٤

(٤) الزخرف ٥٧

(٥) الفرقان ٣٠

و فيه قال معاوية لرجل من اليمن : ما أجهد قومك حين ملكوا عليهم امرئة . فقال : أجهد من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم النبي ﷺ : اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم « (١) ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه .

« و تألب » : أى تجمّع .

«عليه الأقصون» : أى الأبعدون منه في النسب . قالوا : نهى أبو جهل النبي ﷺ عن الصلاة ، وقال : إن رأيت محمداً يصلّى لأضربن عنقه ، وكان النبي ﷺ يطوف فشمته عقبه بن أبي معيط ، وألقى عمامته في عنقه ، وجره من المسجد . فأخذه من يده ، وقالوا : لما نزلت سورة «تبت يدا أبي لهب ، جاءت أم جميل عمّة معاوية - وهى سمالة الحطب - إلى النبي ﷺ وبيدها فهر ، ولها ولولة ، وهى تقول :

مذمما أينا ☆ ودينه قلينا ☆ وأمره عصينا

وكان الحكم بن أبي العاص يمشى وراء النبي ﷺ يحكى مشيته . فدعا النبي ﷺ عليه . فبقى متخالج المنكبين ، وأخرجه إلى الطائف . قال عبد الملك لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ما كان أعلم بك حيث كان يشتمك . قال : إنما كان يشتمنى لأننى كنت أنهاء أن يقاتل بأهل مكّة ، وأهل المدينة . فإن الله لا ينصر بهما أما أهل مكّة . فاخرجوا النبي ﷺ وأخافوه . ثم جاؤا إلى المدينة حتى سيرهم . عرض بجدّه الحكم .

« و خلعت إليه العرب أعنتها » والمراد إجماعهم على حربه كقول الشماخ : اتتنى سليم قضتها بقضيضها . وفي تفسير القمى أن قريشاً تجمعت في سنة خمس ، وساروا في العرب ، و جلبوا و استنفزّوهم لحرب النبي ﷺ فوافوا في عشرة آلاف ، ومعهم كنانة و سليم و فزارة ، و كان النبي ﷺ حين أجلى بنى النضير ، وهم يهود من بنى هارون صاروا إلى خيبر . فخرج حتى بن أخطب وئيسهم إلى قريش بمكّة ،

وقال لهم : إن محمدًا قد و تركم و وترنا و أجالنا من المدينة من ديارنا و أموالنا ، و أجلي بنى عمنا بنى قينقاع . فسيروا في الأرض ، و أجمعوا من حلفاءكم و غيرهم حتى نسير إليهم فإنه قد بقى من قومي بيثرب سبعمأة مقاتل ، وهم بنو قريظة ، و بينهم و بين محمد عهد و ميثاق ، و أنا أمهلهم على نقض العهد بينهم و بين محمد ، و يكونوا معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق ، و هم من أسفل ، و كان موضع بنى قريظة على قدر ميلين و هو الموضع الذى سمى بئر بنى المطلب فلم يزل يسير معهم حتى ابن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش و كنانة ، و الاقرع بن حابس في قومه ، و العباس بن مرداس في بنى سليم .

و في إرشاد المفيد خرجت قريش في الأحزاب ، و قائدها إذ ذاك أبو سفيان ، و خرجت غطفان ، و قائدها عيينة بن حصن في بنى فزارة ، و الحرث بن عوف في بنى مرة ، و وبرة بن طريف في قومه من أشجع .

« و ضربت لمحاربته ، هكذا في المصرية ، و الصواب (إلى محاربته) كما في (حد ، و ثم ، و الخطية) .

« بطون رواحلها » رواحل جمع راحلة : الناقة التى تصلح لأن ترحل ، و في الخبر (تجدون الناس كما بل مائة ليس فيها راحلة) : أى الرجل الكامل في الناس قليل كقلمة الراحلة في الآبال ، و ضرب بطون الرواحل إلى محاربته كناية أيضاً كخلع الأعتة . عن الاتفاق على حربته ﷺ إلا أن الأعتة للأفراس ، و عرفت أن الرواحل النوق ، و قال جرير في هزيمة جيش إبرويز في ذى قار :

هو المشهد الفرد الذى ما نجابه ☆ لكسرى بن كسرى لاسنام و لاصلب

السنام : كناية عن الآبال ، و الصلب عن الأفراس .

« حتى أنزلت بساحته عدوانها » هكذا في المصرية ، و الصواب : عداوتها كما

في (حد ، و ثم ، الخطية) .

« من أبعد الدار و أسحق » : أى أطول .

« المزار » و لما رأى النبي ﷺ ضعف قلوب أصحابه في الأحزاب بعث إلى عيينة والحارث قائدي غطفان يرجعان بقومهما على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة ، و استشار سعد بن عبادة ، و سعد بن معاذ . فقالا : إن لم يكن ذلك عن وحي . فلا نقبله . فقال النبي ﷺ : لم يأتني وحي في ذلك ، ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، و جاؤكم من كل جانب . فأردت أن أكسر عنكم عن شوكتهم . فقالا : إننا لم نعطي في الجاهلية من ثمارنا أحداً فكيف في الإسلام .

٢٣٩٣٢ (ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية) فَأَرَادَ قَوْمُنَا
 قَتَلَ نَبِيَّنَا ، وَ اجْتِيَا حِ اصْلِنَا ، وَ هَمُّوا بِنَا الِهُمُومَ ، وَ فَعَلُوا بِنَا
 الْاَفَاعِيلَ ، وَ مَنَعُونَا الْعَذَبَ ، وَ احْلَسُونَا الْخَوْفَ ، وَ اضْطَرُّوْنَا اِلَى
 جَبَلٍ وَعَرٍ ، وَ اَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ . فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ
 عَنِ حَوْزَتِهِ ، وَ الرَّمِيِّ مِنْ وَّرَاءِ حُرْمَتِهِ . مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْاَجْرَ ،
 وَ كَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْاَصْلِ ، وَ مَنْ اسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوًا مِمَّا نَحْنُ
 فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ ، اَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ . فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ اَمْنٍ
 وَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ اِذَا احْمَرَ الْبَاسُ ، وَ احْجَمَ
 النَّاسُ قَدَمَ اَهْلِ بَيْتِهِ . فَوَقَى بِهِمْ اصْحَابَهُ حَرَّ الْاَسْنَةِ وَ السُّيُوفِ . فَقَتِلَ
 عَبِيدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَ قَتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ اَحُدٍ ، وَ قَتِلَ جَعْفَرُ
 يَوْمَ مُؤْتَةَ .

أقول : و رواه نصر بن مزاحم مع زيادة و اختلاف . ففي صفحته قال علي ﷺ :
 و لعمر الله أني لأرجعو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ، و نصيحتهم

له و لرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر أن تجرداً صلى الله عليه وسلم لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كنّا أهل البيت أول من آمن به ، و صدق بما جاء به . فلبثنا أحوالاً وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا . فأراد قومنا قتل نبيّنا ، واجتياح أصلنا ، وهمموا بنا الهموم ، وفعلوا بنا الأفاعيل فممنعونا الميرة ، وامسكوا عنّا العذب ، واحلسونا الخوف ، وجعلوا علينا الإرصاد والعيون ، واضطرونا إلى جبل وعر ، وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يؤاكلونا ، ولا يشاربونا ، ولا يناكحونا ، ولا يباعدونا ، ولأننا من فيهم حتى ندع النبي صلى الله عليه وسلم فيقتلونه ، ويمثلونه . فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم . فعزم الله لنا على منعه ، والذب عن حوزته ، والرمى من وراء حرمة ، والقيام بأسياقنا دونه في ساعات الخوف ، والليل والنهار . فمؤمنا يرجو بذلك الثواب ، وكفرنا يحامى به عن الأصل ، فأما من أسلم من قريش بعد . فإيّنهم مما نحن فيه أخلياء . فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيرة تدافع عنه . فلا يبيعيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف فهم من القتل بمكان نجوة وأمن . فكان ذلك ما شاء الله . ثم أمر الله عز وجل - رسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين . فكان إذا أحمّر الباس ، ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف . فقتل عبيدة يوم بدر ، و حمزة يوم أحد ، وجعفر يوم مؤتة - إلخ -

قول المصنّف « ومن كتاب له صلى الله عليه وسلم إلى معاوية » أقول : جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه صلى الله عليه وسلم مع أبي مسلم الخولاني ، وفيه « إن الله اصطفى محمداً بعلمه ، واجتنبى له من المسلمين أعواناً . فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم الخليفة من بعده ، و خليفة خليفته ، والثالث الخليفة المظلوم . فكلمهم حسدت ، و على كلمهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشرر ، وفي قولك الهجر ، وفي تنفّسك الصعداء ، وفي إبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل المنخشوش حتى تبايع ، وأنت كاره - إلخ - .

قوله صلى الله عليه وسلم « فأراد قومنا : أي قريش . قال تعالى « وكذب به قومك وهو الحق » (١) .

« قتل نبينا » في السير لمّا علمت قريش أن أبا طالب لا يخذل النبي ﷺ وأنه تجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد إليه . فقالوا: يا أبا طالب هذا فتى قريش ، وأجملهم فخذه فلك عقله و نصرته . فاتخذته ولدأ ، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي سفّه أحلامنا ، وخالف دينك ، ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك نقتله . فإتّما رجل برجل . فقال : والله لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لك ، واعطيكم ابني تقتلونه هذا ، والله لا يكون أبداً أما تعلمون أن الناقة إذا فقدت ولدها لاتحن إلى غيره . ثم نهرها - فاشتدّ عند ذلك الأمر واشتدّت قريش على من في القبائل من الصحابة الذين أسلموا . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعدّونهم .

وفي المناقب بعثوا : أي قريش إلى أبي طالب ادفع إلينا مجدأ نقتله ، و نملكك علينا . فأنشأ اللامية التي يقول فيها في النبي ﷺ :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ☆ شمال اليتامى عصمة للأرامل

فلمّا سمعوا القصيدة آيسوا منه .

« واجتياح » : أي استيصال .

« أصلنا » والمراد جميعنا .

« وهموا بنا الهموم » : أي أرادوا لنا ارادات .

« و فعلوا بنا الأفاعيل » العجبية من قسوة البشر وطغيانه . قال الشماخ :

إذا استهلاً بشؤبوب فقد فعلت ☆ بما أصابا من الأرض الأفاعيل

وقالوا الرشى تفعل الأفاعيل ، وتنسى إبراهيم وإسماعيل .

« و منعونا العذب » : أي الماء الطيب .

« و أحلسونا الخوف » أي جعلوا الخوف كحلس لنا ، والحلس مسح يكون

مبسوطاً دائماً ، والحلس للبعير كساء رقيق تحت البرزعة ، والمراد أخافتهم دائماً .

« و اضطرّونا إلى جبل وعر » بالتسكين : أي الصعب .

« و أوقدوا لنا نار الحرب » لا هلا كنا . روى السروي عن عكرمة ، و عروة بن

الزبير قالوا: لم تارات قريش أن أمر النبي ﷺ يفشوا في القبائل، وأن حمزة أسلم، وأن عمرو بن العاص رد في حاجته عند النجاشي، وأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه علانية . فلما رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبد المطلب، وأجمع لهم على أن يدخلوا النبي ﷺ في شعبهم . فاجتمعت قريش في دار الندوة، وكتبوا صحيفة على بنى هاشم ألا يكلموهم ولا يزوجوهم، ولا يتزوجوا إليهم، ولا يبايعوهم إلى أن يسلموا النبي ﷺ إليهم، وختم عليها أربعون خاتماً، وعلقوها في جوف الكعبة وفي رواية - عند زمعة بن الأسود . فجمع أبو طالب بنى هاشم في شعبه، وكانوا أربعين رجلاً مؤمنهم وكافرهم ما خلا أبي لهب ، وأبي سفيان الهاشمي . فكانا مع قريش ، وكان أبو جهل والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات . فمن رأوا معه ميرة نهوه أن يبيع من بنى هاشم شيئاً ، ويحذرونه من النهب . فانفتحت خديجة عليها السلام على النبي ﷺ مالا كثيراً - إلى أن قال - وكانوا لا يأمنون إلا في موسم العمرة في رجب ، وموسم الحج في ذي الحجة . فيشترون ويبيعون فيهما ، وقد يوصل إليهم الطعام حكيم بن حزام لعتمته خديجة ، وأبو العاص بن الربيع لكونه ختم النبي ﷺ . يبعث بالبعير بالليل عليها البر والتمر .

« فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمة ، روى السري عن مقاتل أن قريشاً لم تارات أن أمر النبي ﷺ يعلو قالوا : لا نرى محمداً إلا يزداد كبراً وتكبراً ، وإن هو إلا ساحر أومجنون ، وتوعده ، وتعاقدوا لئن مات أبو طالب ليجمعن قبائل قريش كلها على قتله ، وبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وأحلافهم من قريش . فوصاهم بالنبي ﷺ وقال : إن ابن أخى كما يقول : أخبرنا آباءنا وعلماؤنا أن محمداً نبي صادق ، وأمين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ، ومكانه من ربه أعلى مكان . فاجيبوا دعوته ، واجتمعوا على نصرته ، وراموا عدوه من وراء حوزته . فإنه الشرف الباقي لكم في الدهر . فمكثوا بذلك أربع سنين - وقال ابن سيرين - ثلاث سنين ، وفي كتاب شرف المصطفى . فبعث الله على صحيفتهم الأربعة فلوحتها فنزل جبرئيل عليه السلام بذلك . فأخبر النبي ﷺ أبا طالب . فدخل أبو طالب على قريش في المسجد . فلما رأوه عظموه وقالوا : أردت مواصلتنا ، وإن تسلم ابن أخيك . قال :

والله ما جئت لهذا أخبرني ابن أخي - ولم يكذبني - إن الله تعالى قد أخبره بحال صحيفتكم فابعثوا إلي صحيفتكم فإن كان حقاً فاتقوا الله ، وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم ، وإن كان باطلاً دفعته إليكم . فاتوا بها فكفوا الخواتيم فإذا فيها (باسمك اللهم) واسم (محمد) فقط فقال لهم أبو طالب: اتقوا الله . فسكتوا وتفروا . فنزل « أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (١) فسأل النبي ﷺ أبا طالب الخروج من الشعب . واجتمع سبعة نفر من قريش على نقضها ، وهم مطعم بن عدى بن نوفل الذي أجاز النبي ﷺ لما انصرف من الطائف ، وزهير بن أمية المخزومي ختم أبي طالب على ابنته عاتكة ، وهشام بن عمرو بن لوى بن غالب وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب . قال : هؤلاء السبعة أخرجها الله ، وعزموا أن يقطعوا يمين كاتبها ، وهو منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فوجدوها شلاءً قد قطعها الله . فأخذ النبي ﷺ في الدعوة ، وقال أبو طالب في ذلك :

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة * متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محال الله منها كفرهم وعقوقهم * وما نقموا من ناطق الحق معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلا * ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب
فأمسى ابن عبد الله فينا مصداً * على سخط من قومنا غير معتب
« مؤمننا يعني » : أي يطلب .

« بذلك » : أي الجحد في حفظ النبي ﷺ .

« الأجر » : من الله تعالى .

« وكافرنا » : من بنى هاشم حتى مثل أبي لهب .

« يحامي » بدفاعه .

« عن الأصل » : أي عشيرته ، روى روضة الكافي عن الصادق عليه السلام قال : لما

أرادت قريش قتل النبي ﷺ قالوا : كيف لنا بأبي لهب . فقالت أم جميل : أنا

أَكْفِيكُمْوه أنا أقول له: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَقْعِدَ الْيَوْمَ عِنْدِي نَصْطَبِحَ. فَلَمَّا أَنْ كَانَ مِنَ الْغَدِ، وَتَهَيَّأَ الْمَشْرُكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَعْدًا بُوَطَالِبَ وَأَمْرَاتِهِ يَشْرَبَانِ. فَدَعَا بُوَطَالِبَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا بَنِيَّ أَزْهَبُ إِلَى عَمِّكَ. فَإِنْ فَتِحَ لَكَ فَادْخُلْ وَإِنْ لَمْ يَفْتَحْ فَتَحَامِلْ عَلَى الْبَابِ وَاكْسِرْهُ، وَادْخُلْ عَلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبِي: إِنَّ إِمْرَأَةً عَمَّهُ عَيْنُهُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ بِذَلِيلٍ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ: صَدَقَ أَبُوكَ فَمَاذَا يَا ابْنَ أَخِي. فَقَالَ: يَقْتُلُ ابْنَ أَخِيكَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ. فَوَثَبَ وَأَخَذَ سَيْفَهُ. فَتَعَلَّقَتْ بِهِ أُمُّ جَمِيلٍ. فَرَفَعَ يَدَهُ، وَلَطَمَ وَجْهَهَا فَفَقَأَ عَيْنَهَا. فَمَاتَتْ وَهِيَ عَوْرَاءٌ، وَخَرَجَ أَبُو لَهَبٍ. فَلَمَّا رَأَتْهُ قَرِيشٌ عَرَفَتْ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَتْ لَهُ: مَا لَكَ. فَقَالَ: أُبَايِعُكُمْ عَلَى ابْنِ أَخِي. ثُمَّ تَرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَاللَّاتُ وَالْعُزَّى هَمَمْتَ أَنْ أَسْلَمَ ثُمَّ تَنْظُرُونَ مَا أَصْنَعُ فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ وَرَجَعُوا.

و فِي كَامِلِ الْجَزْرِيِّ عَمْدَ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيظٍ - وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ أَذَى لِلنَّبِيِّ ﷺ - إِلَى مَكْتَلٍ فَعَجَلَ فِيهِ عَذْرَةَ، وَجَعَلَهُ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَصَرَ بِهِ طَلِيبُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ - وَأُمُّهُ أُرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - فَأَخَذَ الْمَكْتَلَ، وَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ، وَأَخَذَ الْمَكْتَلَ وَمِنْهُ وَضَرَبَ بِهِ رَأْسَهُ، أَخَذَ بِأُذُنَيْهِ. فَشَكَاهُ عَقْبَةُ إِلَى أُمِّهِ. فَقَالَ: قَدْ صَارَ ابْنُكَ يَنْصُرُ مُحَمَّدًا فَقَالَتْ: وَ مِنْ أَوْلَى بِهِ مَنَاةٌ أُمُّوَالْنَا وَ أَنْفُسْنَا دُونَ مُحَمَّدٍ.

« وَ مِنْ أَسْلَمَ مِنْ قَرِيشٍ خَلَوْا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحَلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٌ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنْ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنَ » فِي الْكَامِلِ: بَلَغَ مِنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَبَشَةِ أَنَّ قَرِيشًا أَسْلَمَتْ. فَعَادَ مِنْهُمْ قَوْمٌ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْ مَكَّةَ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْخَبَرَ بَاطِلٌ. فَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِجَوَارٍ أَوْ مُسْتَخْفِيًا. فَدَخَلَ عُثْمَانُ فِي جَوَارِ أَبِي أَحِيحَةَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمِّيَّةَ فَأَمَّنَ بِذَلِكَ، وَدَخَلَ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بِجَوَارِ أَبِيهِ، وَكَانَ الْحَصْرَ فِي الشَّعْبِ مَخْتَصًا بَيْنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمَطْلَبِ.

« وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا احْمَرَّ الْبَاسُ »: أَيِ اشْتَدَّ الْقِتَالُ.

« وَأَحْجَمَ النَّاسَ » جَعَلَ الْجَوْهَرِي (أَجْحَمَ) بِتَقْدِيمِ الْجِيمِ (وَأَحْجَمَ) بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ

بِمَعْنَى وَاحِدٍ: أَيِ كَفَّ النَّاسَ.

« قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ »: فِي الْحَرْبِ.

« فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف » هكذا في المصرية ، والصواب (حرّ السيوف والأسنّة) كما في (حد ، و نم ، والخطية) وإتما قدّمهم ليظهر على العالم أنّهم السابقون في كل خير ، وقد تأدّب بذلك من الله تعالى حيث قال له أوّلاً « وأنذر عشيرتك الأقرين » (١) فجمع بنى عبد المطلب و أنذرهم بالله و أنّه أرسله إليهم ، وقال له ثانياً « وامر أهلك بالصلوة والصطر عليها » (٢) فكان يجيء كل يوم على باب علي وفاطمة عليهما السلام ويقول : الصلوة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّرهم تطهيراً .

كما أنّه صلّى الله عليه وآله أخر المدعين في قبال أهل بيته للأمر عن سائر أصحابه ليعلم الناس تأخّرهم .

وفي معارف ابن قتيبة كانت قريش يوم أحد في ثلاثة آلاف ، والنبي صلّى الله عليه وآله في سبعمائة فظاهر يومئذ بين درعين ، وأخذ سيفاً فهزّه ، وقال : من يأخذه بحقه فقال عمر : أنا . فأعرض عنه ، وقال الزبير : أنا . فأعرض عنه . فوجدوا في أنفسهما فقام أبو-دجانة فأعطاه إياه مع أنّه لم يكن من المدعين جدّ باقى أصحابه .

وفي كامل الجزرى : وانتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة يوم أحد في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم فقال : ما يحبسكم فقالوا : قد قتل النبي صلّى الله عليه وآله قال : فما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه . ثمّ استقبل القوم . فقاتل حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة ، و ما عرفه إلا أخته بحسن بنائه ، وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين - فيهم عثمان بن عفان - إلى الأعوص . فأقاموا به ثلاثاً . ثمّ أتوا النبي صلّى الله عليه وآله فقال النبي صلّى الله عليه وآله لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

هذا ، و نظير كلامه عليه السلام في هذا الكتاب كتاب أنشاء المعتضد الخليفة العباسى في لعن معاوية رواء الطبرى . فقال : قال المعتضد في كتابه : إن الله - عزّ

(١) الشراء ٢١٤

(٢) طه ١٣٢

وجل - لما تبعت محمداً ﷺ بدينه ، وأمره أن يدع بأمره يصدء بأهل بيته وعشيرته . فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشرهم ، و نصح لهم وأرشدهم . فكان من استجاب له ، و صدق قوله نفر يسير من بنى أبيه من بين مؤمن بما أتى إليه من ربه ، وبين ناصر له ، وإن لم يتبع دينه إعزازاً له وإشفاقاً عليه لما مضى في علم الله في من اختار منهم ، و نفذت مشيئته في ما يستودعه إياه من خلافته . فمؤمنهم مجاهد بنصرته و حميئته يدفعون من نابذيه ، و ينهرون من عازيه ، و عانده و يتوثقون له ممن كانفه و عاضده ، و يباعدون له من سمح بنصرته ، و يتجسسون له أخبار أعدائه ، و يكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين حتى بلغ المدى و حان وقت الاهتداء . فدخلوا في دين الله و طاعته ، و تصديق رسوله ، و الايمان به بأثبت بصيرة ، و أحسن هدى و رغبة . فجعلهم الله أهل بيت الرحمة ، و أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

« فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر » إنما عدت عائشة بنت أبي بكر في أهل بيت النبي مع كونه مطلبياً فإنه عبيدة بن الحارث بن المطلب ، واجتماعه مع النبي ﷺ في عبد مناف كبنى عبد شمس لأن بنى المطلب كانوا مع بنى هاشم متفقين كبنى نوفل مع بنى عبد شمس ، و لأن الأصل في النسبة إلى النبي ﷺ الايمان و العمل . فصار سلمان بذلك مع عجمته من أهل بيته ، و صار أبو لهب مع كونه لباباً في الهاشمية أجنبياً عنه ﷺ .

و اختلفت الإمامية في جواز إعطائهم الخمس . فالمشهور بينهم المنع ، و اختصاص الخمس بالهاشمي ، و ذهب الإسكافي ، و المفيد في الغريرة إلى الجواز استناداً إلى ما روى عن الصادق عليه السلام لو كان عدل ما احتاج هاشمي و لامطلبى إلى صدقة .

و اختلف في قاتل عبيدة . فقال المفيد و الواقدي ، و البلاذري : قاتله شيبة ، و قال ابن إسحاق ، و ابن قتبية ، و علي بن إبراهيم القمي : قاتله عتبة ، فروى المفيد مسنداً عن أبي رافع قال : لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قریش أمامها عتبة بن ربيعة ، و أخوه شيبة ، و ابنه الوليد . فنادى عتبة يا محمد اخرج إلينا أكفائنا من قریش ، فبدر

إليهم ثلاثة من شبان الأ نصار . فقال لهم عتبة : من أنتم ؟ فانتمسبوا له . فقال لهم : لا حاجة لنا إلى مبارزتكم إنما طلبنا بنى عمنا . فقال النبي ﷺ للأ نصار: ارجعوا إلى موافقكم . ثم قال : قم يا على قم يا حمزة قم يا عبدة قاتلوا على حقكم الذى بعث الله به نبيكم إن جاءوا بباطلهم ليطفؤا نور الله . فقاموا فصفوا للقوم ، و كان عليهم البيض فلم يعرفوا . فقال لهم عتبة: تكلموا . فإن كنتم أكفاء قاتلناكم . فقال حمزة : أنا حمزة بن عبدالمطلب أسد الله ، و أسد رسوله . فقال عتبة : كفوكريم ، و قال أمير المؤمنين : أنا على بن أبى طالب بن عبدالمطلب ، و قال عبدة : أنا عبدة بن الحارث بن المطلب . فقال عتبة لابنه الوليد : قم . فبرز إليه أمير المؤمنين - و كانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنناً فاختلغا ضربتين أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين ﷺ و اتقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين ﷺ فأباتها . فروى أنه ﷺ كان يذكر بديراً و قتله الوليد . فقال : كأنسى إلى وميض خاتمه في شماله ثم ضربته ضربة أخرى فصرعته ، و سلبته فرأيت به درعاً من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس ثم بارز عتبة حمزة فقتله حمزة ، و مشى عبدة - و كان أسن القوم - إلى شيبة فاختلغا ضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبدة . فمات بالصفراء ، و في قتل عتبة و شيبة و الوليد تقول هند بنت عتبة :

أيا عين جودى بدمع سرب ☆ على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه عدوة ☆ بنو هاشم و بنو المطلب
يذيقونه حد أسيا فهم ☆ يعرفونه بعد ما قد شحب

و قال القمى : نظر عتبة إلى أخيه شيبة و إلى ابنه الوليد . فقال : قم يا بنى و طلبوا له بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته . فاعتجر بعمامته . ثم أخذ سيفه ، و تقدم هو و أخوه و ابنه ، و نادى يا محمد أخرج إلينا أكفائنا من قريش - إلى أن قال - قال النبي ﷺ : يا عبدة عليك بعتبة ، و قال لحمزة: عليك بشيبة ، و قال لعلى ﷺ : عليك بالوليد . فمروا حتى انتهوا إلى القوم . فقال عتبة : من أنتم ؟ قال عبدة : أنا عبدة . قال : كفوكريم . فمن هذان ؟ قال : حمزة و على . فقال : كفوان كريمان لعن الله من أوقفنا و إياكم هذا الموقف - قال الشارح : و مراده أبو جهل - فقال شيبة لحمزة :

من أنت؟ قال: حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله. فقال له شيبه: لقد لقيت أسد الخلفاء فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله. فحمل عبيدة على عتبة. فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه. فقطعها وسقطها جميعاً، وحمل حمزة على شيبه. فمضاربا بالسيفين حتى تئلما، وكل واحد يلتقى بدرقته، وحمل أمير المؤمنين على الوليد. فضربه على جبه عاتقه. فاخرج السيف من أبطه. ثم أعتنق حمزة وشيبه. فقال المسلمون لأمير المؤمنين عليه السلام: أما ترى الكلب قد بهر عمك. فحمل عليه على عليه السلام ثم قال: يا عم طاطيء رأسك وكان حمزة أطول من شيبه. فأدخل حمزة رأسه في صدره. فضربه على رأسه فطن نصفه. ثم جاء إلى عتبة، وبه رمق فأجهز عليه، وحمل على عليه السلام وحمزة عبيدة حتى أتيا به النبي ﷺ فنظر إليه، واستعبر. فقال عبيدة للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي أأنت شهيد أقال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي، فقال: لو أن عمك كان حياً لعلم أني أولى بما قال منه قال: وأي أعمامى تعنى قال: أبوطالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبرى محمداً ☆ ولما نطا عن دونه و نناضل
و نصره حتى نصرع حوله ☆ و نذهل عن أبنائنا والحلائل
فقال النبي ﷺ: أما ترى ابنه علياً كالليث العادي بين يدي الله ورسوله،
وابنه الآخر جعفر في جهاد الله بأرض الحبشة. فقال: اسخطت علياً يا رسول الله في
هذه الحالة. قال: لا ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك.

والصحيح القول الأخير لميت هند بنت عتبة في قتل أبيها (بنو هاشم وبنو المطلب)
على ما مر في آياتها فإنه لا ينطبق إلا على القول الأخير المشتمل على أن عبيدة صرع
عتبة - وعبيدة من بني المطلب - وأجهز عليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو من بني هاشم.
ويشهد له قول هند بنت أئانة المطالبية في جواب هند بنت عتبة كما في سيرة
ابن هشام:

حمزة ليثي و علي صقري ☆ إن رام شيب وأبوك غدري

فخضبا منه ضراحي النحر

و يشهد له قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتبه إلى معاوية - أنا قاتل جدك - ففي النهج في العاشر من باب كتبه « فأنا أبو حسن قاتل جدك و خالك و أخيك شدخاً يوم بدر » و في ٢٨ منها « و سيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك و خالك و جدك و أهلك » و في ٦٤ منها « و عندى السيف الذى اعضضته بجدك و خالك و أخيك في مقام واحد » .

ومما ذكرنا من اختلاف روايات الشيعة في قاتل عبدة كروايات العامة يظهر لك ما في قول (حد) إن الشيعة رووا كون قرن عبدة شيبية ، فالقضى من قدماء الشيعة ، و قد روى أن قرنه عتبة كما عرفت .

هذا ، و روى طبقات ابن سعد أن قوله تعالى « هذان خصمان اختصموا في ربهم » ^(١) نزل في على و حمزة و عبدة ، و في عتبة و شيبية .

و في معارف ابن قتيبة (بدر) كان اسم رجل من غفار رهط أبي ذر من بطن يقال لهم : بنو النار .

« و قتل حمزة يوم أحد » قال القمى : كان حمزة يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد ، و كانت هند بنت عتبة قد أمطت و حشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعتقنك ، و كان وحشى عبداً لجبير بن مطعم حبشياً . فقال : أما محمد فلا أقدر عليه ، و أما على فرأيتهم رجلاً كثير الالتفات حذراً . فكمن لحمزة فرآه يهذب الناس هذا فمر به فوطأ على حرف نهر . فسقط فأخذ وحشى حربته . فهزها و رماها . فوقع في خاصرته ، و خرجت من مئانته منغمسة بالدم . فسقط فأتاه . فشق بطنه ، و أخذ كبده ، و أتى إلى هند فقال لها : كبد حمزة . فأخذتها في فيها فلاكتها . فجعلها الله في فيها مثل الفضة . فلفظتها ، و رمت بها . فبعث الله تعالى ملكاً فردّها إلى موضعها أبى الله أن يدخل شيئاً من حمزة النار فجاءت إليه هند . فقطعت مذاكيره ، و قطعت أذنيه ، و جعلتها خرصين ، و شدتها في عنقها ، و قطعت يديه و رجليه - إلى أن قال - قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم : من له علم بعمى حمزة . فقال الحرث بن الصمة : أنا أعرف

موضعه . فجاء حتى وقف عليه . فكره أن يرجع إلى النبي ﷺ فيخبره بذلك . فقال النبي ﷺ لا مير المؤمنين علياً : اطلب عمك فجاء حتى وقف عليه فكره أن يرجع فجاء النبي ﷺ فلما رأى ما فعل به بكى . ثم قال : ما وقفت موقفاً قط أغيظ على من هذا المكان لئن أمكنني الله من قریش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم . فنزل عليه جبرئيل ﷺ بهذا « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين » (١) فقال : بل أصبر .

«وقتل جعفر يوم مؤتة» قال الجوهري: (مؤتة) بالهمزة اسم أرض قتل بها جعفر ، و أما (موتة) بالواو: فجنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم . و في البلدان (مؤتة) من قرى البلقاء في حدود الشام ، وقيل : من مشارف الشام التي تنسب إليها المشرفية من السيوف كما فسّر به ابن السكيت قول كثير :

أبى الله للشم الأوف كأنهم صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

و في كامل الجزرى كانت غزوة مؤتة في جهادى الأولى من سنة ثمان تجهز الناس إليها وهم ثلاثة آلاف حتى نزلوا (معان) فبلغهم أن هرقل توجه إليهم في مائة ألف من الروم ، و مائة ألف من المستعربة من لخم و جذام و بلقين و بلى عليهم رجل من بلى يقال له : مالك بن رافلة و نزلوا (مآب) من أرض البلقاء . فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا: نكتب إلى النبي ﷺ نخبره ، و ننتظر أمره . فشحجهم عبدالله بن رواحة على المضى وقال : يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم إليها تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فما هى إلا إحدى الحسنين إما ظهور ، و إما شهادة . فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها : مشارف ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة . فالتقى الناس عندها ، و كان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذرى ، و على ميسرتهم عباية بن مالك الأنصارى . فاقتلوا قتالاً شديداً . فقاتل زيد بن حارثة برأية النبي ﷺ حتى شاط في رماح القوم . ثم أخذها جعفر

و هو يقول :

يا حبذا الجنة و اقترابها ☆ طيبة و باردا شرابها
و الروم روم قددنا عذابها ☆ كافرة بعيدة أنسابها

على إزلاقيتها ضرابها

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء . فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل ،
و كان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام فوجدوا به بضعا وثمانين بين رمية و طعنة و
ضربة . فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة - إلخ - .

قال (حد) اتفق المحمّدون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول ،
و انكرت الشيعة ذلك ، و قالوا : كان جعفر هو الأمير الأول . ثم زيد . ثم عبد الله ،
و رووا في ذلك روايات ، و قد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب
المغازي ما يشهد لقولهم . فمن ذلك ما رواه عن حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعت ☆ بمؤتة منهم ذوالجناحين جعفر
وزيد و عبدالله حين تتابعوا ☆ جميعاً و أسياف المنية تخطر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ☆ شعوب و خلق بعدهم يتأخرون
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ☆ إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ☆ أبى إذا سيم الظلامه أصعر
فطاعن حتى مال غير موسد ☆ بمعترك فيه القتال منكر
فصار مع المستشهدين ثوابه ☆ جنان و ملتف الحديقه أخضر
و كنتا نرى في جعفر من محمد ☆ و قاراً و أمراً حازماً حين يأمر

و منها قول كعب بن مالك الأنصاري :

نام العيون و دمع عينك يهمل ☆ سحاً كما وكف الرباب المسبل
و جدأ على نفر الذين تتابعوا ☆ قتلاً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا

سارو أمام المؤمنين كأنهم ☆ طود يقودهم الهزير المشبل
 إن يهتدون بجعفر ولوائه ☆ قدام ، أولهم ونعم الأول
 حتى تقوت الصفوف وجعفر ☆ حيث التقى جمع الغواة مجدلاً
 فتغير القمر المنير لفقده ☆ والشمس قد كسفت وكادت تافل

قلت : لم يختص كون جعفر أمير الكل ، و الأمير الأول روايته بالشيعة .
 فقد روى ذلك كاتب الواقدي في طبقاته مع كونه ناصبياً شديداً النصب فقال : أخبرنا
 بكر بن عبد الرحمن قاضي الكوفة . قال : حدثنا عيسى بن المختار عن محمد بن عبد الرحمن
 بن أبي ليلى عن سالم بن أبي الجعد عن أبي اليسر عن أبي عامر قال : بعثنى النبي ﷺ
 إلى الشام فلمّا رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة . فقلت : و
 الله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم . فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ،
 و لبس السلاح ثم حمل حتى إنّاهم أن يخالط العدو رجع . فوحش بالسلاح ثم حمل
 على العدو و طاعن حتى قتل . ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة . فطاعن حتى قتل . ثم
 أخذ اللواء عبد الله بن حارثة . فطا عن حتى قتل ثم انهزم المسلمون أسوء هزيمة - الخبر - .
 فظهر أن ما قاله من كون الأمير الأول زيد مشهورى بين معدّتهم لا اتفاقى ، و
 كأنهم شهروا تقدم زيد على جعفر دفعاً لعار تأمير النبي ﷺ زيداً ، وذاك على صد يقهم
 و فاروقهم في سرايا قبل ذلك ، و تأمير ابنه أسامة في مرض وفاته ﷺ أيضاً على الصد يق
 و الفاروق ، و قد طعنا في النبي ﷺ في تأميرهما عليهما حتى خطب النبي ﷺ في
 مرض وفاته لمّا أمر أسامة عليهما ، وحث على شخوصهما في جيشه حتى لعن المتخلف
 عن جيشه كما رواه سقيفة الجوهري ، و صرح به ملل الشهرستاني . فقال ﷺ لهم
 كما في طبقات كاتب الواقدي إن طعنتم في أسامة بن زيد فقد طعنتم قبل على أبيه زيد
 بن حارثة ، و حق لهما الإمارة .

ومن الطرائف أن الجزرى قال : إن النبي ﷺ أخبر عن تلك الواقعة فقال :
 فقتل زيد شهيداً . ثم أخذ اللواء جعفر . فشد على القوم حتى قتل شهيداً - إلى أن
 قال - قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد . فعاد بالناس فمن يومئذ

سمي خالد سيف الله - إلى أن قال - فلما رجع الجيش لقيهم النبي ﷺ والمسلمون فأخذ النبي ﷺ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، وجعل الناس يحثون التراب على الجيش ، ويقولون : يا فرأيا فرأرا - إلخ - .

فاذا كان خالد من سيوف الله كيف يحثوا المسلمون التراب عليه ، وعلى جيشه ، ويقولون لهم : يا فرأرا يا فرأرا فهذا يدل على أنه كان من البائين بغضب الله حسب قوله تعالى « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله » (١) لا من سيوف الله .

وقد روى الواقدي عن ثعلبة بن أبي مالك قال : انكشف خالد بن الوليد بالناس حتى عيبروا بالفرأرا ، وتشأم الناس به .

وروى عن أبي سعيد الخدري قال : أقبل خالد بالناس منهزمين . فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف فجعلوا يحثون في وجوههم التراب ، ويقولون : يا فرأرا فررتم في سبيل الله .

إن إخواننا يدعون الكمال ، ويأتون بالتناقض ، وأغلب تواريخهم هكذا مختلطة بأحاديثهم الموضوعة . فهل صار خالد بن الوليد باهزامه يوم مؤتة بالمسلمين أو بهزيمة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله في أحد حتى قتل منهم سبعون ، و منهم حمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ أو بارادة قتله لأمير المؤمنين عليه السلام للأول أو بغدره ببني جذيمة بعد فتح مكة بعد أمانهم . فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء كما في الطبرى ، وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد . ثم بعث أمير المؤمنين عليه السلام فأعطاهم الدية ، و عوض أموالهم حتى مبلغة كلابهم و أعطاهم زيادة على ما عينوا احتياطاً للنبي ﷺ ثم رجع وأخبر النبي ﷺ بما فعل فقال : أحسنت . ثم قام واستقبل القبلة قائماً شأهراً يديه حتى أنه ليرى بياض ما تحت منكبيه ، وهو يقول « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد - ثلاث مرات - أو بغدره بمالك بن نويرة و قتله له بغير حق و زناه بأمراته حتى أنكر ذلك عمر على أبي بكر

وعلى خالد غاية الإنكار من سيوف الله فلو كانوا لقبوه لأعماله سيف الشيطان كان لعمر الله أصدق وأقرب إلى الحق والحقيقة ، ولم لم يقتد أبو بكر بالنبي ﷺ في تبرئه من خالد مع قتله لطائفة من المشركين كان النبي ﷺ آمنهم ، ونفسه كان آمنهم حتى وضعوا أسلحتهم فكيف لم يتبره منه أبو بكر مع قتله لمؤمن آمنه ، ولعمر الله ما لقبه سيف الله إلا صد يقهم لما طلب عمر منه أن يقيد من خالد لقتله مسلماً ، و يجرى عليه الحد لزنائه بامرأته . فقال : ما كنت لأغمد سيف سله الله . فإن كان إخواننا وضعوا أحاديث لتصحيح عمل صد يقهم . فما يفعلون باستهزاء فاروقهم لصد يقهم بتسميته لخالد سيف الله بأن في سيف الله هذا رهقاً وطغياناً سبحان الله من تناقضاتهم والحمد لله على فضحه للكاذب . فقالوا : إن النبي ﷺ سماه سيف الله في انهماجه بالمسلمين مع أن المسلمين تشأموا به وكانوا يحثون التراب في وجهه لما رجع كما مر من الواقدي .

ومن العجب أنهم سموا خالداً مع أعماله تلك سيف الله ، ولا يسمون الأشتر به مع مقاماته في الجمل و صفين والنهروان و جهاده مع الناكثين والقاسطين والمارقين ، وعدم كون أحد أظهر آثاراً منه حتى مثل عمار مع أن أمير المؤمنين عليه السلام وصفه به محققاً فكتب إلى أهل مصر لما بعثه إليهم : بعثت إليكم سيفاً من سيوف الله لا كليل الظبة ، ولا نابي الضريبة . مع كون أمير المؤمنين عليه السلام كنفس النبي ﷺ بنص القرآن ، و بالوجدان والعيان ، وهل كل ذلك إلا لعداوتهم مع أهل بيت نبيهم عليهم السلام .

ثم لم يختص أشعار مغازي محمد بن إسحاق الدالة على كون جعفر الأمير الأوّل بما قال (حد) فيدل عليه أيضاً ما نقله عنه ابن هشام في سيرته عمّن رجع من غزوة مؤتة .

كفى حزناً أني رجعت وجعفر ☆ وزيد و عبد الله في رمس أقبر

قضوا نجبهم لما مضوا لسبيلهم ☆ وخلفت للبلوى مع المتغير

ثلاثة رهط قدّموا فتقدّموا ☆ إلى ورد مكروه من الموت أحر

و أيضاً فلا ريب أن جعفر كان أفضل من زيد . فكيف يقدم النبي ﷺ عليه

المفضول هل كان دين النبي ﷺ أو عمل النبي ﷺ على خلاف مقتضى العقول . هذا ، و كما كان النبي ﷺ يقدم أهل بيته في اشتداد الحروب كذلك أهل بيته كانوا هم الباقين معه ﷺ وقت انهزام الناس عنه ﷺ ففي معارف ابن قتيبة كان الذين ثبتوا يوم حنين مع النبي ﷺ بعد هزيمة الناس على ﷺ والعباس - وهو آخذ بحكمة بغلته - وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأيمن بن أم أيمن مولاة النبي ﷺ - وقتل يومئذ - وربيعة بن حارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد مولى النبي ﷺ وهو وأخوه لأمه أيمن وإن لم يكونا من نفس بنى هاشم بل من مواليهم إلا أن مولى القوم منهم قال العباس :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة ☆ وقد فر من فر منهم فاقشعوا

و ثامننا لاقى الحمام بسيفه ☆ بماهسته في الله لا يتوجع

وأما هو ﷺ فمواساته مع النبي ﷺ ووقايته له بنفسه لا يحتاج إلى بيان ففي أحد لما انهزم المسلمون ، وقصد المشركون لقتل النبي ﷺ قال الطبري : أبصر النبي ﷺ جماعة من مشركي قريش . فقال لعلي ﷺ : احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ثم أبصر النبي ﷺ جماعة من مشركي قريش . فقال له : احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وقتل شيبة بن مالك أحد بنى عامر بن لوى . فقال جبرئيل : يا رسول الله إن هذه للمواسة . فقال النبي ﷺ : إنه منسى وأنا منه . فقال جبرئيل : وأنا منكما فسمعوا صوتاً (لاسيف إلا ذوالفقار و لاقنى إلا على) .

٣٣ في آخر فصل اختيار غريب كلامه عليه السلام من الباب

الثالث ، وفي حديثه عليه السلام: كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .

ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو ، واشتد عضاض الحرب .
 فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه . فينزل الله
 عليهم النصر به ، و يأمنون مما كانوا بها يخافون بمكانه ، و قوله
 عليه السلام: اذا احمر الباس كناية عن اشتداد الامر ، والحرب ، و
 قد قيل فى ذلك اقوال احسنها : انه عليه السلام شبه حمى الحرب
 بالنار التى تجمع الحرارة و الحمرة بفعلها و لونها ، و مما يقوى
 ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله ، و قد رأى مجتلد الناس يوم
 حنين ، و هى حرب هوازن (الان حمى الوطيس) و الوطيس :
 مستوقد النار . فشبه صلى الله عليه وآله ما استحر من جلاذ القوم
 باحتدام النار ، و شدة التهابها . انقضى هذا الفصل ، و رجعنا الى
 سنن الغرض الاول فى هذا الباب .

أقول : رواه الطبرى مع اختلاف يسير . فروى عن جعفر بن محمد البر وزى عن
 عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن حارثة عن على عليه السلام قال : لما أن
 كان يوم بدر ، و حصر الناس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله و كان من أشد الناس بأساً ، و
 ما كان منّا أحد أقرب إلى العدو منه .

ورواه أبو عبيد مثل نقل المصنف فنقله كتاب لسان العرب عنه هكذا : كنا إذا احمر
 البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن أحد أقرب إليه منه .

«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ» في تفسير القمي لما رأى النبي ﷺ يوم أحد من أصحابه هزيمة قبيحة ، وأقبلوا يصعدون إلى الجبال وفي كل وجه كشف البيضة عن رأسه وقال إلى أنا رسول الله أين تفرّون عن الله والرسول .
وفي اليعقوبي كان النبي ﷺ يوم أحد رأى أن لا يخرج من المدينة ، وأشارت عليه الأتار بالخروج . فلما لبس لباس الحرب ردت الأتار الأمر إليه ، وقالوا : لا تخرج عن المدينة . فقال : الآن وقد لبست لامتي ، والنبي إذا لبس لامته لا ينزعها حتى يقاتل ، ويفتح الله عليه .

« فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه » في الطبري كان بالمدينة فرع . فانطلقوا نحو الصوت . فإذا هم قد تلقوا النبي ﷺ على فرس عري لأبي قتادة ما عليه سرج ، وكان سبقهم إلى الصوت ، وجعل يقول : أيها الناس لاتراعوا لاتراعوا . قول المصنّف « ومعنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو ، لشدته .

« واشتدّ عضاض الحرب » شبه المصنّف الحرب بكلب يعض .

« فرع » : أي التجا .

« المسلمون إلى قتال رسول الله ﷺ بنفسه » في الطبري قال محمد بن إسحاق : قاتل النبي ﷺ بنفسه في تسع من غزواته : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقرية ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، وقال الواقدي : قاتل النبي ﷺ في إحدى عشرة من غزواته - وعد تلك التسع ، ووادى القرى - قال : وقتل فيها غلامه بسهم ، و يوم الغابة ، وقتل من المشركين ، وقتل محرز بن فضلة يومئذ ، وقال : لا خلاف في أن غزواته كانت سبع وعشرين إلا أنه اختلف في تقديم بعضها على بعض .
« فينزل الله عليهم النصر به » هكذا في المصرية ، والصواب (فينزل الله تعالى النصر

عليهم به) كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« ويأمنون ممّا كانوا يخافونه » من غلبة العدو .

« بمكانه » متعلق بقوله (ويأمنون) .

« و قوله : « إذا احمر البأس كناية عن اشتداد الأمر والحرب » و لا ريب في أن المراد ذلك ، و لكن اختلف في وجه الدلالة .

« و قد قيل في ذلك » : أى في وجه الكناية .

« أقوال » منها قول الأصمعي . فقال كما في اللسان : يقال : هو الموت الأحمر ، و الموت الأسود ، و معناه الشديد ، و أرى ذلك من ألوان السباع كأنه من شدته سبع . قال أبو عبيدة : فكأنه أراد بقوله (احمر البأس) : أى صار في الشدة و الهول مثل ذلك ، و منها قول الأزهري . فقال كما فيه أيضاً : و حمراء الظهيرة : شدتها ، و منه حديث عليّ - كرم الله وجهه (كتبنا إذا احمر البأس - إلخ -) .

« أحسنها أنه ﷺ شبه حمى الحرب « من حمى النهار : إذا اشتد حره .

« بالنار التي تجمع الحرارة و الحمرة بفعلها و لونها » يشهد له قوله تعالى « كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله » (١) و قوله ﷺ في استنفار الناس إلى أهل الشام (و أيم الله إنني لأظن أن لو حمس الوغى و استحر الموت) و قولهم : اضترم فلان للحرب ناراً و سعتها ، و أجبجها ، و ارتبها ، و أوراها ، و هشتها ، و شبتها ، و حضارها ، و ذكها ، و أذكها .

و مما ذكرنا يظهر لك ما في قول (حد) الجيد أن المراد إحمرار المعركة من سيلان الدم . فإتما قالوا ما قاله في قولهم (الموت الأحمر) لا في (احمر البأس) .

« و مما يقوى ذلك قول رسول الله ﷺ « هكذا في المصرية ، و الصواب : النبي ﷺ كما في (حد ، و ثم ، و الخطية) .

« وقد رأى مجتهد اسم مكان من اجتمعت القوم بالسيوف و تجالدوا .

« الناس يوم حنين » و قد كانت عساكر الإسلام ذلك اليوم كثيرة لكونه بعد فتح مكة حتى قال أبو بكر معجباً بكثرة تهم (لن تغلب اليوم من قلة) ثم انهزم في من انهزم مع صاحبه . فأنزل تعالى معرّضاً به و معرّجاً له عن أهل الإيمان « و يوم حنين إذا أعجبتكم كثير تكلم

فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم. وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، (١)

« وهى حرب هوازن » يعنى أن الكفار الذين قاتل المسلمون معهم في حنين كانوا قبيلة هوازن .

« الآن حمى الوطيس » قالوا : كان النبي ﷺ أول من قال (الآن حمى الوطيس) .

وفي الإرشاد لما رأى النبي ﷺ هزيمة القوم عنه في حنين قال للعباس - و كان رجلاً جهورياً صيئاً - ناد بالقوم ، و ذكّرهم العهد . فنادى العباس بأعلى صوته يا أهل بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة إلى أين تفرّون اذكروا العهد الذى عاهدتم عليه النبي ﷺ والقوم على وجوههم مدبرين ، و كانت ليلة ظلماء والنبي ﷺ في الوادى، والمشركون قد خرّجوا عليه من شعاب الوادى وجنباة ومضايقه مصلتين بسيوفهم ، وعمدهم ، وقسيتمهم فنظر النبي ﷺ إلى الناس يبعض وجهه في الظلماء فأضاء كأنه القمر ليلة البدر . ثم نادى المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه . فاسمع أو لهمم وأخرهم فلم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى الأرض فانهحدروا إلى حيث كانوا من الوادى حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه إلى أن قال- ونجا المسلمون والمشركون . فلما رأهم النبي ﷺ قام في ركبى سرجه حتى أشرف على جماعتهم ، وقال: الآن حمى الوطيس أنا النبي ﷺ لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما كان بأسرع من أن ولى القوم بأدبارهم وجرى بالأسرى إليه مكتفين .

« والوطيس » مستوقد النار ، وفي الصحاح: الوطيس: التنوير.

« فشبهه ﷺ ما استحرق »: أى اشتد .

« من جلال القوم » وقاتلهم .

« باحتدام النار »: أى صوت التها بها .

« وشدّة التها بها » أى اشتعالها .

« انقضى هذا الفصل : أى فصل الغريب ، و ليس في العنوان كلمة غريبة ، و إنما اشتبه وجه الشبه في جملة (احمر البأس) فيه .
 و مما روى عنه عليه السلام من الغريب ما في طبقات نحاة السيوطى أن عليماً عليه السلام قال لكاتبه « الصق روانفك بالحبوب ، و خذا طمز برشنا ترك ، و اجعل جندورينك إلى قيهلى ، حتى لا أنفى نفية إلا أودعتها حماطة جلعلانك ، و قال : أى الصق مقعدنك بالأرض ، و خذا القلم بأصابعك ، و اجعل حدقتيك إلى وجهى حتى لا أنطق كلمة إلا أودعتها حبة قلبك .

« ورجعنا إلى سنن » بالفتح : أى طريقة .

« الغرض » و الأصل فيه الهدف .

« الأوّل » من نقل مطلق مختار كلمه القصار .

« في هذا الباب » : أى الباب الثالث من الكتاب .

هذا ، و في سيرة ابن هشام كان أبى بن خلف يلقي النبي بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوذ فرساً اعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقاتلك عليه . فيقول النبي ﷺ : بل أنا اقاتلك إن شاء الله . فلما كان يوم أحد وانهزم أصحاب النبي ﷺ ، و اسند في الشعب أدركه أبى و هو يقول : أى محمد لانجوت إن نجوت فقال القوم للنبي ﷺ : أيعطف عليه رجل مننا؟ فقال : دعوه . فلما دنا تناول النبي ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة - قال بعضهم : لما تناولها انتفض بها انتفاضة تطاير عنه تطايرنا (الشعراء) : أى ذباب له لذع - عن ظهر البعير إذا انتفض بها . ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة . تدأداً : أى تقلب منها عن فرسه مراراً فجعل يتدجرج . فلما رجع إلى قريش و قد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير قال : قد قتلنى والله محمد . قالوا له : ذهب والله فؤادك إن بك من بأس . قال : إنته كان قال لى بمكة : أنا أقتلك لو بصرى على لقتلنى . فمات بسرف و هم قافلون به إلى مكة . فقال حسبان بن ثابت في ذلك :

ألا من مبلغ عنى أبيعاً ☆ لقد ألقيت في سحق السعير
 تمنى بالضلالة من بعيد ☆ و تقسم إن قدرت مع النذور

تمنيك الأمانى من بعيد ✧ وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ ✧ كريم البيت ليس بذى فجور

٣٤ ر ٥٥ ر ١ ومن كلام له عليه السلام : وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَائَنَا ، وَابْنَانَا ، وَأَخْوَانَنَا ، وَ
أَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ، وَ مَضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ ، وَ
صَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلِيمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ
مِنَّا ، وَالْآخِرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَا لِسَانَ أَنْفُسَهُمَا
أَبِيهِمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ . فَمَرَّةً لِنَامِنِ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا
فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُوْنَا الْكَبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى
اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ . وَ مَتَّبِعُوْنَا أَوْطَانَهُ ، وَلِعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي
مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا أُخْضِرَ لِلإِيْمَانِ عُوْدٌ ، وَ أَيُّمُ اللَّهُ
لِتَحْلِبُنَهَا دَمًا ، وَلِتَتْبَعْنَهَا نَدْمًا .

أقول : قال (حد) : هذا الكلام قاله عليه السلام في قصة ابن الحضرمي حيث قدم
البصرة من قبل معاوية ، واستنهض عليه السلام أصحابه لحرره فتقاعدوا - إلى أن قال - روى
الواقدي أن علياً عليه السلام استنفر بنى تميم أياً ما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه
أمر ابن الحضرمي ، ويرد عادية بنى تميم الذين أجاروه بها فلم يجبه أحد منهم .
فخطبهم ، وقال : أليس من العجب أن ينصرني الأزد ، ويخذلني مضر ، وأعجب من

ذلك تقاعد تميم الكوفة عنسى ، وخلاف تميم البصرة على ، و إن استنجد بطائفة منها
تشخص إلى اخوانها . فتدعوها إلى الرشاد ، فإن أجابت و إلا . فاملنا بذة و الحرب .
فكأننى اُخاطب صمماً بكما لايفقهون حواراً ، و لا يجيبون نداء كل هذا جنباً عن
البأس ، و حباً للحياة ، و لقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آبائنا و أبنائنا - الفصل
إلى آخره .

و قال (ثم) : المنقول عنه أن هذا الكلام صدر منه ﷺ يوم صفين حين أقر
الناس بالصلح ، و أوّله « أن هؤلاء القوم لم يكونوا لينبيوا إلى الحق ، و لا ليجيبوا
إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر ، و حتى يزحوا بالكتائب تقفوها
الحلائب ، و حتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس ، و حتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم
و بأحناء مسار بهم ، و مسارحهم ، و حتى تشنّ عليهم الغارات من كل فج ، و حتى
يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم ، و موتاهم في سبيل الله إلا
جداً في طاعة الله ، و حرصاً على لقاء الله ، و لقد كنا مع رسول الله ﷺ - الفصل
إلى آخره .-

قلت: روى ما قاله (ثم) نصر بن مزاحم في صفين عن عمر بن سعد عن إسحاق بن يزيد
عن الشعبي أن علياً ﷺ قال يوم صفين حين أقر الناس بالصلح: إن هؤلاء القوم - إلى آخره -
و كذلك سليم بن قيس في كتابه ، و يأتي خبره ، و يمكن الجمع بين رواية الواقدي و
رواية الشعبي و الهلالي بأنه ﷺ قال ذلك في كلا المواقفين يوم صفين ، و في قضية
ابن الحضرمي . فإن نقله ﷺ جدية أصحاب النبي ﷺ لأصحابه الواهين كان
مناسباً في كل من المقامين ، و اقتصر كل من (حد ، و ثم) على أحد السندين قصور ،
و ترجيح (خو) للأول خطأ فإنه لو بنى على الترجيح كان مع الثاني حيث إنه رواه
اثنان ، و الأول تفرد به الواقدي إلا أن عذره أنه لم يقف على مستند الثاني ، و (ثم)
لم يذكر من الخبرين واحداً ، و (حد) ذكر أخذه من الواقدي .

ثم المفهوم من رواية سليم بن قيس الآتية أنه ﷺ خاطب بالكلام الأشعث

قوله ﷺ « ولقد كنتُ مع رسول الله ﷺ : » أى في غزواته و سراياه .
« نقتل آبائنا ، وأبنائنا ، وإخواننا ، وأعمامنا » لما كانوا لا يسلمون قال ﷺ ذلك
بلفظ العموم لكن المراد نفسه ﷺ وأشخاص مخصوصون . قال السروى : رأى أمير-
المؤمنين يوم بدر عقيلاً في قيد فصد عنه فصاح به : أما والله لقد رأيت مكابى ولكن
عمداً تصد عني ، وقال : قصد ﷺ يوم الفتح دار أم هانئ أخته متقنماً بالحديد ،
وقد بلغه أنه آوت الحارث بن هشام ، و قيس بن السائب ، و ناساً من بنى مخزوم -
قلت : وكانوا أسماءها - فنأدى أخرجوا من آويتهم فجعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى
خوفاً منه ﷺ . فخرجت إليه أم هانئ وهي لاتعرفه . فقالت : يا عبد الله أنا أم هانئ
بنت عم النبي انصرف عن دارى . فقال ﷺ : أخرجوهم . فقالت : والله لأشكونك
إلى النبي ﷺ - إلخ - .

و قال الجزرى - بعد ذكر قصة كعب بن الأشرف اليهودى و قتله و أمر النبي
ﷺ بقتل من ظهروا عليه من رجال اليهود - و وثب محيصة بن مسعود على ابن سنيينة
اليهودى ، وكان من تجارهم ، و كان يبايعهم فقتله . فقال له أخوه و هو مشرك : قتلته
و لرب شحم في بطنك من ماله و ضربه . فقال له محيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى
بقتلك لقتلتك . فقال : و الله إن ديناً بلغ بك ما أرى لعجب ثم أسلم .

و صرح ﷺ بما ذكرنا من إرادة الخصوص في كلامه في رواية سليم بن قيس فزادت :
ولست أقول : إن كل من كان مع رسول الله ﷺ كان كذلك ، و لقد كانت معنا بطانة
لا يألوننا خبلاً قال تعالى « قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفى صدورهم أكبر » (١)
و لقد كان منهم بعض من تفضله يا ابن قيس من الفارين . فلأمرى بسهم ، و لا ضرب
بسيف ، و لا طعن برمح ، و إذا كان النزأل توأرى و اعتل ، و لا ذكماً تلون النعجة العوراء
لا تدفع يد لأمس ، و إذا لقي العدو فر منه و منح العدو دبره جيناً و لوماً ، و إذا كان
عند الرخاء و الغنيمة تكلمكم كما قال سبحانه « سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير » (٢)

(١) آل عمران ١١٨

(٢) الاحزاب ١٩

فلا يزال يستأذن النبي ﷺ في ضرب عنق الرجل الذي لا يريد النبي ﷺ قتله .
 فيأبى عليه ، و نظر إليه النبي ﷺ يوماً وعليه السلاح تماماً فضحك ﷺ . ثم قال :
 يكنيته أبا فلان . اليوم يومك فقال الأشعث : ما أعلمنى من تعنى إن ذلك يفر منه الشيطان
 قال : يا ابن قيس لا آمن الله روعة الشيطان إذن .

كان الأشعث ذكر أن الثلاثة كانوا ممن جاهد وامع النبي ﷺ في غزواته و
 صاروا بذلك أفضل من غيرهم . فأجابه ﷺ بما مر ، وأجمل الكلام تقية ، وذكر مجملاً
 أوصافاً تنطبق على فاروقهم بالخصوص من استيذانه النبي ﷺ عند الرخاء و الفتح
 ضرب عنق العباس و عقيل وأبى حذيفة ، و غيرهم ، وقوله ﷺ [يكنيته أبا فلان] :
 أى قال له (أبا حفص) هزلاً ، و قول الأشعث : ما أعلمنى من تعنى : أى أنك و إن
 أجملت إلا أننى أعلم أن مرادك عمر ، وأراد نقض كلامه ﷺ بما وضعوه له من أن
 الشيطان كان لا يزال هائباً منه . فأجابه ﷺ بما أجابه .

كما أن خصوصيته ﷺ في ذلك من بين جميعهم أمر معلوم . ففي تلك الرواية
 أيضاً ، و قد علموا علماً يقيناً إنه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامى ، ولا يبارز الأبطال ،
 ويفتح الحصون غيرى ، ولا نزلت بالنبي ﷺ شديدة قط ، ولا كرهه أمر ، ولا ضيق ،
 ولا مستصعب من الأمر إلا قال : أين أخى على أين المفرج عن وجهى . فيقدمنى
 فاتقدم فأقيه بنفسى ، ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه ، والله - عز وجل - ولرسوله
 بذلك المن و الطول حيث خصنى لذلك ، و وفقنى له - الخبر - .

ولقد ادعوا لأبى بكر أنه قاتل ابنه عبدالرحمن ، ولعمراً أنه قاتل خاله العاص
 بن هاشم : أمّا الأول . فقال الجاحظ في عثمانيته : ولأبى بكر في يوم أحد مقام مشهور
 خرج إليه ابنه عبدالرحمن فارساً مكفراً في الحديد يسأل المبارزة و يقول : أنا
 عبدالرحمن بن عتيق . فنهض إليه أبو بكر بسيفه . فقال له النبي ﷺ : شمش سيفك و
 ارجع إلى مكانك ، و متعنا بنفسك .

و لقد كفانا الإسكافي أحد شيوخهم عن الجواب . فقال للجاحظ : ما أغناك
 عن ذكر هذا المقام المشهور لأبى بكر فإنه لو سمعته الإمامية لأضافته إلى ما عندها

من المطالب لأن قول النبي ﷺ له: ارجع دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه وأنت تعلم حنو الابن على الأب ، و تبجيله له ، و شفاقه عليه ، و كفته عنه لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي ، و قوله له (و متعنا بنفسك) إيدان له بأنه كان يقتل لو خرج ، و النبي ﷺ كان أعرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلى بالحرب ، و مشى إلى السيف بالسيف . فقتل السادة و القادة ، و الفرسان و الرجالة .

وأما الثاني . فقال (حد) : قتل عمر يوم بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة . قلت : و أى فخر في قتل مثله . فقد كان خاله هذا عبداً لبني هاشم ، و كان رجلاً أحمق . ففى عيون ابن قتيبة ، و من حمقى قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل ، و كان أبو لهب قاهره فقمره ماله ثم داره ثم قليله و كثيره ، و أهله و نفسه . فاتخذ عبداً و أسلمه قينا . فلمّا كان يوم بدر بعث به أبو لهب عن نفسه فقتل قتله عمر و كان خاله ، و مثله أبو الفرج في أغانيه .

« ما يزيدنا ذلك » : أى عملنا مع أقاربنا المشركين .

« إلا إيماناً » بالله .

« و تسليماً » لأمره - عز وجل -

« و مضياً على اللقم » بفتحين : أى المنهج . قال زهير :

له لقم لباغى الخير سهل ☆ وكيد حين تبلوه متين

« و صبراً على مضض » قال الجوهري : المضض : وجع المصيبة .

« الألم ، و جدأً » بالكسر .

« في جهاد العدو » أكثر من الأول ، و في سيرة ابن هشام عن رجل من بنى عبد الأشهل قال :

شهدت أحداً أنا وأخ لي . فرجعنا جريحين . فلمّا أذن مؤذن النبي ﷺ بالخروج في طلب

العدو لئلا يظنوا إن الذى أصابهم أو هزمهم . فقلت لأخى - أو قال لى - أتفوتنا غزوة مع

النبي ﷺ والله ما لنادابة نركبها ، و لامنّا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع النبي ﷺ و

كنت أيسر جرحاً فكان إذا غاب حملته عقبة ، و مشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى

إليه المسلمون - أي إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة - فأقام النبي ﷺ بها ثلاثة أيام ثم رجع بعد ذهاب المشركين إلى مكة .
« ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان » : أي يصول هذا على ذلك وذاك على هذا . قال الفرزدق :

قبيلان دون المحصنات تصاولا ☆ تصاول أعناق المصاعب من عل
« تصاول الفحلين » : أي الإبلين الفحلين ، وقالوا : و كان شدقم وجديل فحلين فحلين .

« يتخالسان » : أي يأخذ بالسرعة هذا لذاك وذاك لهذا . قال أبو ذؤيب :
فتخالسا نفسيهما بنوافذ ☆ كنوافذ العبط التي لا ترفع
« أنفسهما أيتهما يسقى صاحبه كأس المنون » : أي المنية . قال المنصور : لما قتل أبا مسلم صبراً ، و كان أبو مسلم قتل ستمائة ألف نفر صبراً .

زعمت أن الدين لا يقتضى ☆ فاستوف بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقى بها ☆ أمر في الحلق من العلقم
قالت أخت عمرو بن عبدود في أمير المؤمنين ﷺ و في أخيها يوم الخندق :
أسدان في ضيق المكر تصاولا ☆ و كلاهما كفو كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما ☆ وسط المذار مختال و مقاتل
و كلاهما حضر القراع حفيظة ☆ لم يشنه عن ذلك شغل شاغل

وقالوا : لما عزم قريش في بدر على الحرب باصرار أبي جهل خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي منهم ، وقال : لاشربن من حوض محمد و أصحابه ، و لاهدمنته أولاً موتن دونه . فخرج إليه حمزة فضربه فاطن قدمه بنصف ساقه . فوقع إلى الأرض ثم حبا إلى الحوض ليبر يمينه ، و تبعه حمزة . فضربه حتى قتله في الحوض .
وقالوا : قال معاذ بن عمرو بن جموح : جعلت يوم بدر أبا جهل من شأني ، و قريش محيطة به يقولون : لا يخلص إلى أبي الحكم . فلما أمكنني حملت عليه . فضربته

ضربة اطننت قدمه بنصف ساقه ، وضربني ابنه عكرمة . فطرح يدي من عاتقي . فتعلقت
بجلدة من جثتي . فقالت عامة يومي وأنسى لاسحبها خلفي . فلما آذنتني جعلت عليها
رجلي . ثم تمطيت حتى طرحتها .

« فمرّة لنا من عدونا » كما في بدر . فقتلوا من المشركين سبعين منهم أبو جهل
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومنبهه و نبيه ابنا الحجاج ، و نوفل بن خويلد ، و أسروا
منهم سبعين : منهم سهيل بن عمرو ، و النضر بن الحارث ، و عقبه بن أبي معيط ، و لم
يقتل من أصحاب النبي ﷺ سوى سبعة .

« و مرّة لعدونا منّا » كما في أحد فقتل الكفار من المسلمين سبعين . فقال المسلمون
للنبي ﷺ : ما هذا الذي أصابنا ، و قد كنت تعدنا بالنصر . فأنزل تعالى « أو لمّا
أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها » (١) . يعنى ببدر حيث قتلتم منهم سبعين ، و اسرتم منهم
سبعين « قتلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » حيث طلبوا في بدر من النبي ﷺ
إطلاق الأسارى بالفداء : فشرط عليهم أنه يقتل منهم في عام قابل بعدد من يأخذون
منهم الفداء . فرضوا بذلك .

« فلمّا رأى الله صدقنا » و جدنا في غزوات حصلت بعد أحد كما في الأحزاب
و غيرها . قال تعالى « و لمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله
و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلا إيماناً و تسليماً من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً ليجزى الله الصادقين بصدقهم » (٢)
و في السير أصاب المسلمون امرئة من الكفار في غزوة ذات الرقاع ، و كان
زوجها غائباً فلمّا أتى أهله ، و أخبر حلف لا ينتهى حتى يهريق في أصحابه ﷺ دماً
و خرج يتبع أثره ﷺ حتى نزل فقال ﷺ : من يحرسنا الليلة فانتدب رجل من
المهاجرين ، و رجل من الأنصار . فأقاما بقم شعب نزله النبي ﷺ واضطجع المهاجري ،
و حرس الأنصاري أوّل الليل ، و قام يصلى فجاء زوج المرثة فرأى شخصه فعرف أنه

ربيئة القوم . فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه ، و ثبت قائماً يصلي ثم رماه بسهم آخر فنزعه ، و ثبت يصلي ثم رماه بالثالث فوضعه فيه . فانتزعه ثم ركع و سجد ثم أيقظ صاحبه فوثب . فلما رآهما الرجل علم أنهما علما به ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال : سبحان الله ألا أيقظتني أول مارماك قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها فلما تابع علي الرمي أعلمتك ، و أيم الله لولاخوفى أن اضيع نغراً أمرنى النبي ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها .

و في طبقات كاتب الواقدي - في سرية غالب الليثي الذي بعثه النبي ﷺ إلى بنى الملوّح بالكديد بشن الغارة عليهم - قال جندب الجهني فكمننا في ناحية الوادي ، و بعثنى أصحابي ربيعة فخرجت حتى أتيت ثلاث مشرفاً على الحاضر يطلعنى عليهم حتى إذا اسندت عليهم فيه علوت على رأسه ثم اضطجت عليه فاننى لا أنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لا مرأته : إننى أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيتُه أول يومى هذا . فانظرتى إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً فنظرت فقالت : ما أفقد شيئاً ، قال : فنا و لينى قوسى . فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عيني فانتزعته و ثبت فأرسل آخر . فوضعه في منكبى . فانتزعته ، و ثبت فقال لا مرأته : لو كانت ربيعة لتحرك بعد لقد خالطه سهماى ثم دخل الخباء ، و راحت الماشية من إبلهم و أغنامهم . فلما اجتلبوا و عطنوا ، و اطمأنوا فناموا شنناً عليهم الغارة و استقنا النعم .

« أنزل بعدونا الكبت » : أى المذلة أوقع الله في الأحزاب الاختلاف بين قريش و غطفان ، و بين قريظة و ساء ظن كل منهم بالآخر ، و بعث عليهم ريحاً في ليال شامية شديدة البرد . فجعلت تكفأ قدورهم ، و تطرح أبنيتهم فلما ارتحلوا قال النبي ﷺ الآن نغزوهم و لا يغزونا . فكان كذلك حتى فتح تعالى لنبيه ﷺ مكة ، و قال تعالى « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قوياً عزيزاً و أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون و تأسرون فريقاً و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤوها

كان الله على كل شيء قديراً» (١)

« وأنزل علينا النصر » قال تعالى « إنا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك » (٢) - الخ - وقالوا : لما دخل النبي ﷺ المدينة منصرفاً من الأحزاب واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار فناده جبرئيل عذيرك من محارب والله ما وضعت الملائكة لامتها فكيف تضع لامتك إن الله تعالى يأمرك ألا تصلى العصر إلا ببني قريظة فإني متقدمك ومزائل بهم حصنهم .
« حتى استقر الإسلام » في موضعه .

« ملقياً جرائه » : أي مقدم عنقه ، وهو استعارة ، والأصل فيه إلقاء البعير جرائه إذا برك .

« ومتبوءاً أوطانه » في العرب والعجم . قال الجزري : لما كان المسلمون في حفر الخندق خرج عليهم صخرة كسرت المعول فأعلموا النبي ﷺ فهبط إليها ومعه سلمان فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضئت ما بين لابتى المدينة فكبر النبي ﷺ والمسلمون ثم الثانية كذلك ثم الثالثة كذلك ثم خرج وقد صدعها فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال النبي ﷺ : أضئت في البرقة الأولى الحيرة ، وقصور كسرى ، وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضئت لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم ، وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضئت لي في الثالثة قصور صنعا ، وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة عليها . فاستبشر المسلمون .

« ولعمري لو كنتم نأتى ما أتيتم » من الخذلان والخور .

« ما قام للدين عمود » بل كان كخباء مطروح على الأرض .

« ولا أخضر للإيمان عود » بل كان كشجرة يابسة . روى الطبري في مولد النبي ﷺ

أنه لما انخرقت دجلة ، وانفصم طاق كسرى قال كسرى لمنجميه و كاهنيه :

(١) الأحزاب ٢٥ - ٢٦

(٢) النصر ١ - ٣

انظروا ما هذا - وكان فيهم رجل يعتاف اعتياف العرب بعثه إليه باذان من اليمن قلما يخطى يقال له السائب - فخرجوا فأخذ عليهم بأقطار السماء ، و بات السائب في ليلة ظلّ فيها على ربة فرمق برقا نشأ من الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميه فإذا روضة خضراء . فقال في ما يعتاف : لئن صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ به المشرق و تخصب به الأرض كأفضل ما خصبت من ملك قبله .

قال ﷺ لهم ما قال لأنه إنما كان أهل بصيرة أصحابه لتقدم الثلاثة عليه ، وإفسادهم لعقائدهم ، وأخلاقهم قليلين . فمنهم جمع صاروا خوارج عليه ﷺ ومنهم جمع صاروا من قتلة الحسين ﷺ كسبث بن ربعي ، و شمر بن ذى الجوشن وغيرهما ، ومنهم جمع كانوا من المنافقين كالأشعث بن قيس ، وعمرو بن حريث ، و نظراءهما ، ومنهم جمع - وهم جمهورهم - كانوا من الحشوية الذين صاروا بعد اتباع معاوية ، وهم الذين كانوا يقولون أيام ابن الزبير ، وقيام عبد الملك عليه: ابن الزبير ولي الله، وعبد الملك عدو الله ولما قتل ابن الزبير وصار الأمر إلى عبد الملك قالوا بالعكس، وكان المستبصرون في حقه ﷺ مثل مؤمنى أصحاب النبي ﷺ الذين يقتلون أرحامهم للدين فيهم قليلاً . فخرج في صفين عراقي يقال له : أنال بن حجل ، و خرج إليه من أهل الشام ابنه ، و لم يعرف واحد منهما الآخر فطاعنا ثم اتصيا فنزلا و اعتنقا و بكيا ، وانصرف كل منهما إلى أصحابه .

و كذلك خرج أخوان أحدهما عراقي ، والآخر شامي ، و غلبه العراقي . فلما جلس على صدره ، و كشف المغفر عنه رأى أنه أخوه تركه ، وكذلك خرج ابنا عمسين قيس الأرحبي و سويد الأرحبي . فلما تقاربا ، و تعارفا انصرفا . بل كان فيهم من يقتل قاتل قريبه من أصحابه . فكان حابس بن سعد الطائي خال زيد بن عدى بن حاتم الطائي مع معاوية فقتله بكرى من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ فطعنه زيد فقتله ، و لحق بمعاوية ، و قال في ذلك :

من مبلغ أبناء طى بأننى ☆ نارت بخالى ثم لم أتأتم

« وأيم الله لتحلبننّها دماً » الظاهر كونه كمثل وكون الضمير في (لتحلبننّها) راجعاً إلى الناقة لا لأفعالهم كما توهمه (ثم) وتبعه (خو) .

« و لتبتعننّها ندماً » بعد مشاهدة وبال أعمالكم ، وعاقبة أفعالكم في ترككم لأهل بيت نبيكم واتباع الأجنبي .

و في بلاغات نساء أحمد بن أبي طاهر البغدادي لما دخلت نسوة المدينة على سيّدة نساء فاطمة - صلوات الله عليها - في علمتها قالت لهنّ : إلى أيّ لجأ التجأوا و اسندوا ، و بأىّ عروة تمسكوا - إلى أن قالت - أما لعمر الهكن لقد لقت فنظرة ريشما تنتج ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً ، وزعافاً ممقراً . هنالك يخسر المبطلون ، و يعرف التالون غبّ ما أسس الأؤلون ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً ، و طامنوا للفتنة جأشاً ، و ابشروا بسيف صارم ، و بقرح شامل ، و استبداد من الظالمين يدع فيثكم زهيداً و جمعكم حصيداً . فياحسرة لكم ، و أنى بكم ، و قد عميت عليكم انزل مكموها ، و أنتم لها كارهون .

٣٥ ر في ٩٣ ر ١ لقد رأيت أصحاب محمد (ص) فما أرى أحداً

منكم يشبههم . لقد كانوا يصبحون شعناً غبراً ، و قد باتوا سجداً و

قياماً . يراو حون بين جباههم و خدودهم ، و يقفون على مثل الجمر ،

من ذكر معادهم . كان بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم .

إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، و مادوا كما يمد

الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب و رجاءاً للثواب .

أقول : رواه ابن قتيبة في عيونه ، و رواه المفيد في إرشاده ، و الشيخ في أماليه روى الأوّل عن مالك بن مغول عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي أراكة قال : صلى على النبي الغداة ثم جلس حتى ارتفعت الشمس كأنّ عليه كابة . ثم قال : والله لقد

رأيت إثر أمن أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعناً غبراً صفاً بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح ، وانهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم ، وكأنهم باتوا والله غافلين - يريد أنهم يستقلون ذلك .

وقال الثاني : ومن كلامه ﷺ في ذكر خيار الصحابة وزهادهم مارواه صعصعة بن صوحان العبدى قال : صلى بنا أمير المؤمنين ﷺ ذات يوم صلوة الصبح . فلما سلم أقبل على القبلة بوجهه يذكر الله لا يلتفت يميناً ولا شمالاً حتى صارت الشمس على حائط مسجدكم هذا - يعنى جامع الكوفة - قيس رمح ثم أقبل علينا بوجهه . فقال : لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله ﷺ وأنهم ليراوحون في هذا الليل بين جباههم وركبهم فإذا أصبحوا أصبحوا شعناً غبراً بين أعينهم شبه ركب المعزى . فإذا ذكروا الموت مادوا كما يميد الشجر في الريح . ثم انهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم ثم نهض ﷺ وهو يقول : كأنما القوم باتوا غافلين .

وروى الثالث صحيحاً عن معروف بن خربوز عن أبي جعفر ﷺ قال : صلى أمير المؤمنين ﷺ . بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم وأبكاهم من خوف الله تعالى ثم قال : أم والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله ﷺ وأنهم ليصبحون ويمسون شعناً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجداً ، وقياماً يراوحون بين أقدامهم وجنوبهم يناجون ربهم ، ويسألونه فكأنهم رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم وهم مع ذلك مشفقون منه خائفون - ورواه الكافي عنه أيضاً ورواه عن علي بن الحسين ﷺ أيضاً عنه ﷺ - وفي خبره : والله لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً ، وقياماً يخالفون بين جباههم ، وركبهم كأن زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كأنما القوم باتوا غافلين . ثم قام فمارئى ضاحكاً حتى قبض .

«لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ» الأصل في كلام المصنف رواية ابن قتيبة المتقدمة ، وقد عرفت أنها بلفظ (رأيت إثرأ من أصحابه) : أى خلصاً وهو الصحيح . فلم يكن

جميع أصحابه كذلك بل إثر منهم ، وقد عرفت أن روايتي الشيخين بدلتاه بلفظ (لقد عهدت أقواماً علي عهد خليلي) ولو كانت رواية المصنّف صحيحة فالمراد أصحابه الخاصون الملازمون له ليلاً و نهاراً المتخلقون بأخلاقه لا ما اصطاح عليه أصحاب الكتب الصحابة .

و قوله ﷺ « لقد رأيت » أو « عهدت » دال على عدم بقاء هم في وقت إخباره ، و كان من أراد ﷺ مات جمع منهم في حياة النبي ﷺ كحمزة ، وجعفر ، و زيد بن حارثة ، و عبدالله بن رواحة ، و عثمان بن مظعون ، و سعد بن معاذ و غيرهم ، و بقي منهم جمع ماتوا بعده ﷺ في أيام الثلاثة ، و في أوائل أيامه كسلمان و أبي ذر ، و المقداد ، و عمار ، و حذيفة ، و ذى الشهادتين ، و ابن التيهان ، و نظرائهم .

وقد وصفوا في القرآن في قوله - عز وجل - « محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الذراع ليعظي بهم الكفار و عد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً » (١)

« فما أرى أحداً منكم يشبههم » هكذا في المصرية ، و ليست كلمة (منكم) في (ثم ، و الخطية) و لكن في (حد) فما أرى أحداً يشبههم منكم .

« لقد كانوا يصبحون شعثاً » : أى متغيري الشعور و منتشر بها .

« غبراً » بالضم فالسكون جمع أغبر .

« وقد » هكذا في المصرية ، و الصواب (قد) بدون و او كما في (حد ، و ثم ، و

الخطية) .

« باتوا سجداً و قياماً » فيكون ليلهم بين السجود و القيام ، و الأصل فيه قوله

تعالى « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلاماً و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً » (١) .

« يراوحون بين جباههم و خدودهم » بمعنى أنه إذا كَلَّتْ جباههم من طول سجودهم ، وضعوا خدودهم لتحصل راحة للجباه ، و بالعكس ، و كانوا يتأسسون في ذلك بصاحبهم النبي ﷺ فقد كان يتعب نفسه في عبادة ربه حتى خاطبه - عز وجل - بقوله « طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » (٢) فكان يقوم في صلوته حتى ورمت قدماه .

هذا ، و قد عرفت أن في رواية عيون القتيبي (يراوحون بين أفداهم و جباههم) و هو الأُنسب بقوله ﷺ (سجداً و قياماً) تبعاً للآية .
« و يقفون على مثل الجمر » من النار .

« من ذكر معادهم » قال تعالى في وصفهم « و الذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً إنها سائت مستقراً و مقاماً » (٣) و في الطبري أمّا و دَعَّ عبد الله بن رواحة - و هو الثالث من أمراء مؤتة - الناس بكى فقالوا له : ما يبكيك ؟ فقال : أما و الله ما بي حب الدنيا و لأصباة بكم ، و لكنني سمعت النبي ﷺ يقرء آية من كتاب الله تعالى يذكر فيها النار « و إن منكم إلا و اردها كان على ربك حتماً مقضياً » (٤) و لست أدري كيف لي بالصدر بعد الورد . فقال المسلمون : صحبكم الله ، و دفع عنكم ، و ردكم إلينا سالمين . فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ☆ وضربة ذات فزع يقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حر أن مجهزة ☆ بحربة تنفذ الأَحشاء و الكبدا
« كأن بين أعينهم ركب » جمع ركبة .

« الملعزى » في الصحاح الملعز من الغنم خلاف الضأن ، و كذلك الملعز ، و الملعيز ،

(١) الفرقان ٦٣

(٢) طه ٢

(٣) الفرقان ٦٦

(٤) مريم ٧١

و الطعزى .

- « من طول سجودهم » « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » (١) .
 « إذا ذكر الله هملت » : أى فاضت .
 « أعينهم حتى تبل » : أى تصير رطباً .
 « جيو بهم » قال الجوهري : الجيب اللقميص .
 « ومادوا » : أى تحركوا .

« كما يمد الشجر يوم الريح العاصف » « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » (٢) .

« خوفاً من العقاب ورجاء للثواب » وعقابه مالا تقوم له السماوات والأرض ،
 و ثوابه مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت .

و روى في قصة غزوة ذى قرد عن سلمة بن الأكوع قال : أخذت بعنان فرس الأخرم ، وقلت له : احذر لا يقتطعوك حتى تلحق بنا النبي ﷺ فقال : يا سلم إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة . فخلّيته فالتقى هو وعبدالرحمن بن عيينة فعقر الأخرم فرسه ، وطعنه عبدالرحمن . فقتله . هذا ، وروى أسد الغابة عن أبى مدينة الدارمى . قال : كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيال يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر « والعصر إن الإنسان لفي خسر » (٣) إلى آخرها . ثم يسلم أحدهما على الآخر .

و روى أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتهبأون لآداب يوم الجمعة من يوم الخميس ، و روى قرب الإسناد أن أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلانميا . فقال له الذمى : أين تريد يا عبد الله ؟ قال : الكوفة ، وكان الذمى يريد غيرها . فلمّا عدل

(١) الفتح ٢٩

(٢) الانفال ٢

(٣) العصر ٢

الطريق بالذمي عدل عليه السلام معه . فقال له الذمي : ألسنت تريد الكوفة عليه السلام قال : بلى . قال : فقد تركت الطريق قال : قد علمت : قال : فلم عدلت معي ، وقد علمت قال عليه السلام : من تمام حسن الصحبة أن يشايح الرجل صاحبه هنيهة إن أفاقه هكذا أمرنا نبينا عليه السلام فقال له : هكذا أمر قال : نعم . قال الذمي : لاجرم تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة ، وأنا أشهدك أنني على دينك . فرجع الذمي معه عليه السلام . فلما عرفه أسلم .

٣٦ ر ٩٦ ر ٣ وقال عليه السلام : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْمَلُهُمْ بِمَا جَاؤُوا
 ثُمَّ تَلَا « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا » ثُمَّ قَالَ : إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أطَاعَ اللَّهَ ، وَإِنْ بَعَدَتْ لِحْمَتُهُ وَ
 إِنْ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرَّبَتْ لِحْمَتُهُ .

« إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم » قال (حد) الرواية (أعلمهم) و الصحيح (أعلمهم) كما تقتضيه الآية ، وقوله عليه السلام بعد ، و قال (ثم) أعلمهم صحيح لأن العمل موقوف على العلم .

قلت : العلم شرط للعمل لاسبب له ، وإنما يطلق السبب على المسبب لتلازمهما لا الشرط على المشروط لاسيما مع كثرة تخلف العمل عن العلم ، و كون العلماء غير العاملين أكثر من العلماء العاملين ، وهو عليه السلام في مقام بيان الأهمية لنفس العمل فالصحيح (أعلمهم) و حيث إن الفرق بينه وبين (أعلمهم) في الخط قليل وقع التصحيف من المصنف أو غيره قبله أو بعده .

« بما جاؤا » من الشرائع .

« ثم تلا » شاهداً لكلامه قوله تعالى :

« إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ » لَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
 أَتْبَعَ النَّاسَ لِإِبْرَاهِيمَ . قال تعالى : « ثم أو حيناً إليك أن اتبع دالة إبراهيم

حنيفاً»^(١) وفي طبقات كاتب الواقدي قال قوم من بني مدلج لعبدالمطلب : احتفظ بمحمد فإنا لم نرقدهما أشبهه بالقدم التي في المطام من قدمه فقال عبدالمطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء ، و كان أبوطالب يحتفظ به .

« و الذين آمنوا » إيماناً حقيقياً ، والآية في سورة آل عمران و هي ٦٧ .

« ثم قال إن ولي محمد ﷺ من أطاع الله وإن بعدت لحمته ، وإن عدو محمد من عصى الله ، وإن قربت لحمته » لحمه بالضم : القرابة . قال (حد) في الحديث الصحيح : يا فاطمة بنت محمد إنني لأغني عنك من الله شيئاً ، وقال رجل لجعفر بن محمد ﷺ : رأيت قول النبي ﷺ : إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار أليس هذا أماناً لكل فاطمي في الدنيا . فقال : إنك لأحق إنمأ أراد حسناً وحسيناً لأنهما من الخمسة أهل البيت فأما من عداهما فمن قعد به عمله لم ينهض به نسبه .

قلت : وروى عيون ابن بابويه عن ياسر ، والوشا ، و ابن الجهم أن الرضا ﷺ قال لأخيه زيد بن موسى المعروف بزيد النار : أغرك قول سفلة أهل الكوفة (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار) ذلك للحسن و الحسين خاصة إن كنت ترى أنك تعصي الله - عز وجل - و تدخل الجنة ، و موسى بن جعفر أطاع الله ، و دخل الجنة . فأنت إذن أكرم على الله - عز وجل - من موسى بن جعفر ، و الله ما ينال أحداً عند الله - عز وجل - إلا بطاعته ، و زعمت أنك تناله بمعصيته . فبئس ما زعمت . فقال له زيد : أنا أخوك ، و ابن أبيك . فقال له : أنت أخي ما أطعت الله - عز وجل - إن نوحاً قال رب إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين . فقال - عز وجل - له : يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح . فأخرجه الله - عز وجل - من أن يكون أهله بمعصية - و زاد في رواية الوشا إنه ﷺ التفت إلى الوشا ، و قال له : و أنت إذا أطعت الله تعالى فأنت منسأ أهل البيت - و زاد في رواية ابن الجهم ، و قال ﷺ له : يا ابن الجهم من خالف دين الله فأبرء منه كائناً من كان من أى قبيلة كان ، و من عادى الله فلا توأله كائناً من كان ، و من أى قبيلة كان . فقلت : يا ابن رسول

الله و من الذى يعادى الله. قال : من يعصيه .

وعن النبى ﷺ قال لبنى عبد المطلب ، وبنى هاشم : إننى رسول الله إليكم ، وإننى شفيق عليكم وإن لى عملى ، ولكل رجل منكم عمله لا تقولوا : إن نجا أمننا ، وسندخل مدخله فلا والله ما أوليائى منكم ، ولا من غيركم يا بنى عبد المطلب إلا المتقون الأولاء عرفكم يوم القيامة تأتون تحملون الدنيا على ظهوركم ، و يأتون الناس يحملون الآخرة إلا إننى قد أعذرت إليكم فى ما بينى وبين الله - عز وجل - و قال : يا بنى عبد المطلب إيتونى بأعمالكم لأحسابكم وأنسابكم قال - عز وجل - « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (١) .

و عن الرضا عليه السلام قال على بن الحسين عليه السلام : لمحسننا كفلان من الأجر ، و لمسيئنا ضعفان من العذاب .

و عن الكاظم عليه السلام أن إسماعيل قال لأبيه الصادق عليه السلام : ما تقول فى المذنب منّا و من غيرنا ؟ فقال عليه السلام : « ليس بأمانيتكم و لا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يعجز به » (٢) .

و عن موسى الرازى قال لرجل للرضا عليه السلام : ما على الأرض أشرف منك أبا ؟ فقال : التقوى شرقتهم ، و طاعة الله أحظمتهم . فقال له : أنت والله خير الناس . فقال له : لا تحلف يا هذا خير منى من كان أتقى لله و أطوع له ، والله ما نسخت هذه الآية « و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٣) .

قلت : صدق عليه السلام إن كان وجد أحد أتقى منه كان خيراً منه لكن لم يوجد ، و عن الرضا عليه السلام إننا أهل بيت و جب حقنا برسول الله ﷺ فمن أخذ برسول الله حقاً ، و لم يعط الناس من نفسه مثله فلاحق له .

و عنه عليه السلام - و أومىء إلى عبد أسود من غلمانہ - إن كان يرى أنه خير من

(١) المؤمنون ١٠١

(٢) النساء ١٢٣

(٣) الحجرات ١٣

هذا بقرايتي من رسول الله ﷺ إلا أن يكون لى عمل صالح . فأكون أفضل به منه .
وعن الباقر عليه السلام أيكتفى من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا
إلا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع ، والأمانة ، وكثرة ذكر الله
والصوم والصلوة ، والبر بالوالدين ، والتعهد للجيران من الفقراء ، وأهل المسكنة والغارمين
والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا
أمناء عشائريهم في الأشياء . فقال له جابر الجعفي : يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم
أحداً بهذه الصفة . فقال : يا جابر لا تذهبن بك المذاهب أحسب الرجل أن يقول :
أحب علياً وأتولاه . ثم لا يكون مع ذلك فعلاً . فلو قال : إننى أحب رسول الله
ورسول الله ﷺ خير من على عليه السلام ثم لا يتبع سيرته ، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه
إياه شيئاً فاتقوا الله واعمولوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة . أحب العباد
إلى الله تعالى ، وأكرمهم عليه أتقاهم ، وأعملهم بطاعته يا جابر والله ما يتقرب إلى
الله تعالى إلا بطاعته ، وما معنا برائة من النار ، ولا على الله لأحد من حجة . من كان
مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولا يتنا إلا بالعمل والورع .
وحيث يقول تعالى لنبيه عليه السلام « قل إننى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم
عظيم ، (١) » و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الونين » (٢) كيف يتوقع النجاة بانتساب إليه عليه السلام بلا عمل ، ومع سوء عمل .
بل قوله تعالى لنساء النبي عليه السلام « من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً » (٣) يدل على أشدية عذاب المنسوبين إليه
ﷺ في مخالفتهم ، و به صرح السجادة عليه السلام في الخبر المتقدم .
وأما ما نقلوا على لسان النبي عليه السلام (والطلحون لى) فأخبار موضوعة نظير

(١) الانعام ١٥

(٢) الحاقة ٤٦

(٣) الاحزاب ٣٠

قول اليهود والنصارى في ما وضعوا لأنفسهم « نحن أبناء الله وأحبائه » (١) و قول بنى- إسرائيل « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهداً أم تقولون على الله ما لا تعلمون » (٢) .

وروى الكافي صحيحاً عن الصادق عليه السلام قال خطب النبي صلى الله عليه وآله فقال : أيتها الناس ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله وقال عليه السلام : و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف .

هذا ، و روى الكشى عن عمر بن يزيد قال : قال لى أبو عبد الله عليه السلام : أنت والله منّا أهل البيت قلت له : جعلك فداك من آل محمد قال : أى والله من أنفسهم أما تقرأ في كتاب الله « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » (٣) .

٣٧ ر فى ٢٠٩ ر ١ و أشهد أن محمد عبده ، وسيد

عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله فى خيرهما لم يسهم فيه عاهر ، ولا ضرب فيه فاجر .

أقول: وفي خطبة له عليه السلام المروية في إثبات المسعودى في آباء النبي صلى الله عليه وآله من آدم إلى مولده صلى الله عليه وآله « فلما أذنت لهم في انتقال محمد عليه السلام من صلب آدم ألقت بينه وبين زوج خلقتهاله سكتاً، ووصلت لهما به سبباً فنقلته من بينهما إلى شيث اختياراً له بعلمك. فأى بشر كان اختصاصه برسالتك. ثم نقلته إلى أنوش فكان خلف أبيه في قبول كرامتك، واحتمال رسالتك. ثم قدرت المنقول إليه (قينان) والحقته في الحظوة بالسابقين، وفي النخبة بالباقيين. ثم جعلت (مهلائيل)

(١) المائة ١٨

(٢) البقرة ٨٠

(٣) آل عمران ٦٨

رابع أجرامه قدرة تودعهما من خلقك من تضرب له بسهم النبوة ، وشرف الأبوته حتى إذا قبله (برد) عن تقديرك تناهى به تدبيرك إلى اخنوخ - إلى أن قال - ثم أذنت له في إيداعه سامادون حام ، و يافث . فضربت لهما بسهم في الذلة ، وجعلت ما أخرجت منهما لنسل سام خولا . ثم تتابع عليه القابلون من حامل إلى حامل ، و مودع إلى مستودع في فترات الدهور حتى قبله تارخ أظهر الأجسام ، و أشرف الأجرام ، و نقلته منه إلى إبراهيم عليه السلام فاسعدت بذلك جده ، و أعظمت به مجده ، و قدسته في الأصفياء ، و سمّيته دون رسلك خليلاً . ثم خصصت به إسماعيل دون ولد إبراهيم فأنطقت لسانه بالعريضة التي فضلتها على سائر اللغات فلم تزل تنقله في كل مقذوف من أب إلى أب حتى قبله كنانة عن مدركه - إلى أن قال - حتى نقلته إلى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل - إلخ -

« وأشهد أن محمداً عبده و سيّد عباده » حتى الأنبياء والمرسلين .

« كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما » يشهد له التاريخ في سلسلة آبائه وتدل عليه الخطبة المتقدمة .

و في اعتقادات الصدوق اعتقادنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله أنهم مسلمون من آدم عليه السلام إلى عبد الله ، و يجب أن يعتقد أن الله - عز وجل - لم يخلق خلقاً أفضل من محمد والأئمة عليهم السلام ، و أنهم أحب الخلق إلى الله تعالى ، و أكرمهم عليه ، و أولهم إقراراً بالله لما أخذ الله ميثاق النبيين ، و نعتقد أن الله تعالى خلق جميع الخلق للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام ، و أنه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء والأرض .

« لم يسهم فيه عاهر » : أي رجل زان ، والأصل فيه من أتى المرثة ليلا للفجور ثم غلب على المطلق .

« ولا ضرب فيه » بأن يكون دخيلاً في نسبه .

« فاجر » : أي فاسق ، والأصل فيه الميل عن الصواب ، و قال الراعي النميري :

كانت نجائب منذر و محرق ☆ أمّانهن و طرفهن فحिला

هذا ، و في البلدان في (كوئي) عن عبدة السلما ني سمعت علياً عليه السلام يقول :

من كان سائلاً عن نسبنا فإِنّنا نبط من كوئي ، و عن ابن الأعرابي قال رجل لعلي عليه السلام

أخبرني عن أصلكم معاشر قريش . فقال : نحن من كوئي . فقال قوم : أراد ﷺ كوئي السواد التي ولد بها إبراهيم الخليل ﷺ ، وقال آخرون أراد كوئي مكة ، وذلك أن محلة بني عبد الدار يقال لها : كوئي . فأراد أننا مكيون من أم القرى مكة ، و قال قوم : أراد ﷺ أن أبانا إبراهيم ﷺ كان من نبط كوئي ، وأن نسبنا ينتهي إليه .

في اعتقادات الصدوق قال النبي ﷺ وأخبرته من نكاح ، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ﷺ ، وعن شفاء القاصي قال الكلبي : كتبت للنبي ﷺ خمساً أم فما وجدت فيهن سفاحاً ، ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية .

وفي المروج أن النبي ﷺ لما دفع إلى حليمة قال عبدالمطلب في رواية : اللهم رب الراكب المسافر تنح عن طريقه الفواجر ، وحيه برصد الطواهر .

ثم مرى كلامه ﷺ أن باقي الناس أسهم فيهم العاهر أباً ، و ضرب فيهم الفاجراً ، وروى القمي في تفسير قوله تعالى «لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوءكم»^(١) أن صفية بنت عبدالمطلب مات ابن لها فاقبلت : فقال لها عمر : غطى قرطك فإن قرابتك من النبي ﷺ لا تنفعك شيئاً . فقالت : و هل رأيت لى قرطاً يا ابن اللخناء . ثم دخلت على النبي ﷺ فأخبرته بذلك ، و بكت فخرج النبي ﷺ و نادى الصلوة جامعة . فاجتمع الناس . فقال : ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع - إلى أن قال - ولا يسألنى اليوم أحد من أبوه إلا أخبرته . فقام رجل . فقال : من أبى ؟ فقال : أبوك غير الذى تدعى إليه إنما أبوك فلان بن فلان . فقام آخر . فقال : من أبى ؟ فقال : أبوك الذى تدعى له . ثم قال النبي ﷺ ما بال الذى يزعم أن قرابتى لا تنفع لا يسألنى عن أبيه . فقام عمر و قال : أعوذ بالله من غضب رسوله اعف عنى - إلخ - .

و روى هشام الكلبي في مثالبه كما في الطرائف أن صهاك التي كان عمر ينسب إليها كانت أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف . فوقع عليها نضلة بن هاشم ثم وقع عليها عبدالعزيز بن رياح فجاءت بنفيل جد عمر .

و قال الجاحظ فى مفاخرات قريش - وقد نقله (حد) فى موضع آخر - بلغ عمر أن أناساً من رواة الأشعار ، و حملة الآثار يعيبون الناس ، و يثلبونهم فى أسلافهم . فقام على المنبر ، و قال إياكم ، و ذكر العيوب والبحث عن الأصول . فلو قلت : لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه لم يخرج منكم أحد . فقام رجل من قريش نكره أن نذكره ، و قال : إذن كنت أنا و أنت نخرج . فقال : كذبت بل يقال لك : ياقين بن قين اقعد . قال (حد) : و الرجل الذى قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد كان عمر يبغضه لأن المهاجر كان علوى الرأى جداً ، و كان مع على عليه السلام يوم الجمل ففقت عينه ذاك اليوم ، و شهد صفين أيضاً معه عليه السلام و شهدها أخوه عبد الرحمن بن خالد مع معاوية . و قال (حد) أيضاً روى هذا الخبر المدائنى فى كتاب أمهات الخلفاء و قال : إنّه روى عند جعفر بن محمد بالمدينة فقال : لا تلمه يا ابن أخى اشفق أن يحدث بقصة نفييل بن عبد العزى ، و صهاك أمة الزبير بن عبد المطلب .

قلت : الأصل فى ما نقله عن المدائنى ما رواه الكلينى عن سماعة . قال تعرّض رجل من ولد عمر لجارية رجل عقيلي . فقالت الجارية ملولاها : إن هذا العمرى قد آذانى . فقال لها : عديه و ادخله الدهايز . فادخلته فشد عليه فقتله و ألقاه فى الطريق . فاجتمع البكريون ، و العمريون ، و العثمانيون ، و قالوا : ما لصاحبنا كفو يقتل به إلا جعفر بن محمد ، و ما قتل صاحبنا غيره ، و كان الصادق عليه السلام قد مضى نحو قبا . قال سماعة : فلقيته بما اجتمع القوم عليه . فقال : دعهم فلمّا جاء ورأوه وثبوا عليه ، و قالوا : ما قتل صاحبنا أحد غيرك ، و ما نقتل به أحداً غيرك . فقال ليكلمنى منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم و أدخلهم المسجد فخرجوا وهم يقولون : شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد معان الله أن يكون مثله يفعل هذا ، ولا يأمر به انصرفوا قال سماعة : فمضيت معه ، و قلت : جعلت فداك ما أقرب رضاهم من سخطهم قال : نعم دعوتهم . فقلت : أمسكوا وإلا أخرجت الصحيفة . قلت : و ما الصحيفة . فقال : إن أم الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب . فشطر بها نفييل فأحبها فطلبه الزبير فخرج هارباً إلى الطائف فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف . فقالوا : يا أبا عبد الله ما تفعل ههنا ؟ . قال : جاريتى شطهر بها

نفيلكم . قال: فهرب نفيل منها إلى الشام ، وخرج الزبير في تجارة له إلى الشام . فدخل على ملك الدومة ، فقال له : يا أبا عبدالله لى إليك حاجة قال : ما هى؟ قال : رجل من أهلك قد أخذت ولده فأحب أن تردّه عليه . قال : ليظهر لى لا عرفه . فلما كان من الغد دخل الزبير على الملك فلما رآه الملك ضحك وقال له : ما أظن هذا الرجل ولدته عربية إنّه لما رآك قد دخلت لم يملك أسته . فقال : أيتها الملك إذا صرت إلى مكّة قضيت حاجتك ، فلما قدم الزبير تحمّل نفيل عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع إليه ابنه فأبى ثمّ تحمّل عليه بعبد المطّلب . فقال : ما بينى وبينه عمل أما علمت ما فعل في ابنى فلان ، ولكن امضوا إليه أنتم فقصدوه فكلموه . فقال لهم الزبير : إن الشيطان له دولة ، و إن ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن من أن يترأس علينا و لكن ادخلوه من باب المسجد على أن أحى له حديدة و اخط في وجهه خطوطاً و كتب عليه و على ابنه ألا يتصدّر في مجلس ، ولا يتأمّر في أولادنا ، ولا يضرب هنا بسهم . ففعلوا و خط وجهه بالحديدة ، و كتب عليه الكتاب ، و ذلك الكتاب عندنا فقلت لهم : إن أمسكنم ، وإلا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم - الخبر - .

و روى هشام الكلبي في مثالبه أن صعبة بنت الحضرميه أم طلحة كانت لها راية بمكّة ، و استبضعت بأبى سفيان فوقع عليها و تزوّجها عبيد الله بن عثمان فجاءت بطلحة لستة أشهر فاختم أبو سفيان ، و عبيد الله في طلحة فجعل أمرهما إلى صعبة فالحقته بعبيد الله فقيل لها : كيف تركت أبا سفيان فقالت : يد عبيد الله طلقة و يد أبى-سفيان كزّة ، و ذكر الكلبي شعر حسّان و غيره في ذلك .

و روى المسعودى في مروجه عن كتاب النوفلى عن ابن عايشة و غيره في خبر حج معاوية و طواف سعد معه (و انصرف معاوية إلى دار الندوة ، و أجلس سعداً معه هلى السرير - إلى أن قال - فقال سعد لمعاوية : والله إننى لاحق منك بموضعك منك فقال له معاوية : يا بى عليك بنو عذرة - و كان سعد في ما يقال لرجل من عذرة قال النوفلى و في ذلك يقول السيّد الحميرى :

ورھط سعد، و سعد كان قد علموا ☆ عن مستقيم صراط الله صدّادا

قوم تداعوا زليماً ثم سادهم * لولا خمول بنى زهر لما سادا
و تنازع ابن مسعود وسعد في أيام عثمان . فقال سعد لابن مسعود : اسكت يا عبد
هذيل . فقال له ابن مسعود : اسكت يا عبد عذرة .

و روى هشام الكلبي في مثالبه أنه كانت لحمامة - بعض جدات معاوية - راية
بذى المبحاز ، و أن معاوية كان لأربعة لعمار بن الوليد المخزومي ، و لمسافر بن عمرو ،
و لأبى سفيان ، و لرجل سماه - قلت و الرجل العباس كما رواه غيره - قال : و كانت
هند من المغتلمات ، و كان أحب الرجال إليها السودان ، و كانت إذا ولدت أسود قتلتها .
و نقل سبط ابن الجوزي في تذكرته عن مثالب الكلبي أن الحسين عليه السلام قال
لمروان : يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذى المبحاز صاحبة الراية بسوق عكاظ
قال : فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أمية ، و كانت من البغايا في الجاهلية ،
و كان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها ، و كانت تسمى أم حبتل الزرقاء ، و كان
مروان لا يعرف له أب و إنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص ، و كانت
النابعة أم عمرو من أصحاب الرايات بمكة فوقع عليها العاص بن وائل في عدة من
قريش منهم أبولهب ، و أمية بن خلف ، و هشام بن المغيرة ، و أبو سفيان بن حرب في
طهر واحد .

و روى القمي في تفسيره أن النبي صلى الله عليه وآله لما أمر بقتل عقبة بن أبي معيط من
أسارى بدر . قال : يا محمد ألم تقل لا تصبر قريش - أى لا تقتل صبوا - قال : و أنت
من قريش إنما أنت عالج من أهل صفورية لأنك أكبر في الميلاد من أبيك الذى تدعى
إليه قدمه يا على فاضرب عنقه .

و روى أن أمير المؤمنين عليه السلام مر بثقيف فتغامزوا به . فرجع إليهم وقال لهم :
يا عبيد أبى رغال إنما كان أبوكم عبد الله فهرب منه فثقفه : أى ظفر به .

و روى أيضاً أنه عليه السلام قال على المنبر : لقد هممت أن أضع على ثقيف الجزية
لأن ثقيفاً كان عبداً لصالح نبي الله ، و أنه سرّحه إلى عامل له على الصدقة . فهرب

ولمّا كتب الحجاج إلى المهلب و ذمّ قبيلة الأزد أجابه المهلب في ذم قبيلته :
 إن شراً من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن .
 وفي خبر الكلبى النسابة مع الصادق عليه السلام قال عليه السلام له افتنسب نفسك قال : أنا فلان
 بن فلان بن فلان . فقال له : قف ليس حيث تذهب أتدرى من فلان قال : نعم ابن فلان .
 قال : لا إن فلاناً ابن الراعى الكردى كان على جبل آل فلان فنزل إلى فلانة فأطعمها
 شيئاً و غشيها ، فولدت فلاناً ، و فلان ابن فلان من فلانة أتعرف هذه الأسامى قال :
 لا والله ، فإن رأيت أن تكفّ - الخبر - .

و في الطبرى أن مصعب بن الزبير لمّا أخرج خالد بن عبد الله بن خالد بن
 أسيد الذى أرسله عبد الملك إلى البصرة في ولاية أخيه ، و كان أهلها أجاروه
 أرسل إلى رؤسائهم فأتى بهم فأقبل على عبيد الله بن أبى بكره . فقال يا ابن مسروح
 إنّما أنت ابن كلبه تعاورها الكلاب . فجاءت بأحمر و أسود ، و أصفر من كل كلب بما
 يشبهه ، وإنّما كان أبوك عبداً نزل إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ثم أقمتم البيئنة
 أن أباسفيان زنى بأمكم أما والله لئن بقيت لالحقنكم بنسبكم . ثم دعا بحمران فقال :
 يا ابن اليهودية إنّما أنت علعج نبطى سبيت من عين التمر ثم قال لحكم بن المنذر بن
 الجارود : يا ابن الخبيث أتدرى من أنت و من الجارود إنّما كان علعجاً بجزيرة ابن
 كاوان فارسياً فقطع إلى ساحل البحر . فأتى إلى عبد القيس ، و لا والله ما أعرف حياً
 أكثر اشتمالاً على سوعة منهم ثم أنكح أخته المسكعبر الفارسى فلم يصب شرفاً قط أعظم
 منه . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهرانى . فقال : ألسنت من أهل هجر . ثم من أهل
 سماهيج أما والله لأردنك إلي نسبك ثم أتى بعلى بن أصمع . فقال : أعبد لبنى تميم
 مرة ، و أخرى من باهلة . ثم أتى بأبى حاضر الأسدى فقال : يا ابن الاصطخرية ما أنت
 والأشراف ، وإنّما أنت من أهل قطردعى في بنى أسد ليس لك فيهم قريب ، و لا نسيب
 ثم أتى بزياد بن عمرو . فقال : يا ابن الكرمانى إنّما أنت علعج من أهل كرمان قطعت
 إلى فارس فصرت ملاحاً مالك و الحرب لأنت بجرّ القلس أصدق . ثم أتى بعبد الله بن
 عثمان بن أبى العاص . فقال له : أعلى تكثر ، و أنت علعج من أهل هجر لحق أبوك

بالبطائف وهم يضمون من تاشب إليهم يتعززون به أما والله لاردنك إلى أصلك .
ثم أتى بشيخ بن النعمان . فقال : يا ابن الخبيث إنما أنت عليج من أهل زندرود هربت
أمك ، وقتل أبوك فتزوج أخته رجل من بني يشكر . فجاءت بغلامين فالحقك بنسبهما قال
ثم ضربهم ماه ماه ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وهدم دورهم و صهرهم في الشمس ثلاثاً .
٣٨ ر ٢٣١ (ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه

بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به) فجعلت أتبع مأخذ
رسول الله صلى الله عليه وآله فأطأ ذكره حتى انتهيت إلى العرج - في
كلام طويل - قوله عليه السلام: فاطا ذكره من الكلام الذي رمى به
إلى غايته الأيجاز والفصاحة أراد عليه السلام اني كنت اعطى خبره
صلى الله عليه وآله من بدء خروجي إلى ان انتهيت إلى هذا الموضوع
فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

أقول: وهذا العنوان مما في ترتيبه في نسخنا اختلاف مع نسخة (حد) والكيديرى
وتبعهما (ثم) كما مر في أول الكتاب ، وقد روى العنوان أئمة غريب الحديث كما
يفهم من ذكر الجزري له في النهاية لكن فيه (ما أخذ) بدل (مأخذ) .

قول المصنف « بعد هجرة النبي ﷺ » ذكر تنبيه المسعودى أسماء لسنى
هجرته ﷺ فقال : تعرف السنة الثانية بسنة الأمر لأنه أمر فيها بالقتال ، والثالثة
بسنة التمحيص ، والرابعة بسنة الترفيه ، والخامسة بسنة الأحزاب ، والسادسة بسنة
الاستيناس ، والسابعة بسنة الاستغلاب ، والثامنة بسنة الفتح ، والعاشر بسنة حجة
الوداع ، والحادية عشرة بسنة الوفاة .

« ثم لحاقه ﷺ به ﷺ » بعد ثلاث ليال كما في المناقب .

قوله ﷺ « فجعلت أتبع مأخذ رسول الله ﷺ » : أى مكان أخذه من الطريق
في هجرية ، وعلى نقل الجزري : أى مكاناً أخذه ، وأما لحوقه ﷺ به . فروى الكليني

مسنداً عن سعيد بن المسيّب عن السجاد عليه السلام قال : كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي مدة عشر سنين ركعتين حتى هاجر إلى المدينة ، و خلف علياً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره ، وكان خروجه من مكة في أول يوم من ربيع الأول ، وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث ، و قدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، مع زوال الشمس . فنزل بقبا فصلّى الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين . ثم لم ينزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلي الصلوات الخمس ركعتين ركعتين و كان نازلاً على عمرو بن عوف . فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له : أتقيم عندنا فتتخذ لك منزلاً و مسجداً فيقول : لا أنسى أنتظر علي بن أبي طالب ، و قد أمرته أن يلحقني ، و لست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي ، و ما أسرع إن شاء الله . فقدم علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف فنزل معه . ثم تحول النبي صلى الله عليه وآله من قبا إلى بني سالم بن عوف ، و علي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس فخط لهم مسجداً و نصب قبلته فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين ، و خطب خطبتين . ثم راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها و علي عليه السلام معه لا يفارقه يمشى بمشيه ، و ليس يمر النبي صلى الله عليه وآله ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم . فيقول لهم : خلّوا سبيل الناقة . فانّها مأمورة فانطلقت به ، و هو واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى - و أشار بيده إلى باب مسجد النبي صلى الله عليه وآله الذي يصلي عنده بالجنائز - فوقفت عنده و بركت ، و وضعت جرائها على الأرض . فنزل ، و أقبل أبو أيوب مبادراً حتى احتمل رحله . فادخله منزله و علي عليه السلام معه حتى بنيت له مساكن و بنى مسجده فتحولاً .

قال سعيد : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : كان أبو بكر معه فأين فارقه . قال لما كان بقبا ينتظر قدوم علي عليه السلام قال له أبو بكر : انهض بنا إلى المدينة فإن القوم فرحوا بقدومك ، و ما أظن علياً يقدم عليك إلى شهر فقال النبي صلى الله عليه وآله : كلا بل ما أسرع حتى يقدم أخى ، و ابن عمي ، و أحب أهل بيتي ، و قد وقاني بنفسه من

المشركين . فغضب أبو بكر ، و اشماز و داخله من ذلك حسد لعلي عليه السلام ، وكان ذلك أوّل عداوة بدت منه في علي عليه السلام ، و أوّل خلافه على النبي صلى الله عليه وآله فانطلق أبو بكر حتى دخل المدينة ، و تخلف النبي صلى الله عليه وآله بقبا ينتظر علياً عليه السلام - الخمر - .

و في الكافي ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة ، و مات أبو طالب بعدها . فلما فقدهما سأم الملقام بمكة و دخله حزن شديد ، و أشفق على نفسه من كفار قريش فشكا إلى جبرئيل ذلك ، فأوحى إليه أن اخرج من القرية الظالم أهلها ، و هاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر ، و انصر للمشركين حرباً ، فعند ذلك توجه إلى المدينة . و روى أمالي الشيخ مسنداً عن هند بن أبي هالة ، و أبي رافع ، و عمارة جميعاً يحدثون عن هجرة أمير المؤمنين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة ، و ميته قبل ذلك على فراشه قالوا : ثم كتب النبي صلى الله عليه وآله إليه عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه ، و قلة التلوم ، و كان الرسول إليه أبا و اقد الليثي فتبها للخروج فاذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا إذا ملا الليل بطن كل ذي واد إلى ذي طوى ، و خرج عليه السلام بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله و بفاطمة أمه ، و بفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، و قيل : ضباعة ، و تبعهم أيمن بن أم أيمن ، و أبو واقد فجعل يسوق بالرواحل ، فأعنف بهم . فقال عليه السلام : ارفق بالنسوة أبا و اقد إنهن من الضعائف ، قال : أخاف أن يدركنا الطلب . فقال عليه السلام : أربع عليك . ثم جعل عليه السلام يسوق بهن سوقاً رقيقاً و هو يقول :

ليس إلا الله فارفع ظنكا ☆ يكفيك رب الناس ما أهمك

فلما شارف ضجنان أدركه الطلب بسبع فوارس من قريش مستلأمين ، و ثامنهم جناح مولى الحرث بن أمية . فأقبل عليه السلام على أيمن و أبي واقد ، و قد ترائى القوم . فقال لهما : أنيخا الإبل ، و اعقلاها ، و تقدم حتى أنزل النسوة ، و دنا من القوم منتضياً سيفه . فقالوا : ظننت يا غدار أنك ناج بالنسوة ارجع لأبالك . قال : فإن لم أفعل قالوا : لترجعن راغماً ، و دنوا من المطايا ليثوروها فحال عليه السلام بينهم و بينها . فأهوى له جناح بسيفه فراغ عليه السلام عن ضربته ، و ضربه على عاتقه مضياً فيه

حتى مس كاتبة فرسه ، وكان ﷺ يشد على قدمه شد الفارس ، وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد ❦ آليت لأعبد غير الواحد

فتصدعوا عنه . فقال : من سره أن افرى لحمه ، واهريق دمه . فليتبغني ثم سار ظاهراً مظاهراً حتى نزل ضجنان فتلوم بها قدر يومه ، وليلته ، ولحق به نفر من المستضعفين ، وفيهم أم أيمن فصلى ليلته تلك هو ، والفواطم ، ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . فلن يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى بهم صلوة الفجر ثم سار لوجهه حتى قدم المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً - إلى - فاستجاب لهم ربهم إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » (١) الذكر على ﷺ والأنتى فاطمة « وبعضكم من بعض » علي من الفواطم ، وهن من علي ﷺ « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقتلوا وقتلوا لا كفرون عنهم سيئاتهم ، ولا دخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » (٢) وتلا « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » (٣) وقال له : يا علي أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله ، وأول لهم هجرة إلى الله ورسوله ، وآخرهم عهداً برسوله .

« فاطماً » : أى أضع قدمى قال تعالى « وأرضاً لم تطؤها » (٤) وقال الجوهرى : الوطأة : موضع القدم ، وهو أيضاً كالضغط ، وفي الحديث : اللهم أشدد وطأتك على مضر . قلت : ما ذكره وهم فموضع القدم الموطأ لا الوطاه كما أن الضغط شدة الوطأة لا مطلقها كما قال .

(١) آل عمران ١٩ و ١٩٤

(٢) آل عمران ١٩٥

(٣) البقرة ٢٠٧

(٤) الاحزاب ٢٧

« ذكره » : أى النبى ﷺ لاشتهار أمره في الطريق أيضاً .

« حتى انتهيت إلى العرج » أحد المنازل التى كانت في الطريق .

وقد ذكر كاتب الواقدي في طبقاته منازل سلكها النبى ﷺ في هجرته قبل (العرج) وبعده فقال : وسلك النبى ﷺ في الخرار ثم جاز ثنية المرة ، ثم سلك لقا ، ثم أجاز مدلجة لقف . ثم استبطن مدلجة مجاج . ثم سلك مرجح مجاج ، ثم بطن مرجح . ثم بطن ذات كشد . ثم على الحدائد . ثم على الأناخر . ثم بطن ريخ فصلى به المغرب . ثم ذا سلم . ثم أعدى مدلجة . ثم العثانية . ثم جاز بطن القاحة ثم هبط العرج . ثم سلك في الحدوات . ثم في الغابر عن يمين ركوبه . ثم بطن العقيق حتى انتهى إلى الجنحاجة .

وأما وجه تسمية العرج بالعرج قال ابن الكلبي : لما رجع تبسع من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دواب تعرج . فسمّاها العرج ، وقال كثير : سمى عرجاً لأنه يعرج به عن الطريق .

والعرج عرجان : عرج من نواحي الطائف ، وإليه ينسب العرجى الشاعر الذى يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ☆ ليوم كريمة و سداد ثغر

وعرج بين مكة والمدينة الوارد في كلامه ﷺ قال الأصمعي ، في كتاب جزيرة العرب كما نقل عنه المعجم . إن في نواحي الطائف وادياً يقال له : العرج ، وهو غير العرج الذى بين مكة والمدينة عقبه بينهما على جادة الحاج ، وجبلها متصل بجبل لبنان ، ومن العرج الثانى كان سعد العرجى دليل النبى ﷺ إلى المدينة .

وفي الأسد قيل لسعد : العرجى لأنه اجتمع مع النبى ﷺ بالعرج روى عنه أنه قال : كنت دليل النبى ﷺ من العرج إلى المدينة فرأيت يأكلم متكئاً - إلخ - .

و وهم (حد) فقال : العرج منزل بين مكة والمدينة ، وإليه ينسب العرجى الشاعر ، وهو عبد الله بن عبد الله بن عمرو بن عثمان . فتراه توهم اتحاد العرج ، و

انحصاره بما بين مكة والمدينة ، و نسبة العرجى الشاعر إليه مع أنه لا ريب أنه منسوب إلى عرج الطائف كما صرح به ابن قتيبة والحموى ، والحصرى ، وغيرهم ، وإنما سعد العرجى الصحابي منسوب إليه .

كما أن قوله (العرجى عبد الله بن عبد الله بن عمرو) غلط آخر ، وإنما هو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو كما صرح به القتيبي والحموى وغيرهما . هجا العرجى هذا إبراهيم المخزومي فحبسه حتى مات .

و غلط الجوهرى والفيروز آبادى فيه غلطاً آخر فقالا : العرجى : عبد الله بن عمرو بن عثمان . فإن من قال جده العرجى ويقال له (المطرف) لا العرجى . قول المصنف « في كلام طويل » لم يذكره لخروجه عن موضوع كتابه . « قوله ﷺ : فأطأ ذكره » من الكلام الذى روى به إلى غايته الأيجاز والفصاحة : أى هو كلام جمع بينهما .

« أراد ﷺ أنى كنت أعطى خبره ﷺ » من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنتى عن ذلك « المعنى الطويل .

« بهذه الكناية العجيبة » المختصرة ، و نظير كلامه ﷺ قول على بن خشرم لعلى بن حجر :

و وافيت مشتاقاً على بعد شقمة ✦ يسايرنى في كل ركب له ذكر

و مما يدخل في هذا الباب ما رواه عيون ابن قتيبة عن الأصمعى قال : قال شيخ من قضاة : ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزاً . فقالت : استبطن الوادى ، و كن سيلاً حتى تبلغ .

و عن أعرابى قال : خرجت حيث انحدرت أيدي النجوم ، و شالت أرجلها . فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لى الفجر .

و عن آخر ذكر قوماً اتبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال : احتشوا كل جمالية عيرانة . فما زالوا يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثلاثة . فجعلوا الممران أرسية الموت ، واستقوا بها أرواحهم .

وقال عبدالعزیز بن زرارة طعاویة: لم أزل أهرز ذوائب الرجال إليك إن لم أجد معولاً إلا عليك امتطى الليل بعد النهار ، و أسم المجهل بالآثار ، يقودني إليك أهل و تسوقني بلوى ، و المجهتهد بلوى ، و إن بلغتك فقطني .

٣٩ - ١٥٥ - وَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ

لَكَ فِي الْأُسُوةِ ، وَ دَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَ عَيْبِهَا ، وَ كَثْرَةِ مَخَازِبِهَا وَ مَسَاوِيِبِهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ فِيهِ أُسُوةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ، وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ، وَ الْمَقْتَصِدُ لِآثَرِهِ ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا ، وَلَمْ يَعْرِهَا طَرْفًا . أَهْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَ أَحْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا ، عَرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَايَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وَ عِلْمَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَاَبْغَضَهُ ، وَ حَقَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ ، وَ صَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا الْأَحْبِنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ ، وَ تَعَظَّمْنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ لَكُنْفَى بِهِ شِقَاقًا بِهِ وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَ لَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَ يِرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ ، وَ يَرْدِفُ خَلْفَهُ ، وَ يَكُونُ السُّتْرَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانَهُ - لِأَحَدِي أَزْوَاجِهِ -

غَيْبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفَهَا ، فَأَعْرَضَ
 عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَن نَفْسِهِ ، وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتَهَا
 عَن عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا ، وَ لَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا ، وَ لَا يَرْجُو فِيهَا
 مُقَامًا . فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَفْسِ ، وَ اشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ ، وَ غَيْبَهَا عَنِ
 الْبَصَرِ ، وَ كَذَّبَ مَنْ ابْغَضَ شَيْئًا ابْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَ أَنْ يُذَكَّرَ
 عِنْدَهُ ، وَ لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله مَا يَدُلُّكَ
 عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَ عِيُوبِهَا . اذْجَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَ زُؤِيَتَ عَنْهُ
 زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ . أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ . فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ . فَقَدْ كَذَّبَ ، وَ أَتَى
 بِالْأَفْكَ الْعَظِيمِ ، وَأَنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ . فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ
 لَهُ الدُّنْيَا وَ زَوَاهَا عَنِ أَقْرَبِ النَّاسِ . فَتَأَسَّى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ ، وَ افْتَصَّ
 أَثْرَهُ ، وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَ آلا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ . فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله عَلِمًا لِلسَّاعَةِ ، وَ مَبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَ مُنذِرًا بِالْعُقُوبَةِ ،
 خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا ، وَ وُردَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى
 حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا اعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ

عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَّاعِبُهُ .

(وقد) هكذا في المصرية ، والصواب (ولقد) كما في (حد و ثم وخو والخطية) .
 « في رسول الله ﷺ كاف لك في الأُسوة » : أى التأسى قال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (١) .
 « و دليل لك على ذم الدنيا و عيبها » « وما الحياة الدنيا إلا لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » (٢) « إنما الحياة الدنيا لعب و لهو و إن تؤمنوا و تتسقوا يؤتكم أجوركم و لا يسألكم أموالكم » (٣) « اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد - إلى - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (٤) .
 « و كثرة مخازيها » جمع المخرزية اسم الفاعل من أخزى : أى الخصلة القبيحة .
 « و مساويها » : أى نقائصها و معائبها .

« إذ قبضت عنه أطرافها » في الكافي عن الصادق عليه السلام ما أعجب النبي ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعاً خائفاً ، و عنه عليه السلام خرج النبي ﷺ وهو محزون فأتاه ملك ، و معه مفاتيح خزائن الأرض ، و قال : يقول لك ربك : افتح و خذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي . فقال النبي ﷺ : الدنيا دار من لا دار له ، و لها يجمع من لا عقل له . فقال له الملك : و الذى بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقول في السماء الرابعة حين أعطيت المفاتيح .
 « و وطئت » بالتشديد .

« لغيره أكنافها » : أى جوانبها .

« و فطم » : أى قطع .

« عن رضاعها » هكذا في المصرية ، و لكن في (حد ، و ثم ، و خو ، و الخطية)

(٢) الانعام ٣٢

(١) الاحزاب ٢١

(٣) محمد ٢٥

(٤) الحديد ٢٠

(من رضاعها) والفطيم بعد الفطم يبغض الثدي فكان ﷺ يبغضها ، وأما أهل الدنيا فيحبونها حب الرضيع للثدي . قال ابن همام السلولى :
و ذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ۞ أفأويق حتى ما يدر لها نعل
«وزوى عن زخارفها» : أى عدل به عن زيناتها .

« فتأس بنبيك الأطيب الأطهر » هكذا في المصرية ، وفي (حد) ولكن في الخطية (بنبيك الأطهر الأطيب) وفي (ثم) (بنبيك الأطهر) وحيث إن نسخته بخط المصنف فما فيه هو الأطهر .

« فإن فيه أسوة لمن تأسى » : أى تحقيق لأن يتأسى به .

« و عزاء » : أى أن فيه موضع انتساب .

« لمن تعزى به » : أى أراد الانتساب إليه .

« و أحب العباد إلى الله المتأسى بنبيه » قالوا : الأصل فيه قوله تعالى « قل إن

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (١) .

« والمقتص » : أى المتبعب .

« لأثره » فيفعل ما فعل ﷺ ويترك ما ترك ﷺ .

« قضم الدنيا قضمًا » : أى قنع منها بقدر الضرورة . فقالوا : الخضم الأكل بجميع

الفم ، والقضم دونه . قال أعرابي قدم على ابن عم له بمكة : هذه بلاد مقضم ، وليست ببلاد مخضم .

قال (حد) و روى (قضم الدنيا قضمًا) قلت : وهو الأ نسب بقوله ﷺ بعد

« و لم يعرها طرفاً » و قالوا : القضم كسر غير بين ، والقضم كسر بين ، و تفسير

(حد) له بمطلق الكسر في غير محله .

« و لم يعرها » : أى لم يعطها عارية .

« طرفاً » أى نظراً بمؤخر العين . فعلم أنها ما تعدل عند الله جناح بعوضة ، و

إلا لما سقى الكافر منها شربة ماء .

« أهضم » : أى أخفض .

« أهل الدنيا كشحاً » قال الجوهري : الكشح : ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف قال طرفة : وإن له كشحاً إذا قام أهضمًا .

« وأهضمهم » : أى أضمرهم ، وأرقهم .

« من الدنيا بطناً » قال :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ☆ فإن زمانكم زمن خميص
وفي الخبر كان النبي ﷺ إذا تغدى لا يتعشى ، وإذا تعشى لا يتغدى ، وكان
ﷺ ما شبع من خبز شعير قط ، وما أكل خبز بر قط ، وقد يلق بطنه بظهره من
شدة الجوع .

وفي عرائس الثعلبي بإسناده عن جابر الأنصاري أن النبي ﷺ أقام أياماً
لم يطعم شيئاً حتى شق ذلك عليه . فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن
شيئاً . فأتى فاطمة عليها السلام فقال : يا بنية هل عندك شيء؟ فقالت : لا والله . فلما خرج
بعثت جارة لها برغيفين ، وبضعة لحم . فأخذته ، ووضعت في جفنة ، وغطت عليه ، و
قالت : لا وثرن بها رسول الله ﷺ على نفسي ، ومن عندي ، وكانوا جميعاً محتاجين
إلى شبة . فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدتهما . فرجع إليها فقالت : قد أتانا الله بشيء
فخبأته لك قال فهلمسى به . فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلمّا نظرت
إليه بهتت ، وعرفت أنها من بركة الله ، فحمدت الله تعالى وصلت على نبيّه . فقال
النبي ﷺ لها : من أين لك هذا يا بنية . قالت : من عند الله إن الله يرزق من يشاء
بغير حساب . فحمد النبي ﷺ وقال : الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء
بنى إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسئلت عنه قالت : هو من عند الله إن
الله يرزق من يشاء بغير حساب .

« عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها » قال الرضا عليه السلام : قال النبي ﷺ :

« أتاني ملك . فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول : إن شئت جعلت لك بطحاء
مكة ذهباً ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : يارب أشبع يوماً فأحمدك وأجوع يوماً فأسألك .

« وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه » في الكافي عن الصادق عليه السلام في مناجاته تعالى لموسى عليه السلام إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته ، وجعلتها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لي - الخبر - .

« وحقّر شيئاً فحقّره ، وصغّر شيئاً فصغّره » في الكافي عن الصادق عليه السلام مرّ النبي ﷺ بجدي أسك : أي مقطوع الأذنين . ملقى على مزبلة ميتاً . فقال لأصحابه : كم يساوى هذا ؛ فقالوا : لعلمه لو كان حياً لم يساو درهماً . فقال النبي ﷺ : والذي نفسى بيده الدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله .

« ولولم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله » هكذا في المصرية و (حد) ، وليس في (ثم ، والخطيئة) كلمة (ورسوله) في الموضعين وهو الأصح .

« لكفى شقاقاً » : أي خلافاً ، وفي كوننا في غير شقه تعالى .

« لله ومجادة » : أي مخالفة ، وكوننا في حد آخر .

« عن أمر الله » وما يريده منّا ، وفي الخبر مرّ موسى عليه السلام برجل يبكي . فقال : الهى عبدك يبكي من مخافتك ، فقال : يا موسى لو نزل دماغه مع دموع عينيه لم أغفر له ، وهو يحب الدنيا .

و عنهم عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وعن الباقر عليه السلام إيتاك أن يطمح بصرك إلى من هو فوقك . فكفى بما قال تعالى لنبيه ﷺ « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ^(١) « لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » ^(٢) فإن دخلك من ذلك شيء ، فاذكر عيش رسوله . فإنما كان قوته الشعير ، وحلوه التمر ، ووقوده السعف إذا وجدته .

وقالوا : وقف صوفي على إبراهيم بن أدهم فقال : يا أبا إسحاق لم حجبت القلوب

(١) التوبة ٥٧

(٢) طه ١٣١

عن الله - عز وجل - قال : لأنّها أحبّت ما أبغض الله أحبّت الدنيا ، و هالت إلى دار الغرور ، و تركت العمل لدار فيها حياة الأبد .

« و لقد كان ﷺ يأكل على الأرض و يجلس جلسة العبد » في عيون القتيبي عن قيس بن أبي حازم جاء رجل إلى النبي ﷺ فأصابته رعدة . فقال له النبي ﷺ : هوّن عليك فإنّما أنا ابن امرئة من قريش كانت تأكل القديد .

وفي الخبر مرّت امرئة بذبيّة على النبي ﷺ و كان جالساً جلسة العبيد . فقالت : يا محمّد إنّك تجلس جلسة العبيد ، فقال : وأيّ عبد أعبد منّي .

و في الأسد عن أبي أمامة قال : بينما نحن مع النبي ﷺ إذ لحقنا عمرو بن زرارة الأنصاري في حلة إزار و رداء ، و قد أسبل فجعل النبي ﷺ يأخذ بحاشية ثوبه ، و يتواضع لله - عز وجل - و يقول : اللهم عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك حتّى سمعها عمرو ، فالتفت إلى النبي ﷺ فقال : إنّي حمش الساقين . فقال النبي ﷺ : إنّ الله قد أحسن كل شيء خلقه يا عمرو إنّ الله لا يحبّ المسبلين . قلت : الظاهر أنّ مراد عمرو في قوله : إنّي حمش الساقين إنّي أسبلت لأستر حمشهما .

و في الخبر كان النبي ﷺ يجيب دعوة العبد ، و يدعى إلى خبز الشعير ، و الا هالة السنخة . فيجيب .

و في السيرة - في حديث قدوم عدى بن حاتم على النبي ﷺ لا سلامه - قال عدى : فانطلق بي النبي ﷺ إلى بيته إن لقيته امرئة ضعيفة كبيرة . فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . فقلت في نفسي : ما هذا بملك ثم مضى بي حتّى دخل بيته تناول و سادة محشوة ليفاً . فقذفها إلى ، و قال : اجلس على هذه قلت : بل أنت قال : بل أنت : فجلست عليها ، و جلس بالأرض . فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : أياه يا عدى بن حاتم ألم تكركوسيا - قيل : الركوسى دين بين النصارى و الصابئين - قلت : بلى . قال : أو لم تك تسير في قومك بالمبراع قلت : بلى . قال : فإنّ ذلك لا يحلّ لك في دينك . قلت : أجل . و عرفت أنّه نبى مرسل

يعلم ما يجهل - الخبر - .

« و يخصف بيده نعله و يرقع بيده ثوبه » و قد يكل ذلك إليه ﷺ ، و حديث

خاصف النعل معروف .

« و يركب الحمار العارى » في تفسير القمى في غزوة الخندق في مجيء حتى بن

أخطب إلى كعب بن أسيد رئيس بنى قريظة ليحمله على نقض العهد بينه و بين النبي ﷺ لتجتمع أحزاب قريش و غيرهم عليه .

فقال كعب لبنى قريظة : ما تريدون ؟

قالوا : أنت سيدنا فان نقضت نقضنا .

فقال الزبير : ياطا و كان شيخاً كبيراً قد قرأت في التوراة ، و أنزل الله في سفرنا أنه

يبعث نبياً في آخر الزمان يكن مخرجه بمكة و مهاجرته إلى هذه البحيرة يركب

الحمار العارى ، و يلبس الشملة ، و يجتزى بالكسيرات و التميرات و هو الضحوك القتال

في عينيه الحمرة ، و بين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ

سلطانه منقطع الخف و الحافر . فان كان هذا هو فلا يهولنسه جمع هؤلاء .

فقال حتى بن أخطب : ليس هذا ذاك من بنى إسرائيل ، وهذا من ولد إسماعيل

ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً .

و فيه أيضاً - بعد ذكر ظفر النبي ﷺ ببني قريظة - فأخرج كعب بن أسد

مجموعة يداه إلى عنقه . فلما نظر إليه النبي ﷺ قال له : يا كعب أما نفك وصية

ابن حوأس الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام ، و قال لكم : تركت الخمر

و الخنزير ، و جئت إلى البؤس و التمور لنبي يبعث مخرجه بمكة ، و مهاجرته في هذه

البحيرة يجتزى بالكسيرات و التميرات ، و يركب الحمار العارى في عينيه حمرة . بين كتفيه

خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ سلطانه . منقطع الخف

و الحافر . فقال : قد كان ذلك يا محمد ، و لولا أن اليهود يعيرونى أنتى جزعت عند

القتل لأمنت بك ، و لكنسى على دين اليهودية عليه أحيى ، و عليه أموت .

« و يردف خلفه » روى الواحدى عن عروة بن الزبير أن النبي ﷺ سار يعود

سعد بن عباد فركب حمراً على قطيفة فذكية ، وأردف أسامة خلفه .

وفي أنساب البلاذري وقف النبي ﷺ بعرفات وهو مردف أسامة بن زيد ، و كان أسامة يدعى الردف لأن النبي ﷺ كان يردفه كثيراً .

و عن الصحيحين أردف النبي ﷺ الفضل بن العباس من مزدلفة إلى منى ، و عن ابن مندة عد من أردفه النبي ﷺ إلى ثلاثة و ثلاثين نفراً .

« و يكون الستر على باب بيته تكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة لإحدى أزواجه غيبه عني » روى الخطيب في محمد بن حمويه عن عايشة أنها اشترت نمرة فيها تصاوير . فلما رآها النبي ﷺ قام بالباب ولم يدخل ، و قال ما هذه النمرة ؟ قال : اشتريتها لك تجلس عليها وتوسدها . فقال : إن أصحاب هذه الصور يعدون يوم القيامة يقال لهم : أحيوا ما خلقتم ، وأن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة .

و روى سنن أبي داود عن عايشة قالت : إن النبي ﷺ خرج في بعض مغازيه فأخذت غطاء كان فسترته على العرس . فلما جاء أتى النمط حتى هتكه . ثم قال : إن الله لم يأمرنا في مازقنا أن نكسو الحجارة واللبن فقطعته ، وجعلته و سادتين وحشوتهما ليفاً فلم ينكر ذلك علي .

« فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زخارفها » قال تعالى له « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لتمتد بهم و رزق ربك خير و أبقى » (١) .

« فأعرض عن الدنيا بقلبه ، و أمات ذكرها عن نفسه » عنه ﷺ كان فراش النبي ﷺ عبائة ، و كانت مرفقته آدم حشوها ليف فثبت له ذات ليلة . فلما أصبح قال : لقد منعني الفراش الليلة من الصلوة فأمر أن يجعل بطاق واحد .

« و أحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ريشاً » : أي زينة و تجملاً ، و الأصل فيه ريش الطائر . قال جرير :

فريشى منكم و هوأى معكم ☆ و إن كانت زيارتكم لماما
« ولا يعتقدها قراراً » قال مؤمن آل فرعون « يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا
متاع و إن الآخرة هى دار القرار » (١) .

« ولا يرجو فيها مقاماً » روى الكافى عنه عليه السلام قال : مالى و للدنيا إنما مثلى
و مثلها كراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتمها ثم راح و تركها قوله عليه السلام
(فقال) : أى أنى بالقلولة من [قال يقيل] .

« فأخرجها من النفس و أشخصها » : أى أذهبها .

« عن القلب » اللام في القلب بدل عن المضاف إليه : أى قلبه كالنفس و البصر في

ما مضى ، و يأتى .

« و غيبها عن البصر » والمراد إعراضه عنها ظاهراً و باطنياً فبعض يمكن ألا تكون
الدنيا متمكنة من قلوبهم لكن أوضاع الدنيا لهم منبسطة ، و هو غير مذموم ، و بعض بالعكس
و هو مذموم و الأول كالغنى الزاهد ، و الثانى كالفقير الحريص ، و الممدوح إنها باع القلب
و البصر كما فعل عليه السلام و قد قال تعالى له « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة
الدنيا » (٢) .

« و كذا من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه و أن يذكر عنده » قالوا : اجتمعت
عدة من الفقهاء و الزهاد عند رابعة العدوية فذموا الدنيا و هى ساكنة . فلما فرغوا
قالت : من أحب شيئاً أكثر من ذكره إنما بحمد ، و إنما بدم . فإن كانت الدنيا في قلوبكم
لا شىء فلم تذكرونها .

« و لقد كان في رسول الله عليه السلام ما يدل لك على مساوى الدنيا و عيوبها » كما أن
في عمل الدنيا مع المنقطعين عن الله أيضاً ما يدل على نقائصها إذ يكونون فيها مرفهين .
« إن جاع فيها مع خاصته » ، و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً

و يتيماً وأسيراً» (١).

« وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته » : أى قربته إلى الله تعالى ودرجته عنده .
« فلينظر ناظر بعقله » الذى يحكم بالحق ، ولا ينظر بهواه الذى يحب الباطل .

« أكرم الله محمدًا ﷺ بذلك أم أهانه » ناظر إلى قوله تعالى «فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن و أما إذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربى أهانن » (٢) .

« فإن قال : أهانه » بأخذ الدنيا عنه .

« فقد كذب » في قوله .

« وأنى بالإفك العظيم ، وإن قال : أكرمه » بذلك .

« فليعلم أن الله أهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها » : أى عدل بها .

« عن أقرب الناس منه » في الخبر استسقى النبي ﷺ اللبن من راع فمنعه ،
و من راع آخر . فبعث إليه بموجوده من اللبن ، وما قدر عليه من الحلب
مع شاة فدعا للأول بكثرة ماله ولده ، وللثاني بالكفاف . فعجب الناس ، وقالوا :
دعوت للذى دعاك بدعاء تحبه عامتنا ، ودعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء جمعنا
نكرهه . فقال النبي ﷺ : « إن ما قل » وكفى خير مما كثر وألهم ارزق محمدًا
و آل محمد الكفاف .

و في تاريخ الجزرى لما فرغ عبد الرحمن الناصر الأموى صاحب الأندلس من
بناء [الزهراء] وقصورها وقد قعد في قبّة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الذى لم
يسبق إليه فقال لمن معه من الأعيان : هل بلغكم أن أحدًا بنى مثل هذا البناء ؟ فأثنى
الجميع بأنهم لم يروا ، ولم يسمعوا بمثله إلا القاضى منذر بن سعيد فإنه سكت فقال

(١) الانسان ٨

(٢) الفجر ١٦

له الناصر : لم لاتنطق أنت . فبكى وقال : ما كنت أظن أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ حتى أنزلك منازل الكافرين . قال تعالى « ولولأن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون و لبيوتهم أبواباً وسريراً عليها يتكئون و زخرفاً و إن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » (١) .

« فتأسى متأس بنبييه » أمر بصورة الخبر : أى ليقدم مقتد بنبييه . قال مصعب

بن الزبير :

وإن الأولى بالطف من آل هاشم ☆ تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

« واقتص » : أى اتبع .

« أثره » في ترجيح الآخرة .

« و ولج مولجه » : أى دخل مدخله .

« و إلا فلا يأمن الهلكة » لانحصار النجاة باتباعه .

« فإن الله جعل محمد أعلماً للساعة » مأخوذ من قوله تعالى « وإنه لعلم للساعة » (٢)

وإن قالوا : إن المراد بالآية نزول عيسى عليه السلام من السماء .

« و مبشراً بالجنة ، و منذراً بالعقوبة » « نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم

و أن عذابى هو العذاب الأليم » (٣) .

« خرج من الدنيا خميصاً » ضامر البطن .

« وورد الآخرة سليماً » كما قال تعالى « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى

الله بقلب سليم » (٤) .

(١) الزخرف ٣٣

(٢) الزخرف ٦١

(٣) الحجر ٤٩

(٤) الشعراء ٨٩

« لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله ، وأجاب داعي ربه » بارتحاله .
 روى كاتب الواقدي عن عطاء الخراساني قال : أدركت حجر أزواج النبي ﷺ من
 جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود . فحضرت كتاب الوليد يقرأ بأمر
 فيه بإدخال حجرهن في المسجد . فقال سعيد بن المسيب : والله لو ددت أنهم
 تركوها على حالها ينشأنا شيء من أهل المدينة و يقدم قادم من الآفاق . فيرى ما اكتفى
 به النبي ﷺ في حياته . فيكون ذلك مما يزهّد الناس في التكاثر ، وقال عمر بن أبي
 أنس كان منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات مطيئة
 لا حجر لها على أبوابها مسوح الشعر زرعت الستر . فوجدت ثلاث أذرع في ذراع .

« فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم به » أي بالنبي ﷺ .

« علينا سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه » « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم
 رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا
 من قبل لفي ضلال مبين » (١) .

٤٠ في ١٠٥ ر ١ (منها في ذكر النبي (ص)) قد حقر الدنيا

وصغرها ، و أهونها وهونها ، و علم أن الله زواها عنه اختياراً ،

و بسطها لغيره احتقاراً . فأعرض عنها بقلبه ، وأمات ذكرها عن

نفسه ، و أحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلاً يتخذ منها ريشاً أو

يرجو فيها مقاماً . بلغ عن ربه معذراً ، و نصح لامته منذراً ، ودعا

إلى الجنة مبشراً .

« قول المصنّف : ومنها في ذكر النبي ﷺ هكذا في المصرية ، والصواب [منها في ذكر النبي ﷺ] كما في (حد ، ونم ، والخطية) .

« قوله ﷺ : قد حقّر الدنيا وصغّرها » : أى عدّها حقيرة صغيرة .

« و أهونها » لم يقل ﷺ : و أهونها للازدواج بينه وبين قوله ﷺ :

« و هوّنها » كما في [مازورات] مع [ماجورات] و إلا فالواجب [موزورات] : أى عدّها هونا ، و جمعه ﷺ بينهما للمبالغة . قال ابن قتيبة في أدب كاتبه : و تدخلت على أفعلت إذا أردت تكثير العمل والمبالغة تقول : أجدت وجودت ، وأغلقت و غلقت ، وأقفلت وقفلت ، وفي مثل [هان على الأملس مالاقي الدبر] وفي آخر [أهون من قعيس على عمته] هذا وقال (حد) في قوله ﷺ : و صغّرها : المراد عند غيره ليكون قوله [و أهون بها و هوّنها] مطابقاً له : أى أهون هوّبها و هوّنها عند غيره ، وهو كما ترى فلم يعلم صحّة ما نقل أوّلاً و صحّة استعمال (أهون بها) ثانياً ، و كون المراد ما ذكر ثالثاً فإن النبي ﷺ و إن صغّر الدنيا عند غيره إلا أن المراد هنا تصغيره لها عند نفسه كتحقيره لها لأنّه ﷺ في مقام بيان صفة زهده ﷺ في الدنيا كما يشهد به قوله ﷺ هنا « و علم أن الله زواها عنه اختياراً » بسطها لغيره احتقاراً » وقوله ﷺ في سابقه « و علم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فأبغضه ، و حقّر شيئاً فحقّره ، و صغّر شيئاً فصغّره » .

« و علم أن الله زواها » : أى عدل بها .

« عنه اختياراً » مفعول له لقوله (زوى) : أى زواها عنه باختياره تعالى له الأصلح لا منصوب بنزع الخافض لقوله (و علم) كما يفهم من (حد) حيث قال (اختياراً) : أى باختيار من النبي ﷺ .

« و بسطها لغيره احتقاراً » قال تعالى « فلانعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعدّ بهم بها في الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كفرون » ^(٥) و قال - جلّ وعلا -

« ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » (١) وقال - عز اسمه - « ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون و لبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لمآ متاع الحياة الدنيا » (٢).

« فأعرض عنها » هكذا في المصرية، والصواب « فأعرض عن الدنيا » كما في (حد، وثم، الخطية) وإعادة الاسم الظاهر لبيان الأهمية.

« بقلبه وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه » الفقرات الثلاث من قوله: فأعرض - إلى - عن عينه. مرت في سابقه بل والفقرتان بعدها أيضاً كما يأتي، وكيف كان عن السجادة عليه السلام ما من عمل بعد معرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا فإن ذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً - إلى أن قال - فاجتمعن كلهن في حب الدنيا. فقال الأنبياء والعلماء بعد ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وعن الصادق عليه السلام قال تعالى طوسى عليه السلام: إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عليه السلام عند خطيئته، وجعلتها ملعونة وملعوناً ما فيها إلا ما كان فيها لى يا موسى إن عبادى الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم بى، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم.

« لكيلا يتخذ منها ريشاً أو يرجو فيها مقاما » مرت في سابقه (لكيلا يتخذ منها ريشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاما).

« بلغ عند ربه معذراً » حتى لم يبق لأحد عذر في المخالفة.

« و نصح لأُمَّته منذراً » لهم من عذاب الله بالمعصية.

« ودعا إلى الجنة مبشراً » بنعمه العالمة بالإطاعة. قال أبو جعفر الباقر عليه السلام

خطب النبي ﷺ في حجة الوداع. فقال: أيها الناس ما من شيء يقربكم

(١) طه ١٣١

(٢) الزخرف ٣٣

من الجنة و يباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به ، و ما من شيء يقر بكم من النار و يباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجمعوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته .

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام وقف النبي صلى الله عليه وآله بمنى حين قضى مناسكه في حجة الوداع . فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم ، واعقلوه عنى لأدرى لعلى لألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا . ثم قال : أى يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم: فقال أى شهر أعظم حرمة قالوا: هذا الشهر . قال: أى بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد . قال: إن دماءكم و أموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه . فمساءلكم عن أعمالكم أهل بلغت؟ قالوا: نعم . قال: اللهم أشهد ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ، ولا ماله إلا بطيبة نفسه ، ولا ترجعوا بعدي كفاراً .

و في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله حضر يوم وفاته مع شدة مرضه المسجد ، و قال « و اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون » أيها الناس لا يدع مدع مدع ولا يتمنى متمن أنه ينجو إلا بعمل ، و رحمة من الله ، و قال : لو عصيت لهويت ، و قال : اللهم هل بلغت .

٤١ ر في ١٨٧ ر ١ و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من

لأن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ،
و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره .

أقول : نقله المصنف جزء الخطبة القاصعة ، و روى ابن طاووس في طرائفه عن

صدر الأئمة موفّق بن أحمد بأسناده عن أبي ذر كونه جزء مناشداته يوم الشورى .
 « ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً » : أى منقطعاً عن الرضاع .
 « أعظم ملك من ملائكته » قال (حد) روى أن بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن
 عليّ الباقر سأله عن قوله تعالى « إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه
 و من خلفه رسداً » (١) فقال يوكل الله بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم و يؤدون إليه
 تبليغهم الرسالة و يوكل بمحمد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده
 إلى الخيرات ، و مكارم الأخلاق ، و يصدّه عن الشرّ ، و مساوى الأخلق ، وهو الذى
 كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظن
 أن ذلك من الحجر و الأرض فيتأمل ولا يرى شيئاً .

قلت : و روى الكليني عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عيسى أن عبد المطلب كان
 يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره ، و كان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون
 من دنا منه . فجاء النبي ﷺ وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذه فأهوى بعضهم
 إليه لينحبه عنه . فقال له عبد المطلب : دع ابني فإن الملك قد أتاه .

و ورد في تفسير قوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري
 ما الكتاب ولا الإيمان » (٢) عنهم عيسى أن ذاك الروح الذى قال تعالى كان خلقاً
 لله أعظم من جبرئيل و ميكائيل و كان مع النبي ﷺ يخبره و يصدّه ، وهو مع
 الأئمة من بعده .

يسلك به طريق المكارم ، قال الصادق ع خص النبي ﷺ بمكارم الأخلاق
 فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوه تعالى و ارغبوا إليه في الزيادة منها . فذكرها

(١) الجن ٢٧

(٢) الشورى ٥٢

عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة والشجاعة، والمروءة .

وفي المناقب كان النبي ﷺ قبل المبعث موصوفاً بعشرين خصلة من خصال الأنبياء كان أميناً صادقاً حازقاً أصيلاً نبيلاً مكيناً فصيحاً عاقلاً فاضلاً عابداً زاهداً سخياً كميلاً قانعاً متواضعاً حليماً رحيماً غيوراً صبوراً موافقاً مرافقاً .

قلت : و من بعث لتتميم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ لا بد أن يكون شخصه في المكارم وحيد الآفاق. قال المسعودي : روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه ﷺ قال : « إن الله تعالى أدب محمداً ﷺ فأحسن تأديبه . فقال « خذ العفو و امر بالمعروف و أعرض عن الجاهلين » (١) فلما كان كذلك قال تعالى له « وإنك لعلى خلق عظيم » (٢) فلما قبل من الله فوض إليه. فقال : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » (٣) و كان يضمن على الله الجنة فأجيز له ذلك .

ولولم يكن في شريعته سوى ما ورد عنه ﷺ وعن أوصيائه ﷺ من الترغيب على التحلية بالمكارم ، والتخلية عن الذمائم لكفى في حقبة طريقته . فلو اجتمع أهل العالم على أن يبينوا محاسن الأخلاق كما بينها على بن الحسين زين العابدين ﷺ من أوصيائه في دعائه في طلب المكارم لما استطاعوا .

كما أنه لولم يكن له معجزة سوى ما كان ﷺ متصفاً به من الصفات الحسنة، والأخلاق المستحسنة لوفى بصادقية نبوته. قال السروي : كان يتيماً فقيراً ضعيفاً وحيداً غريباً بلا حصار ولا شوكة كثير الأعداء ، و مع جميع ذلك تعالى مكانه ، و ارتفع شأنه، و كان ثابتاً في الشدائد ، و هو مطلوب ، و صابراً على البأساء والضراء ، و هو مكروب محروب ، و كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، و ثبت ملكه .

(١) الاعراف ١٩٩

(٢) القلم ٤

(٣) الحشر ٧

« و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره » روى الجزرى في أسده عن عبد الله بن أبى الحمساء قال: بايعت النبى ﷺ ببيع قبل أن يبعث فوعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى هذا . والغد فأتيته في اليوم الثالث ، و هو في مكانه فقال لى يا فتى : لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك .

و كانت أعدائه معترفين بكماله في محاسن الأخلاق ، و في أمانته فكانوا يسمونه الأمين قبل نزول الوحي عليه ، و رضيت مشائخ قريش بحكميته في وضع الحجر لأمانته و صادقته .

و لما قال تعالى له « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين » (١) صعد على الصفا و هتف يا صباحاه فاجتمعوا فقال لهم : أرايتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقى قالوا : نعم ما جر بنا عليك كذباً قال : فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

و كان ﷺ يوم فتح مكة أهدر دم عبد الله بن أبى سرح أخى عثمان من الرضاعة فأتى عثمان به إليه ﷺ مستشفعاً ، و جعل يكلمه فيه و هو ساكت حتى اضطره للاحاحه إلى العفو عنه . فذهب به فقال ﷺ لأصحابه : هلا قتلتموه إذسكت و قد كنت أمرتكم قبل بقتله ، و لو كان متعلقاً بأستار الكعبة . فقالوا : انتظرنا أن تؤمى بمؤخر عينك . فقال : إن الأنبياء لا يقتلون بالإيماء .

و لما انهزمت قريش يوم الأحزاب ، و دخل حى بن أخطب حصن بنى قريظة ، و جاء أمير المؤمنين ﷺ فأحاط بالحصن أشرف عليهم كعب بن أشرف يشتمهم ويشتم النبى ﷺ فأقبل ﷺ فاستقبله ﷺ وقال له : يا أبى أنت و أمى لا تدن من الحصن فقال ﷺ : لعلمهم شتمونى . ثم دنا منهم ، وقال : يا إخوان القردة و الخنازير ، و عبيد الطاغوت أتشتمونى إننا إذا نزلنا بساحة قوم ساء صباحهم فأشرف كعب ، وقال : يا أبا القاسم ماكنت والله جهولاً فاستحى النبى ﷺ حتى سقط الرداء من ظهره حياء و رجع ورائه .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في تعليماته أن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً بينه وبين غيره. فيحب لغيره ما يحب لنفسه ويكره لغيره ما يكره لنفسه، وأنه يجب على المسلم أن يجعل الأكبر بمنزلة والده والأصغر بمنزلة ولده و تربه بمنزلة أخيه.

٤٢ ر في ١٨٧ - ايضاً ولقد كنت معه لما أتاه الملائكة من قريش.

فقالوا له : يا محمد انك قد ادعيت عظمة عظيماً لم يدعه آباؤك ، ولا احد من بيتك ونحن نسألك امراً ان اجبتنا اليه ، واريتنا علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب . فقال صلى الله عليه وآله : وما تسألون ؟ قالوا : ندعو لنا هذه الشجرة حتى نقلع بعروقها ، و تقف بين يديك فقال صلى الله عليه وآله : ان الله على كل شيء قدير . فان فعل الله لكم ذلك اتؤمنون ، و تشهدون بالحق قالوا : نعم قال : فاني ساريكم ما تطلبون ، واني لاعلم انكم لاتفيئون الي خير ، وان فيكم من يطرح في القليب ، ومن يحزب الاحزاب . ثم قال صلى الله عليه وآله : يا ايها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقي حتى تقفي بين يدي باذن الله ، والذي بعثه بالحق لا نقلعت بعروقها . و جاءت ولها دوى شديد ، وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرْفَرَفَةً، وَالْقَتَّ بَعْضُهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا: عَلَوْا وَاسْتَكْبَارُوا. فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نَصْفُهَا. وَيَبْقَى نَصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ. فَاقْبَلِ إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ اقْبَالٍ، وَ أَشَدَّهُ دَوِيًّا. فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا: كَفْرًا، وَعَتْوًا. فَمَرَّ هَذَا النِّصْفَ. فَلْيَرْجِعِ إِلَى نَصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَانِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ. وَاجْتِلَالًا لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا - يَعْنُونِي.

أقول: هذا العنوان راجع إلى معجزاته، وقد تضمن أربعاً منها: أحدها مجيء الشجرة إليه، والثانية إخباره عليه السلام بعدم تصديقهم له بعد رؤية الآية، والثالثة من يقتل منهم في بدر، ويطرح في بئر، والرابعة أن فيهم من يحزب الأحزاب عليه. وقال السروي في مناقبه: للنبي عليه السلام أربعة آلاف وأربعمئة وأربعين [٤٢٤٠] معجزة ذكرت منها ثلاثة آلاف، وهي أربعة أنواع: نوع قبل ميلاده، ونوع قبل بعثته ونوع بعدها، ونوع بعد وفاته.

وقال الجزرى : وقد صنّف العلماء في معجزات النبي ﷺ كتباً كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة .

قلت : وآحادها وإن كان مستند بعضها أخباراً آحاداً إلا أن بعضها سند متواتر كما يأتي مع أن في ذلك البعض الذى مستنده آحاد تواتر إجمالى ، وهو كالتفصيلى يأتي في ثبوت نبوته .

« ولقد كنت معه لمّا أتاه الملاء من قريش فقالوا له : يا محمد إنك قد ادّعت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك » نظيره ما رواه الطبرسى في احتجاجه عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال : قلت لأبي : هل كان النبي ﷺ يناظر اليهود والنصارى والمشركين إزاعاً نتوه؟ قال : بلى مراراً كثيرة : منها ما حكى الله تعالى من قولهم « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لو لا أنزل عليه ملك - إلى - رجلاً مسحوراً »^(١) وقولهم « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »^(٢) وقولهم « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً - إلى - كتاباً نقرئه »^(٣) ثم قيل له في آخر ذلك : لو كنت نبياً كموسى لنزلت علينا الصاعقة فى مسألتنا إياك لأن مسألتنا أشد من مسألة قوم موسى قال : وذلك أن النبي ﷺ كان ذات يوم بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومى ، وأبو-البخترى بن هشام ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل السهمى ، وعبدالله بن أبى أمية المخزومى ، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير ، والنبي ﷺ في نفر من أصحابه يقرء عليهم كتاب الله ، ويؤدى إليهم عن الله أمره ونهيه فقال المشركون بعضهم لبعض : لقد استفحل أمر محمد وعظم خطبه . فتعالوا نبدء بتقريبه وتكبيته وتوبيخه ، والاحتجاج عليه ، وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ، ويصغر قدره فلعلّه ينزع عما هو

(١) الفرقان ٧-٨

(٢) الزخرف ٣١

(٣) الاسراء ٩٠-٩٣

فيه من غيبه . فان انتهى ، وإلا عاملناه بالسيف الباتر .

قال أبو جهل : فمن الذي يلى كلامه ومجادلته ؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي : أنا . فأتوه فابتدءهم عبد الله . فقال : لقد ادعيت دعوى عظيمة ، وقلت : مقائلاً هائلاً زعمت أنك رسول رب العالمين ، وما ينبغي لرب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشر مثلنا يأكل كما نأكل ، ويمشى في الأسواق كما نمشى فهذا ملك الروم ، وهذا ملك فارس لا يبعثان إلا رسولا كثير المال عظيم الحال له قصور وخيام ، وعبيد وخدام ، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده ، ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك نشاهده بل لو أراد أن يبعث نبياً إنما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا ما أنت يا محمد إلا مسحور ، وما أنت بنبي .

فقال له النبي ﷺ : هل بقي من كلامك شيء فقال : بلى لو أراد الله أن يبعث نبياً إلينا لبعث إلينا أجل في ما بيننا ، وأحسننا حالاً فهلاً أنزل هذا القرآن الذي تزعم أنه أنزله عليك على رجل من القريتين عظيم إمام الوليد بن المغيرة بمكة ، وإمام عروة بن مسعود الثقفي بالطائف .

فقال النبي ﷺ : هل بقي من كلامك شيء ، فقال : بلى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه فإنها ذات أحجار وعرة ، وجبال تكسح أرضها وتحفرها ، وتجري فيها العيون فإنا محتاجون إلى ذلك أو تكون لك جنة من نخيل وعنب . فتأكل منها وتطعمنا ، وتفجر الأ نهار خلال تلك النخيل والأ عناب تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فإني قلت « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم » (١) فلعلنا نقول ذلك . ثم قال : أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً تأتي به و بهم ، وهم لنا مقابلون أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه و تغنينا به فلعلنا نطغي فإني قلت لنا « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » (٢) أو ترقى : أي تصعد في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرئه من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن

(١) الطور ٤٤

(٢) العلق ٧

أبى أُمية المخزومي ، ومن معه آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنه رسولى ، و صدقوه في مقاله . فإنه من عندى . ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت ذلك كله أو من بك أولابل لو رفعتنا إلى السماء ، وفتح أبوابها ، وأدخلتنا فيها لقلنا: إننا مسكرت أبصارنا و سحرنا .

فقال النبي ﷺ: أبقى من كلامك شيء قال : أو ليس في ما أوردته عليك كفاية وبلاغ . فقل ما بدالك .

فقال النبي ﷺ: اللهم أنت السامع لكل صوت ، والعالم بكل شيء تعلم ما قاله عبادةك . فأنزل تعالى عليه « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - إلى - رجلا مسحورا » (١) ثم قال تعالى « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » (٢) ثم قال « تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً » (٣) وأنزل عليه « فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك » (٤) - الآية - وأنزل « وقالوا لو لا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر - إلى - ولبسنا عليهم ما يلبسون » (٥) .

فقال له النبي ﷺ: أمّا ما ذكرت من أننى آكل كما تأكلون وزعمت أنه لا يجوز لرجل هكذا أن يكون لله رسولا . فإنه ما الأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود ، وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلم وكيف فإن الله أفقر بعضاً ، و أغنى بعضاً ، وأعز بعضاً ، وأذل بعضاً ، وأصح بعضاً ، وأسقم بعضاً ، و شرف بعضاً ، و وضع بعضاً ، و كلهم ممن يأكل الطعام . ثم ليس للفقراء أن يقولوا . لم أفقرتنا ، و

(١) الفرقان ٧

(٢) الاسراء ٤٨

(٣) الفرقان ١٠

(٤) هود ١٢

(٥) الانعام ٨-٩

أغنيتمهم ، ولا للوضعاء أن يقولوا : لم وضعتنا و شرقتهم ، ولا للزمنى والضعفاء أن يقولوا : لم أزمنا وأضعفنا وصححتهم ، ولا للأذلاء أن يقولوا : لم أذللتنا ، و أعزتهم ، ولا لقباح الصور أن يقولوا : لم قبحتنا و جملتهم بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادين ، وله في أحكامه منازعين ، و به كافرين ، و لكان جوابه لهم أنا الملك الخافض الرافع الطغنى المفقير المعز المذل المصحح المسقم ، و أنتم العبيد لى ليس لكم إلا التسليم ، والانقياد لحكمى . فإن سلمتم كنتم عباداً مؤمنين ، و إن أبيتم كنتم بى كافرين ، و بعقوباتى من الهالكين . ثم أنزل عليه « قل إنما أنا بشر مثلكم - يعنى آكل الطعام - ووحى إلى إنما إلهكم إله واحد » ^(١) . يعنى قل لهم : أنا فى البشرية مثلكم ، و لكن ربى خصنى بالنبوة دونكم كما يختص بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر ، فلا تنكروا أيضاً أن يختصنى بالنبوة .

ثم قال : و أمّا قولك : هذا ملك الروم . إلى آخره . فإن الله له التدبير والحكم لا يفعل على ظنك و حسبائك ولا باقتراحك بل يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ، و هو محمود إنما بعث نبيه ليعلم الناس دينهم ، و يدعوهم إلى ربهم ، و يكذب نفسه فى ذلك آناء الليل والنهار . فلو كان صاحب قصور يحتجب فيها و عبده يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع ، و الأمور تتباطى أو ما ترى الملوك إذا احتجوا كيف يجرى الفساد ، و القبائح من حيث لا يعلمون ، ولا يشعرون إنما بعثنى الله ، و لا مال لى ليعرفكم قدرته و قوته ، و أنه هو الناصر لرسوله ، و لا تقدرّون على قتله ، و لا منعه من رسالته . فهذا أبين فى قدرته و فى عجزكم ، و سوف يظفرنى الله بكم و أوسعكم قتلاً و أسرا . ثم يظفرنى الله ببلادكم ، و يستولى عليها المؤمنون دونكم .

و أمّا قولك لى : لو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ، و نشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا لكان يبعث ملكاً لا بشر أمثلنا . فالملك لا نشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ، و لو شاهدتموه بأن يزداد فى قوى أبطاركم لقلتم : ليس هذا ملكاً

بل هذا بشر لأنه إنما كان يظهر بصورة البشر الذي ألقتموه ، و لتفهموا عنه مقالته و تفهموا خطابه و مراده فكيف كنتم تعلمون صدق الملك ، و أن ما يقوله حق بل إنما بعث بشراً ، و أظهر على يده المعجزات التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم . فتعلمون بعجزكم عما جاءكم به أنه معجزة ، و أن ذلك شهادة من الله بالصدق ، ولو ظهر لكم ملك و ظهر على يده ما يعجز عنه البشر لم يكن في ذلك ما يدل لكم أن ذلك ليس في طبائع سائر أجناسه حتى يصير ذلك معجزاً ألا ترى أن الطيور تطير ، و ليس ذلك منها بمعجز لأن لها أجناساً يقع منها مثل طيرانها ، ولو أن آدمياً طار كطيرانها أكان ذلك معجزاً - إلى أن قال -

و أما قولك « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » (١) - الخ - فإنك اقترحت أشياء منها ما لو جأئك به لم يكن برهاناً ، ومنها ما لو جأءك به كان معه هلاكك ، ومنها المطحال الذي لا يصح ، و لا يجوز كونه ، و منها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد .

فأما قولك : « تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه » رأيت لو فعلت هكذا أكنت من أجل هذا نبياً قال : لا قال : رأيت الطائف التي لك فيها بساتين أما كان هناك مواضع فاسدة صعبة أصلتها وذللتها وكسحتها وأجريت فيها عيوناً عيوناً استنبطتها قال : بلى . قال : وهل لك فيها نظراء ؟ قال : بلى قال : أفصرت أنت وهم بذلك أنبياء قال : لا . قال : فكذلك لا يصير هذا حجة لمحمد لو فعله على نبوته . فما هو إلا كقولك : لن نؤمن لك حتى تقوم ، و نمشي على الأرض أو حتى تأكل الطعام كما يأكل الناس . و أما قولك : أو تكون لك الجنة من عنب فتأكل ، و تطعمنا ، و تفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو ليس لك ولأصحابك جنات من نخيل ، و عنب بالطائف تأكلون و تطعمون منها ، و تفجرون الأنهار خلالها تفجيراً أفصرتم أنبياء لهذا قال : لا . قال : و أما قولك : أو تسقط السماء - الخ - فإن في سقوطه السماء عليكم هلاككم و

موتكم ، ورسول رب العالمين أرحم من ذلك لا يهلكك لكنّه يقيم حجج الله ، وليس حججه على حسب اقتراح عباده لأنّ العباد جهّال بما يجوز من الصلاح ، وما لا يجوز منه من الفساد ، وقد يختلف اقتراحهم وبتضادّ حتى يستحيل وقوعه ، وهل رأيت طبيباً كان دواءه للمرضى على حسب اقتراحاتهم .

وأما قولك : أو تأتي بالله والملائكة قبلاً نقابلهم ونعاملهم . فإنّ هذا من المحال الذي لاخفاء به لأنّ ربنا - عزّ وجلّ - ليس كالمخلوقين يجيء ، ويذهب ، ويتحرّك ، ويقابل شيئاً حتى يؤتى به فقد سألتهم بهذا المحال ، وإنّما هذا الذي دعوت إليه صفة أصنامكم الضعيفة المنقوصة التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني عنكم شيئاً ، وقال له : أو ليس لك ضياع ، وجنان بالطائف ، وعقار بمكة ، وقوام لك عليها قال : بلى قال : أفتشاهد جميع أحوالها بنفسك أو بسفراء بينك وبين معامليك قال : بل بسفراء قال : رأيت لو قال لك معاملك واکرتك وخدمك لسفرائك لا تصدّ قكم في هذه السفارة إلا أن تأتونا بعبد الله بن أبي أمية لنشاهده فنسمع ما تقولون عنه شفاها كنت تسوّههم هذا أو كان يجوز لهم عندك ذلك قال : لا قال : فما الذي يجب على سفراءك أليس أن يأتوهم عنك بعلامة صحيحة تدلّ على صدقهم يجب عليهم أن يصدّقوهم قال : بلى قال : رأيت سفيرك لو عاد إليك ، وقال : قم معي فإنّهم قد اقترحوا على مجيئك معي أليس يكون لك مخالفاً ، وتقول له : إنّما أنت رسول لا مشير و أمر قال : بلى قال : فكيف صرت تقترح على رسول رب العالمين ما لا تسوّه واکرتك ومعاملتك أن يقترحوه على رسولك إليهم ، وكيف أردت من رسول رب العالمين أن يستدّم إلى ربّه بأن يأمر عليه ، وينهى ، وأنت لا تسوّه مثل هذا على رسولك واکرتك .

وأما قولك : أو يكون لك بيت من زخرف : أي الذهب أما بلغك أنّ لعظيم مصر بيوتاً من زخرف قال : بلى قال : أصار بذلك نبياً قال : لا . قال : فكذلك لا يوجب لمحمد ولو كان له نبوة .

وأما قولك : حتى ترقى - إلخ - فإنّك مقرّ بأنّك تعاند حجّة الله عليك فلا دواء لك إلاّ ناديبك على يد أوليائه البشر أو ملائكته الزبانية ، وقد أنزل تعالى على حكمة

جامعة لبطلان كل ما اقترحته . فقال : قل يا محمد « سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً ما أبعد ربى أن يفعل الأشياء على ما يقترحه الجهال بما يجوز وما لا يجوز ، وهل كنت إلا بشراً لا تلزمنى إلا إقامة حجة الله التى أعطانى ، وليس لى أن آمر على ربى ولا أنهى ، ولا اشير . فأكون كالرسول الذى بعثه ملك إلى قوم من مخالفه . فرجع إليه يأمره أن يفعل بهم ما اقترحوه عليه - إلى أن قال - قيل: للعسكري عليه السلام : هل كان للنبي صلى الله عليه وآله آية مثل آية موسى عليه السلام في رفعه الجبل فوق رؤوس الممتنعين عن قبول ما أمروا به فقال : أى والذى بعثه بالحق ما من آية كانت لأحد من الأنبياء من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمد إلا وقد كان لمحمد مثلها أو أفضل منها .

« ونحن نسألك أمراً إن أحببتنا إليه ، وأرئمتنا علمنا أنك نبي رسول ، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب . فقال صلى الله عليه وآله : وما تسألون قالوا: تدعولنا هذه الشجرة حتى تقلع بعروقها وتقف بين يديك » ونظير اقتراحهم دعوة الشجرة الواردة في هذه الخطبة اقتراحهم شق القمر الوارد في القرآن في قوله - عز وجل - « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » وكذبوا واتبعوا أهوائهم وكل أمر مستقر » ^(١) قالوا رواه ابن مسعود وابن عباس وحذيفة ، وأنس ، و جبير بن مطعم وابن عمر .

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال : اجتمع أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذى الحجة فقالوا له: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال: ما الذى تريدون. فقالوا: إن يكن لك عند ربك قدر فامر القمر أن ينقطع قطعتين . فهبط جبرئيل وقال : إن الله تعالى يقرئك السلام و يقول : إننى امرت كل شيء بطاعتك . فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع . فانقطع قطعتين فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله فقالوا : يعود كما كان فعاد . ثم قالوا : ينشق رأسه . فأمره فانشق . فقالوا : يا محمد حين يقدم سفارنا من الشام واليمن نسألهم ما رأوا في هذه الليلة . فإن يكونوا

رأوا مثل ما رأينا علمنا أنه من ربك ، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر
سحر تنابه . فأنزل تعالى « اقربت الساعة » - الخ - .

« فقال ﷺ : إن الله على كل شيء قدير فإن فعل الله لكم ، هكذا في المصرية ، و
لكن في (حد، وثم) (بكم) .

« ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا : نعم قال : فإن نسي ساريكم ما تطلبون ، و
إنني لأعلم أنكم لانفيثون » : أى لا ترجعون .

« إلى خير » ولا تكون لكم عاقبة حسنى . فيقتل منهم طائفة ، ويطرحون في بئر بدر ،
وطائفة تبقى ، و تحزب الأحزاب عليه كما يأتى .

هو من معجزاته الإخبارية أخبرهم أنهم مع أرائمه ﷺ لهم البيّنات لا يذعنون
للإيمان ، و يقاتلون معه ، وهى كثيرة يعقد لها باب بل يصنّف لها كتاب ، ومنها قوله
ﷺ - لما قال لعمة العباس بعد أسره : افد نفسك وابنى أخويك عقيلاً ونوفلاً فقال :
ليس لى مال : أين المال الذى وضعته عند امرأتك أم الفضل حين خرجت ، وليس معكما
أحد ثم قلت لها : إن أصبت في سفرى هذا فللفضل كذا ، ولعبد الله كذا . فقال : والذى
بعثك بالحق نبياً ما علم بهذا أحد غيرها ، وإننى لأعلم أنك رسول الله ففدى نفسه بمأة
أوقية ، وابنى أخويه بأربعين أربعين .

وفي عيون ابن قتيبة قالت عايشة : خطب النبى ﷺ امرئة من كلب فبعثنى أنظر
إليها فقال لى : كيف رأيت فقلت : ما رأيت طائلاً . فقال : بل رأيت بخدّها خالاً
أشعر منه كل شعرة منك على حدّ . فقلت : مادونك ستر .

و من تلك الأخبار أخبار قطعية سمّوها أعلام النبوة منها قوله ﷺ في أمر
الجمل لعائشة [تنبّحك كلاب الحوآب] و للزبير [تقاتل علياً وأنت له ظالم] وفي أمر
صفين لعمار [تقتلك الفئة الباغية] .

و خبر عمار صار سبباً لتزلزل أهل الشام ، ولا سيما لدى الكلاع الحميرى من
رؤسائهم لأنّه سمعه من عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب . فزجر معاوية عمراً

لروايته للخبر . فقال له عمرو ، أنا يوم رويت الخبر أيام عمر لم أعلم بحدوث صفين ، و أن عماراً يقاتلنا . فاضطر معاوية إلى خدعة أهل الشام لخفة عقولهم بأن قال لهم : إنما قتل عمار على حيث جاء به إلى حربنا ، وقال لذى الكلاع حيث جد في ذلك ، و جمع بين عمر و عمار : إن عماراً يرجع إلينا أخيراً فقتل ذوالالكلاع قبل عمار فسر معاوية بذلك كثيراً ، وقال : لو كان ذوالالكلاع حياً ، و يقتل عمار لأفسد على كثيراً من أهل الشام .

ثم من الغريب في هذا الخبر أن قاتل عمار أبا العادية أيضاً رواه فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا ترجعوا بعدى كثيراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإن الحق يومئذ طلع عمار . رواه لكثوم بن جبير فتعجب كلثوم من قتله له مع نقله ما نقل . فقال كلثوم : ما رأيت شيخاً أضل منه قتله لأنه سمعه يقع في عثمان مع سماعه من النبي ﷺ ما سمع . نقل ذلك ابن قتيبة في معارفه ، وابن عبد البر في استيعابه ، وغيرهما ، والعجب من عجبهم من تناقض مذهبهم و ثباتهم فيه . فإن لازم كون عثمان إمامهم الثالث ، و عدم إباحة دمه مع اعتقاد جمهور المسلمين غير الأموية يوم قتله إباحتهم وجوب قتل عمار لنسبته عثمان إلى اليهودية ، و تحريضه على قتله ، و إن كان النبي ﷺ قال ما قال .

ثم إن عائشة والزبير وإن كان علما بالفطرة الإنسانية بطلان أمرهما ، و حقيقتهم أمير المؤمنين ﷺ و سمعا ما لا يحصى من النبي ﷺ فيه ﷺ من المناقب إلا أنه لم يكن لهما اعتقاد قلبي بكلام النبي ﷺ حتى رأيا هاتين الآيتين البيئتين . فتأثرا قهراً . فأرادت عائشة الرجوع فمنعها ابن أختها ابن الزبير ورجع الزبير ولم يبال بتعنيفات ابنه . « وإن فيكم من يطرح في القلب : أي البئر ، والمراد بئر بدر . قال أبو عبيدة : القلب : البئر العادية القديمة . قال الجزري . لما ألقوا يوم بدر في القلب وقف عليهم النبي ﷺ و قال : يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني و صدقني الناس . ثم قال : يا عبئة يا شيبة يا أمية بن خلف يا أبا جهل بن هشام . وعد من

كان في القلبيب. هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإنتى وجدت ما وعدنى ربى حقاً فقال له أصحابه : أنكلّم قوماً موتى . فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبونى .

ثم إن (ثم) لهدم علمه بالتاريخ خبط فعدت في من طرح في القلبيب منهم أمية بن عبد شمس والوليد بن المغيرة ، وتبعه (خو) مع أن الأول إنما هو جد أبي سفيان ، ولم يكن في ذلك الوقت أبوه حرب بن أمية حياً فضلاً عن جده أمية بن عبد شمس ، وإنما كان في القتلى أمية بن خلف الجمحى ، ولم يطرح في القتلى هو فإنتى انتفخ في درعه . فملاً هافذهبوا به ليخرجوه فتقطع ، وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبهه وبقى القتلى السبعين طرحوا فيه ، وأما الثانى فلم يكن يوم بدر حياً فإنتى مات بمكة بعد ثلاثة أشهر من هجرة النبى ﷺ و بدر كانت في السنة الثانية من هجرته ، وكان من المستهزئين الذين كفى الله تعالى شرهم عن رسوله كما وعده في قوله « إنا كفيناك المستهزئين » ^(١) قال الجزرى : مر الوليد برجل من خزاعة يرش نبلاً له فوطىء على سهم منها فخدشه ثم أومىء جبرئيل ﷺ إلى ذلك الخدش بيده فاتقض ومات منه . فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا ديبته من خزاعة فاعطوها .

« ومن يحزب الأحزاب » والمراد أبو سفيان وقال (ثم) وتبعه (خو) المراد بمن يحزب الأحزاب أبو سفيان ، وعمرو بن عبدود ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو مع أنه ليس لصفوان ذكر في قائدى ذلك اليوم ، ولا في مبارزتهم ، والباقون لم يكونوا من القائدين بل من المبارزين ، ولو كان المراد كل من بارز فلم لم يعد هبيرة المخزومى ، ومرداس الفهرى ، وضاراً ، وإنما المحزب المؤسس ، ولم يكن غير أبى سفيان . قال ابن الزبيرى مقتخراً بأبى سفيان في الخندق :

جيش عيينة قاصد بلوائه ☆ فيه وصخر قائد الأحراب

وقال محمد بن محمد بن النعمان في إرشاده : سبب غزوة الأحزاب أن جماعة من اليهود

منهم سلام بن أبي الحقيق النضيري ، وحى بن أخطب ، وكنانة بن الربيع ، وهودة بن قيس الوالبي ، وأبو عمارة الوالبي في نفر من بنى والبة خرجوا حتى قدموا مكة فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته للنبي ﷺ ، وتسرت له إلى قتاله . فسألوه المعونة على قتاله . فقال لهم : أنا لكم حيث تحبون . فاخرجوا إلى قريش فادعواهم . إلى أن قال : وخرجت قريش وقائدها إن ذاك أبو سفيان ، وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن في بنى فزارة ، والحرث بن عوف في بنى مرة ، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع - إلى أن قال - فانتدبت فوارس مر قريش للبراز منهم عمرو بن عبدود بن أبي قبيس بن عامر بن لوى ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو - الخ -

« ثم قال ﷺ : يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فاقلمي بعروقتك حتى تقفي بين يدي يا ذن الله » وروى إثبات المسعودي حديثاً له ﷺ آخر في خفض الشجرة له ﷺ حتى لقط من ثمارها ما أراد فقال : كانت في دار أبي طالب نخلة منعوتة بكثرة الحمل موصوفة بالرقعة ، وعذوبة الطعم شهية المضغ ينفث طعمها رائحة طيبة كرائحة الزعفران المذاب بالعسل كثيرة اللحا قليلة السحا دقيقة النوى . فكان النبي ﷺ يأتي إليها كل غداة مع أتراه منهم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، ومشروح بن ثوبية . فيلتقطون ما يتساقط تحتها من ثمرها بهبوب الرياح ، ووقوع الطير ونقره ، وكانت فاطمة بنت أسد لا ترى النبي ﷺ يسابق أتراه في البلح والرطب ، وكان الغلظة يبادرون عليها ، وهو يمشى بينهم وعليه السكينة والوقار بتواضع وابتسام ، ويتعجب من حرصهم وعجلتهم . فكان إن وجد شيئاً ساقطاً بعدهم أخذه ، وإلا انصرف بوجه منبسط ، وبشر حسن . فكانت فاطمة تعجب من شدة حياته . فربما جمعت له من ثمرة النخلة قبل مجيئهم . قالت : ودخل علي يوماً أتراه ، وأنا مضطجعة ، ولم أره معهم . فقلت لهم . أين محمد ؟ قالوا : مع عمه أبي طالب يجيء ورائنا . فلقط الغلمان ما كان وخرجوا . ثم دخل النبي ﷺ فلم ير تحتها شيئاً - وكانت باسقة - فأومىء بيده إليها . فانتنت

بعراجينها حتى كادت تلحق بشمارها الأرض . فلقط منها ما أراد ثم رفع يده ، وأومىء إليها . فرجعت وحسبني راقدة ، وكنت مضطجعة . فلمّا رأيت ذلك أستطير في روعي ، ولم أملك فأنيت أبا طالب فخلوت به ، فقلت له : كان من أمر محمد كيت وكيت . فقال : مهلاً يا فاطمة لا تذكرى من هذا شيئاً فإنه حلم وأضغاث فقلت : كلا والله بل هويقين في يقظة لانوم .

« والذى » هكذا في المصرية ، والصواب (فوالذى) كما في (حد ، و ثم ، والخطية) .

« بعثه بالحق » لانقلعت بعروقها ، و جاءت دوى » في النهاية الدوى : صوت ليس بالعالي كدوى النحل .

« شديد وقصف كقصف » : أى صوت كصوت .

« أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي » : أى قدّام .

« رسول الله ﷺ مرفرفة » قال الجوهري : رفرف الطائر : إذاحرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .

« وألقت بفضنها الأعلى على رسول الله ﷺ و ببعض أغصانها على منكبي وكنت عن يمينه » و كان ذلك شاهد إمامته ﷺ كما لنبوته ﷺ ، ولما قال ﷺ : ما أحد من قریش جرت عليه المواسى إلا نزلت فيه آية قيل له : فأى آية نزلت فيك ؟ قال : قوله تعالى « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه »^(١) محمد على بينة من ربه ، وأنا شاهد منه تاليه .

وقد قال النبي ﷺ له في المتواتر : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى ، وقد حكى الله تعالى منازل هارون من موسى في قوله - جلّ اسمه - « هارون أخى أشدد به أزرى واشركه فى أمرى كي نسبك كثيراً و نذكرك كثيراً إنك كنت

بنا بصيرا» (١) .

« فلما نظر القوم إلى ذلك » : أى مجيء الشجرة إليه .

« قالوا علواً واستكباراً » عن قبول الحق .

« فمرها فليأتك نصفها ، ويبقى نصفها » هكذا في النسخ ، وكأن فيها سقطاً ، وأن

الأصل [فمرها فلترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت . فقالوا : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها] كما لا يخفى .

فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال ، وأشد دويماً ، و صوتاً . فقالوا

كفراً وعتواً :

« فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه » في مكانه الأول .

« كما كان » منضماً بنصفه الآخر .

« فأمره ﷺ فرجع » كما كان ، و روى الجزرى في كامله ، و في أسده ،

و البلادرى في أنسابه ، و الكراجكى في كنزه حديث الشجرة بطريق آخر أخصر ، و الظاهر

كونه قضية أخرى قال الأول في كامله : و من المستهزئين للنبي ﷺ ركاة بن عبد يزيد

بن هاشم بن المطلب كان شديد العداوة لقي النبي ﷺ فقال : يا ابن أخى بلغنى عنك

أمر ، و لست بكذاب . فإن صرعتنى علمت أنك صادق ، و لم يكن يصرعه أحد ، فصرعه

النبي ﷺ ثلاث مرات و دعاه إلى الإسلام . فقال : لأسلم حتى تدعو هذه الشجرة . فقال

النبي ﷺ للشجرة : اقبلى فأقبلت اتخذ الأرض . فقال ركاة : ما رأيت سحراً أعظم من

هذا مرها فلترجع فأمرها . فعادت . فقال : هذا سحر عظيم - و رواه البلادرى ،

و الكراجكى مثله ، و زاد [فذهب ركاة إلى قومه فقال : يا بنى عبد مناف ساحروا

بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط - ثم أخبرهم بالذى رأى و صنع .

و قال في أسده : إن ركاة طلب من النبي ﷺ آية ليسلم - و قريب منهما

شجرة ذات فروع و أغصان - فأشار إليها النبي ﷺ أن اقبلى باذن الله فانشقت

بائنتين فاقبلت على نصف شقها ، وقضائها حتى كانت بين يدي النبي ﷺ فقال له
ركانة : اريتني عظيما فمرها فلترجع . فأخذ عليه العهد النبي ﷺ لئن أمرها .
فرجعت ليسلمن فأمرها . فرجعت حتى التأمت مع شقها الآخر . فلم يسلم ثم أسلم
بعد . قال : وكان يقال لأبيه المحض : لا فدى فيه لأن أمه بنت هاشم بن عبد مناف ،
و أباه هاشم بن المطلب .

ولعترته ﷺ أحاديث في الشجرة قريبة من حديثه ﷺ منها ما رواه
محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي عن أبيه عن محمد
بن فلان الواقفي قال : كان لى ابن عم يقال له : الحر بن عبدالله ، وكان زاهداً من أعبد
أهل زمانه ، ويتقى السلطان لجدته في الدين واجتهاده ، وربما استقبل السلطان
بكلام صعب يعظه ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وكان السلطان يحتمله
لصلاحه . فلم يزل هذه حاله حتى كان يوم من الأيام إذ دخل عليه أبو الحسن موسى
ﷺ : وهو في المسجد فرآه فأومى إليه فأتاه فقال له : يا أبا علي ما أحب إلي ما أنت
فيه واسرني إلا أنه ليست لك معرفة . فاطلب المعرفة قال : جعلت فداك ، وما المعرفة ؟
قال : اذهب فتنقسه ، واطلب الحديث قال : عمن قال : عن فقهاء المدينة . ثم أعرض علي
الحديث فذهب فكتب ثم جائه فقراء عليه فاسقطه كله . ثم قال له : اذهب فاعرف
المعرفة - وكان الرجل معيناً بدينه . فلم يزل يترصد أبا الحسن ﷺ حتى خرج
إلى ضيعة له فلقيه في الطريق . فقال له : جعلت فداك إنني احتج عليك بين يدي الله
فدلني على المعرفة . فأخبره بأمر أمير المؤمنين ﷺ وما كان بعد النبي ﷺ وأخبره
بأمر الرجلين .

قال له : فمن كان بعد أمير المؤمنين ﷺ قال : الحسن ﷺ ثم الحسين ﷺ
حتى انتهى إلى نفسه . ثم سكت قال : جعلت فداك فمن هو اليوم ؟ قال : إن أخبرتك
تقبل قال : بلى قال : أنا هو قال : فشيء استدل به قال : اذهب إلى تلك الشجرة - و
أشار إلى أم غيلان - فقل لها : يقول لك موسى بن جعفر : أقبل قال : فأتيتها فرأيتها والله
تخذ الأرض خدأ حتى وقفت بين يديه . ثم أشار إليها . فرجعت فأقر به ﷺ ثم

لزم الصمت والعبادة . فكان لا يراه أحد يتكلم بعد ذلك .
 وروى مسنداً عن الصادق عليه السلام أن الحسن عليه السلام خرج في بعض عمره ، و معه
 رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس
 قد يبس من العطش ، وفرش للزبيرى بحذاءه تحت نخلة أخرى . فقال الزبيرى ، ورفع
 رأسه : لو كان في هذه النخل رطب لا أكلنا منه . فقال عليه السلام : وإني لتشتهى الرطب .
 فقال : نعم . فرفع عليه السلام يده إلى السماء ، فدعا بكلام لم يفهمه . فاحضرت النخلة
 فأورقت وحملت رطباً . فقال الجمال الذى اكتروا منه : سحر والله . فقال عليه السلام : ويحك
 ليس بسحر ، ولكن دعوة ابن نبى مستجابة . فصعدوا إلى النخلة فصرخوا ما كان
 فيها فكفاهم .

و روى مسنداً عن أبى هاشم الجعفرى قال : صليت مع أبى جعفر الجواد عليه السلام في
 مسجد المسيب ، وصلى بنا في موضع القبلة سواء ، وذكر أن السدرة التى في المسجد كانت
 يابسة ليس عليها ورق فدعا بماء ، و تهيأ تحت السدرة . فعاشت السدرة و أورقت وحملت
 من عامها .

« فقلت أنا : لا إله إلا الله فأتى أول مؤمن بك يا رسول الله ، و أول من أقر
 بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوته » هكذا في المصرية ، والصواب
 [لنبوته] كما في (حد ، وثم ، والخطية) .

« و إجلالاً لكلمتك » يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر فتعلمين
 أنى رسول الله فانقلعي بهروقك حتى تقفى بين يدي باذن الله .

« فقال القوم : بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه » يأتى بالسحر سريعاً .
 قال الكراچكى في كنزه : اعلم أن المتحمّلين من الكفار في إبطال نبوة نبينا قد
 أداهم الحرص في الإنكار إلى وجوب الإذعان ، والإقرار ، و ساقهم الجبر والقضاء إلى
 لزوم التسليم والرضا . فلا خلاص لهم من ثبوت الحجّة عليهم ، وهم راغمون ، ولا محيص
 لهم من وجوب تصديقه وهم ضاعرون ، وذلك أنهم لم يجدوا طريقاً يسلكون في إنكار

حقه من النبوة ، والدفع لما أتى به من الرسالة إلا بأن أقرّوا له ببلوغه من كل درجة في الفضل منيفة ، ومرتبة في الكمال والعقل شريفة ما قد قصر عنه جميع خلق الله ، و بدون ذلك تجب له الرياسة ، والتقدم على الكافة ، ولا يجوز أن تتوجه التهمة لمنافاتها لما أقرّوا به في موجب العقل والحكمة ، وبيان ذلك أنهم إذا سمعوا القرآن الوارد على يده الذي قد جعله علماً على صدقه ، ورأوا قهور العرب عن معارضته و عجزهم عن الإتيان بمثله . قالوا : إنه كان قد فاق جميع البلغاء في البلاغة ، وزاد على سائر الفصحاء في الفصاحة قصر عن مساواته في ذلك الناس كافة ، ففضّلوه بهذا على الخلق أجمعين وقدّموه على العالمين ، وإذا تأملوا ما في القرآن من اخبار الماضين ، وأعاجيب السالفين ، وذكر شرائع الأنبياء المتقدمين قالوا : قد كان أعرف الناس باخبار الناس ، وأعلمهم بجميع ما حدث ، وكان في سالف الأزمان قد أحاط بنبأ الغابرين ، وحفظ جميع علوم الماضين . ففضّلوه بهذه الرتبة على الخلق أجمعين ، وإذا رأوا ما تضمنه القرآن من عجيب الفقه والدين ، وبديع عبادات المكلفين ، وترتيب الفرائض وانتظامها ، وحدود الشريعة وأحكامها قالوا : قد كان أحكم أهل زمانه ، وأفضلهم وأبصرهم بأنواع الحكمة ، وأعلمهم ، ولم يكن خلق في ذلك يساويه ، ولا بشر يدانيه . ففضّلوه بذلك أيضاً على الخلق أجمعين ، وأوجبوا له التقدم على العالمين .

وإذا علموا ما في القرآن من الاخبار بالغائبات وتقديم الأعلام بمستقبل الكائنات وسمعوا ما توارثت به الأخبار من إنبائه لكثير من الناس بما في نفوسهم وإظهاره في الأوقات لمغيّب مستورهم . قالوا : قد كان أعرف الناس بأحكام النجوم ، وأبصرهم بما تدلّ عليه في مستأنف الأمور ، وإن لم يظهر معرفته بها لأمتة ونهاهم عن الاطلاع فيها لينتظم له حال نبوته وإنه كان معوّلاً عليها مستنداً في أموره إليها وقوله لا يخرم ، وإخباره بالشيء لا يختلف يعلم الحوادث والضمائر ، ويطلع على الخبايا والسرائر ، ولا تخفى عنه أوقات المساعدا والمناحس ، ولم يكن أحد يعتزّره في ذلك ففضّلوه

بهذا على الخلق أجمعين، و أوجبوا له التقدم على العالمين .

فإن قيل لهم : ما تقولون في المأثور من معجزاته ، والمنقول من آياته الخارقة للعادة التي أقام بها الحجّة قال المسلمون منهم لذلك المتعاطون لإخراج معناه : كان أعرف الناس بخواصّ الموجودات و أسرار الطبائع الحيوان والحوادث فيظهر من ذلك للناس ما يتحير له من رآه لقصوره عن إدراك سببه و معناه فضلوله بهذا أيضاً على الخلق أجمعين . و أوجبوا له التقدم على العالمين .

و قد سمعنا في بعض الأحاديث أن أحد السحرة قال لموسى ﷺ : إن هذه العصا من طبعها أن تسمى إذا أُلقيت ، و تتشكل حيواناً إذا رميت خاصية لها بسبب فيها . فقال له موسى ﷺ : فخذها أنت و ارمها ، فأخذها الساحر ، ورمها . فما تغيرت عن حالها فأخذها موسى ، ورمها فصارت حية تسمى فقال الساحر : ليس في العصا سرّ ، و إنما السرّ في من ألقاها آمنت بإله موسى .

أفتري لو أخذ أحد من المشركين الحصى الذي سبّح في كفّ النبي ﷺ فتركه في يده أكان يسبّح أيضاً فيها أترى أحدهم لو أشار بيده إلى الشجرة التي أشار إليها النبي ﷺ فأنت لكانت تأتية أيضاً إذا أومىء إليها ، وإنّ هذه الأشياء تفعل بالطبع كما يفعل حجر المقتناطيس في الحديد الجذب كلّاً ما يتصور هذا عاقل ، و إذا نظروا إلى حسن تمام أمر النبي ﷺ و انتظام مراده الذي قصده ، و أنّه نشأ بين قوم يتجاذبون العزّ والمنعة ، و يتنافسون في التقدمة والرفعة ، و يأنفون من العار والشنعة ، ولا يعطون لأحد امرة و طاعة فلم يزل بهم حتّى قادهم إلى أمره و ساقهم إلى طاعته ، و استعبدهم بما لم يكونوا عرفوه ، و أمرهم بهجران ما ألقوه إلى أن صاروا يبذلون أنفسهم دون نفسه و يسلمون لقوله ، و يأتمرون لأمره من غير أن كان له ملك خافوه ، و لامال أملوه ففتح بهم البلاد ، و أذن عن له ملوك العباد ، و نفذ أمره في الأنفس والأموال ، و الحلائل والأولاد .

قالوا : إنَّما تمَّ له ذلك لأنَّه فاق العالمين بكَمال عقله ، وحسن تدييره ورأيه ، ولم يكن ذلك في أحد غيره ففضَّلوه بهذا أيضا على الخلق أجمعين ، وأوجبوا له التقدُّم على العالمين ، وإذا سمعوا المُشْتَهَرَ من عدله ونصقته وحسن سيرته في أمته ورعِيَّتِهِ وأنَّه لا يكلف أحداً شيئاً في ماله ، وإذا حصلت المغالمة فرَّقها في أمته ، وقنع من عيشه بدون كفايته . هذا مع سخاوته وكرمه ، وإيثاره على نفسه ، وفائه بوعدِهِ ، وصدق لهجته ، واشتهاره منذ كان بأمانته ، وشريف طريقتِهِ ، وحسن عفوه ومسامحته ، وجميل صبره وحلمه .

قالوا : كان أزهَّد الناس ، وأعلاهم قدراً في العدل والانصاف ، ولا طريق إلى إنكار إحاطته بالفضائل الكرام ، والمناقب التوأم . ففضَّلوه في جميع هذه الأمور على الخلق أجمعين ، وأوجبوا له التقدُّم على العالمين . فإذا قيل لهم : فهذه العلوم العظيمة متى أدركها ، وفي أيِّ زمان جمعها وتلقَّطها ، وأيُّ قلب يعيها ويحفظها ، وهل رثى بشرق يطحيط بجميع الفضائل ، ويتقدِّم العالمين كافة في سائر المنافع ، ويكون أُوحد الخلق في كمال العقل والتمييز ، وناقب الرأى والتدبير مع نزاهة النفس وجلالتهما ، وشرفها وزهدها ، وفضلها وجودها وبذلها .

قالوا : كانت له سعادات فلكية ، وعطايا نجومية . فأفاق بها على جميع البرية قيل لهم : فمن كان بهذا الوصف العظيم ، والمحلِّ الجليل كيف يستجيز عاقل مخالفتَهُ أوسوغ له مباينته؛ وبمن يقتدى أفضل منه ؛ ومتى يكون مصيباً في الانصراف عنه بل كيف لا يرضى بعقل أعقل الناس؛ ويؤخذ العلم من أعلم الناس؛ ويقتبس الحكمة من أحكم الناس؛ وما الفرق بينكم في قولكم : إنَّ هذه العطايا التي حصلت له إنَّما كانت فلكية ونجومية وبيننا إن قلنا : إلهية ربَّانية ، وبعد فكيف يستجيز من يكون بهذا العقل الكامل ؛ والفضل الشامل ؛ والورع الظاهر ؛ والزهد البارِع ؛ والشرف العريق ؛ واللسان الصدوق أن يكذب على خالق السماوات والأرضين . فيقول للناس : أنا رسول رب العالمين ؛ ويدعى هذا المقام الجليل ، ويكون الأمر بخلاف ما يقول ، وكيف تلائم صفاته

التي سلمتموها لهذه الحال التي ادعيتموها. فدعوا المناقضة والمكابرة ، وأثبتوا على ما أقررتم به في المناظرة . فكللامكم لازم لكم ، وقولكم حجة عليكم ، قد أقررتم بالحق وأنتم راغمون والتجأتهم إلى ما هر بتم منه وأنتم صاغرون .

واعلموا أن من باين المسعود كان منحوساً ، ومن خالف العاقل العالم كان جاهلاً غيباً ، ومن كذب الصادق كان هو في الحقيقة كاذباً ، والحمد لله مقيم الحجة على من أنكرها ، وموضع الحق لمن آثرها .

« و هل يصدقك إلا مثل هذا - يعنونى - : » أى يقصدوننى استخفافاً به ﷺ ، و نظيره ما رواه الطبرى عن ابن عباس عنه ﷺ قال : لما نزلت هذه الآية « و انذر عشيرتک الأقربين » (١) دعانى النبى ﷺ فقال : يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين . فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاثنى جبرئيل . فقال : « يا محمد ألا تفعل ما تؤمر به يعد بك ربك » فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، و املأ لنا عساً من لبن . ثم أجمع لى بنى عبد المطلب حتى اكلمهم ، و ابلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرنى به ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً فيهم أو ينقصونه ، و فيهم أعمامه أبوطالب ، و حمزة ، و العباس ، و أبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم . فجيئت به فلما وضعته تناول النبى ﷺ حذية من اللحم فشققها بأسنانه . ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال : خذوا بسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشىء حاجة ، و ما أرى إلا موضع أيديهم ، و أيم الله الذى نفس على بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجمعهم . ثم قال : اسق القوم فجيئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً ، و أيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله . فلما أراد النبى ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام . فقال : لقد سحركم صاحبكم . فتفرق القوم ، و لم يكلمهم النبى ﷺ فقال : الغد يا على إن هذا الرجل سبقنى إلى ما سمعت

من القول . ففترق القوم قبل أن اُكلمهم . فعد لنا بمثل ما صنعت . ثم أجمعهم إلى ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقرّ به لهم ففعل كما فعل بالأمس . فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة . ثم قال : اسقهم فجئتهم بذلك العس فشرّوا منه . ثم تكلم النبي ﷺ فقال : يا بني عبدالمطلب : إنني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به إنني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه . فأيتكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم . فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : أنا وأنا لأحدنهم سنّاً وأرخصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً وأهمهم ساقاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي . ثم قال : إن هذا أخي ووصيي ، وخليفتي فيكم . فاسمعوا له وأطيعوه . فقام القوم : يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ، وروى أيضاً خبراً آخر عنه ﷺ بمعناه .

ولو لم يكن لأمير المؤمنين ﷺ في استخلاف النبي ﷺ له إلا هذه القضية وهذه القضية لكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ثم كما نقل ﷺ عنه ﷺ هذه الآية نقل أبوه أبو طالب عنه ﷺ آيتين أخريين فرووا أن أباجهل جاء مرة إلى النبي ﷺ وهو ساجد ، وبيده حجر يريد أن يرضخ به رأسه فلقى الحجر بكفه . فلم يستطع ما أراد . فقال أبو طالب في ذلك :

أفيقوا بني عمنا وانتهوا ☆ عن الغي من بعض ذالمنطق إلى أن قال :

وأعجب من ذلك في أمركم ☆ عجائب في الحجر الملقى
بكف الذي قام من خبثه ☆ إلى الصابر الصادق المتقى
فأثبتته الله في كفه ☆ على رغبة الخائن الأحمق

وروى محمد بن سعد في طبقاته أن قریشاً ملأوا تكابيت على بنى هاشم ألا ينكحوهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ، ولا يبتاعوا منهم ، ولا يخاطبوهم في شيء ، ولا يكلموهم حين أبوا

أن يدفعوا إليهم النبي ﷺ مكشوا في شعبهم ثلاث سنين محصورين . ثم اطلع الله تعالى نبيته ﷺ أن "الأرضة قد أكلت ما في صحيفتهم من جور وظلم ، وبقى فيها ما كان من ذكر الله فجاءهم أبوطالب فقال لهم : إن ابن أخى أخبرنى ، و لم يكذبنى قط إن الله سلط على صحيفتكم التي كتبتهم الأرضة فإن كان صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه أو استحيتموه . قالوا : قد أنصفتنا - إلى أن قال - فلما فتحوها إذا هي كما قال النبي ﷺ قد أكلت الأرضة كلها إلا ما كان من ذكر الله فيها . فسقط في أيدي القوم ثم نكسوا على رؤوسهم - الخبر - .

و رواه عن سراقه بن جعشم أن النبي ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قریش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم - و ذكر حديث طلبه وما أصاب فرسه - إلى أن قال : قال : سراقه ، بعد رجوعه لأبي جهل :

- | | | |
|----------------------------|---|-----------------------------|
| أبا حكم والله لو كنت شاهدا | ☆ | لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه |
| علمت ولم تشكك بأن محمداً | ☆ | رسول ببرهان فمن ذا يقاومه |
| عليك بكف القوم عنه فإنتى | ☆ | أرى أمره يوماً ستبديو معاطه |
| بأمر يود الناس فيه بأسرهم | ☆ | بأن جميع الناس طراً يساطه |

و من معجزاته المتعلقة بقریش مما دعا النبي ﷺ عليهم ما قاله البلادرى في فتوحه أن معاوية لما كان يوم الفتح أسلم فكتب للنبي ﷺ فدعاه يوماً وهو يأكل فأبطأ . فقال : لا أشبع الله بطنه . فكان يقول : لحققتى دعوته .

وما قاله ابن قتيبة في معارفه : إن خالد بن أسيد الأموى أسلم يوم فتح مكة وكان فيه تيه شديد . فقال النبي ﷺ : اللهم زده تيهاً فكان ذلك في ولده إلى اليوم .

وما قاله ابن قتيبة أيضاً في معارفه : إن حزن بن أبى وهب جد سعيد بن المسيب المخزومى أتى النبي ﷺ فقال له : أنت سهل فقال : بل أنا حزن - ثلاثاً - قال : فأنت : حزن قال سعيد : فمازلنا نعرف تلك الحزونة فينا .

و كانت معجزاته ﷺ تنقل لمسيمة فطلبوا منه الإتيان بمثلها . فأتى بصدّها ففى الطبرى أنت مسيمة امرأة من بنى حنيفة تكنى بأُم هيثم . فقالت : إن نخلنا

لسحق و إن آبارنا لجزز . فادع الله لمائنا ولنخلعنا كما دعا محمد لأهل هزمان ، فقال مسيلمة لنهار - وكان أتى النبي ﷺ - ما نقول هذه ؟ فقال : إن أهل هزمان أتوا محمداً فشكوا بعد ما نهم ، و كانت آبارهم جززا وأن نخلهم سحق . فدعا لهم فجاشت آبارهم و انحنى كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جرائها لانتهاها فحككت به الأرض حتى أنشبت عروقاً . ثم قطعت من دون ذلك فعادت فسيلا مكمما ينمي صاعدا قال : كيف صنع بالآبار ؟ قال : دعا بسجل فدعاهم فيه . ثم تمضمض بغم منه ثم مجه فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار . ثم سقوه نخلهم . ففعل المنتهى ما حدثتك ، و بقى الآخر إلى انتهائه فدعا مسيلمة بدلو من ماء . فدعاهم فيه ثم تمضمض منه ثم مج فيه فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار . ثم سقوه نخلهم فغارت مياه تلك الآبار ، و خوى نخلهم ، و إنما استبان ذلك بعد مهلكه .

و فيه قال نهار لمسيلمة : برّك على مولودى بنى حنيفة . قال : و ما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم مولودا توا به محمد أفحنته ، و مسح رأسه . فلم يؤت مسيلمة بصبي ، و مسح رأسه إلا قرع ولثغ ، و استبان ذلك بعد مهلكه .

و فيه قال نهار لمسيلمة : صل في حيطان بنى حنيفة كما كان محمد يصنع . فدخل حائطاً من حوائط اليمامة فتوضأ . فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وضوء الرحمن . فتمسقى به حائطك حتى يروى وينيل كما صنع بنو المطهرية - أهل بيت من حنيفة - كان رجل منهم قدم على النبي ﷺ فأخذ وضوئه . فنقله معه إلى اليمامة . فأفرغه في بئر ثم نزع وسقاه ، و كانت أرضه تهوم . فرويت جزأت فلم تلف إلا اخضراء مهتزة . ففعل صاحب الحائط ما وصف له نهار في وضوء مسيلمة . فعادت يبابا لا ينبت مرعاها ، و فيه و أتى مسيلمة رجل فقال : ادع الله لأرضى فانها مسبخة كما دعا محمد لسلمى على أرضه فقال : ما يقول يا نهار قال : قدم على محمد سلمى ، و كانت أرضه مسبخة فدعا له و أعطاه سجلاً من ماء و مج له فيه . فأفرغه في بئر ثم نزع فطابت و عذبت

ف فعل مسيلمة مثل ذلك . ففعل بالسجل كما فعل السلمى ففرقت أرضه فما جف ثراها ولا أدراك ثمرها .

٤٣ ر ١٦ ر ٣ وسئل عليه السلام عن قول النبي (ص) : **غَيَّرُوا الشَّيْبَ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ .** فَقَالَ عليه السلام : **إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ وَالِدَيْنِ قُلٌّ فَمَا الْآنَ ، وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ . وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ . فَاْمُرُّوْا وَمَا اخْتَارَ .**

قول المصنف « وسئل عن قول الرسول صلى الله عليه وآله هكذا في المصرية والصواب » « وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله » كما في (حد ، وثم ، والخطية) .

« غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ » في معارف ابن قتيمة جاؤا بأبى قحافة أبى أبى بكر يوم فتح مكة إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة البيضاء . فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله : **غَيَّرُوا شَيْبَتَهُ .**

وفي الأساس كأن رأسه ثغامة : ثغامة شجرة بيضاء الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ .

« فَقَالَ عليه السلام : **إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ وَالِدَيْنِ قُلٌّ ، قُلٌّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ الْقَلَّةُ يُقَالُ :** الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْقُلِّ وَالْكَثْرُ ، وَالْقِلُّ وَالْكَثْرُ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وقد يقصر القلّ القتي دون همته ☆ وقد كان لولا القلّ طلاع أنجد

و نظيره ما في الخبر عن الباقر ، والصادق عليهما السلام سئلا عن رمل النبي صلى الله عليه وآله في الطواف فقالا : **إِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ الْحَدَيْبِيَّةِ لِيرَى قَرِيْشَ تَجْلِدُهُ ، وَتَجْلِدُ أَصْحَابَهُ** قال الباقر عليه السلام : **وَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ يَرْمِلُ النَّاسَ - أَى الْعَامَةَ غَفْلَةً عَنْ أَنْ فَعَلَهُ صلى الله عليه وآله كَانَ مَوْقِفَتًا .** قال عليه السلام : **وَإِنِّى لَأَمْشَى مَشِيًّا ، وَكَانَ أَبُو يَمْشَى مَشِيًّا .**

وكذا في الروضة ما عن النبي صلى الله عليه وآله الفرق بين المسلمين والمشركين التلحمي بالعمائم إنما قال ذلك في أول الإسلام ، وروى أن الباقر عليه السلام سئل عن أكل لحم

الحمير الأهلية . فقال : إنما نهى النبي ﷺ عن أكلها يوم خيبر لأنها كانت حمولة الناس ، وإنما الحرام ما حرم الله في القرآن .
« فأما الآن وقد اتسع نطاقه » النطاق : ما يشد على الوسط .

« و ضرب بجرانه » قال الجوهري : جران : البعير مقدم عنقه من مذبجه إلى منحره ، واتسع نطاق الدين والإسلام كناية عن فسحته ، و ضرب الجران كناية عن استقراره ، و عدم تزلزله .

« فامرء و ما اختار » من تغيير الشيب و عدمه . قال (حد) فصار الآن الخضاب مباحاً غير مندوب . قلت : غاية ما يدل عليه كلامه ﷺ رفع الإيجاب ، و أما عدم الاستحباب فلا .

و عن الصادق عليه السلام نفقة درهم في الخضاب أفضل من نفقة درهم في سبيل الله إن فيه أربع عشرة خصلة يطرد الريح من الأذنين ، و يجلو الغشاء من البصر ، و يلين الخياشيم ، و يطيب النكهة ، و يشد اللثة و يذهب بالغثيان ، و يقل وسوسة الشيطان و تفرح به الملائكة ، و يستبشر به المؤمن ، و يغيبظ به الكافر ، و هو زينة و طيب .

و يمكن الاستدلال لبقاء استحبابه بما روى أن قوماً دخلوا على الحسين عليه السلام فأروه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلك فمد يده إلى لحيته ثم قال : أمر النبي ﷺ في غزاة أن يختضبوا ليقووا به على المشركين .

هذا ، و قالوا : أول من اختضب بالسواد من أهل مكة عبدالمطلب بن هاشم كان رجل من حمير خصه بذلك من اليمن وزوده بالوسمة .

٤٤٠ ر ٢٣٠ ر ١ و من كلام له عليه السلام و هو يلي غسل رسول الله

صلى الله عليه وآله و تجهيزه : يَا بِي أَنْتَ وَ أُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا

لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ ، وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصَتْ

حَتَّى صِرْتَ مُسْلِمًا عَمَّنْ سِوَاكَ وَ عَمِمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فَيْكَ سِوَاهُ ،
 وَ لَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَانْقَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤْنِ
 وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا ، وَ الْكَمَدُ مُخَالَفًا ، وَ قَلَالَكَ ، وَ لَكِنَّهُ مَا لَآيْمَلِكُ
 رُدَّهُ ، وَ لَا يَسْتَطَاعُ دَفْعُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي أَذْكَرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا
 مِنْ بَالِكَ .

أقول: قال (حد) قال محمد بن حبيب في أماليه : لما كشف على عليه السلام الإزار عن
 وجه النبي عليه السلام بعد غسله انحنى عليه فقبله مراراً ، و بكى طويلاً ، و قال : بأبي
 أنت و أمي طبت حياً ، و طبت ميتاً انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك
 من النبوة و أخبار السماء - إلى قوله - ماء الشئون - و بعده ولكن أتى ما لا يدفع أشكو
 إليك كمداً و إدباراً مخالفين وراء الفتنة . فإنيها قد استعرت نارها ، و داءها الداء
 الأ عظم بأبي أنت و أمي اذكرنا عند ربك ، و اجعلنا من بالك و همك .

و قال (ثم) ثم نظر عليه السلام إلى قذاة في عينه . فلفظها بلسانه . ثم رد الإزار
 على وجهه ، و كان عليه السلام بعد ذلك يقول : ما شممت أطيب من ريحه ، و لا رأيت أضوء
 من وجهه حينئذ ، و لم أره يعتادفاه ما يعتاد أفواه الموتى .

قلت : و في أمالي المفيد . أبو بصير المقرئ البصير عن عبدالله بن يحيى القطان
 عن أحمد بن الحسين بن أبي سعيد القرشي عن أبيه عن ابن عباس قال : لما توفى النبي
صلى الله عليه وآله تولى غسله على عليه السلام و العباس معه ، و الفضل بن العباس . فلما فرغ على عليه السلام
 من غسله كشف الإزار عن وجهه ، ثم قال : بأبي أنت ، و أمي طبت حياً و طبت ميتاً
 انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد من سواك من النبوة و الإنباء - إلخ - ثم أكب
 عليه فقبل وجهه ، و مد الإزار عليه .

و روى في الروضة خطبته عليه السلام المعروفة بالوسيلة ، وفيها : وما من رسول سلف ، ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً أمته بالمرسل الوارد من بعده ، و مبشراً برسول الله صلى الله عليه وآله و موصياً قومه باتباعه و محله عند قومه ليعرفوه بصفته ، وليتبعوه على شريعته ، و ثلاثاً يضلوا فيه من بعده . فيكون من هلك ، و ضل بعد وقوع الاعذار والانداز عن نبيه ، و تعيين حجته . فكانت الأمم في رخاء من الرسل ، و ورود من الأنبياء ، و لئن اصبحت بفقد نبي بعد نبي على عظم مصائبهم ، و فجاجتها بهم . فقد كانت على سعة من الأمل ، ولا مصيبة عظمت ، ولا رزية جلّت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله لأن الله تعالى حسم به الإنداز والاعذار ، و قطع بينه و بين خلقه ، و جعله بابه الذي بينه ، و بين عباده ، و مهيمنه الذي لا يقبل إلا به ، ولا قرابة له إلا بطاعته ، و قال في معكم كتابه « و من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » (١) فقرن طاعته بطاعته ، و معصيته بمعصيته . فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه ، و شاهداً له على من اتبعه و عصاه .

« قول المصنف » وهو يلى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله و تجهيزه « هكذا في المصرية و (حد) وليست كلمة (وتجهيزه) في (ثم ، والخطية) .

قوله عليه السلام « بأبي أنت و أمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك » حيث كان خاتم الأنبياء ، و أشرف ولد آدم .

بمن ضرب الأمثال أم من نقيسة * إليك و أهل الدهردونك و الدهر هذا ، و لبعضهم في صاحب إسماعيل بنى عباد :

مضى نجل عباد المرتجى فمات جميع بنى آدم

أوارى بقبرك أهل زمان فيرجح قبرك بالعالم

و لآخر في أبي تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف :

وغدا القريض ضئيل شخص باكيا * يشكو رزيبته إلى الأقالم

و تأوّهت غرر القوافي بعده ☆ و رمى الزمان صحيحها بسقام
أودى منقّفها ورائد صعبها ☆ و غدير روضتها أبو تمام
أيضاً :

فجع القريض بخاتم الشعراء ☆ و غدير روضتها حبيب الطائي
مانا معاً فتجاورا في حفرة ☆ وكذلك كانا قبل في الأحياء

« من النبوة والانباء وأخبار السماء » روى المناقب عن الصادق ﷺ أن
جبرئيل ﷺ قال للنبي ﷺ وقت وفاته : هذا آخر نزولي إلى الدنيا إنّما كنت أنت
حاجتي منها .

هذا ، و في زيادات حجّ التهذيب عن عمر بن يزيد ذكرت لأبي عبدالله ﷺ أن
صاحبتى حاضت ، ولم تقرب القبر ، ولا المسجد ، ولا المنبر ، وميقات جمالننا قبل أن
تطهر . فقال : مرها لتأت مقام جبرئيل ﷺ كان يجيء فيستأذن على النبي ﷺ
فإن كان على حال لا ينبغي أن يأذن له قام في مكانه حتى يخرج إليه ، وإن
أذن له دخل عليه . قلت : و أين المكان ؟ قال : بحيال الميزاب الذي خرجت من الباب
الذي يقال له : باب فاطمة ﷺ بحذاء القبر - الخبر - في دعاء هائمة لطهارتها
كما علمها فصارت طاهرة ، وزارت النبي ﷺ والله أعلم .

« خصصت حتى صرت مسلماً عمّن سواك » في الكافي عن عمرو بن سعيد الثقفي قال:
قال الباقر ﷺ : إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك فاذكر مصابك
بالنبي ﷺ فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط . وعنه ﷺ :

أمن بعد تكفين النبي ودفنه ☆ باثوابه آسى على هالك ثوى
رزينا رسول الله فينا فلن نرى ☆ لذلك عدلا ما حيينا من الورى
و كان لنا كالحصن من دون أهله ☆ لهم معقل حرز حرز من العدى
و كنّا به شمّ الأنوف بنجوة ☆ على موضع لا يستطاع ولا يرى
فياخير من ضمّ الجوانح والحشى ☆ وياخير ميت ضمّه التراب والثرى

كأن أُمور الناس بعدك ضمنت ☆ سفينة موج البحر والبحر قد طما
 وضاق فضاء الأرض عنهم برحمته ☆ لفقده رسول الله إذ قيل قد قضى
 فيا حزنا إننا فقدنا نبيئنا ☆ على حين تم الدين واشتدت القوى
 فقد نزلت بالمسلمين مصيبة ☆ كصدع الصفا لشعب للصدع في الصفا
 فلن يستقل الناس تلك مصيبة ☆ ولن يجبر العظم الذي منهم وهي
 وعن سيِّدة النساء - صلوات الله عليها - فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

كنت السواد اطلقني يبكي عليك الناظر ☆ من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر
 وحيث إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مسلماً عن سواه لعظم مصيبتيه ، وصغر باقي المصائب في جنب مصيبتيه
 كان السلو عنه مشكلاً لأهل بيته ، ولذا جاءهم التسليمة من الله تعالى . روى الكافي في [باب تعزيه]
 عن الحسين بن المختار عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَام قال : لما قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءهم جبرئيل والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجتي ، وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وَالصَّبَا . فقال : السلام عليكم يا أهل
 بيت الرحمة كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن
 النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور إن في الله تعالى عزاء
 من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ، ودرهماً فبالله فنقوا ، وإياه فارجوا . فإن
 المصائب من حرم الثواب . هذا آخر وطئى من الدنيا . قالوا : فسمعنا الصوت ولم نر
 الشخص - و روى قريباً منه عن هشام بن سالم عنه عَلَيْهِ السَّلَام أيضاً ، وعن عبد الله بن الوليد
 عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَام جاءت التسليمة من الله تعالى لأهل بيته لأمرين : أحدهما عظم مصيبتيه ،
 و ثانيهما خوف انتقام الأعداء أفعال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم بعد فقده ، و من أبيات ذلك
 الرجز النجس يزيد بن معاوية في ذلك :

لست من خندف إن لم أنتقم ☆ مى بنى أحمد ما كان فعل

روى الكافي في [باب مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَام قال : لما قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَالصَّبَا بات آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَام بأطول ليلة حتى ظننوا أن لا سماء تظلمهم ، ولا أرض تقلهم
 لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتر الأقربين والأبعدين في الله فبينما هم كذلك إذ أتاهم آت لا
 يرونه ، و يسمعون كلامه . فقال : السلام عليكم أهل البيت ، ورحمة الله و بركانه إن

في الله عزاء من كل مصيبة ، و نجاة من كل هلكة ، و دركاً لما فات كل نفس زائفة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار و أدخل الجنة فقد فاز و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور إن الله اختاركم ، و فضلكم و طهركم ، و جعلكم أهل بيت نبيه ، و استودعكم علمه ، و أورثكم كتابه ، و جعلكم تابوت علمه ، و عصا زه ، و ضرب لكم مثلاً من نوره ، و عصمكم من الزلل ، و آمنكم من الفتن . فتعزوا بعزاء الله . فإن الله لم ينزع منكم رحمته ، و لن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله الذين بهم تمت النعمة ، و اجتمعت الفرقة ، و ائتلفت الكلمة ، و أنتم أوليائه . فمن تولاكم فاز ، و من ظلم حقتكم زهق . مودتكم واجبة في كتابه على عباده المؤمنين ثم الله على نصركم إذا يشاء قدير . فاصبروا لعواقب الأمور فإنها إلى الله تصير قد قبلكم من الله وديعة ، و استودعكم أوليائه المؤمنين في الأرض فمن أدى أمانته آتاه الله صدقه . فأنتم الأمانة المستودعة ، و لكم المودة الواجبة ، و الطاعة المفروضة ، و قد قبض النبي ﷺ و قد أكمل لكم الدين ، و بين لكم سبيل المخرج فلم يترك للجاهل حجة . فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه ، و الله من وراء حوائجكم و استودعكم الله ، و السلام عليكم . فسئل النبي ﷺ ممن أتاها التعزية ، فقال : من الله تعالى ، و يأتي نظيره عند قوله ﷺ : « بأبي أنت » .

و مر في رواية أمالي محمد بن حبيب في نقل (حد) أنه ﷺ خاطب النبي ﷺ بعد تفسيه قائلاً : أشكو إليك داء الفتنة ، فإنها قد استعرت نارها ، و دأبها الداء الأعظم . هذا ، و عزى البحترى أبا الحسن عبد الملك بن صالح العباسي في ابنه بالنبي ﷺ و أقاربه . فقال :

إذا شئت أن تستصغر الخطب فالنت ✧ إلى سلف بالقاع أهمل نائمه

و فيه المصطفى و عليه ✧ و عباسه و جعفره و قاسمه

و مراده بجعفره : حمزة و جعفر .

« وعمت حتى صار الناس فيك سواء » في وصول المصيبة إليهم ، و لا اختصاص فيها

بأقاربه . فبنوهاشم أصيبوا بسيدهم و ياقمهم بنبيهم .

عمت مصيبتهم فعم هلاكه ☆ فالناس فيه كلهم مأجور

ومثله أهل بيته الأئمة المعصومون عليهم السلام مصيبتهم ليست مختصة بأقاربهم بل تعم جميع المؤمنين ، والشيعه ، وعن الصادق عليه السلام قال : ليس لكم أن تعزونا ، ولنا أن نعزى إليكم إنما لكم أن تهنتونا - يعنى بنيل الإمامة - لأنكم تشاركونا فى المصيبة . وللحسين عليه السلام خصوصية من باقى الأئمة عليهم السلام ، وكما انقطع بوفاة جده أخبار السماء من الأرض انقطع بوفاته الأثر من خمسة أصحاب الكساء . فكانت وفاته كوفاة جميعهم كما أفصحت عن ذلك أخته ليلة وفاته ، وقد سئل الصادق عليه السلام لم يكون يوم وفاة الحسين عليه السلام يوم بكاء دون يوم وفاة جده وأبيه وأمه وأخيه قال عليه السلام : لأنه كان خلف جميعهم .

ثم هذه العامية فى وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كانت من خصوصياته ككونه مسلماً عمم سواه ، ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يكن لأحد غير أمير المؤمنين تغسيله ، ولو كان غيره نظر إليه عمى ، ولذا عصب عليه السلام عينى الفضل بن العباس الذى كان يعاونه فى مناولة الماء .

و من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وجوب دفنه فى مكانه الذى قبض فيه ، وعدم جواز الصلوة على جنازته جماعة بل فرادى بدون إمام . فروى الكافى عن الصادق عليه السلام قال : أتى العباس أمير المؤمنين فقال : إن الناس قد اجتمعوا أن يدفنوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى البقيع ، وأن يأمهم رجل منهم . فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس ، وقال : أيتها الناس إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إمام حياً وميتاً ، وقال : إنى أدفن فى البقعة التى أقبض فيها - الخبر - .

وروى محمد بن سعد كاتب الواقدى فى طبقاته قال : لما وضع النبى صلى الله عليه وآله وسلم على السرير قال على عليه السلام : لا يقوم عليه أحد لعله يأم هو إمامكم فكان يدخل الناس رسلاً رسلاً فيصلون عليه صففاً صففاً ليس لهم إمام ، ويكبرون ، وعلى عليه السلام قائم بحيال النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ﷺ يقول: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم إننا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ، و نصح لأمته ، و جاهد في سبيله حتى أعز الله دينه ، و تمت كلمته . اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله عليه ، و ثبتنا بعده ، و أجمع بيننا و بينه حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان

و من المضحك أن العامة رووا أن النبي ﷺ اقتدى في حياته بأبي بكر ، و برجال آخرين فمع عدم جواز الإمامة على جنازته كيف يجوز الإمامة على شخصه في حياته ، و قد صرح ﷺ بأنه إمام الناس حياً و ميتاً .

و من خصائصه ﷺ كيفية صلوة جنازته . فروى الكافي عن أمير المؤمنين ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ في صحته يقول: إنما أنزلت هذه الآية « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (١) في الصلوة على بعد قبض الله لي ، و روى عن الباقر ﷺ صلت عليه الملائكة و المهاجرون و الأنصار فوجاً فوجاً .

و لا يبعد اختصاصه ﷺ في الصلاة عليه بكونه قبلة من أى جانب قاموا ، و توجهوا إليه كالكعبة في المسجد الحرام . فروى الكافي عن أبي مريم الأنصاري قال : قلت لأبي جعفر ﷺ: كيف كانت الصلاة على النبي ﷺ قال : لما غسله أمير المؤمنين ﷺ سجدوا ثم أدخل عليه عشرة فدا رواحوله . ثم وقف ﷺ في وسطهم . فقال « إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٢) فيقول القوم كما يقول حتى صلى عليه أهل المدينة و أهل العوالي .

و ما رواه كاتب الواقدي عن أمير المؤمنين ﷺ في مامر من دعائه ﷺ وتأمين الناس لدعائه الظاهر كونه زائداً على أصل الصلوة عليه ، و إنما أصلها تلاوة الآية كما عرفته في خبرين .

وله ﷺ خصائص أخرى ذكرها العامة و الخاصة ، و قد ذكر القرآن حرمة

نكاح أزواجه ، وإباحة هبة المؤمنات أنفسهن . له ، وغيرهما في نكاحه وطلاقه .

وفي نوادر صيام الفقيه ، ونهى النبي ﷺ عن الوصال في الصيام ، وكان ﷺ يواصل فقيل له في ذلك . فقال ﷺ : إننى لست كأحدكم إننى اظل عند ربى فيطعمنى ويسقبنى ، وروى مثله في صحاح العامة .

وفي السيرة والطبرى والكتب الصحابية أن "أبا شريح الخزاعى قال لعمر بن سعيد - وأعمرو بن الزبير - : إن النبي ﷺ قال : إن أحد ترخص للقتال في مكة بقتال النبي ﷺ فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ، ولم يأذن لك ، وإنما أذن لى ساعة من نهار ، وقد عادت كحرمتها بالأمس .

وفي الطبرى أيضاً أن النبي ﷺ كان يكره في أحد الخروج من المدينة ، وقال رجال : أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون إننا جنبنا فدعا بدرعه فلبسها فندموا ، وقالوا : نشير عليه ، والوحى يأتيه . فقالوا : اصنع ما رأيت . فقال : ما ينبغى لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل .

وفي الطبرى أيضاً أن النبي ﷺ أمر في فتح مكة بقتل نفر ستمهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح لأنه كان أسلم فارتد مشركاً . ففر إلى عثمان لأنه كان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به النبي ﷺ فاستأمن عثمان له النبي ﷺ فذكر أن النبي ﷺ صمت طويلاً ثم قال : نعم فلما انصرف به عثمان قال النبي ﷺ لمن حوله من أصحابه : أما والله لقد صمت طويلاً ليقوم إليه بعضكم . فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : هلا أومات فقال ﷺ : إن النبي ﷺ لا يقتل بالإشارة .

« و لولا أنك أمرت بالصبر » في المصائب .

« ونهيت عن الجزع » في الرزايا ، و في الخبر كل جزع و بكاء مكروه إلا على

الحسين عليه السلام .

« لا نفدنا » : أى أفئنا .

« عليك ماء الشون » قال الجوهرى : الشون أصل قبائل الرأس وملتهاها التي
منها تجيء الدموع واحدها الشان . عن سيّدة النساء عليها السلام فيه عليها السلام :

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ☆ لنا العيون بنهمال له سكب

ولد عبل كما في المقاتل في الرضا عليه السلام :

و لولا التأسى بالنبي و أهله ☆ لأسبل من عيني عليه شون

و مما قيل في المعنى :

سأبكيك ما تنفد العين مائها ☆ ويشفى منى الدمع ما أتوجع

أيضاً :

فكيف أبقى على ماء الشون وما ☆ أبقى العزام على صبرى ولاجلدى

« ولكن الداء مماطلا » : أى مديداً قال في الأساس « مطل حديدة البيضة » مدّها

قال العجاج .

بمرهفات هطلت سبائكها ☆ تقض أم الهام و الترائكا

« و الكمد » : أى الحزن المكتوم .

« محالفاً » : أى حليفاً ، و أليفاً ، وفي السير أن إلياس بن مضر أحد أجداد النبي

عليه السلام توفى يوم خميس . فكانت امرأته خندف تبكى عليه كل يوم خميس غدوة إلى

الليل ، و لم تقم حيث مات أبداً ، ولم تظلمها سقف حتى هلكت . وفي اليعقوبى خرجت

خندف سائحة في الأرض حتى هلكت حزناً ، وقيل في بكائها من الطلوع إلى الغروب

في يوم الخميس :

إذا مونس لاحت خراطيم شمسه ☆ بكمت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

و مونس اسم الخميس ، وقال متمم بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد غدرأ من

قبل أبى بكر طمعاً في امرأته مرات كثيرة ، و كان متمم من الباكين كثيراً على أخيه

سأله عمر عن بكائه . فقال : بكيت أخى حولا - وكان إحدى عينيه ذاهبة - حتى أسعدت

عيني الذاهبة عيني الصحيحة ، و قال لعمر : ما رأيت ناراً إلا كدت انقطع أسفاً على

أخى لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف ، ولا يعرف مكانه ، وقال لعمر : كان وجه أخى كأنه فلقة قمر .

وقالت الخنساء في أخيها صخر - وهي كتمتم ومهلهل أخى كليب من الرائين المعروفين في إخوانهم - :

فلولا كثرة الباكين حولي ☆ على إخوانهم لقتلت نفسي
وما سيكون مثل أخى ولكن ☆ أعز النفس عنه بالتأسي
يدغرني طلوع الشمس صخرا ☆ وأذكره لكل غروب شمس
كان تذكرها له عند الطلوع لغارته ، وعند الغروب لضيافته .
« و لقلاً » : أى مطال الداء ، ومحالفة الكمد .

« لك » قال ابن دريه في جمهرته : أخبرني الغنوي بأسناده أن أعرابياً مرّ بالنبي ﷺ وهو يد فن . فقال :

ألا جعلتم رسول الله في سفظ ☆ من الألوه أصدى ملبسا زهبا
وقال: ألوه: العود الذي يتبخّر به .
هذا ، وقال لبديد في أخيه لأمّه أربد :
فودع بالسلام أبا حريز ☆ و قلّ و داع أربد بالسلام
وقال البحتري في رثاء أبي سعيد :
نستقصر الأكبَاد و هي قريحة ☆ و نذمّ فيض الدمع و هو سجام
« و لكنّه » : أى الموت .

« ما لا يملك رده ، ولا يستطيع دفعه » و عنه ﷺ

الموت لا و الدا يبقى و لا ولدا ☆ هذا السبيل إلى أن لا ترى أحداً
هذا النبي و لم يخلد لأمته ☆ لوخلد الله خلقاً قبله خلدا
للموت فينا سهام غير خاطئة ☆ من فاته اليوم سهم لم يفقه غدا

« بأبي أنت و أمي اذكرنا عند ربك ، و اجعلنا من بالك » أى ممن تنبأ به

ويكون عندك مهما أوممن يكون في خاطرك لا منسياً ، و في تاريخ اليعقوبي سمعوا صوتاً من البيت قال : السلام عليكم ورحمة الله و بر كانه عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً كل نفس ذائقة الطوت و إنّما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحرج عن النار و أدخل الجنة فقد فازوما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لتبلون في أموالكم و أنفسكم ، و لتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قلبكم ، و من الذين أشركوا أذى كثيراً و أن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الأمور إن في الله خلقاً من كل هالك ، و عزاء من كل مصيبة عظم الله أجوركم ، و السلام عليكم ورحمة الله و بر كانه . قيل اجعفر بن محمد عليه السلام : من كنتم ترونه . قال : جبرئيل عليه السلام .

و مر في قوله عليه السلام « خصصت حتى صرت مسلماً عن سواك » نظيره عن الكافي و يأتي في فصل الإمامة الخاصة قوله عليه السلام (لقد قبض رسول الله ﷺ و إن رأسه لعلى صدرى ، و لقد سألت نفسه في كفتى فأمرتها على وجهى ، و لقد وليت غسله ، و الملائكة أعوانى فضجت الدار ، و الألفية ملاً يهبط ، و ملاً يعرج ، و ما فارقت سمعى حينما منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه) .

و أما شرح وفاته عليه السلام ففي المناقب قال السدسى ، لما نزل قوله تعالى « إنك ميت و إنهم ميئون » (١) قال النبي عليه السلام : ليتنى أعلم متى يكون ذلك فنزلت سورة (النصر) فكان النبي عليه السلام يقول بين التكبير و القراءة : « سبحان الله ، و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه » فقيل له في ذلك فقال : أما إن نفسى نعمت إلى ثم نزل بعد عام « لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » (٢) ثم نزلت عليه بعرفة « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام ديناً » (٣) ثم نزلت

(١) الزمر ٣٠

(٢) التوبة ١٢٨

(٣) المائدة ٣

عليه بعد أحد وثمانين يوماً آيات الربوا . ثم نزلت بعدها « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » (١) وهي آخر آية نزلت من السماء . فعاش بعدها أحد وعشرين يوماً . وقال ابن جريج : تسع ليال ، ومقاتل : سبع ليال ، ولما مرض مرضه الذي توفى فيه ، وذلك يوم السبت أو الأحد من صفر أخذ بيد علي عليه السلام وتبعه جماعة من أصحابه ، وتوجه إلى البقيع . ثم قال : السلام عليكم يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها إن جبرئيل كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة ، وقد عرضه العام علي مرتين ، ولا أراه إلا لحضوراً جلي .

و رواية تهنية النبي المطوي البقيع بعدم بقائهم بعده حتى يتلوا بقتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها بمعنى كون الفتن الأخرى نتيجة الفتن الأولى حين وفاته رواية قطعية رواها المؤالف والمخالف ، وهي دالة على أن الباقيين بعده لم يكونوا مذعنين لما يأمرهم بعده في أمر خلافته ، وكيف لا ، وقد صدوه عن وصيته ، وقد أكد في خروجهم في جيش أسامة مرة بعد مرة ، وكلما أفاق من الغشوة حتى لعن المتخلف عن ذلك ، وقد تخلفوا ، ودالة على أن ما فعلوه يوم السقيفة كان خطأ عظيماً ، وخطأً جسيماً لا تعد مفاسده ، ولا تنقضى وخاماته .

ومرت رواية محمد بن حبيب في أماليه في نجوى أمير المؤمنين عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وقت غسله ، وقوله له : أشكو إليك كمداً وإدباراً محالفين ، وداء الفتنة فإنها قد استعرت نارها ودائها الداء الأعظم .

هذا ، ومن المرثي الجيدة رثاء أبي محمد التميمي ليزيد بن يزيد الشيباني ابن أخي معن بن زائدة ، وكان هارون الرشيد يستجدها ، وإذا سمعها بكى ، وهي :

أحقاً أنه أودى يزيد	☆	تبين أيها الناعي المشيد
أندرى من نعت ، وكيف فاهت	☆	به شفتاك كان بها الصعيد
أحامي المجد والاسلام أودى	☆	فما للأرض ويحك لا تميد

- تأمل هل ترى الإسلام مالت ☆ دعائمه و هل شاب الوليد
 و هل مالت سيوف بنى نزار ☆ و هل وضعت عن الخيل اللبود
 و هل تسقى البلاد عشار مزن ☆ بدرتها و هل يخضر عود
 أما هدت لمصرعه نزار ☆ بلى و تقوض المجد المشيد
 و حلّ ضريحه إنحلّ فيه ☆ طريف المجد ذى حسب جمود
 أبعد يزيد تختزن البواكى ☆ دموعاً أوتصان لها حدود
 لتبكك قبّة الإسلام لماً ☆ وهت أطناها و وهى العمود
 و يبكك شاعر لم يبق دهر ☆ له نسباً و قد كسد القصيد
 فمن يدعو الإمام لكلّ خطب ☆ ينوب و كلّ معضلة تؤد
 و من يحمى الخميس إذا تعايا ☆ بحيلة نفسه البطل النجيد
 فإن يهلك يزيد فكلّ حتى ☆ فريس للمنية أو طريد
 ألم يعجب له أن المنايا ☆ فتكن به و هنّ له جنود
 قصدن له و كنّ يحدن عنه ☆ إذا ما الحرب شبّ له وقود
 لقد عزى ربيعة أن يوماً ☆ عليها مثل يومك لا يعود

إلا أنها إغراقات و جزافات شعرية . فالرجل إن كان شجاعاً كان قاتلاً للناس
 بغير الحق ، و إن كان جواداً كان باذلاً للمال في غير الحق ، و إنّما الكلام الحقّ ما
 قاله عليه السلام فيه عليه السلام .

٢٥ ر ٢٩٢ ر ٣ و قال عليه السلام على قبر رسول الله صلى

الله عليه و آله ساعة دفن : انّ الصبر لجميل الاعنك ، و انّ الجزع

لقبيح الاعليك ، و انّ المصاب بك لجيل ، و انه قبلك و

بعدك لجلل .

أقول : في تذكرة سبط ابن الجوزي قال الشعبي : بلغني أن أمير المؤمنين عليه السلام وقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال : إن الجزع لقبيح إلا عليك ، وإن الصبر ليجمل إلا عنك . ثم قال :

ما فاض دمعى عند نازلة ☆ إلا جعلتك للبكاء سببا
و إذا ذكرتك سامحتك به ☆ منى الجفون ففاض الدمع وانسكبا
إننى أجل ترى حملت به ☆ إلا أراه بشره مكتسبا
« إن الصبر ليجمل إلا عنك » عنه عليه السلام كما في المناقب في رثائه :

نفسى على زفراتها محبوسة ☆ ياليتها خرجت مع الزفرات
لاخير بعدك في الحياة وإنما ☆ أبكى مخافة أن تطول حياتى
و عن عمته عاتكة فيه :

أعينى من ذا بعد ما فجعتما به ☆ تبكيان الدهر من ولد آدم

« و إن الجزع لقبيح إلا عليك » قال السروي : روى أن الصديقة عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس نا حلة الجسم منهدة الركن . باكية العين . محترقة القلب . يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، و يقول لولديها : أين أبوكما الذى كان يكرمكما ، و يحملكما مرة بعد مرة . أين أبوكما الذى أشد الناس شفقة عليكمما . فلا يدعكما تمشيان على الأرض ، و لا أراه يفتح هذا الباب ، و لا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما ثم مرضت - الخبر - .

وفي الخبر أنها بكيت حتى تأذى بها أهل المدينة . فقالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك . فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء . فتبكي حتى تقضى حاجتها . ثم تنصرف . ومثله الحسين عليه السلام الصبر جميل إلا عنه ، والجزع قبيح إلا عليه . بل في الخبر ، وعلى مثل الحسين عليه السلام فلتلطم الخدود ، ولتشق الجيوب . فإن الفاطميات لظمن عليه ، و شققن عليه .

و روى أن السجاد عليه السلام بكى عليه حتى خيف على عينيه ، و كان إذا أخذ

إناء ماء ليشرّب بكى حتّى يملأها دماً ، وقال : و كيف لأبكي ، و قد منع أبى من الماء الذى كان مطلقاً للسباع والوحوش ، و روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال حين نظر إلى الحسين عليه السلام : يا عبرة كل مؤمن .

و في الكافي عن الصادق عليه السلام لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه ماتماً ، و بكت و بكت النساء حتّى جفت دموعهن . فبيناهي كذلك إذ رأّت جارية من جوار بها تبكى و دموعها تسيل فسألته عن ذلك . فقالت : شربت شربة سويق . فأمرت بالأ سوقة ، و قالت : نريد بذلك أن نتقوى على البكاء .

و إن المصاب بك لجليل « عنه ﷺ من أصيب بمصيبة . فليذكر مصيبته بى فإنّها من أعظم المصائب .

هذا ، و في عيون ابن قتيبة قال ابن الكلبى : لما قبض النبي ﷺ سمع بموته نساء من كندة و حضرموت . فخصبن أيديهن و ضربن بالدفوف . فقال رجل منهم لأبى بكر في أيامه :

ابلغ أبا بكر إذا ما جمته ☆ إن البغايا رمن أى مرام
أظهرن من موت النبي ﷺ شماتة ☆ و خصبن أيديهن بالعلام
فاقطع هديت الكفن بصارم ☆ كالبرق أومض من متون غمام
فكتب أبو بكر إلى عامله ثمة فأخذهن ، و قطع أيديهن .

هذا ، و مما يدخل في الباب قول بعض الأدباء نثراً : لقد رزئنا من فلان عالماً في شخص ، و أمّة في نفس مضى و المحاسن تبكيه ، و المناقب تعزّى فيه ، و العيون لما قرّت به أسخنها ريب المنون ، و الصدور لما شرحت به قبضها فقد المقدور . فاح فتيت المسك من مآثره . كما يفوح العبير من محابره . هذه المكارم تبدى شجوها لفقده ، و تلبس حدادها من بعده ، و هذه المحاسن قامت نوادبها مع نوادبه ، و اقترنت مصائبها بمصائبه .

« وإنّه قبلك و بعدك لجلال » : أى هيّن . قال امرؤ القيس لما قتل أبوه : ألا كل

شيءٍ سواه جليل .

قالوا : نعى في أحد إلى امرأة من الأنصار أخوها وأبوها ، وزوجها ، فسألت عن النبي ﷺ فقالوا : كما تحبين قالت : أرونيه . فلما نظرت إليه قالت : كل مصيبة بعدك جليل ، و يأتي (جليل) بمعنى الجليل أيضاً . قال ابن وعله الجرمي :

فلئن عفوت لأعفون جليلاً ☆ و لئن سطوت لأوهنن عظمي

و في معنى كلامه ﷺ « وإنه قبلك و بعدك لجليل » قول حسان أيضاً في رثاء النبي ﷺ :

و ما فقد الماضون مثل محمد ☆ و لا مثله حتى القيامة يفقد

هذا ، و قالت الخنساء في أخيها صخر :

فلست أرزى بعده برزية ☆ فاذكره إلا سلّت و تجلّمت

و قال متمم في أخيه مالك الذي قيل فيه (فتى و لا كمالك) .

لعمري و ما دهرى بتابين هالك ☆ و لاجزع مما أصاب فأوجعا

قال في شواهد (الكتاب) لسيبويه : أي لا أرثي ، و لا أبكي بعده هالكاً ، و

لا أجزع بعده من شيء .

و قال أعرابي : إنّها والله مصيبة جعلت سواد الرؤوس بيضاً ، و بياض الوجوه سوداً ،

و هوّنت المصائب ، و شيبّت الذوائب ، و لبعضهم :

ألا ليتمت من شاء بعدك إنّما ☆ عليك من الأقدار كنت أحاذر

أيضاً :

و كنت عليه أحذر الموت وحده ☆ فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

٤٤ ر ٤٧٣ ر ٣ و قيل له عليه السلام لو غيرت شيبتك يا أمير-

المؤمنين . فقال عليه السلام (الخضاب زينة و نحن قوم في مصيبة)

يريد وفاة رسول الله (ص) .

قول المصنّف . « وقيل له عليه السلام : لو غيرت شيبتك يا أمير المؤمنين ، و كأنه عليه السلام لم يغير شيبته إلى آخر عمره ابتداء لما ذكرهنا ، وأخيراً لما روى عبدالله بن سنان أن النبي صلى الله عليه وآله خضب والحسين عليه السلام قد خضب ، وأبو جعفر عليه السلام ، ولم يمنع علياً عليه السلام إلا قول النبي صلى الله عليه وآله : خضب هذه من هذه .

و مما قيل في الاعتذار عن ترك الخضاب قول شاعر :

و قائلة أنتخب فالغواني ☆ تطير من ملاحظة القتير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ☆ و لست مسوداً وجه النذير
وقيل : لحكيم شبت وأنت شاب . فلم لاتعالجه بالخضاب . فقال : إن الثكلى
لاتحتاج إلى الماشطة - أراد ثكله بعمره - .

« فقال عليه السلام : الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة » و في الخبر أن الحسين عليه السلام لما وضع الحسن عليه السلام في اللحد قال :

أأدهن رأسى أم أطيب محاسنى ☆ و رأسك معفور و أنت سلب
و لا بد أن السجاد عليه السلام ترك الخضاب دائماً لأنه كان في مصيبة أبيه إلى
آخر عمره .

« يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله » هكذا في المصرية ولكن في (حد) بدل الجملة
(برسول الله صلى الله عليه وآله) و في (ثم) (يعنى برسول الله صلى الله عليه وآله) و في الخطية (يريد
برسول الله صلى الله عليه وآله) و على نقل (حد) يكون (برسول الله صلى الله عليه وآله) جزء كلامه
عليه السلام ، و على نقل الآخرين من كلام الرواة الرضى - رضوان الله عليه - أو غيره
و كأن نقل (حد) أصح و يكون تنكير (مصيبة) للتعظيم ، و على نقل (ثم) ،
و الخطية (الصفة مقدرة ، و كيف كان فما في المصرية ليس بصحيح لأنه كخلاف
الإجماع المرگب .

ﷺ انه قال: كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فِدُونَكُمْ الْآخَرَ فْتَمَسَّكُوا بِهِ : أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى « وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » وَ هَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْتِخْرَاجِ وَ لَطَائِفِ الْإِسْتِنْبَاطِ .

قول المصنف : « وَ حَكَى عَنْهُ ﷺ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ ﷺ » وَ قَرِيبٌ مِمَّا حَكَى عَنْهُ ﷺ الْبَاقِرُ ﷺ مَا حَكَى الصَّادِقُ ﷺ لَكِنْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ لَكُمْ فِي حَيَاتِي خَيْرًا ، وَ فِي مَمَاتِي خَيْرًا ، أَمَّا فِي حَيَاتِي فَقَدْ قَالَ تَعَالَى « وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ » وَ أَمَّا فِي مَمَاتِي فَتَعَرَّضَ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَاسْتَغْفِرْ لَكُمْ .

« قَوْلُهُ ﷺ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ - إِلَى - فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ عَمْرَأً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : وَ دَدْتُ أَنْتَ كَعمرت فينا عمر نوح . فقال : حياتي خير لكم ، وَ وَفَاتِي لَيْسَتْ بِبَشَرٍ لَكُمْ أَمَّا حَيَاتِي فَتُحَدِّثُونَ ، وَ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَ أَمَّا بَعْدَ وَفَاتِي فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَ أَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ ، وَ عَلَيَّ أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّكُمْ تَعْرَضُونَ عَلَيَّ بِأَسْمَائِكُمْ وَ أَسْمَاءِ آبَائِكُمْ . فَإِنْ يَكُنْ خَيْرٌ سَمَّيْتَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَ إِنْ يَكُنْ سِوَى ذَلِكَ اسْتَغْفِرْتَ اللَّهُ لَذُنُوبِكُمْ . فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَعْمَالَ تَعْرَضُ عَلَيْهِ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَ أَنْسَابِهِمْ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْإِفْكَ . فَأَنْزَلَ تَعَالَى « وَ قُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِّرِ اللَّهُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ رَسُولَهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ » (١) فَقِيلَ لَهُ وَ مِنَ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ عَامَّةٌ وَ خَاصَّةٌ أَمَّا الَّذِينَ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ فَهِيَ آلُ مُحَمَّدٍ الْأُئِمَّةِ ﷺ .

وَ رَوَى ابْنُ دِينَزِيلٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الرَّبِيعِ الْبَجَلِيِّ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ عَنِ

حميد الطويل عن أنس بن مالك في قوله تعالى « فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون أو نرينتك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون » (١) قال : أكرم الله تعالى نبيه ﷺ في أمته ما يكره رفعه إليه و بقيت النعمة .

« و أمّا الأمان الباقي فالاستغفار » قال تعالى « و لو أنهم إن ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » (٢) « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » (٣) .

« قال الله تعالى » في الانفال في الآية ٣٣ .

« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » وقبل الآية « وإن قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » و بعد الآية « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » .

و في تفسير الآية روايات : إحداهما ما أشار إليه المصنف ، والثانية ما في تفسير القمي « أن النبي ﷺ قال لقريش : إن الله بعثنى أن اقتل ملوك الدنيا ، و أجر المملك إليكم . فأجيبوني لما دعوتكم إليه تملكوا بها العرب و تدين لكم بها العجم ، و تكونوا ملوكاً في الجنة . فقال أبو جهل : اللهم إن كان هذا الذي يقول محمد هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم حسداً للنبي ﷺ ثم قال : كننا و بنو هاشم كفرسى رهان نحمل إذا حملوا ، و نطعن إذا طعنوا ، و نوقد إذا أوقدوا . فلمّا استوى بنا و بهم الركب قال قائل منهم . منّا نبي ، لا نرضى بذلك أن يكون في بنى هاشم ، ولا يكون في بنى مخزوم . ثم قال : غفرانك اللهم فانزل تعالى في ذلك « و ما كان الله - إلى - وهم يستغفرون » حين قال : « غفرانك اللهم » و لما هموا

(١) الزخرف ٤١-٤٢

(٢) النساء ٦٤

(٣) النساء ١١٠

بقتل النبي ﷺ وأخرجوه من مكة قال تعالى « ألا يعذب بهم الله » الآية . فعذب بهم الله يوم بدر فقتلوا .

والثالثة ما رواه الكافي في خبر مضمونه أن النبي ﷺ لما بين مناقب أمير المؤمنين عليه السلام غضب الحارث الفهرى ، وقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فأنزل تعالى مقالته ، وأنزل آية « وما كان الله ليعذب بهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » فقال له النبي ﷺ : وإما تبت ، وإما رحلت فقال : بل أرحل . فلما صار بظهر المدينة أتمته جندلة . فرضت هامته . ثم أنزل « سألت سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع ، (١) .

وروى قريباً منه الثعلبي في تفسيره كما نقله عنه سبط ابن الجوزي في تذكرته إلا أنه روى أن النبي ﷺ لما قال يوم الغدير للناس : من كنت مولاه فعلى مولاه . قال الحارث : اللهم إن كان هذا هو الحق . إلى آخره مثله .

هذا ، وروى الكافي في خطب التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي ﷺ اصطفاً بالتفضيل ، وهدى به من التزليل . اختصه لنفسه ، وبعثه إلى خلقه برسالاته و بكلامه . يدعوهم إلى عبادته ، وتوحيده ، والإقرار بربوبيته ؛ والتصديق بنبيته . بعثه على حين فترة من الرسل ، وصدف عن الحق ، و جهالة بالرب ، وكفر بالبعث والوعيد . فبلغ رسالاته ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأمته وعنده حتى أتاه اليقين .

وروى الخطيب في عبد الوهاب كاتب عيسى بن المقنن مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممعط ؛ ولا القصير المتردد . كان ربعة ؛ ولم يكن بالجعد القلط ؛ ولا السبط . كان جعداً رجلاً ولم يكن بالمطهم ؛ ولا

المكثم كأنّ في الوجه تدويراً. أبيض مشرباً. أدعج العينين. أهدب الأشفار؛ جليل المشاش والكتد. ذا مسربة. شثن الكفين والقدمين. إذا مشى تقلع كأنّما يمشى في صلب، وإذا التفت التفت جميعاً. بين كتفيه خاتم النبوة؛ وهو خاتم النبيين. أجرء الناس صدراً؛ وأصدق الناس لهجة؛ وأوفاهم بدمّة؛ وألينهم عريكة من رآه. بديهة هابه؛ ومن خالطه معرفة أحبّه. يقول ناعته: لم أرقبله ولا بعده مثله ﷺ.

إلى هنا انتهى هذا الجزء حسب تجزئتنا؛ ويليه الجزء الثالث؛ وأوله: الفصل السابع في الإمامة العامة؛ ونسأل الله تعالى التوفيق لإتمامه.

فهرست ما فى هذا الجزء من الفصول

والمطالب والعناوين

العنوان	رقم الصحيفة
العنوان - ١ - من الفصل - ٣ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض ، وخلق آدم <small>عليه السلام</small>	٢
الاختلاف فى لفظ الملك	٣
الملائكة تعيشون بنسيم العرش	٧
صنوف الملائكة	٩
العنوان - ٢ - من الفصل - ٣ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	١٢
مناظرة ابن أبى العوجاء مع الصادق <small>عليه السلام</small>	١٦
الملك على صور مختلفات	١٧
الملائكة مكلفون و موعودون و متوعدون	٢٥
العنوان - ٣ - من الفصل - ٣ - من الخطبة - ١٠٥ - فى بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة	٣١
كيفية خلق الملائكة	٣٣

العنوان	الصحيفة
الفصل الرابع في خلق آدم <small>عليه السلام</small>	٢٥
العنوان - ١ - من الفصل - ٤ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم <small>عليه السلام</small>	٣٥
جواب الرضا <small>عليه السلام</small> عن ابن السكيت حين سأله فما الحجّة على الخلق اليوم؟	٣٩
سؤال عبدالله السلام عن النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> عن كيفية خلق آدم <small>عليه السلام</small>	٤٠
كيفية سجود الملائكة لآدم <small>عليه السلام</small> وإبائه إبليس	٤٣
إهباط آدم <small>عليه السلام</small> من الجنة إلى دار البلية	٤٧
العنوان - ٢ - من الفصل - ٤ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	٤٨
العنوان - ٣ - من الفصل - ٤ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى بالقاصة	٥١
وجه تسمية الخطبة بالقاصة	٥٣
كيفية خلق آدم و سجود الملائكة له	٥٥
العنوان - ٤ - من الفصل - ٤ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى بالقاصة	٥٩
سبب قتل قابيل لهاييل	٦٣
سؤال أشعت عن أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> عن أخذ الجزية من المجوس	٦٤
كيفية تناسل ولد آدم <small>عليه السلام</small>	٦٥
الفصل الخامس في النبوة العامة	٦٧
العنوان - ١ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ١ - يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم <small>عليه السلام</small>	٦٧
إثبات أصل النبوة العامة	٧١
كيفية أخذ العهد من ذرية آدم <small>عليه السلام</small>	٧٣

العنوان	رقم الصحيفة
الأدلة الدالة على وجوب الرسالة	٧٥
يجب على أمة النبي الباقي أن يؤمنوا بنبوته النبي الماضي	٧٩
العنوان - ٢ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ٨٧ - تعرف بخطبة الأشباح	٨٠
العنوان - ٣ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ٩٠ - بين فيها فضل الرسول الكريم وأهل بيته	٨١
العنوان - ٤ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ١٤٠ - في مبعث الرسل	٨٣
العنوان - ٥ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ١٧٨ - في قدرة الله ، وفضل القرآن	٨٥
فوائد بعثة الأنبياء	٨٩
العنوان - ٦ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى القاصعة	٩٠
حديث إهباط ملك على النبي ﷺ و تخييره بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكاً فاختار أن يكون نبياً عبداً	٩٢
إنكار المترفون مؤالفة النبي ﷺ مع أهل الصفة والفقراء	٩٦
الإشارة إلى أولى العزم من الرسل	١٠١
العنوان - ٧ - من الفصل - ٥ - من الخطبة - ١٥٥ - في حمد الله ، وبيان عظمته ، وفي فضائل الرسل الكرام	١٠٥
كلام الصادق عليه السلام في سبب كون موسى عليه السلام كليم الله	١٠٦
ذم الدنيا و عيبتها	١٠٩
العنوان - ٨ - من الفصل - ٥ - من كلامه عليه السلام - ١٩٦ - يعظ لسلك الطريق الواضح	١١٠
الإشارة إلى قلة عدد المؤمنين	١١٢

العنوان	رقم الصحيفة
الراضى بفعل قوم كالدخل فيهم	١١٣
ماجرى بين صالح و قومه	١١٧
العنوان -- ٩ -- من الفصل -- ٥ -- من الخطبة -- ١٧٧ -- وفيها بحمد الله	١٢١
و يستعينه ، و يصف وحدانيته	
كيفية موت سليمان بن داود <small>عليه السلام</small>	١٢٥
ملاقات داود مع حزقيال النبي	١٢٩
ذكر أصحاب الرس	١٣٣
الإشارة إلى طرف من سنن الجبارين و سياساتهم	١٣٤
كتاب ملك الصين إلى أنوشيروان	١٣٩
الفصل السادس فى النبوة الخاصة	١٤١
العنوان -- ١ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١ -- يذكر فيها ابتداء	١٤١
خلق السماء ، و الارض ، و خلق آدم <small>عليه السلام</small>	
من عرف النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> بسماته	١٤٣
الحوادث الواقعة ليلة ولادة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	١٤٥
تشنت آراء العرب قبل الاسلام	١٤٧
مناظرة النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> مع أمة خمسة أديان	١٤٩
العنوان -- ٢ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٢ -- وفيها بين حال	١٥٧
الناس قبل البعثة	
مناظرة الوليد مع النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> فى القرآن	١٤٢
العنوان -- ٣ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٢٥ -- و فيها يصف	١٤٥
العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له	

العنوان	رقم الصحيفة
عقائد الناس قبل الإسلام	١٤٧
العنوان -- ٤ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٨٥ -- و -- ١٥٣ -- في الرسول الأعظم ﷺ	١٧٨
ذكر أيام العرب و حروبها	١٨٠
العنوان -- ٥ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٩٠ -- فيها يصف الله تعالى ثم يبين فضل الرسول الكريم سيرة النبي ﷺ	١٨٣
العنوان -- ٦ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٩١ -- يقرر فضيلة الرسول الكريم	١٩٣
العنوان -- ٧ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٩٤ -- في الرسول الأكرم و ذكر منبته و مستقره	١٩٥
ترفيح قدره ﷺ لدى أصحابه	١٩٧
العنوان -- ٨ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٠١ -- في بعض صفات الرسول الكريم	٢٠٠
العنوان -- ٩ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٣٢ -- ١٠٠ -- فيها حكمة مبعث الرسل	٢٠٢
غزوات النبي ﷺ	٢٠٥
العنوان -- ١٠ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٠٤ -- في ذكر النبي والإشارة إلى حال العرب قبل مبعثه	٢٠٧
نسب النبي ، و ذكر أجداده	٢٠٩
العنوان -- ١١ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٤٧ -- يحذر القتن ثم يبين إضائة البلاد بعد الضلالة بالنبي ﷺ	٢١٠

العنوان	الرقم الصحيفة
العنوان ١٢- من الفصل ٦- من الخطبة ١٥٦- في صفة النبي ﷺ و أهل بيته وأتباع دينه .	٢١٤
العنوان ١٣ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٧٣ -- في الشهادة و التقوى و أن النبي ﷺ يختار لشرح حقائق أهم الحقائق الإمامة	٢٢٠ ٢٢٣
العنوان -- ١٤ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٦٨ -- في رسول الله وأنه أمين وحيه	٢٢٥
العنوان -- ١٥ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٨٥ -- يحمده الله و يثنى على نبوته ﷺ	٢٢٦
العنوان -- ١٦ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٨٦ -- في ابتعائه بالرسالة ، و الناس يضربون بالغمرة	٢٢٧
العنوان -- ١٧ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٨٠ -- الثناء على النبي ﷺ وأنه أرسل لإيضاح المنهج	٢٢٩
العنوان -- ١٨ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٩٠ -- الثناء على النبي ﷺ بأنه ناصح الخلق ، وهادى إلى الرشد	٢٣٣
العنوان -- ١٩ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ١٩١ -- في مبعث النبي ﷺ	٢٣٥
العنوان -- ٢٠ -- من الفصل ٦- من الخطبة -- ١٩٣ -- يثنى على النبي ﷺ بأنه بلاغاً لرسالة الله ، وكرامة لأُمَّته	٢٣٦
العنوان -- ٢١ -- من الخطبة -- ١٩٣ --	٢٣٦
العنوان -- ٢٢ -- من الفصل -- ٦ -- من الخطبة -- ٢٠٨ -- في ذكر النبي ﷺ	٢٤٠

العنوان الرقم الصحيفه

- ٢٢٢ العنوان - ٢٣ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٢٢٦ - خطبها بنى
 قار ، وفيها إشارة بأنه ﷺ رتق به الفتق
- ٢٢٤ العنوان - ٢٤ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٢٩ - يعظم الله
 سبحانه ، و يذكر القرآن ، والنبي ﷺ
- ٢٢٧ العنوان - ٢٥ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١١٢ - في أنه أرسل
 شاهداً على الخلق
- ٢٢٨ العنوان - ٢٦ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٩٦ - و - ٨٠ - و - ٨٧ -
 أشار فيها بأنه ﷺ بعث لا نفاذ أمر الله
- ٢٥١ العنوان - ٢٧ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى بالقاصعة
- ٢٥٥ نسب القياصرة و الأ كاسرة
- ٢٥٧ الذبيح من هو ؟
- ٢٦٥ ملوك القياصرة ، و الأ كاسرة
- ٢٦٧ ملوك بنى إسرائيل
- ٢٦٩ الأ إشارة إلى قوم من العرب يأدون البنات
- ٢٧١ الأ إشارة إلى الحروب و غارات العرب
- ٢٨١ الأ إشارة إلى عذاب الله على الأمم الماضية
- ٢٨٤ العنوان - ٢٨ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٨٣ - بعد بيان صفات الله
 أشار فيها بأنه ﷺ أكمل له دينه الذي رضى لنفسه
- العنوان - ٢٩ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٦٩ - و - ١٠٢ - علم فيها الناس
 الصلوة على النبي ﷺ
- ٢٨٧
- ٢٩٩ العنوان - ٣٠ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ٣٦١ - من كانت له
 حاجة إلى الله فليبدأ بمسئلة الصلوة على النبي ﷺ

العنوان	الرقم الصحيفه
وجوب الصلوة على النبي ﷺ عند ذكره	٣٠١
ثواب الصلوة على النبي ﷺ	٣٠٣
الصلوة على أهل بيت النبي ﷺ وآله	٣٠٥
العنوان - ٣١ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٨٩ - يصف بها المنافقين	٣٠٧
ما جرى بينه ﷺ وبين القريش	٣٠٩
العنوان - ٣٢ - من الفصل - ٦ - من الكتاب - ٩ - أرسله إلى معاوية	٣١٤
ما وصل إليه ﷺ من عشيرته	٣٢١
كيفية موت جعفر يوم مؤتة	٣٢٥
هزيمة المسلمون يوم مؤتة	٣٢٧
العنوان - ٣٣ - من الفصل - ٦ - من آخر فصل اختيار غريب كلامه من الباب الثالث	٣٣٠
أنه ﷺ أقرب الناس إلى العدو حين الحرب	٣٣٢
العنوان - ٣٤ - من الفصل - ٦ - من كلامه ﷺ - ٥٥ - يصف أصحاب رسول الله ﷺ	٣٣٤
فضائل من جاهد بين يديه ﷺ	٣٤٣
العنوان - ٣٥ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٩٣ - في أصحابه وأصحاب رسول الله ﷺ	٣٤٤
فضائل أصحاب رسول الله ﷺ	٣٤٩
العنوان - ٣٦ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ٩٤ - ذكر من كان وليه ﷺ و من كان عدوه	٣٥١

العنوان	الرقم الصحيفه
العنوان - ٣٧ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ٢٠٩ - يصف جوهر الرسول ﷺ	٣٥٥
ما نقل ابن أبي الحديد من قصة نفيل بن عبد العزى وصهاك	٣٥٨
كانت لحمامة بعض جدات معاوية راية بنى المجاز	٣٦٠
العنوان - ٣٨ - من الفصل - ٦ - من كلامه ﷺ - ٣٣١ - اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ	٣٦٢
هجرتة ﷺ	٣٦٣
ذكر هجرة علي ﷺ بعد النبي ﷺ مع الفواطم	٣٦٥
العنوان - ٣٩ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٥٥ - في حمد الله وبيان عظمتة ، و في فضائل الرسل الكرام	٣٦٨
الإشارة إلى طرف من خلق النبي ﷺ	٣٧٣
العنوان - ٤٠ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٠٥ - في زهد النبي ﷺ	٣٨٠
العنوان - ٤١ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى بالقاصعة	٣٨٣
العنوان - ٤٢ - من الفصل - ٦ - من الخطبة - ١٨٧ - تسمى بالقاصعة	٣٨٧
الإشارة إلى معجزاته ﷺ	٣٨٩
العنوان - ٤٣ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ١٦ - قاله في جواب من سئله عن قول النبي ﷺ: غير الشيب ولا تشبهوا باليهود	٤١١
العنوان - ٤٤ - من الفصل - ٦ - من كلامه ﷺ - ٢٣٠ - وهو يلى غسل رسول الله و تجهيزه	٣١٢
كيفية رحلة النبي ﷺ والإشارة إلى عظم مصيبتة	٤١٥

العنوان	رقم الصحيفة
العنوان - ٤٥ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ٢٩٢ - قاله <small>عليه السلام</small> على قبر رسول الله	٤٢٥
العنوان - ٤٦ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ٤٧٣ - قاله في جواب من قال : لو غيرت شيبتك	٤٢٨
العنوان - ٤٧ - من الفصل - ٦ - من الحكم - ٨٨ - نقله عنه أبو جعفر <small>عليه السلام</small>	٤٢٩
فهرست المطالب	٤٣٤
التصويبات	٤٤٤

التصويبات

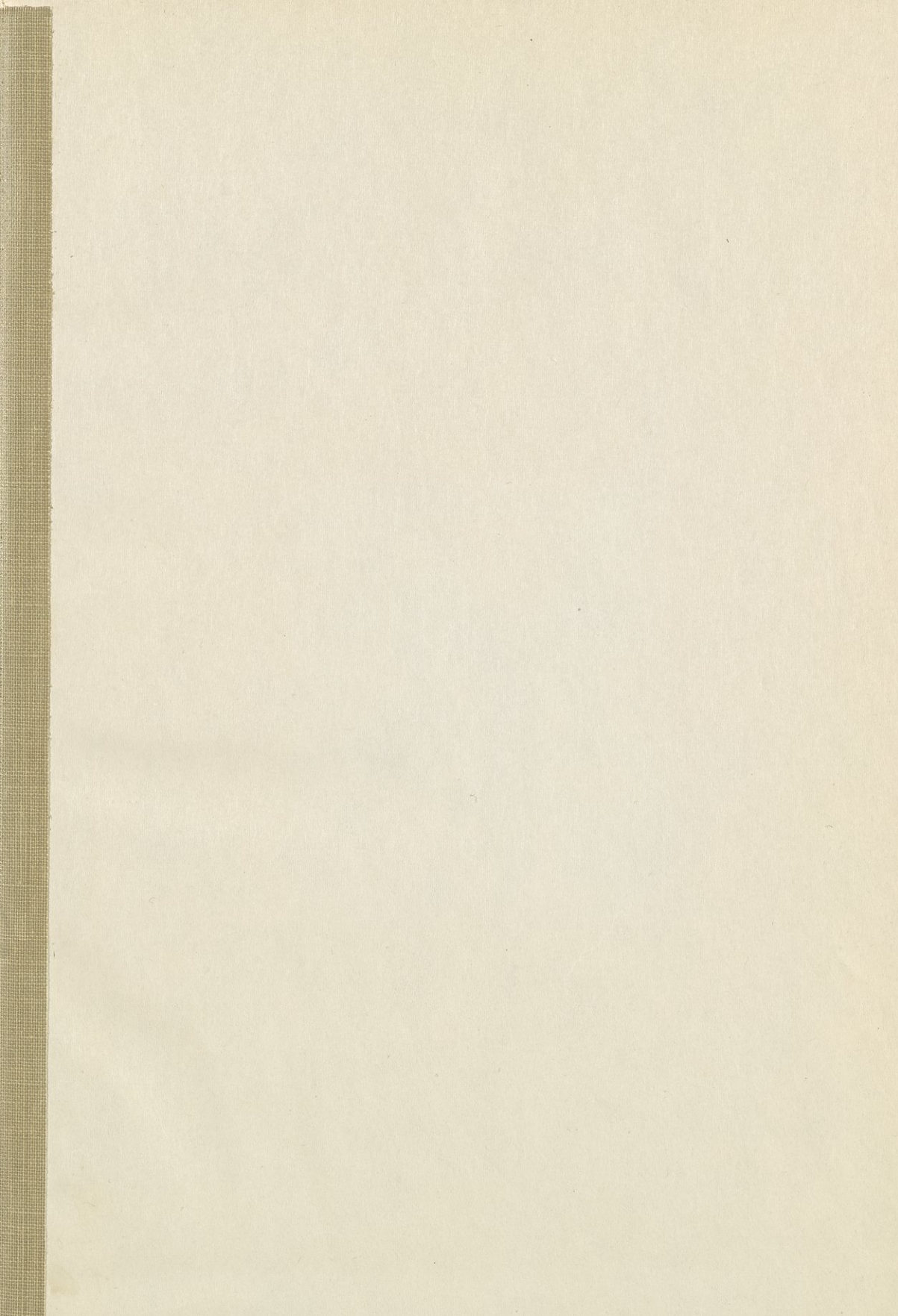
ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٥٠	٥	وحزنا» لسابق علمه	١١	١٣	دعد
		بجعله في الأرض خليفة له	١٢	٧	يزورونه
٥٤	١	البحائية	١٥	٩	شعبتهم
٦٢	١	نتقيته	١٧	٥	شيطان
٦٥	٥	فقبل	١٧	٥	وجبة
٦٧	٩	الآيات الموقدرة	٢٦	٨	ولم ينفذ
٦٨	١٤	برداً. قال	٢٧	١٩	لم تيسس
٧٠	٩	المفسرين. قلت : لم	٢٨	١٦	لا يخفى في همهم
		أقف فيه على مقاله			خدائع الشهوات ككثير
٧١	٢٠	لعظيم			من البشر
٧١	٢١	منّا	٣٥	١٦	للعدة
٧٤	٥	أن يتاولوا	٤٠	٢٣	والبرودة
٧٥	سطر-١٦-	مع كلمة [فاتوه]	٤١	٤	حز
		من سطر-١٧-	٤٤	١٢	كان ذلك
٧٥	٢٠	كلمه زائد	٤٥	١١	للعدة
		اثار			

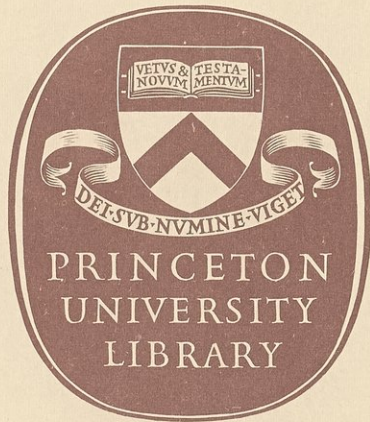
ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٧٦	٦	المقدرة	١٣٥	١٤	طوعا
٧٩	١٣	اللطف	١٣٨	١٦	فخرت
٨٠	٢	صراط مستقيم	١٤٢	٣	لانجاز
٨٢	٢١	يدبر أمر الله	١٤٢	١٨	يعرفونه
٨٦	٨	قد رآوكل قدر	١٥١	١١	إليك
٨٦	١٥	منهما	١٥٢	٣	فقد
٨٧	١٥	(٨) «انما مثل الحياة	١٥٤	٥	بأيديكم
		الدنيا كماء انزلناه من	١٥٨	١٣	مورد
		السماء» الآية	١٦١	٨	يؤثر
٩٦	١٣	بيننا على	١٦٤	٣	الطبي
٩٨	٢	الأتعجبون	١٦٥	٥	كأبي جهل . فجعلوه
١٠٣	١٠	يتيم أبى طالب	١٦٦	١٨	مبثوث
١٠٤	٤	عبدالله بقطر	١٦٧	١٣	ويغير
١٠٨	٦	مادخل جوفاً	١٦٨	١٥	على أبوابهن
١٠٨	٩	تجبون	١٦٨	٢٠	ليزد جرد
١١٢	٢	ما قال	١٧١	٥	وتسفكون
١١٢	١٩	فعددتها			
١١٥	٤	كسابقتها			
١٢٤	١٦	احداً			
١٢٥	١٣	أولوا بأس شديد			
١٢٨	١٣	استثاره			
١٣٥	٦	إلى نبيهم . فقال اللهم			

الصواب	ص	س	الصواب	ص	س
كونه	١٧	١٩٤	قييلة	٧	١٧١
السروى	١٩	١٩٤	فاستثاره	٦	١٧٢
فاحتل	١١	١٩٤	بقداحد	٨	١٧٢
واكف	٣	٢٠٢	يغدو	٢١	١٧٢
العشيرة	٣	٢٠٥	سادنه	٢	١٧٤
بنوقرد	٥	٢٠٥	فسطح	٣	١٧٤
تنزل	١٥	٢٠٥	فكسره	١١	١٧٤
فشغلناك	١٩	٢١١	لم يحلوا	٩	١٧٥
لى	١٩	٢١٣	سرايا	١١	١٧٥
تعبد	٢	٢١٤	تقلص	٢٢	١٧٤
يبتغ	١٧	٢١٤	كانت امرئة	١	١٧٧
١٥ و ٣ مجحود	٣	٢٢٠	الحج	٢١	١٧٩
فقالوا: لحم الابل	١٠	٢٢٢	بكر بن وائل	٢٣	١٨٠
وزهق	١٥	٢٢٨	واتشر	٩	١٨١
عندهم	٥	٢٢٩	تممات	٢١	١٨٢
كذب	١١	٢٣٦	استقد	٦	١٨٤
وكل ما يستحيى	٢٤	٢٣٨	استنقد	١٤	١٨٤
بأنك ربيع و غيث	٥	٢٤٠	يقليه	٩	١٨٨
لسانى	٤	٢٤١	الاستنارة	٢٢	١٨٨
أبى دلف	١٩	٢٤٢	صابره	٩	١٩٠
من الالسن « لكن	٩	٢٤٤	صاحب	٣	١٩١
ينقضه قول ابن الزبيرى المتقدم			فاقلعها	٢٢	١٩٢

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٢٤٧	١٨	ابن ربيعة	٢٨١	١٢	هو قول
٢٥٤	٩	مسلمين	٢٨٣	١٨	الاوقد
٢٥٧	١٩	ونلقى	٢٨٤	٦	أعشى قيس
٢٥٨	٢٢	تسمية	٢٩٠	٣	على آل
٢٦٣	٢٠	وهان	٢٩٤	٦	جقمة
٢٦٤	١٧	الوزراء	٢٩٤	٩	وأخذه النبي
٢٦٦	٨	بن زرارة	٢٩٥	٣	اللهم اقسم
٢٦٨	١٨	اضللت	٢٩٥	١٠	بني دارا
٢٧٠	١	فلماسار	٢٩٦	١٨	« وفيها
٢٨٠	٤	سربالى	٢٩٧	٥	يقفنى
٢٨٠	١٣	أعظمها	٢٩٨	١٨	صحيحته
٢٧٤	٧	نسوس	٣٠٠	٢١	ولا تنفد كما لا تنفد
٢٧٤	١٢	عليهم السباء	٣٠٧	١٥	حلفت
٢٧٥	١٩	كلثوم بن جبير	٣٠٧	١٦	لتملان
٢٧٨	٧	ووالاسلام على وجهه»	٣٠٨	١٦	فغفرت
٢٧٩	١٢	فدفعوها	٣١١	٥	ادهى
٢٨٠	٢	منبهه	٣١٤	٥	من شوكتهم
٢٨٠	٥	تراث	٣١٤	١٢	خلو
٢٨٠	١١	انتفض	٣١٤	١٩	لارجو
٢٨٠	١٧	لاقتها	٣١٦	٧	نهرهم
٢٨١	٥	في المعنى	٣١٦	٦	خمسة
٢٨١	٨	على المصدر	٣١٨	٩	الخمسة

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٣٤٨	١٦	ارى	٣١٩	٢	ابولهب
٣٥٠	١٣	فلانحل	٣١٩	١٢	فاخذ الممثل منه
٣٥٠	١٤	عينه			و ضرب به رأسه واخذ
٣٧٠	٨	الدنيا			بأذنيه
٣٧٥	٩	الزبير بن ياطا	٣١٩	١٤	خلو
٣٧٨	١٤	بالكفاف	٣٢١	١	يصدع بامرہ بدء
٣٧٨	١٥	ردك	٣٢٣	٢	الحلفاء
٣٨٠	١٧	منذرا	٣٢٩	٦	سيفاً سله الله
٣٨٢	٦	والخطية	٣٣١	٣	كانوا يخافونه
٣٨٢	١٨	بلغ عن	٣٣٣	١٤	حضاها
٤١٧	٢٣	و عممت	٣٣٤	١٨	مستوقد النار
٤١٨	١	و باقيهم	٣٣٥	٤	جندورنيك
٤٢٠	١١	ما ينبغي	٣٣٥	١٧	تطايير
٤٢١	٣	بتهمال	٣٣٥	١٩	يتد حرج
٤٢٢	١٠	ابن دريد	٣٤٣	٩	اضطجعت
٤٢٣	٦	من قبلكم	٣٤٤	٤	منصرفه
٤٣٢	١	و مالهم ألا يعذبهم	٣٤٦	٦	النساء
٤٣٢	٧	: اما تبت ، واما	٣٤٨	١٣	الزرع





Princeton University Library



32101 047142896

از اشعار کاتبان صدر
توان بخواند شعرش را با موی
نسخه ۵۲۷۱۱۶